



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

سلسلة الرسائل والأطروحة الجامعية
وحدة الدراسات التاريخية
(٢٠)

تعمير مصر في عهد الخليفة عبد الرحمن الداخل

الشيخ
علي حسين التوسوني

إصدار

مركز الدراسات والبحوث
الاسلامية والاسلاميات

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بنو أمية في نهج البلاغة

نويسنده:

علي حسين عودة الموسوي

ناشر چاپي:

مؤسسة علوم نهج البلاغة

ناشر ديڤيتالي:

مركز تحقيقات رايانه اي قائميه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
٧	بنو أمية في نهج البلاغة
٧	اشارة
٨	اشارة
١٤	الإهداء
١٦	مقدمة المؤسسة
١٨	المقدمة
١٨	اشارة
٢٣	أولاً: كتب التفسير والحديث:
٢٤	ثانياً: كتب السير والمغازي:
٢٥	ثالثاً: كتب الطبقات:
٢٥	رابعاً: كتب التراجم:
٢٦	خامساً: كتب التاريخ العام:
٢٦	سادساً: كتب التواريخ المحلية:
٢٧	سابعاً: كتب البلدانيات:
٢٧	ثامناً: كتب الأنساب:
٢٧	تاسعاً: كتب اللغة والمعاجم اللغوية والأدب:
٢٨	عاشراً: المراجع الحديثة والأطروحات والرسائل والدوريات:
٣٢	الفصل الأول
٣٢	اشارة
٣٤	المبحث الأول نسب بني أمية وصورتهم في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة
٧٠	المبحث الثاني العلاقة بين بني هاشم وبني أمية
١١٠	المبحث الثالث نهج البلاغة وجامعه الشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م)
١٥٢	الفصل الثاني

١٥٢	إشارة
١٥٤	المبحث الأول مكانة بنى أمية في نهج البلاغة
٢٠٦	المبحث الثاني موقف بنى أمية من الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة
٢٤٢	المبحث الثالث أساليب بنى أمية للوصول إلى السلطة في نهج البلاغة
٣٠٨	الفصل الثالث
٣٠٨	إشارة
٣١٠	المبحث الأول لإدارة الأموية في نهج البلاغة في عهد عثمان
٣٤٨	المبحث الثاني موقف الإمام على عليه السلام من الإدارة الإيموية في نهج البلاغة
٣٧٢	الفصل الرابع
٣٧٢	إشارة
٣٧٤	المبحث الأول إتهام معاوية للإمام عليه السلام بقتل عثمان ورد الإمام عليه في نهج البلاغة
٤٠٢	المبحث الثاني نصائح أمير المؤمنين عليه السلام لبنى أمية في نهج البلاغة
٤٣٢	الفصل الخامس
٤٣٢	إشارة
٤٣٤	المبحث الأول إخبار الإمام على عليه السلام بظلم بنى أمية
٤٨٢	المبحث الثاني إخبار الإمام على عليه السلام بنهاية دولة بنى أمية
٥١٠	الخاتمة
٥١٦	المصادر والمراجع
٥١٦	إشارة
٥١٦	المصادر الأولية
٥٤٠	المراجع الثانوية
٥٤٤	الرسائل والأطاريح الجامعية
٥٤٦	الدوريات
٥٤٧	درباره مركز

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد 3006 لسنة 2018 م مصدر الفهرسة:

LC BP38.09.A43 M8 2018 المؤلف الشخصي: الموسوي، علي حسين عودة
- مؤلف.

العنوان: بنو أمية في نهج البلاغة / بيان المسؤولية: تأليف علي حسين عودة الموسوي.

بيانات الطبع: الطبعة الاولى.

بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018 / 1439 للهجرة.

الوصف المادي: 544 صفحة؛ 24 سم.

سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة؛ 527).

سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛ 156).

سلسلة النشر: (سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية؛ 30) تبصرة ببيوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات 509 - 539).

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359 - 406 للهجرة - نهج البلاغة.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة - 40 للهجرة - أحاديث.

مصطلح موضوعي: بنو أمية (قبلية) - انساب - تاريخ.

مصطلح موضوعي: الامويون - تاريخ.

مصطلح موضوعي: التاريخ الاسلامي - العصر الاموي، 661 - 750.

مصطلح موضوعي: البلاد الاسلامية - العصر الاموي، 661 - 750.

اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدره.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

بنو أمية في نهج البلاغة

ص: 2

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية

وحدة الدراسات التاريخية (30)

بنو أمية في نهج البلاغة

المدرس المساعد

على حسين الموسوي

إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة

في العتبة الحسينية المقدسة

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2018 م

العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع: www.inahj.org

Email: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»

صدق الله العلي العظيم

(الإسراء: 60)

ص: 5

الى...

من حاول أعداؤه إخفاء فضائله، إلى سيد البلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الى... روح والدي رحمه الله تعالى

الى... والدتي العزيزة التي لم تنقطع عن الدعاء لي

وإلى أخوتي الأعزاء وعائلتي الكريمة وأولادي أهدي جهدي وعملي المتواضع

الباحث

ص: 7

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاه، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الأنعام: 38)، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: «وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» (يس: 12)، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

ص: 9

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة ب(سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي في حقل المعارف التاريخية.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره.

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

ص: 10

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين، وبعد...

يُعد نهج البلاغة المتضمن خطب، ومراسلات، وحكم، ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي جمعه الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين ابن موسى الموسوي نقيب الطالبين المولود في بغداد سنة (359 هـ / 969 م)، والمتوفى فيها سنة (406 هـ / 1015 م)، أحد أهم المصادر التي تناولت العديد من العلوم المختلفة؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية وكذلك احتوائه على العديد من العلوم الأخرى التي تناولت شؤون الحياة المختلفة، ويأتي نهج البلاغة بعد القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حيث الأهمية، مما جعله محط أنظار وعناية الكثير من العلماء والباحثين، ولا يُعد نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي، الكتاب الوحيد الذي ذكرت فيه خطب ومواعظ أمير المؤمنين عليه السلام، إذ أورد كل من خليفة بن خياط (ت 240 هـ / 854 م) في كتابه (تاريخ خليفة بن خياط)، واليعقوبي (ت 292 هـ / 904 م)، في كتابه (تاريخ

اليعقوبي)، والطبري (ت 310 هـ / 922 م)، في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) والمسعودي (ت 346 هـ / 957 م)، في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، خطباً ومراسلات لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وغيرها من المصادر الأخرى التي ضمت بين دفتيها العديد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن أهم ما ميّز نهج البلاغة إنه قد انفرد عن ما سبقه من المصادر التي أشارت إلى بعض من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بأنه خصص لأن يكون سفيراً حول بلاغة الإمام علي عليه السلام في مجالات عدة ولا يتعدى إلى غيره، وقد أشاد ابن أبي الحديد (ت 656 هـ / 1258 م)، الذي تصدى لشرح نهج البلاغة ببراعة تلك الكلمات الخالدة من خطب أمير المؤمنين بقوله: (إن كلام أمير المؤمنين عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة)⁽¹⁾.

ومن بين المواضيع التي تضمنها نهج البلاغة هو ذكر بني أمية الذين أشار إليهم الإمام عليه السلام في العديد من الخطب والرسائل والذين جاء ذكرهم في مواضع متعددة مركزاً على علاقتهم مع بني هاشم قبل الإسلام وبعده، ومكانتهم ودورهم في محاربة الإسلام وكذلك أساليبهم في الوصول إلى السلطة وكيفية إدارتهم للدولة الإسلامية، ورؤية أمير المؤمنين عليه السلام لمستقبل الأمة في ظل إدارتهم، وان اختيار الموضوع كان لأسباب عدة لعل في مقدمتها ان بني أمية قد شغلوا مدة زمنية مثلت أصعب المراحل التي عاشتها الأمة الإسلامية، وما قاموا به من أفعال انعكس سلباً على مجمل الحياة، منافية بذلك تعاليم الدين الإسلامي، وما قاموا به مشابه إلى حد كبير أفعالهم في الجاهلية الأولى التي قضى عليها نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 12

والشيء الآخر ان الرؤية الفكرية والعقدية لبني أمية عند المذاهب الإسلامية قد انحرفت كثيراً عن الصورة التاريخية لتلك العائلة إذ وجد وفي كثير من الأحيان تلميح وتصنع في المحاباة وعدم التعرض بواقعية لشخصياتهم مما نتج تقييماً مشوباً بكثير من المغالطات، هذا التقييم عندما اطلعنا عليه وجدنا فيه مناقضة عجيبة غريبة في آن واحد، فهو يتناقض في كثير من مفاصله مع الرؤيا التي صورها لنا الإمام علي عليه السلام لتلك العائلة، هذا الأمر جعل الباحث لا يتردد في أن تكون دراسته تتخذ ذلك الرصد والتدقيق لتحقيق الأمر، لذلك تولدت لدينا الرغبة في دراسة الموضوع بعد عرض الموضوع عليّ من قبل الأستاذ المشرف وبناءً على ذلك جاءت الرسالة بعنوانها الموسوم (بنو أمية في نهج البلاغة)، وتأتي أهمية هذه الدراسة لتسلط الضوء عليهم بصورة عامة من خلال نهج البلاغة.

وقسمت هذه الدراسة على خمسة فصول سبقتها مقدمة وأعقبها خاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

تناول الفصل الأول نسب بني أمية وعلاقتهم مع بني هاشم في نهج البلاغة، وقسم على ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان نسب بني أمية وصورتهم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتناول بعض الروايات التي تشير إلى نسبهم الذي ترجعه إلى نسب يهودي، فضلاً عن الصورة التي رسمتها لنا بعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية التي جاءت لتلعنهم في أكثر من موضع، وقد حاولت في المبحث الثاني إعطاء صورة مقارنة بين أبرز بيتين في مكة قبل الإسلام وبعده، أما المبحث الثالث فقد تطرق إلى نهج البلاغة وجامعه الشريف الرضي، إذ بينّ مميزات الكتاب وأقوال العلماء والمؤرخين

الأوائل والمحدثين فيه وكذلك في جامعه الشريف الرضي ومكانته العلمية، ودوره في جمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام، والشكوك التي أثرت حول نسبة النهج وهل هو من تأليف الشريف الرضي أم من جمع أخيه الشريف المرتضى، فضلاً عن ذكر بعض مصادر وأساليب نهج البلاغة وبعض شروحاته.

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان مكانة بني أمية وموقفهم من الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأساليب وصولهم للسلطة، وقد قسمنا هذا الفصل على ثلاثة مباحث، إذ خصص المبحث الأول الذي جاء تحت عنوان مكانة بني أمية في نهج البلاغة، لمعرفة مكانتهم مقارنة بمكانة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك مسألة اسلام بني أمية التي لم تكن عن رغبة صادقة للدخول في الدين وإنما عن رهبة ورغبة بالعطايا والأموال، وجاء المبحث الثاني ليعرض الضوء على موقف بني أمية من الخلافة ودورهم في إبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن حقه الشرعي فيها، وخصص المبحث الثالث لدراسة أساليب بني أمية المختلفة للوصول إلى السلطة ومنها أسلوب تأويل القرآن وخداع الناس والترغيب والترهيب.

في حين تكفل الفصل الثالث بتسليط الضوء على إدارة الأمويين لدولتهم وموقف الإمام منها في نهج البلاغة، وجاء الفصل على مبحثين، ركز المبحث الأول على الإدارة الأموية في نهج البلاغة، تم التطرق فيه إلى الخطب التي أشار فيها أمير المؤمنين عليه السلام إلى إدارتهم للبلاد وإستثمارهم بالأموال ونتائج الإدارة الأموية، بينما تناول المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان موقف أمير المؤمنين عليه السلام من الإدارة الأموية، والذي تحدث عن موقف الإمام عليه السلام من الولاية الأمويين وقيامه باسترداد الأموال الخاصة بالمسلمين.

وقد خصص الفصل الرابع الذي جاء بعنوان اتهام معاوية للإمام علي عليه السلام

بقتل عثمان ونصائح الإمام لمعاوية، واحتوى الفصل على مبحثين، إذ تناول المبحث الأول إتهام معاوية لأمر المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان وردُّ الإمام عليه، أما المبحث الثاني ركز على نصائح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لبني أمية وضرورة الإبتعاد عن الشيطان واللجوء الى الطريق الصحيح.

وجاء الفصل الخامس بعنوان الرؤية المستقبلية للإمام علي عليه السلام لبني أمية في نهج البلاغة وقسم على مبحثين، تكفل المبحث الأول بدراسة إخبار الإمام عليه السلام بظلم بني أمية وتسلب بعض الشخصيات الأموية على السلطة، أما المبحث الثاني فتحدث عن إخبار الإمام علي عليه السلام عن نهاية دولة بني أمية على يد العباسيين وزوالها.

وختمت الرسالة بخاتمة تم من خلالها عرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في ضوء معطيات ما وقع بين أيدينا من روايات ونصوص ذكرتها المصادر التي اعتمدنا عليها لإتمام دراستنا، فقد كان استشهادنا ببعض الآيات القرآنية الكريمة وتفسيرها والتي لا يتطرق إليها الشك، والأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت لتبين لنا الصورة الحقيقية لبني أمية، فضلاً عن ما ورد من خطب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام التي جاءت لتؤكد ما ورد في الكتاب والأحاديث الشريفة عن بني أمية.

أما عن نهج البلاغة قد طبع وحقق مراراً فكانت النسخ متعددة وقد تم اختيار النسخة التي قام بشرحها الشيخ محمد عبده لاحتوائها على النص الكامل بعد مقارنتها مع النسخ الأخرى، ومما أعان الباحث في فهم معاني الكلمات التي وردت في خطب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام هو اللجوء الى شروحات نهج البلاغة، التي كانت محل اعتماد كبير في هذه الدراسة يتقدمها

(شرح نهج البلاغة)، لابن ابي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ / 1258 م)، اذ كان الاعتماد عليه بصورة كبيرة في فصول الدراسة أجمعها كما هو مبين، وكذلك (شرح ابن ميثم البحراني) (ت 679 هـ / 1280 م)، إذ يعد مؤلفه من فلاسفة الإمامية ومتكلميهم في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، إذ نجد أن شرحه مشحون بموضوعات كلامية أعتمد في عدة مواضع على شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، فنراه متوافقاً معه في جوانب ومختلفاً في جوانب أخرى تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروحة، فضلاً عن (شرح الراوندي لأبي الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله) (ت 573 هـ / 1177 م) الذي امتاز شرحه بالإختصار ولكنه مع ذلك قد احتوى على العديد من المطالب الأدبية والمسائل الكلامية والقضايا التاريخية الهامة.

كذلك اعتمد الباحث على شرح (صبحي الصالح)، الذي يعد من الشروحات الهامة لتوضيح خطب الإمام علي عليه السلام، والذي اكتفى بإيراد شرح بعض المفردات اللغوية مما ساعد الباحث على فهم مضامين كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من الشروح المهمة التي كان لها أثر كبير في الدراسة كتاب (في ظلال نهج البلاغة) ل (محمد جواد مغنية)، الذي حاول ربط الماضي بالحاضر، ولعله أراد من شرحه مطابقة كلام أمير المؤمنين عليه السلام على واقعنا المعاصر.

وبما ان الدراسة احتوت على جوانب عديدة منها ما هو سياسي وإجتماعي وإداري فقد تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الباحث في ذلك، وسنأتي على بيان تلك المصادر المختلفة.

أولاً: كتب التفسير والحديث:

تعد كتب التفسير ذات قيمة كبيرة، إذ أفاد الباحث منها كثيراً لاسيما فيما يتعلق

بتفسير عدد من الآيات القرآنية وتوثيق الأحاديث النبوية، التي وردت في نهج البلاغة ومن أهمها (تفسير القرآن الكريم)، للشمالي، أبي حمزة ثابت بن دينار (ت 148 هـ / 765 م)، و (تفسير الصنعاني) لعبد الرزاق بن همام (ت 211 هـ / 826 م)، و (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري (ت 310 هـ / 922 م)، و تفسير (التيبان في تفسير القرآن) لمحمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ / 1067 م)، و (تفسير البغوي) لأبي محمد البغوي (ت 516 هـ / 1122 م)، و (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي (ت 671 هـ / 1272 م)، و (تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي (ت 691 هـ / 1291 م)، و تفسير (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ / 1505 م)، و تقاسير أخرى.

أما بالنسبة لكتب الحديث، فقد استفاد منها الباحث في تخريج الأحاديث النبوية، فضلاً عن الإشارة الى الأحاديث التي رواها أمير المؤمنين عليه السلام وما جاء عنه ومن أهمها (مسند أحمد بن حنبل) لأحمد بن حنبل (ت 241 هـ / 855 م)، و (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ / 869 م)، و (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261 هـ / 874 م)، و (سنن الترمذي) لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279 هـ / 892 م)، و (الكافي) للكليني (ت 329 هـ / 940 م)، و (المستدرک على الصحيحين) للحاكم النيسابوري (ت 405 هـ / 1014 م)، و كتاب (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد) للمفيد (ت 413 هـ / 1022 م)، وغيرها من كتب الحديث.

ثانياً: كتب السير والمغازي:

اهتمت كتب السيرة، بذكر بعض الاحداث التاريخية التي كان لها صلة

بمعارك أمير المؤمنين وإسلامه وهجرته ومؤاخاته للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مثل كتاب (المغازي) للواقدي (ت 207 هـ / 822 م)، وكتاب (السيرة النبوية) لابن هشام (ت 213 هـ / 828 م)، وكتاب (عيون الأثر في فنون المغازي والشمانل والسير) لابن سيد الناس محمد بن عبد الله بن يحيى (734 هـ / 1333 م).

ثالثاً: كتب الطبقات:

احتوت كتب الطبقات نصوصاً كثيرة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي من المصادر التي ساعدت الباحث في الكتابة، وكان لها دور كبير في بيان الكثير من الشخصيات الأموية والصحابة والولاة وغيرهم، ولاسيما أنها ترجمت لكثير منهم، وعرفت بجوانب مهمة من حياتهم، ومن هذه المصادر كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (ت 230 هـ / 844 م)، الذي تبرز أهميته خاصة بين كتب الطبقات فقد كان ذا قيمة علمية كبيرة في تغطية تراجم الأئمة عليهم السلام والخلفاء والصحابة والولاة، وكذلك اعتمدنا على كتاب (طبقات خليفة بن خياط)، لخليفة بن خياط العُصْفري (ت 240 هـ / 854 م).

رابعاً: كتب التراجم:

وتعد من المصادر المهمة التي اعتمد عليها الباحث في الترجمة للأعلام والشخصيات في هذه الدراسة مثل كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر (ت 462 هـ / 1069 م)، وكتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير الجزري (ت 630 هـ / 1232 م)، وكتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت 681 هـ / 1282 م)، وكذلك اعتمدنا على طائفة من كتب شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م) ومنها كتاب (سير اعلام النبلاء)، الذي يضم بين دفتيه عدداً كبيراً من التراجم والمعلومات

المفيدة، واعتمد البحث عليه لإستخلاص الكثير من المعلومات وكتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، فضلاً عن اعتمادنا على مؤلفات ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م) مثل كتاب (لسان الميزان)، و (الإصابة في تمييز الصحابة).

خامساً: كتب التاريخ العام:

وتأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ / 889 م)، وكتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة أحمد بن داود (ت 282 هـ / 895 م) اللذان يعدان من الكتب المهمة في الدراسة، لما احتواياه من معلومات وروايات مهمة عن الإمام عليه السلام وبني أمية، ومن الكتب الأخرى كتاب (تاريخ يعقوبي) لليعقوبي (ت 292 هـ / 904 م)، وكتاب (تاريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ / 922 م)، وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت 346 هـ / 957 م)، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت 630 هـ / 1232 م) وغيرها من كتب التاريخ العام، التي اغنت الدراسة في معلوماتها التي لا يمكن الاستغناء عنها.

سادساً: كتب التواريخ المحلية:

إعتمدنا على مجموعة من هذه الكتب، التي تعد من المصادر الرئيسة والأساسية في هذا المجال إذ كان لها أثرها في رفد البحث بالمادة العلمية الخاصة بالموضوع فكان ابرز ما اعتمد عليه الباحث كتاب (تاريخ مدينة بغداد أو مدينة السلام) للنخيب البغدادي (ت 463 هـ / 1070 م)، الذي يعد من أكبر الموسوعات في هذا النوع من التواريخ، وكتاب (تاريخ مدينة دمشق)، لابن عساكر (ت 571 هـ / 1175 م) الذي يستعرض فيه سير الرجال وبعض

الشخصيات التي يتعذر العثور عليها في كتب التراجم الأخرى، فضلاً عن إحتوائها على الكثير من الروايات التي أفادت البحث بوصفها شواهد تاريخية.

سابعاً: كتب البلدانيات:

أفادت الدراسة من كتب البلدانيات على سبيل المثال، ككتاب ياقوت الحموي الموسوم (معجم البلدان)، (ت 626 هـ / 1228 م)، الذي يُعد أحد المصادر التي لا غنى عنه لكل من يكتب في التاريخ الإسلامي على وجه الخصوص؛ لأنه يضم أغلب الأماكن والمواضع كبيرها وصغيرها بشكل مفصل، وكذلك كتاب (البلدان) لابن الفقيه الهمداني من أعلام القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

ثامناً: كتب الأنساب:

لقد أدت كتب الأنساب دوراً مهماً في هذه الدراسة لبيان نسب بعض القبائل والشخصيات، التي وردت ضمن الدراسة فشكلت مصدراً مهماً ومنها كتاب (نسب قريش) لأبي عبد الله مصعب الزبيري (ت 236 هـ / 850 م)، وكتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري (ت 279 هـ / 892 م)، وكتاب (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456 هـ / 1063 م) وكتاب (الأنساب) للسمعاني (ت 562 هـ / 1166 م) وغيرها من المصادر المهمة.

تاسعاً: كتب اللغة والمعاجم اللغوية والأدب:

تعد كتب اللغة مصدراً مهماً للدراسة، وذلك لأنها بينت الكثير من المعاني اللغوية للكلمات، إذ بدونها لا يمكن فهم الكثير من المصطلحات التي وردت في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فغدت مصادر توثيقية تاريخية منها كتاب (العين) للفراهيدي

(ت 786 170 م)، وكتاب (الصحيح) للجوهري (ت 393 هـ / 1002 م)، وكتاب (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس (ت 395 هـ / 1004 م) وكتاب (لسان العرب) لابن منظور (ت 711 هـ / 1311 م)، وغيرها من كتب اللغة.

ومن كتب اللغة التي اهتمت بغريب الحديث النبوي الشريف، وأشارت الى بعض الكلمات الغريبة التي وردت في الأحاديث النبوية التي خصت بني أمية كتاب (غريب الحديث) لابن سلام (ت 244 هـ / 838 م).

ولكتب الأدب نصيب في إثراء الدراسة ومنها كتاب (الكامل في اللغة والأدب) للمبرّد أبي العباس محمد بن يزيد (ت 286 هـ / 899 م)، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ / 939 م)، وكتاب (ديوان الشريف المرتضى) علي بن الحسين الموسوي (ت 436 هـ / 1044 م)، فضلاً عن الدواوين الأخرى.

عاشراً: المراجع الحديثة والأطروحات والرسائل والدوريات:

ولا بد أن نشير الى بعض المراجع الحديثة ذات العلاقة بدراسات نهج البلاغة والتي أفدنا منها بعض الآراء منها كتاب (دراسات حول نهج البلاغة) وكتاب (حركة التاريخ عند الإمام علي) لمحمد مهدي شمس الدين، وكتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده)، لعبد الزهراء الخطيب، وكتاب (بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) للتستري، وكتاب (التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)، للدكتور حسين علي الشهرهاني.

وهناك دراسات سابقة قد خُصصت لدراسة نهج البلاغة لعل من أبرزها كتاب (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد رؤية اعتزالية عند الإمام علي عليه السلام) للدكتور جواد كاظم النصر الله، وكتاب (الفكر الاختباري في نهج البلاغة)،

للدكتور حميد سراج جابر، وكتاب (أهل البيت في نهج البلاغة قراءة تأويلية)، للدكتور حاكم حبيب الكريطي، وأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ (الأثر الدلالي للقران الكريم نهج البلاغة) لهادي شندوخ حميد، جامعة البصرة كلية الآداب 2008 م، وأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ (أساليب البديع في نهج البلاغة) لخالد كاظم حميدي، جامعة الكوفة كلية الآداب 2011 م، ورسالة الماجستير الموسومة بـ (الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة)، لهادي شندوخ حميد، جامعة البصرة كلية الآداب 2004 م، ورسالة الماجستير الموسومة بـ (التوحيد في نهج البلاغة)، لرزاق حسين فرهود، جامعة الكوفة كلية الفقه 2007 م، وأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ (الأسرة الأموية من خلال شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) لرحيم فرحان صدام، جامعة بغداد كلية التربية - ابن رشد الإنسانية 2014 م، والتي تضمنت سرداً لما موجود في كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد دون التطرق إلى الكثير من خطب الإمام عليه السلام وشرحها وكذلك عدم التعليق عليها من قبل الباحث أو إبداء الآراء حول النصوص التاريخية الواردة فيها، ورسالة الماجستير الموسومة بـ (الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة)، لذكرى عواد ياسر، جامعة البصرة كلية الآداب، 2009 م، ورسالة الماجستير الموسومة بـ (التوثيق التاريخي في نهج البلاغة) لأروى عبد الواحد رحيم، جامعة البصرة، كلية التربية، 2014 م، ورسالة الماجستير الموسومة بـ (أهل البيت عليهم السلام مكاتبتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم في كتاب نهج البلاغة)، لبسام كامل الزبيدي، جامعة ذي قار كلية الآداب، 2016 م، فضلاً عن البحوث المنشورة في هذا المجال لعل من أبرزها بحث بعنوان (فلسفة النبوة وأبعاد حياة الأنبياء الاجتماعية في نهج البلاغة) للدكتور حميد سراج جابر المنشور في مجلة مركز دراسات الكوفة عام 2011 م، والبحث الموسوم

ب (سياسة الإمام علي عليه السلام المالية في نهج البلاغة)، لعلي محمود البعاج الذي نشره المركز الدولي الأول (جامعة الكوفة) سنة 2011 م.

وقد أفاد الباحث من رسائل وأطاريح جامعية أغنت الرسالة في بعض الجوانب منها أطروحة الدكتوراه الموسومة ب (النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي عليه السلام) لعلاء كامل العيساوي، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2005 م، ورسالة الماجستير الموسومة ب (السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام) لعلي رحيم أبو الهيل الجابري، جامعة البصرة، كلية التربية، لسنة 2008 م، وغيرها من الرسائل والأطاريح التي أمدتنا بالمعلومات المناسبة للدراسة.

لقد حاول الباحث في هذه الدراسة أن يقدم صورة واضحة لبني أمية في نهج البلاغة مع ما بذله من جهود في سبيل الإرتقاء بها إلى مصاف الدراسات الأكاديمية المتكاملة وإظهارها بهذه الصورة التي تليق بقدرها، فإن وفقنا فمن الله سبحانه وتعالى، وإن كانت الثانية فمن نفسي، وما هو إلا- جهد نضعه بتواضع أمام أيدي أساتذتنا الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة لتصحيح الهفوات التي وقعنا فيها ودعم الدراسة بتوجيهاتهم وآرائهم السديدة التي ستكون إضافة علمية كبيرة لهذا الجهد المتواضع، والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

ص: 23

المبحث الأول: نسب بني أمية وصورتهم في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة

المبحث الثاني: العلاقة بين بني هاشم وبني أمية

المبحث الثالث: نهج البلاغة وجامعه الشريف الرضي

ص: 25

المبحث الأول نسب بني أمية وصورتهم في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة

نسب بني أمية تعد أسرة بني أمية من الأسر التي أخذت حيزاً في التاريخ العربي قبل الإسلام، والتاريخ الإسلامي فيما بعد، وذلك لإشتراك أفراد هذه الأسرة في النشاطات الاجتماعية والسياسية والدينية قبل الإسلام، وبعده، إذ تمتع الأمويون بنفوذ واسع قبل الإسلام في مكة، وكان لهم دور واضح في مناهضة الدعوة الإسلامية التي جاء بها نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ حاولوا بثتى الوسائل ونئد هذه الدعوة في مهدها الأول، ولكن إستطاعوا بعد مدة وجيزة من الإنخراط في النشاطات السياسية لا سيما بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكان لهم ما أرادوا إذ وصلوا إلى مبتغاهم في إستلام مقاليد السلطة السياسية في الدولة الإسلامية.

والأمويون قيل أنهم ينتسبون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي(1)

ص: 27

1- الكلبي، جمهرة النسب، 38؛ الزبيري، نسب قريش، 99؛ ابن قتيبة، المعارف، 73؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 5 / 8؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، 78؛ السمعاني، الأنساب، 1 / 209

وهم صنفان: الأعياص (1) والعنابس (2) فالأعياص هم: العاص وأبو العاص، والعيص وأبو العيص، والعويص، وأبو عمرو، وكما قال فيهم الشاعر، فضالة بن شريك:

من الأعياص أو من آل حرب *** أغرَّ كغرة الفرس الجواد (3) أما العنابس هم: حرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو، فبنو مروان وعثمان من الأعياص، ومعاوية وابنه من العنابس (4)، واختلف في عدد أبنائهم (5).

وذهبت العديد من الروايات إلى أن بني أمية ليسوا من قريش، وإنما نسبوا

ص: 28

1- الأعياص، لقبوا بهذا الأسم لتشابه أسمائهم، لأنها أسماء أصول، وقيل لجودهم وكرمهم كما في قول الشاعر أعلاه، ينظر، الكلبي، جمهرة النسب، 38؛ الزبيري، نسب قريش، 99؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 1 / 14

2- العنابس، العنيس، الأسد ومنه سمي الرجل، وهو فعل من العبوس، ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4 / 366؛ وسمي العنابس بهذا الأسم، لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية في حرب الفجار وعقلوا أنفسهم، وقاتلوا قتلاً شديداً فشبها بالأسد، ينظر، الكلبي، جمهرة النسب، 38؛ الزبيري، نسب قريش، 100؛ ابن قتيبة، المعارف، 73؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 1 / 14؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 203

3- الكلبي، جمهرة النسب، 38؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 1 / 14؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 203

4- الكلبي، جمهرة النسب، 38؛ الزبيري، نسب قريش، 99؛ ابن قتيبة، المعارف، 73؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 5 / 8؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، 78؛ السمعاني، الأنساب، 1 / 209

5- للمزيد من التفاصيل، ينظر، العلي، كفاية طارش، الأسر الأموية التي لم تتولى الخلافة، 3

وألصقوا بهم، وسنأتي على هذه الروايات التي تبين نسبهم، إذ روي (أن أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فوقع على امرأة يهودية من أهل صفورية(1) يقال لها ترنا، وكان لها زوج يهودي فولدت له ذكوان فادعاه أمية واستلحقه وكناه أبا عمرو، ثم قدم به مكة، فلذلك قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن أبي معيط(2)، يوم أمر بقتله: إنما أنت يهودي من أهل صفورية(3).

ولعل ما ذكره ابن أبي الحديد من أبيات قالها أبو طالب عندما تظاهرت قريش عليه وعلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها إشارة واضحة إلى نسبهم جاء فيها:

قديماً أبوهم كان عبداً لجدنا *** بني أمة شهلاء جاش بها البحر(4) وجاء في بعض المصادر إنه، عندما أمر الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام بعد غزوة بدر بقتل عقبة بن أبي معيط، قال له: (يا محمد ألم تقل لا تصبر قريش أي لا يقتلون صبياً، قال: أفأنت من قريش؟ إنما أنت عالج من أهل صفورية، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعي له، لست منها(5)، أي أن عقبة بن أبي معيط كان من رجل آخر، وذلك الرجل الآخر من أهل صفورية، ونسب إلى

ص: 29

-
- 1- صفورية، وهي كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام، وتقع بالقرب من طبرية، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 / 414
 - 2- عقبة بن أبي معيط، إبان بن أبي عمرو بن أمية، وأم عقبة، أمينة بنت كليب بن ربيعة، وعقبة هو عدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاول خنقه وهو يصلي، وأسر يوم بدر، وأمر بقتله، فقتله الإمام علي عليه السلام، وقيل النضر بن الحارث، ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، 20 / 59
 - 3- ابن قتيبة، المعارف، 319؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، 10 / 6
 - 4- شرح نهج البلاغة، 15 / 176
 - 5- القمي، تفسير القمي، 1 / 720؛ الطبرسي، مجمع البيان، 4 / 460؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، 41

أبي معيط زوراً وكذباً(1)، في حين جاء قول الإمام الحسن عليه السلام للوليد بن عقبة ابن أبي معيط(2)، في مناظرة بينهما، ليدلل على المعنى ذاته، وما أنت وقريش؟ إنما أنت عالج من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد، وأسن ممن تدعى إليه(3).

ونستدل من شهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسبطه الإمام الحسن عليه السلام على عدم صحة نسبه إلى قريش.

وروي (أن أمية عاهرٌ ضعيف النفس، وذلك أنه تعرض لامرأة من بني زهرة، فضربه رجل منهم بالسيف، فأراد بنو أمية ومن تبعهم، إخراج بني زهرة من مكة، فقام دونهم قيس بن عدي السهمي(4) وكانوا أخواله، وكان منيع الجانب، شديد العارضة، حمي الأنفس، فقام دونهم وصاح: (أصبح ليل)

ص: 30

1- العاملي، الصحيح من السيرة، 5 / 105

2- الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم أبي معيط إبان بن أبي عمرو، وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس، أم عثمان بن عفان، فالوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه، أسلم يوم الفتح، ولاءه عثمان الكوفة، وكان يشرب الخمر وصلّى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات في مسجد الكوفة، وجلد لشربه الخمر، توفي بالرقعة ينظر. ابن عبد البر، الاستيعاب، 751؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 63 / 218

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 229

4- قيس بن عدي ابن سعد السهمي، وأمه هند بنت عبد الدار بن قصي، وهو ممن أسلم يوم فتح مكة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيناً، وأعطاه من غنائم حنين مائة من الأبل، وبيّن ابن سعد أن هناك خطأ في اسمه من الرواة ولعلهم أرادوا أحد ولده، لأن قيس بن عدي لم يدرك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأدركه ابنه الحارث بن قيس، وكان من المستهزئين به، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 6 / 107

فذهب مثلاً، ونادى: الآن الضاعن مقيم، وفي هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة(1) جد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

مهلاً أمي فإنّ البغي مهلكة *** لا يكسبناك يوم شره ذكر تبدو كواكبه والشمس طالعة *** يصيب في الكأس منه الصبر والمقر(2) وفي رواية للكلبى(3)، جاء فيها ان قريش فيها جماعة ممن أشتهروا بالزنا، ومنهم أمية بن عبد شمس، وأبو سفيان بن حرب(4)، وعبد الرحمن بن الحكم بن العاص(5)، أخو مروان بن الحكم وولده بالشام.

ص: 31

1- وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، من قريش، وسيد بني زهرة قبيل الإسلام، وهو ابو آمنة بنت وهب أم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت كنيته أبا كبشة، فلما ظهر النبي وناوأته قريش كانوا ينسبون إليه صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر، الزبيرى، نسب قريش، 261

2- ابن حبيب، المنمق، 41؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 156؛ المقرئى، النزاع والتخاصم، 40

3- مثالب العرب، 18

4- ابو سفيان بن حرب صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أسلم يوم الفتح، وقد كان على رأس المشركين في أحد وهو على رأس الأحزاب (يوم الخندق) وكان من الطلقاء يوم الفتح، ومن المؤلفة قلوبهم، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 5؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 813

5- عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو مطرف، ويقال أبو حرب، سكن دمشق، وكان شاعراً محسناً أدرك عائشة وكان رجلاً يوم الدار، والمقصود به يوم قتل عثمان بن عفان، وكان يتهم بنساء اخوته، وهو الذي انشد شعراً لمعاوية لما استلحق زياد بن أبيه، فغضب معاوية وطلب منه ان يعتذر لزياد، ينظر، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 34 / 311

وذكر المرزباني(1) في معجم الشعراء، أن القلاخ العنبري الشاعر المعمر، إلتقى معاوية بن أبي سفيان وكان له معه خبر يذكر فيه إنه ولد قبل مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه رأى أمية بن عبد شمس بعدما ذهب بصره، يقوده عبد أفيحج(2) من أهل صفورية، يقال له ذكوان، فقال له معاوية: مه، ذاك ابنه ذكوان، فتراجعا في ذلك، فقال القلاخ:

يُسانلني معاويةُ بن هِنْدٍ *** لقيت أبا شلالة، عبد شمس؟ فقلت له: رأيت أباك شيخاً *** كبيراً لسن مضرورياً بطمس(3) يقود به أفيحج عبداً سوءاً *** فقال بل ابنه ليزيل لبسي ونستدل مما تقدم أن نسب بني أمية هو ليس من نسب قريش، ولا يمت بأي صلة لهم، وأنهم ألصقوا بهم وهذا ما ورد في تلك الروايات.

وصنع أمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحدٌ من العرب، إذ زوج عبده أبا عمرو بن أمية، امرأته في حياته، والمقتيون في الإسلام، هم الذين أولدوا نساء آبائهم واستنكحوهن من بعد موتهم، وأما أن يتزوجها في حياته، ويبنى عليها وهو براء، فإن هذا لم يكن قط، وأمّية قد جاوز هذا المعنى، ولم يرضَ بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه(4)، لما في ذلك إشارة واضحة إلى أنه يعلم أنه ليس من صلبه.

ص: 32

1- معجم الشعراء، 272؛ ينظر، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 5/ 398

2- أفيحج، هو تصغير الأفحج، الذي في رجليه إعوجاج، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 2/ 239

3- بطمس، أي ذهاب الشيء عن صورته، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 6/ 127

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15/ 156؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، 40 - 41

أما فيما يخص أبا سفيان صخر بن حرب فقد ذكر ابن عبد البر(1) انه ينسب إلى الزندقة(2)، وتزوج هند بنت عتبة بن ربيعة(3)، والتي اتهمت مع رجل آخر من قبل زوجها الأول الفاكه بن المغيرة المخزومي(4) الذي كان له بيت ضيافة يغيثه الناس، فيدخلونه من غير إذن، فخلا ذلك البيت يوماً، فاضطجع الفاكه وهند، ثم قام الفاكه وترك البيت لأمر عرض له، ثم عاد للبيت فإذا رجل قد خرج من البيت فاتهما الفاكه مع الرجل، وأمرها باللاحاق بأهلها، وخاض الناس بأمرها وعند سؤال أبيها عن الأمر، وقال لها، إن كان الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفت إنها لاتعرف شيئاً، فأرسل أبوها إلى الفاكه وطلب منه محاكمته إلى أحد الكهنة، فذهبوا إلى الكاهن وتم تبرئتها من التهمة المنسوبة إليها(5).

ص: 33

-
- 1- الإستيعاب، 813
 - 2- الزنديق، هو كل شخص يّحاذّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الملحدون الذين عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد، ينظر، ابن شعبة الحراني، تحف العقول، 298
 - 3- هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بن حرب، شهدت أحداً وهي كافرة، ومثلت بحمزة رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشقت بطنه واستخرجت كبده ولاكته، وتوفيت سنة (13 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 10 / 223؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 943؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 8 / 346
 - 4- الفاكه بن المغيرة المخزومي، وأمّه ربيعة بنت سعيد بن سهم بن عمرو، وهو أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند بنت عتبة بن ربيعة، وطلقها بعد أن اتهمها مع رجل آخر، ينظر، ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 7 / 92؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 70 / 169
 - 5- ابن حبيب، المنمق، 118، وللمزيد من التفاصيل ينظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 7 / 92 - 93؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 9 / 53 - 54؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 70 / 169؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 306؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 11 / 393 - 394؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 3 / 44

وأدلى ابن أبي الحديد برأيه بشأن هذه الرواية التي قال عنها أن فيها نوعاً من المبالغة والكذب حيث وضعت لتبرئة هند بنت عتبة على ما كانت عليه من الفسق(1).

ومما يؤكد عدم صحة الرواية، أنهم لم يذكروا إسم الكاهن الذي تنافروا عنده، وكذلك قول عتبة لابنته هند إن كان لك ذنب، دسست إلى الفاكه من يقتله، وهذا دليل على أنهم قد رضوا بالعار من خلال قيامهم بالتستر على أمرها من خلال محاولة قتلهم زوجها الفاكه، ليمنعوا بذلك إنتشار خبرها في مكة، فضلاً عما طرح من روايات بشأن هند بنت عتبة، إذ أنها كانت من المغتلمات حسب مارواه الكلبي (وكان أحب الرجال لها السوّد، فكانت إذا ولدت أسود قتلته)(2).

أما فيما يخص نسب معاوية بن أبي سفيان، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن نسبه مدخول أيضاً شأنه شأن آبائه، ويبدو أن البعض من أسرة آل أمية كانت تشتهر بالفجور والبغي في الجاهلية، مما انعكس ذلك عليهم، وعلى سلوكهم إزاء الإسلام، فأفعالهم المشهورة للجميع والواضحة للعيان تدلل على بغيهم وفجورهم، وروي أن معاوية بن أبي سفيان ينسب إلى أربعة وهم: مسافر ابن أبي عمرو(3) وكان يهوى هند بنت عتبة بعد فراقها من الفاكه بن المغيرة،

ص: 34

1- شرح نهج البلاغة، 1 / 306

2- مثالب العرب، 36

3- مسافر بن أبي عمرو بن أمية، ويكنى أبا أمية، وكان أحد شعراء قريش، وامه آمنة بنت كليب بن ربيعة، وهي أم أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية، وأبو معيط ومسافر اخوان لأب وأم، وكان سيدياً جواداً، وأحد أزواد الركب، وسموا بذلك، لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا ماراً إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن، ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 9 / 50

وإلى عمارة بن الوليد(1)، وإلى العباس بن عبد المطلب(2)، وإلى الصباح وهو مغنٍ لعمارة بن الوليد(3).

وروي أن أبا سفيان كان دميماً، قصيراً، وكان الصباح شاباً وسيماً، فدعته هند بنت عتبة إلى نفسها(4)، وكذلك قيل أن عتبة بن أبي سفيان(5)، من الصباح أيضاً وأنها كرهت أن تضعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد(6)، فوضعت هناك

ص: 35

1- عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو أخو خالد بن الوليد، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي في الحبشة، وقد جرت له قصة وأصيب بعقله ومات هناك، وكان ممن دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر، أبو الفرج الأصفهاني،

الأغاني، 55/9؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 216/5

2- العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف، وأم العباس، ثنيلة بنت جناب بن كليب، ويكنى أبو الفضل، وهو عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأسن منه بثلاث سنين، وكان معه في العقبة عند بيعة الأنصار، وأسر يوم بدر وفدى نفسه، وأسلم بفتح مكة وتوفي سنة (34

ه)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5/4، خليفة بن خياط، طبقات خليفة بن خياط، 29؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 511/3

3- الزمخشري، ربيع الأبرار، 276/4؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 306/1

4- الزمخشري، ربيع الأبرار، 276/4؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 306/1

5- عتبة بن أبي سفيان بن حرب، أخو معاوية، ولد على عهد الرسول محمد الزمخشري، ربيع الأبرار، 276/4؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 306/1 وناه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتها، ثم وناه معاوية مصر وبقي فيها سنة، وكان فصيحاً خطيباً، وتوفي سنة (43 هـ)،

ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 568؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 47/5

6- أجياد، هو موضع يقع في مكة، يلي الصفا، واختلف في تسميته، قال: أبو سعيد السيرافي في كتاب جزيرة العرب، هو موضع خروج دابة

الأرض، وقيل سميت أجياد بسبب خروج الخيل الجياد منه، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 105/1

(1)، وعلى ما يبدو أن خروج هند إلى تلك المنطقة خوفاً من الفضيحة، وجاء في رواية أخرى أنها خرجت لتضعه هناك كعادتها في وضع من تحمل من السودان فلما وضعت رأته البياض غلب عليه، وأدركتها حنة فأبقتة ولم تنبذه (2)، وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت (3) أيام المهاجرة بين المسلمين والمشركين في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل عام الفتح (4):

لمن الصبي بجانب البطحاء *** في التراب ملقى غير ذي مهد نجلت به بيضاء أنسة *** من عبد شمس صلته الخد غلبت على شبه الغلام و قدبدا *** فيه السواد الحالك جعد (5) وعلق سبط بن الجوزي على كلام الإمام الحسن عليه السلام عندما قال لمعاوية: (وقد علمت المسلمين الذي ولدت عليه)، ومعنى قوله هذا أن معاوية ينسب إلى أربعة، وكل منهم يتهم بهند (6).

ص: 36

1- الزمخشري، ربيع الأبرار، 4 / 276؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 306

2- القاضي النعمان، المناقب والمثالب، 242

3- حسان بن ثابت بن بن المنذر بن حرام بن عمرو، شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويقال أبو الحسام الأنصاري، حدث عنه ابنه عبد الرحمن، والبراء بن عازب، وعاش ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 12 / 378؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2 / 514

4- المجلسي، بحار الأنوار، 33 / 201

5- ديوان حسان بن ثابت، 97

6- تذكرة الخواص، 202

نستشف من ذلك أن هند بنت عتبة كانت على مستوى من الفجور، جعل من الشاعر حسان بن ثابت ينشد تلك الأبيات التي جاءت لتدلل على فجورها، مما إنعكس ذلك على مكانة وسمعة أبنائها الذين نسبوا إليها، إذ أورد الصنعاني رواية مفادها، أن رجلاً ذكر في مجلسه معاوية بن أبي سفيان، فقال له: (لا تقدر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان)(1).

وجاء في الصدد ذاته ما نقله الطبري(2)، أنه عندما أخذت هند بنت عتبة ترتجز من الشعر بما فعلت في معركة أحد من التمثيل بحمزة(3) عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فطلب عمر بن الخطاب أن يُرد عليها فأنشد عمر بعض ما قالته هند، فقال حسان: أنا أكفيكموها، وأخذ يهجو هنداً، ومن هذه الأبيات:

ونسيت فاحشة أتيت بها *** ياهند ويحك سُدِّية الدهر فرجعت صاغرة بلا ترة *** مما ظفرت به ولا وترِ رغم الولائد إنها ولدت *** ولدأً صغيراً كان من عمر(4) ومما لا شك فيه أن ما عرفت به هند من فجور ويغي، إنعكس على سلوكها وشخصيتها، التي امتلأت حقداً وبغضاً بالإسلام الذي حرم تلك الأشياء،

ص: 37

1- تفسير القرآن، 1 / 20؛ ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، 9 / 570؛ ميزان الاعتدال، 2 / 610

2- تاريخ الرسل والملوك، 2 / 525

3- حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف، ويكنى أبا عمارة، أسد الله وأسد رسوله، وأسلم في السنة السادسة للبعثة وقيل قبل ذلك، وكان أول لواء عقد له من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقتل في معركة أحد سنة (3 هـ)،

ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 7؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 135؛ ابن الأثير أسد الغابة، 2 / 67

4- ديوان حسان بن ثابت، 139

وحباً للدماء، وهذا مما توضح لنا من خلال قيامها بالتمثيل بالحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

وروي: (ان عقيل بن أبي طالب(1) ذهب إلى معاوية بن أبي سفيان، وأمر له بمائة درهم، وسأله عن العسكرين، فأخبره عقيل عن عسكر أمير المؤمنين عليه السلام ان ليلهم ونهارهم، كليل ونهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه ليس معهم، وأخبره بمن أستقبله من المنافقين بعسكره ممن نفر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم العقبة، وبين له أنساب جلسائه، وألح عليه معاوية أن يبين له نسبه، فقال له عقيل: أتعرف حمامة؟ فقال: ومن حمامة؟ فقال له عقيل أخبرتك وخرج من عنده، فأرسل معاوية إلى النسابة وطلب منه بيان ذلك، فقال له: حمامة جدتك، وكانت بغية في الجاهلية، لها راية توتى(2)، وهي جدة أبي سفيان السابعة(3)، نستشف من الرواية بأن لبني أمية جذوراً بعيدة في البغي وممارسة الفجور، وانتقال هذا الأمر إلى أبنائهم، وخصوصاً إذا علمنا بأن عقيل بن أبي طالب كان عالماً بأنساب العرب، ومما يؤكد ذلك قول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام(4).

ص: 38

-
- 1- عقيل بن أبي طالب بن عبد الطلب، وكنيته أبو يزيد، وكان من نسابة قريش وعلمائها، وكان سريع الجواب، وأسر يوم بدر ففداه عمه العباس، وأسلم بعد بدر وقيل في السنة الثامنة للهجرة، توفي أيام معاوية بن أبي سفيان سنة (52 هـ) ينظر، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 327/2؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 4/41؛ المزي، تهذيب الكمال، 20/235
 - 2- الثقفى، الغارات، 65؛ الطوسي، الأمالي، 725؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2/101
 - 3- الكلبي، مثالب العرب، 26؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 2/330؛ الثقفى، الغارات، 937
 - 4- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، وهو خامس الأئمة المعصومين من ولد أمير المؤمنين عليه السلام، ويكنى أبا عبد الله، الإمام العالم، وأمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وقال أبو حنيفة عنه: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، وله مناقب كثيرة، ولقب بالصادق لصدقه، توفي سنة (148 هـ) ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7/534؛ المزي، تهذيب الكمال، 5/75؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 11/98

(كان عقيل من أنسب الناس)(1)، ومن المؤكد ان عقيل لا يصرح بذلك ما لم يكن متأكداً من أنسابهم.

وجاءت شهادة أمير المؤمنين عليه السلام لتدلل على صحة ما مر بنا من روايات حول نسب بني أمية، فشهادته لا تقبل الشك، حيث شهد أن بني أمية لصاق وأنهم ليسوا صحيحي النسب إلى بني عبد مناف، ولم يستطع معاوية إنكار ذلك(2)، إذ ورد ما يؤكد على ذلك في أحد كتب الإمام عليه السلام رداً على كتاب كتبه معاوية يدعي فيه مساواتهم في الحرب والرجال مع بني هاشم، جاء فيه وأما قولك:

(إنا بنو عبد مناف، كذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق)(3)، إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه، أن مراد الإمام بقوله: ولا الصريح كاللصيق، أنه لا يقصد في نسب معاوية شبهة، وإنما أراد بذلك الصريح بالإسلام، واللصيق بالإسلام، فالصريح فيه، هو من أسلم إعتقاداً وإخلاصاً، واللصيق فيه من أسلم تحت السيف، أو رغبة في الدنيا، وقد صرح الإمام عليه السلام بذلك فقال: (كنتم ممن دخل في هذا الدين أما رغبة أو رهبة)(4).

ويبدو أن ابن أبي الحديد قد فسر قول أمير المؤمنين عليه السلام من الناحية الدينية،

ص: 39

1- الثقفى، الغارات، 937

2- المجلسي، بحار الأنوار، 31 / 544

3- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، 3 / 403

4- شرح نهج البلاغة، 15 / 90

أي دخوله إلى الإسلام(1)، ولكننا لا نوافق به هذا الرأي، ونذهب إلى ما ذهب إليه أحد الباحثين، أن الإمام عليه السلام لو أراد من كلمة اللصيق من أسلم تحت السيف، لاكتفى بذكر قول (ولا المهاجر كالطليق)، التي تشير إلى أن معاوية من الطلقاء، لأن كل من دخل عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مكة عنوة أو بالسيف فملكه ثم من عليه عن إسلام أو غير إسلام، فهو طليق، ولكن هناك سبباً دفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى قول ذلك(2).

بينما رأى البحراني، أن المقصود باللصيق صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعياً(3)، واللصيق بغير أبيه(4)، ومما يرجح رأي البحراني، ما ذكرناه من الروايات التي تبين نسب بني أمية، ومعاوية بشكل خاص، بينما نجد أمير المؤمنين عليهم السلام صريح النسب، فهو ينتسب إلى بيت النبوة، وفي رواية ابن سعد التي وردت عن هشام بن السائب الكلبي عن أبيه قال: (كتبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة أم، فما وجدت فيهن سفاحاً، ولا شيئاً من أمر الجاهلية)(5).

إذاً فشهادة أمير المؤمنين عليه السلام قطعية لا شك فيها بشأن نسب معاوية، وخصوصاً ما مر بنا أن بني أمية هم ليس لأمية وإنما من عبده الرومي ذكوان الذي ادعى أمية أنه ابنه أبا عمرو، فأمر المؤمنين عليه السلام لو لم يكن متأكداً من نسب

ص: 40

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 90

2- عجيمي، أحمد فاضل، العرب قبل الإسلام، 241

3- شرح نهج البلاغة، 4 / 345؛ ينظر، محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 375

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 426

5- الطبقات الكبرى، 1 / 42؛ ينظر، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 3 / 403؛ ابن الجوزي، المنتظم، 2 / 238

معاوية، لما صرح وشهد بذلك، وان معاوية لم يستطع الرد عليه(1)، ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام من أهل بيت أبعد الله تعالى عنهم الرجس بنص آية التطهير:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»(2).

فلا يجد معاوية مثلبة على أمير المؤمنين عليه السلام ليرد عليه، لأنه يعلم أنه على حق، وهو على باطل.

ص: 41

1- الكوراني، جواهر التاريخ، 2 / 82

2- سورة الأحزاب، آية، 33

صورة بني أمية في القرآن الكريم يعد القرآن الكريم أوثق مصدر في تاريخ البشرية، لأنه كلام الخالق ولا يستطيع أحد التلاعب به، كما جاء في قوله تعالى:

«لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»⁽¹⁾، وقوله تعالى:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»⁽²⁾، إذ وردت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تبين وتؤكد على فسق وفجور بني أمية، وأخرى تصفهم بالشجرة الملعونة، وإن ماجاء في القرآن فيهم، لهو خير دليل على ذلك، وقد ب ي الكثير من المفسرين والمحدثين أن آيات نزلت بشأن بني أمية عامة، وأخرى نزلت في أشخاص معينين منهم، وسنأتي لعرض بعض ما جاء في كتاب الله تعالى فيما يخصهم.

أورد المفسرون عندما تطرقوا إلى تفسير الآية القرآنية الكريمة:

ص: 43

1- سورة فصلت، آية، 42

2- سورة الحجر، آية، 9

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»(1)، إلى أنها نزلت في بني أمية، إذ أوردوا سبب نزولها وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رؤيا، أن بني أمية على منبره فساء ذلك، فأوحى الله تعالى، ان هي إلا دنيا أعطوها، فقرت عينه، وفي لفظ آخر رأى بني أمية ينزون على منبره، نزو القردة، فساء ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات(2).

وذكر القمي في تفسيره للآية القرآنية الكريمة:

«وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ»(3)، عن أبي الجارود(4) عن أبي جعفر عليه السلام(5)، قال:

ص: 44

1- سورة الإسراء، آية، 60

2- القمي، تفسير القمي، 2 / 22؛ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، 2 / 318؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 6 / 111؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3 / 260؛ السيوطي، الدر المنثور، 4 / 191

3- سورة إبراهيم، آية، 26

4- زياد بن المنذر الهمداني الخارقي الاعمي، كان من أصحاب أبي جعفر عليه السلام، وروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وله كتاب تفسير القرآن رواه عن أبي جعفر عليه السلام، وهو زيدي المذهب، وإليه تنسب الزيدية الجارودية، ينظر، النجاشي، رجال النجاشي، 170؛ الطوسي، الفهرست، 131

5- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي ابن أبي طالب، ولد سنة (56 هـ)، وهو أحد الأئمة الإثني عشر، واشتهر أبو جعفر بالباقر، لبقرة العلم، أي شقه وعرف أصله، وكان إماماً مجتهداً، ومن ألقابه أيضاً الشاكر والهادي، عرف بكثرة مناقبه، ومن أقواله، عن جابر الجعفي، قال محمد بن علي عليه السلام: (شيعتنا من أطاع الله)، وتوفي سنة (114 هـ)، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 7 / 315؛ الكليني، الكافي، 1 / 472؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4 / 401

كذلك الكافرون لا تصعد اعمالهم إلى السماء، وبنو أمية لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء إلا قليل منهم(1).

وأورد المفسرون بأسانيدهم، أقوالهم: في تفسير قوله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْعَدُونَ مِنْهَا الْغَرَارُ»(2)، وذهبوا إلى معنى ألم تر إلى الذين بدلوا... المراد منه الأفجران من قريش، بنو المغيرة، وبنو أمية، فأما بنو المغيرة، فقد كفيتموهم(3) يوم بدر(4)، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين(5).

وذكر العديد من المفسرين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فسأه ذلك، فنزلت الآية الكريمة:

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»(6).....

ص: 45

1- تفسير القمي، 1 / 369

2- سورة إبراهيم، آية 28 - 29

3- أي قطع الله دابهم وهلكوا يوم بدر، ينظر، الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 2 / 352؛ المقرئی، النزاع والتخاصم، 59

4- بدر، موضع ماء بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، ويقال انه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة الذي سكن هذا الموضع فنسب إليه، وحدثت به الموقعة المباركة (معركة بدر) التي أظهر الله تعالى بها الإسلام، وفرّق بين الحق والباطل في سنة 2 هـ، وقتل فيها الكثير من صناديد قريش، ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 363؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 421

5- العياشي، تفسير العياشي، 2 / 229؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 9 / 364؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3 / 199؛ السيوطي، الدر المنثور، 4 / 84

6- سورة الكوثر، آية، 1

نهر في الجنة(1)، وهناك من يرى إنها نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن قال له العاص بن وائل(2)، أنه الأبتري، والمقصود بالكوثري. فاطمة عليها السلام(3)، لأن سياق الآية يتوافق مع هذا الرأي، «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»(4).

في حين ذكر مفسرون ومحدثون آخرون ان المقصود في ألف شهر من الآية القرآنية الكريمة:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»(5)، هم بنو أمية(6)، إذ ذكر المسعودي أن جميع ملك بني أمية إلى يوم بويج أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص، لأنهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً(7).

ص: 46

-
- 1- الصنعاني، تفسير الصنعاني، 3/ 401؛ الطبري، جامع البيان، 30/ 330؛ السمعاني، تفسير السمعاني، 6/ 290
 - 2- العاص بن وائل السهمي، والد عمرو بن العاص، وكان من المستهزئين برسول الله، وهو القائل لما مات عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن محمداً أبتري لا يعيش له ولد ذكر، فأنزل الله تعالى قوله: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» سورة الكوثر. آية، 3، ومات أثر لدغة في رجله في احد شعاب مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ابن خمس وثمانين سنة، ينظر، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1/ 138
 - 3- الطبرسي، مجمع البيان، 10/ 460؛ السيوطي، الدر المنثور، 6/ 404
 - 4- سورة الكوثر، آية، 3
 - 5- سورة القدر، آية، 1 - 3
 - 6- الترمذي، سنن الترمذي، 5/ 445؛ الطبري، جامع البيان، 3/ 327؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 1/ 257؛ البيهقي، دلائل النبوة، 6/ 510؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 566
 - 7- مروج الذهب، 2/ 218

وذكر السهيلي، أن أم جميل(1) زوجة أبا لهب(2)، من بين كفار قريش الذين نزلت بحقهم بعض آيات القرآن الكريم التي تبين كفرهم(3)، وأجمع المفسرون والمحدثون، وأصحاب السير والتراجم، أن سورة المسد نزلت في حق أم جميل زوجة أبي لهب في قوله تعالى:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ»(4).

إذ بين المفسرون خسران أم جميل وزوجها أبي لهب، وهي أخت أبي سفيان التي كانت تحمل الشوك وتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليؤذيه، ثم أخبر الله تعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بما يصنع بها في الآخرة، فقال تعالى: «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ»، أي سلسلة من حديد، ولما علمت أم جميل أن سورة المسد نزلت بحق زوجها، وقيل لها ان الرسول قد هجاك وهجا زوجك وولدك، غضبت لذلك وأرادت

ص: 47

-
- 1- أم جميل، وأسمها أروى بنت حرب، وقيل إسمها العوراء، وهي أخت أبي سفيان بن حرب، وهي امرأة أبا لهب، وكانت تمشي بالنميمة، بين الناس، وأنزل الله سورة المسد بحقها وحق زوجها، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 165 / 67
 - 2- أبو لهب، هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكنيته أبو عقبة، وسمي أبا لهب لجماله، وكان أشد الناس حسداً وعداوة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، إلى ان مات عقب يوم بدر، لما بلغه ما كان في ذلك اليوم، من المشركين و خسارتهم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي نزلت بحقه سورة المسد الخاصة بلعنه، ينظر، ابن قتيبة، المعارف، 125؛ ابن حبان، الثقات، 34 / 1؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 161 / 67
 - 3- الروض الأنف، 285 / 3
 - 4- سورة المسد، آية، 1 - 5

إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الله كفاه شرها، وردّها ببغيها(1).

وأشار بعض المفسرين أن الآية الكريمة:

«أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»(2)، نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والوليد بن عقبة، وكان سبب نزولها أن الوليد بن عقبة قد تشاجر معه وقال:

(أنا والله أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأمثل منك جثواً في الكتيبة، فقال الإمام عليه السلام: اسكت فإنما أنت فاسق)(3).

وأورد العديد من المفسرين ان سبب نزول قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ»(4)، هو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق(5)، ليقبض صدقة أموالهم، وكان الوليد بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فخافهم ورجع إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بأنهم امتنعوا عن دفع الصدقات، وقاموا بطرده، وكفروا بعد إسلامهم، وعلى أثر ذلك استعد

ص: 48

1- مقاتل ابن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 3 / 523؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 10 / 269؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 5 / 345

2- سورة السجدة، آية، 18

3- الثمالي، تفسير القرآن الكريم، 262؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 33 / 7

4- سورة الحجرات، آية، 6

5- بني المصطلق، وهم المصطلق بن سعد، بطن من بطون خزاعة من القحطانية، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة، وغزاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واشتهرت بغزوة بني المصطلق، وذلك سنة (5 هـ) وفي رواية سنة (6 هـ)، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 72

المسلمون لقتالهم، وهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أن يغزوهم، فلما علم بنو المصطلق بذلك، وفدوا عليه وأخبروه، بأنه أرسل إليهم من يقبض صدقاتهم، ولكنه رجع عنهم في بعض الطريق، وأخبروه بالأمر، فأنزل الله تعالى في الوليد ثلاث آيات متواليات وكذبه كما مبين في الآية الكريمة أعلاه(1).

أما قوله تعالى:

«وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا»(2)، فقد أورد المفسرون أن الآية، نزلت في عقبة بن أبي معيط، وأمّية بن خلف(3)، وبينت الآية ندامة عقبة بن أبي معيط، وذلك أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له خليله وهو أمّية بن خلف الجمحي، ما أراك إلا صبأت إلى حديث هذا الرجل، يعني النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: لم أفعل، فقال له أمّية بن خلف وجهي من وجهك حرام إن لم تتفل في وجهه وتبرأ منه، حتى يعلم قومك وعشيرتك إنك غير مفارق لهم، ففعل ذلك عقبة، فأنزل الله عز وجل في عقبة بن أبي معيط ويوم يعض الظالم على يديه، من الندامة، ويقول ياليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً(4).

ص: 49

1- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 3 / 259؛ الطبري، جامع البيان، 26 / 159؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 9 / 77؛ الطوسي، التبيان، 9 / 342

2- سورة الفرقان، آية 27 - 28

3- أمّية بن خلف بن وهب، من بني جمح، وكان يعرف بالخطرير، كان أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، وكان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى بحقه «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» (سورة الهمزة، آية، 1) وهو الذي عذب بلال الحبشي في بداية ظهور الإسلام، وقتل يوم بدر (2 هـ)، ينظر، ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 238

4- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 2 / 435؛ الطبري، جامع البيان، 19 / 11؛ ابو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، 2 / 536؛ السمعاني، تفسير السمعاني، 4 / 17

وبيّن المفسرون والمحدثون أن سبب نزول الآية القرآنية الكريمة:

«هَذَا خِصْمًا اتَّخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»⁽¹⁾، هو الخلاف بين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبنو أمية، إذ روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه إذ قال:

(أن هذه الآية معناها، نحن وبنو أمية، قلنا: صدق الله ورسوله، وقال بنو أمية: كذب الله ورسوله، فالذين كفروا يعني بني أمية)⁽²⁾.

وأورد آخرون⁽³⁾، أن تفسيرها يراد منه أمر آخر، لكنه لا يخرج عن إطار قول الإمام الصادق عليه السلام، إذ بينوا أن المقصود بالخصمين، هم أولئك القوم الذين تبارزوا في بدر، ومثل الفئة المؤمنة فيهم حمزة وعلي عليه السلام وعبدة بن الحارث⁽⁴⁾ من جهة، وشيبة بن ربيعة⁽⁵⁾.....

ص: 50

1- سورة الحج، آية 19

2- القمي، تفسير القمي، 80 / 2؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 263

3- الطبري، جامع البيان، 17 / 172؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 7 / 13؛ الداني، البيان، 189؛ السيوطي، الدر المنثور، 4 / 348

4- عبدة بن الحارث ابن المطلب بن عبد مناف، وأمه سَخيلة بنت خزاعي بن الحويرث، وكان عبدة أسن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعشر سنين، ويكنى أبا الحارث، وهو من المسلمين الأوائل، وكان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن قدم المدينة إلى حمزة بن عبد المطلب ثم لعبدة، وقتل يوم بدر سنة (2 هـ) ودفن بالصفراء، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 48؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 466

5- شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية، ويكنى أبا هاشم، وهو أسن من عتبة بثلاث سنين، أدرك الإسلام، وهو عم هند زوجة أبي سفيان وقتل على الوثنية، وهو من المكذبين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قريش، قتله الإمام علي عليه السلام في يوم بدر سنة (2 هـ)، ينظر البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 152

وعتبة بن ربيعة(1) والوليد بن عتبة(2)، وهؤلاء هم سادات بني أمية أب وأخ وعم هند زوجة أبو سفيان وأم معاوية.

ومن خلال ما تقدم نستشف ان العديد من الآيات القرآنية الكريمة، كان سبب نزولها تبيان حقيقة بني أمية المعادية للدين الإسلامي، ذلك الدين الذي مثل تهديداً مباشراً لمصالحهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وكان منذراً بزوال عقيدتهم المبنية على الشرك والكفر والنفاق، وللأسباب أعلاه نراهم أذوا الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحاربوه بشتى الوسائل من أجل وأد الرسالة التي جاء بها في مهدها الأول.

ومن نافلة القول أن عداءهم لم يقتصر على الدين والشريعة الجديدة ورسولها الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل امتد ذلك ليشمل آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا سيما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان له قصب السبق في القضاء على رؤوس الكفر من بني أمية في معركة بدر سنة 2 هـ.

ص: 51

1- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، وهو أبو هند زوجة أبي سفيان، كان خطيباً في الجاهلية، ناقد القول، نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية، وتوسط في الصلح في حرب الفجار بين هوازن وكنانة، أدرك الإسلام وطغى، وشهد بدرًا مع المشركين وقتل. ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 238 / 38

2- الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وهو أخو هند بنت عتبة زوجة أبو سفيان وأم معاوية، وكان شجاعاً جريئاً فانتكأ تهابه الرجال، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر، وكان أول من قتل في المعركة مبارزة، ينظر، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 152 / 1

بنو أمية في الأحاديث النبوية الشريفة أوردت العديد من كتب الحديث والسير أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تبين من خلالها موقفه الواضح من بني أمية، إذ أشارت تلك الأحاديث الشريفة إلى ما قام به بنو أمية من أفعال وأقوال أرادوا من خلالها الإساءة إلى الإسلام ونبيه وأهل بيته عليهم السلام.

وورد في هذا الصدد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في هذا الخصوص مبيناً موقفه من بني أمية:

(شر قبائل العرب، بنو أمية، وبنو حنيفة، وبنو ثقيف)(1).

وجاء في حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

(ويل لبني أمية، وويل لبني أمية، وويل لبني أمية)(2).

ص: 53

-
- 1- أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، 12 / 198؛ ابن طاووس، الملاحم والفتن، 246؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 10 / 72؛ سبط ابن العجمي، الكشف الحثيث، 223؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 14 / 199
- 2- الضحاك، الآحاد والمثاني، 3 / 300؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 2 / 104؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11 / 265؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 1 / 510

وفي الحديثين أعلاه إشارة واضحة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكانة بني أمية عنده، تارة يصفهم شر الناس، وتارة أخرى يوبخهم بأشدّ عبارات التوبيخ، ويدعو عليهم بالويل الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى:

«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ...»(1). إذ بيّن كثير من المفسرين ان المراد بالويل هو وادٍ في جهنم(2).

وأخرج البيهقي بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

(إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلاً، اتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً)، وفي لفظ آخر (إذا بلغ بنو أمية ثلاثين رجلاً، اتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً)(3).

وعن أبي سعيد الخدري(4)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(إن أهل بيتي سيلقون من أمتي بعدي قتلاً شديداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً، بنو أمية، وبنو المغيرة من بني المخزوم)(5)، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا يوضح موقف الأمة

ص: 54

1- سورة الهمزة، آية، 1 - 9

2- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، 3 / 460؛ الطبري، جامع البيان، 1 / 535؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 1 / 244؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 20 / 181

3- دلائل النبوة، 6 / 507، ينظر، الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 4 / 480؛ ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، 57 / 253؛ الحلبي، السيرة الحلبيّة، 1 / 264

4- أبو سعيد الخدري، إسمه سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، وامه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي بن النجار، وكان من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء، خرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بني المصطلق وهو ابن خمس عشرة، وتوفي سنة أربع وسبعين للهجرة، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 815؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 6 / 138

5- الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 4 / 487؛ ابن طاووس، الملاحم والفتن، 83؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، 12 / 301

من أهل بيته، ومن ثم يشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى موقف بني أمية ودينهم، وهو الخروج من الموقف العام إلى الموقف الخاص، وكلاهما موقف سيء من أهل البيت عليهم السلام.

ومن جانب آخر ورد لعن أفراد من بني أمية على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ جاء في هذا الصدد أنه قال بعد أن رأى أبا سفيان مقبلاً ومعه معاوية ابنه:

(اللهم إعن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس (1) والمقصود معاوية) (2).

وفي الحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا باللعنة على أكثر من واحد من بني أمية في حديث واحد، إذ جاء في الحديث المروي عن سالم بن عبد الله (3) عن أبيه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد (4):

ص: 55

-
- 1- الأقيعس، الرجل الذي أخرج صدره، كناية عن التكبر، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 6 / 177
 - 2- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 218؛ الطبراني، المعجم الكبير، 3 / 72؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 146؛ الصدوق، معاني الأخبار، 345؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4 / 61
 - 3- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر ويقال أبو عبد الله المدني الفقيه، أمه أم سالم، روى عن رافع بن خديج، وكان أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 194؛ المزي، تهذيب الكمال، 10 / 145
 - 4- أحد، أسم جبل أحمر بينه وبين المدينة قرابة ميل من الجهة الشمالية، وعنده كانت الوقعة الفظيعة بين المسلمين والمشركين سنة (3 هـ) وفيها استشهد الحمزة بن عبد المطلب، وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشج وجهه، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1 / 109

(اللهم إعن أبا سفيان، اللهم إعن الحارث بن هشام(1)، اللهم إعن صفوان بن أمية(2))(3).

وفي الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قال:

(أن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان، وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين)(4).

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)(5)، وهي إشارة صريحة لقتل معاوية.

وفي الحديث المروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري(6)، أنه قال: قال

ص: 56

1- الحارث بن هشام بن المغيرة المنخزومي، أسلم يوم الفتح وخرج إلى الشام مجاهداً، وحبس نفسه في الجهاد، ولم يزل بالشام حتى قتل في اليرموك، ويقال مات في طاعون عمواس، ينظر، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 11 / 416

2- صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، يكنى أبا وهب وقيل أبو أمية، قتل أبوه يوم بدر كافراً، وهرب صفوان يوم فتح مكة، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشهد حنيناً والطائف وهو كافر وإمرأته مسلمة، ثم أسلم بعد ذلك، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 342

3- الترمذي، سنن الترمذي، 4 / 295؛ الذهبي، تنقيح التحقيق، 1 / 225؛ الزيلعي، نصب الراية، 2 / 145

4- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 217؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 536؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 /

133

5- الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين 2 / 300؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 59 / 15؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 1 / 572

6- جابر بن عبد الله بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، شهد العقبة الثانية معاًبیه وهو صبي، وقيل شهد بدرًا وهو صبي وقيل لم يشهدها وكذلك أحد وشهد مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، وأدرك الإمام الباقر عليه السلام وتوفي (74 هـ) وقيل (77 هـ) في المدينة، ينظر، الطوسي، إختيار معرفة الرجال، 1 / 222؛ ابن الأثير، أسد

الغابة، 1 / 492

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(يموت معاوية على غير ملتي) (1).

وورد عن عبد الله بن عمر (2) أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت وهو على غير سنتي، فشق عليّ ذلك، وتركت أبي يلبس ثيابه ويجيء، فطلع معاوية) (3).

وروي عن ابن عباس قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صوت رجلين يتغنيان ويقولان:

لا يزال حوارى تلوح عظامه *** زوى الحرب عنه أن تجن ويقبرا فسأل عنهما فقيل له معاوية وعمرو بن العاص، فقال:

(اللهم أركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى النار دعاً) (4).

ص: 57

1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 217؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 153؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 /

133؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 1 / 112

2- عبد الله بن عمرو بن العاص، يكنى أبا محمد، أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج، أسلم قبل أبيه، وكان عالماً، قرأ الكتاب واستأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يكتب حديثه فأذن له، واشترك في صفين مع معاوية، واختلف في وفاته، قيل سنة (63 هـ) وقيل (67 هـ)،

وقيل غير ذلك، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 422؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3 / 79

3- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 220؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 147؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 /

133

4- ابن أبي شيبة، المصنف، 8 / 695؛ ابن حنبل، مسند أحمد، 4 / 241؛ الطبراني، المعجم الكبير، 11 / 32؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 8

121 /

وروي عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أن يدعوا له معاوية ليكتب له إلى بني خزيمه، حين أصابهم خالد بن الوليد(1)، فقال:

(فجئت فقلت هو يأكل، فقال لي: اذهب وادع لي معاوية، فجئت فقلت: هو يأكل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا أشبع الله بطنه)(2).

وهنا يمكن ان نتساءل عن سبب رفض معاوية دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهل هذه هي أخلاق يتخلق بها مسلم، مع أن المسلمين ملزمون بطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن الكريم بقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ»(3)، أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون أنكم مؤمنون(4)، وكذلك نسأل لماذا يدعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه؟ مع أننا نعلم أنه يدعو للمسلمين عامة، ويمكن الإجابة على ذلك بأن معاوية لو لم يكن من المنافقين لما دعا عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدعاء، وكما جاء في الحديث الشريف:

ص: 58

-
- 1- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى أبا سليمان، وهو أحد أشراف قريش في الجاهلية، واختلف في وقت إسلامه وهجرته، فقيل هاجر بعد الحديبية، وقيل إسلامه سنة خمس للهجرة وقيل سنة ثمانية، وشهد مع الرسول فتح مكة، وشارك في معركة مؤتة، وبعثه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عدة سرايا، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 5 / 26؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 198
 - 2- الطيالسي، مسند أبي داود الطيالسي، 359؛ مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، 8 / 27؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 670؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4 / 42
 - 3- سورة، الأنفال، آية 20
 - 4- الطبري، جامع البيان، 9 / 278؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 378

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه)(1) ومعاًوية منافق، فهو من الطلقاء الذين لم يسلموا إعتقاداً بالدين وإنما أسلموا كرهاً تحت السيف، خوفاً على حياتهم.

وورد أنه جرى كلام بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاًوية، فقال له الإمام عليه السلام إنك ذات يوم تسوق بأبيك بعدما عمي وهو على الجمل، فلعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجمل وراكبه وسائقه وقائده، فكان أبوك الراكب، وأخوك القائد، وأنت السائق(2).

ومن الجدير بالذكر، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بحال الأمة وما تلاقيه من ظلم من قبل ولاية بني أمية الذين كانوا أداة طيعة لهم، إذ روي في هذا الصدد عن أبي هريرة(3) قال: ولد لأخي أم سلمة(4) غلام فسموه الوليد، فذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

(سميتموه بأسامي فراعنتكم، ليكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، هو

ص: 59

1- ابن حنبل، مسند أحمد 4/ 233؛ الطبراني، المعجم الكبير، 7/ 75؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 1/ 88

2- الطبرسي، الإحتجاج، 1/ 324؛ الرازي، المحصول، 4/ 341

3- أبو هريرة، واسمه عبد شمس فسمي في الإسلام عبد الله، وقد اختلف في اسمه فقيل اسمه نُهم، ويقال عبد غنم، ويقال سُكين، وقيل اسمه عُمير بن عامر بن عبد ذي الشرى، وكان يعمل أجيراً، وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث سنين، وروى عنه، وتوفي سنة (59هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5/ 230؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2/ 578

4- أم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاز الراكب ابن المغيرة، كانت اول ضعينة دخلت المدينة مهاجرة، وشهدت غزوة خيبر، وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً، وهي قديمة الإسلام، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 10 / 85؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 953

شرعلى هذه الأمة من فرعون على قومه(1).

ومن نافلة القول، أن لعنَ أفرادٍ من بني أمية على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتصر على آل أبي سفيان بن حرب، بل ابتعد ذلك ليشمل قوماً آخرين منهم، إذ روي عن عمرو بن مرة الجهني(2)، أن الحكم بن أبي العاص(3) استأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرف صوته وكلامه فقال:

(انذونا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه، إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق)(4).

ولعل النص المتقدم يبين لنا جملة من الأوصاف، وصف بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا البطن من بني أمية، إذ بين أنهم ذوو مكر وخديعة، واستشهد عليهم بذلك بآية قرآنية كريمة، كما في قوله تعالى:

ص: 60

-
- 1- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، 4/ 494؛ ابن حجر، القول المسدد، 23؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11/ 257
 - 2- عمرو بن مرة بن عبس بن مالك الجهني، كنيته أبو طلحة وقيل أبو مريم، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه، وشهد معه المشاهد كلها، وسكن الشام، وكان يجالس معاذ بن جبل يتعلم منه القرآن وسنن الإسلام، ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، 4/ 258
 - 3- الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، عم عثمان بن عفان، وأبو مروان بن الحكم، أسلم يوم الفتح، وأخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة وطرده منها، فنزل الطائف، وخرج معه ابنه مروان، وردده عثمان إلى المدينة في خلافته، وتوفي سنة (31 هـ)، ينظر، ابن عبد البر الاستيعاب، 155؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2/ 107
 - 4- الحاكم النيسابوري، المستدرک، 4/ 481؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 57/ 268؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 5/ 242

«فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ»(1)، إذ بيّن المفسرون أن بعض الناس يطلب من الله الدنيا، ويجعل حظه مقصوراً عليها، أما الآخرة فليس له نصيب منها، لأن همه مقصور على الدنيا فقط(2).

وورد لعن مروان بن الحكم وذريته على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ روي عنه في هذا الصدد، إذ قال:

(ابن الزرقاء هلاك عامة أمتي على يديه ويدي ورثته)(3).

وفي الإطار ذاته ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في مروان:

(لعن الله هذا وما في صلبه، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)(4).

وجاء أنه دخل مروان بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، فكلّمه في حوائج له، وطلب منه ان يقضيها له، فلما ذهب مروان، وابن عباس(5) جالس مع

ص: 61

1- سورة البقرة، آية، 200

2- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 1 / 106؛ الطبري جامع البيان، 2 / 408؛ البغوي، تفسير البغوي، 1 / 177؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 1 / 132

3- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 256؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 531؛ ابن طاووس، الملاحم والفتن، 82

4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 256؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 57 / 272؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11 / 167

5- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويكنى ابا العباس، وأمه أم الفضل وهي لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن، ولد قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين في مكة، ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل، وروى عنه الأحاديث، وشهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل سنة (36 هـ) وصفين (37 هـ)، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي فيها سنة (68 هـ)، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى 6 / 320؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 3 / 291

معاوية على سريره، فقال له معاوية: (أنشدك الله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولا، وعباد الله خولا، وكتابه دغلا، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة، كان هلاكهم أسرع من لوك تمر، قال ابن عباس: اللهم نعم)(1).

ولعل أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تقتصر على ماهية شخصيات بني أمية بشكل منفرد بل إنه صلى الله عليه وآله وسلم من خلال أحاديثه الشريفة، بين أن من اتبع بني أمية فهو شريك لهم في الظلم والبغي والعدوان، فهم بطبيعة الحال رأس البغي، وبطبيعة الحال فإن من معهم فهو منهم، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأبيه: (يا أبت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار(2): تقتلك الفئة الباغية، قال: فقال عمرو لمعاوية ألا تسمع ما يقول هذا، فقال معاوية: لا تزال تأتينا بهنة، أنحن قتلناه، إنما قتله الذين جاءوا به)(3).

ص: 62

1- الطبراني، المعجم الكبير، 12 / 183؛ ابن عساكر / تاريخ مدينة دمشق، 37 / 126؛ المتقي الهندي، كنز العمال / 11 / 165، الحلبي، السيرة الحلبية، 1 / 264

2- عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة، يكنى أبا اليقظان، وكان مولى لبني مخزوم، وهو من المهاجرين الأولين هاجر إلى الحبشة، وصلى القبلتين، وشهد بدرأ وأحداً والمشاهد كلها وأبلى بلاء حسناً، وكان من كبار الصحابة، استشهد بواقعة صفين سنة (37 هـ)، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 3 / 227؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 4 / 122

3- ابن حنبل، مسند أحمد، 2 / 161؛ مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، 8 / 186؛ النسائي، السنن الكبرى، 5 / 75؛ الطبراني، المعجم الكبير، 1 / 320؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 2 / 148

المبحث الثاني العلاقة بين بني هاشم وبني أمية

العلاقة بين بني هاشم وبني أمية قبل الإسلام ذكرت العديد من المصادر التاريخية الأحداث التي جرت بين البيتين الهاشمي والأموي، وأوضحت لنا طبيعة تلك العلاقة بين الأسرتين وماهيتها، إذ أشارت إلى أن هذه العلاقة تمتد إلى عصر الجاهلية، وإلى عهد هاشم وعبد شمس ولدي عبد مناف، وقد حاولت بعض الروايات وضع مكانة لبني أمية تقف بجانب مكانة بني هاشم، إلا أنها تعتمد على الخرافة التي كانت سائدة في تلك الحقبة الزمنية المعاصرة لهم، وهي أن هاشماً وعبد شمس ولدي عبد مناف كانا توأمين، وأن أحدهما ولد قبل صاحبه، وأصبح له ملتصق بجمهة صاحبه، فنحيت عنه فسال من ذلك دم فتطير، فقليل تكون بينهما دماء(1).

ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه أحد الباحثين بخصوص هذه الرواية من انها

ص: 63

1- الزبيرى، نسب قريش، 141؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، 1 / 293؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 252؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1 / 544

حاولت أن تلقي اللوم على الطرفين، ولم تتبين نوعية العداء، فضلاً عن تبرير جرائم بني أمية التي ارتكبت تحت ظل هذا العداء(1).

وكان لهاشم وهو عم أمية مكانة مرموقة وشأن كبير عند العرب، من حيث سجايه وكرمه المشهور، وكلمته المسموعة بين قومه، في حين ذكر أن عبد شمس كان مقلداً، وكان هاشم موسراً(2)، بل كان أيسر قريش(3)، ومن الأسباب التي أدت إلى العداء بين أمية وهاشم هي المنافرة(4)، التي كان سببها أن هاشمًا كانت إليه الرفادة(5)، التي سنّها جده قصي بن كلاب بن مرة مع السقاية، وذلك أن عبد شمس كان يسافر وقلما يقيم في مكة، وكان رجلاً مقلداً(6) وله الكثير من الأولاد، فأصطلحت قريش على أن يتولى هاشم الرفادة والسقاية، وكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال: (يا معشر قريش إنكم جيران

ص: 64

1- الجابري، علي رحيم، السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام، 2

2- ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 88؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1 / 350

3- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 60

4- المنافرة، هي التحكيم عند من يقع عليه الاختيار من عليّة القوم، ليحكم بميزة أحد المتنافرين وتفضيله على الآخر، من حيث الملكات والقابليات والوجاهة، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 5 / 227

5- الرفادة، وهي إحدى وظائف الكعبة، وهي الشيء الذي ترفده قريش في الجاهلية، فيخرج كل إنسان منهم بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم، فيشترون به الجزور والطعام والزبيب، وكان أول من قام بذلك وسنّه هاشم بن عبد مناف، ينظر، ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 84؛ ابن سلام، غريب الحديث، 1 / 289

6- مقلداً، من الإقلال وصار مقلداً، أي فقيراً بعد الإكثار، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 11 / 564؛ الزبيدي، تاج العروس، 15 / 628

الله وأهل بيته، وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرم بيته، وهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به حفظ منكم أفضل ما حفظه جار من جاره فأكرموا ضيفه وزواره... وكان هاشم يخرج من كل سنة مالا كثيراً وكان قوم من قريش يتراقدون، ويأمر هاشم بحياض من آدم في موضع زمزم، ثم يسقى فيها من الآبار التي بمكة، فيشرب الحاج، وكان هاشم يترد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق(1).

وبهذا يكون هاشم قد نشر فضل قريش على جميع العرب التي تقصد إلى زيارة البيت الحرام، وهي بحاجة إلى ما يسد رمقها من الطعام والشراب، فيكون بذلك قد حقق هدفين، الأول أثبت أن قريشاً أهل لإدارة أمور الكعبة وتنظيمها فحظيت باحترام العرب وتقديرهم، والثاني حماية العرب لقوافل القرشيين التجارية التي تمر بأراضيهم(2).

وكان هاشم يسمى عمرو العلي، وإنما قيل له هاشم لهشمه الثريد وهو من أطعم بمكة(3)، وروي أنه كان (أمية بن عبد شمس ذا مال فتكفل أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك، فشمتمت به قريش وعابوه، فغضب ونافر هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق(4)، تنحر بمكة وجلاء عشر سنين وجعلا بينهما حكماً هو الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحنظلي الخزاعي

ص: 65

-
- 1- ابن سعد الطبقات الكبرى، 1/ 59؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1/ 293؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، 38 - 39
 - 2- الشراهاني، والحصونة، أثر هاشم وعبد المطلب في استقرار أوضاع قريش، 136
 - 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15/ 158
 - 4- تسمى الناقة سوداء الحدق إذا استدار السواد وسط عينيها، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 10/ 38

(1)، فوَقعت المنافرة على أمية بن عبد شمس، وأخذ هاشم الأبل ونحرها وأطعم لحمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكان هذا أول عداء وقع بين بني هاشم وبني أمية(2).

ونستشف من الرواية المتقدمة أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى ذلك العداء، لعل في مقدمتها الحسد والغرور اللذين كان لهما تأثيرٌ واضحٌ في نفسية أمية بن عبد شمس، الأمر الذي قاد الأخير إلى منافرة هاشم بن عبد مناف، فضلاً عن العامل الآخر وهو لا يقل عن السببين المتقدمين والمتمثل بالشماتة التي لحقت بأمية من قبل سكان قريش، التي دفعته إلى منافرة هاشم لغرض الحصول على المكانة المرموقة التي تميز بها هاشم في الوسط القرشي والمكي، وهذا انعكس سلباً على العلاقة بين الأُسرتين الهاشمية والأموية، ويبدو أن هاشماً كان مكرهاً لتلك المنافرة لسنّته وقدره، ولم تدعه قريش وأحفظوه، لذلك قال: (لأمية أنافرك على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين) كما في رواية الطبري(3).

ولم يكن أمية صاحب شأن، وإنما رفعه أبوه وبنيه، وكان مضعوفاً، وكان

ص: 66

-
- 1- عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب بن عمرو الخزاعي، بايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وصحبه بعد ذلك، وكان أحد الأشخاص الذين ساروا إلى عثمان، وكان من أصحاب الإمام عليه السلام وشهد حروبه، وقتل بالجزيرة ثم حمل رأسه إلى معاوية من قبل ابن أم الحكم، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 283
 - 2- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 58؛ ابن حبيب، المنمق، 105؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 61؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 253؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1، 544
 - 3- تاريخ الرسل والملوك، 2 / 253

صاحب عهار يدل على ذلك نفيل بن عبد العزى(1)، حين تنافر إليه حرب ابن أمية(2) وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

أبوك معاهراً وأبوه عفٌ *** وذاد الفيئ عن بلدٍ حرام(3) وعلى ما يبدو أن عامل الحسد لم ينقطع عن بني أمية، مما كان له الدور الكبير في إثارتهم المشاكل والخلافات مع بني هاشم، إذ جاء أن رجلاً من اليهود من أهل نجران يقال له أذينة كان بجوار(4) عبد المطلب، وكان يتسوق في أسواق تهامة(5) بماله، وأن حرب بن أمية غاظه ذلك فألب عليه فتیاناً من قريش، وقال لهم: (هذا العالج الذي يقطع الأرض إليكم ويخوض بلادكم بماله من غير جوار ولا أمان والله لو قتلتموه ما خفتكم أحداً يطلب بدمه، قال: فشد عامر ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وصخر بن عامر بن كعب بن تيم بن

ص: 67

-
- 1- نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عدي بن كعب القرشي، جد عمر بن الخطاب، وكان من حكام العرب في الجاهلية، وكانت قريش تتحاكم إليه في الجاهلية، توفي سنة خمسين قبل الهجرة، ينظر، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 150؛ السمعاني، الأنساب، 5/ 516
 - 2- حرب بن أمية بن عبد شمس، من قريش، كنيته أبو عمرو، كان من سادات قومه، وأصبحت رئاسة مكة له بعد وفاة عبد المطلب، وهو جد معاوية بن أبي سفيان، شهد حرب الفجار، ومات بالشام، ينظر، ابن قتيبة، المعارف، 73
 - 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15/ 156؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، 40
 - 4- الجوار، الحليف أو الشريك في التجارة، وقد انسحب ذلك على مجمل الحماية والمنعة في الإسلام، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 4/ 154
 - 5- تهامة، وهي المنطقة الممتدة من اليمن وهو ما أصحح منها إلى حد في باديتها، ومكة من تهامة، وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 63

مرة فقتلاه... (1)، وعلى الرغم من أن عبد المطلب لم يعرف قاتله إلا بعد مدة من الزمن، فأتى حرب بن أمية وأنبه لصنيعه، وطلب بدم جاره، فأبى حرب ذلك وانتهى التماحك واللجاج إلى المنافرة فجعلوا النجاشي (2) ملك الحبشة فأبى ذلك، فجعلوا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رباح، فأتياه، فقال لحرب بن أمية: (أتنافر رجلاً أطول منك قامة، وأوسم منك وسامة، وأعظم منك هامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صلة، وأطول منك مذوداً؟ وأني لأقول هذا، وأنتك لبعيد الغضب، رفيع الصيت في العرب، جلد النذيرة، تحبك العشيرة، ولكنك نافرت منافراً)، فنفر عبد المطلب، فغضب حرب وأغلظ لنفيل وقال:

(من انتكاس الزمان أن جعلناك حكماً) (3)، وترك عبد المطلب منادمة حرب ابن أمية، وصار نديماً لعبد الله بن جدعان (4) محله (5)، ومن نتيجة التحكيم أن

ص: 68

-
- 1- ابن حبيب، المنمق، 94؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 73
 - 2- النجاشي، أصحمة بن أبجر، والنجاشي لقب له وهو أحد ملوك الحبشة، إستقبل الصحابة من المسلمين المهاجرين إليه، وأسلم وحسن إسلامه، ويعد من التابعين وتوفي في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلى عليه صلاة الغائب لما علم بوفاته سنة 632 م، ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1 / 428؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 1 / 135
 - 3- ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 68؛ ابن حبيب، المنمق، 90؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 73؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، 1 / 264
 - 4- عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب التيمي القرشي، يقال كان أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، له جفنة يأكل منها القائم والراكب، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة، وقد شهد مأدبة في داره، وكان في داره حلف الفضول، ينظر، الزبيري، نسب قريش، 291؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 136؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 4 / 33
 - 5- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 68

أخذ عبد المطلب مئة ناقة من حرب ودفع دية اليهودي، وارتجع ماله إلا شيئاً كان شعث منه فغرمه من ماله(1).

ويبين أحد الباحثين رأيه في هذه الرواية وقضية تحكيم نفيل بن عبد العزى لعبد المطلب وحرب بن أمية، وبيان رفض تحكيم النجاشي بينهما، وأوضح أن خشية النجاشي غير واردة، لما عرف من مواقفه أيام هجرة المسلمين للحبشة، أو أن الرواية وضعت في محاولة للتلميح بتساوي كفتي الرهان، تساوي عبد المطلب مع حرب، فضلاً عن أن الرواية وضعت نفيل بن عبد العزى حكماً، بينما لم نجد اليعقوبي يذكره مع قائمة الحكام قبل الاسلام، والشيء الآخر أن حرب بن أمية لم يرضه تحكيمه حتى قال: (إن من انتكاس الزمان أن جعلناك حكماً)، وهذا يعني عدم أهلية نفيل بن عبد العزى للقضاء، وأنه غير راضٍ عن تحكيمه، وعلى أن رواية تحكيم نفيل إنما يراد منها بأن التحكيم لم يكن تحكيمياً عادلاً، وإنما دخلت فيه إعتبارات شخصية جعلت كفة عبد المطلب هي الكفة الراجحة(2) وحتى لو لم يكن نفيل بن عبد العزى من الحكام المعروفين، فهو قد حكم لعبد المطلب، لما كان يتمتع به من صفات تجعله لا يقف في مصاف الرجال العاديين في قريش، ويتهم حرباً في قضية قتل جاره اليهودي، إذ ورد أنه (كانت تسميه قريش الفيض لسماحته وفضله)(3).

أما بخصوص منادمة عبد المطلب لعبد الله بن جدعان ففيها نوع من المبالغة

ص: 69

1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 74

2- الجابري، علي رحيم، السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام، 7

3- ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 89، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 62

فلا يليق بعبد المطلب ان ينادم نخاساً(1) كما ورد في رواية ابن قتيبة(2)، فضلاً عما أورده ابن سعد، أن حرب بن أمية هو من كان ينادم عبد الله بن جدعان(3)، فكيف ينادم عبد المطلب وهو سيد قريش، عبد الله بن جدعان الذي عرف عنه أنه يشرب الخمر، ففي رواية عن ابن أبي الزناد(4) عن أبيه قال: ما مات أحد من قريش في الجاهلية حتى ترك الخمر، إستحياء مما فيها، من بينهم، عبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية ولقد قال: عبد الله بن جدعان قبل أن يموت:

شربت الخمر حتى قال قومي *** ألت من السفاه بمستفيق وحتى ما أوسدَ في منام *** أبيت به سوى التُّرب السحيق وحتى أغلق الحانوت مالي *** وأنست الهوان من الصديق(5) ومن خلال الرواية المتقدمة، فضلاً عن الأبيات الشعرية التي جاءت على لسان عبد الله بن جدعان، يمكن القطع أن الأخير كان من المشهورين بشرب الخمر، وطبقاً لذلك فإن منادمة عبد المطلب له أمر مستبعد، في الوقت الذي نذهب فيه إلى أنه كان نديماً لحرب بن أمية، الذي اشتهر عنه بأنه شارب للخمر كذلك.

ص: 70

1- النخاس، هو بائع الدواب، وقد يسمى بائع الرقيق نخاساً، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 6 / 228

2- ابن قتيبة، المعارف، 576

3- الطبقات الكبرى، 1 / 68

4- عبد الرحمن واسم أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، ويكنى أبا محمد وولد سنة مائة في خلافة عمر بن عبد العزيز، وولي خراج المدينة، وكان نبيلاً، كثير الحديث عالماً، وتوفي في بغداد سنة (174 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 594؛ المزي، تهذيب الكمال، 17 /

95

5- الزبيرى، نسب قريش، 292؛ ابن أبي الدنيا، ذم المسكر، 40

موقف بني أمية من بني هاشم بعد ظهور الإسلام يعد ظهور الدين الإسلامي نقطة تحول في العلاقة بين بني هاشم وبني أمية، إذ اختار الله تعالى نبيه المصطفى ليكون من بني هاشم دون غيرهم من قريش، لذلك نظرت قريش ومنهم بنو أمية نظرة حسد وبغض لهم بسبب ذلك الأمر، وخصوصاً بما جاء به الدين الجديد من تعاليم تقضي بعبادة الله تعالى، ونبذ عبادة الأصنام، وتحريم الربا والزنا، والعدل والمساواة بين الناس، وغيرها من مبادئ الدين الإسلامي الجديد، وهذا مما لا ترتضيه قريش وبني أمية، لأنه يتعارض مع مصالحهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم إنعكس ذلك سلباً على مجمل العلاقة بين بني هاشم وقريش، وكان بنو أمية من أكثر بيوتات قريش عداءً لبني هاشم، إذ اتخذوا من موقفهم من الدين الجديد ذريعة لزيادة الحقد القديم على بني هاشم وكل ذلك بسبب تصدريهم الرئاسة والسيادة على مكة قبل الإسلام وبعده.

لذلك عملوا على التصدي له بوسائل عديدة منها عن طريق السعي إلى عمه أبي طالب⁽¹⁾، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يرضيهم من شيء أنكروه عليه من

ص: 71

1- عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، والد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكافله ومربيه وناصره، وكان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ومن الخطباء والعقلاء، له تجارة كسائر قريش، سافر معه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام في صباه، توفي أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 1 / 98؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 197 / 7

فراقهم لدينهم وعيب آلهتهم(1)، وأوا ان أبا طالب قد حذب(2)، وقام دونه ولم يسلمه إليهم، لذلك مشى إليه رجال من أشرف قريش منهم، عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان، وأبو جهل(3)، وغيرهم من رجال قريش، فقالوا له: (يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلّ آباءنا، فأما أن تكفه عنا وأما أن تخلي بيننا وبينه... فقال أبو طالب قولاً رقيقاً وردّ رداً جميلاً، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما هو عليه من دعوته(4)).

ومن جانب آخر كان لبني أمية الدور الأكبر في دعوة أبي طالب لأخذ عمارة ابن الوليد، ليكون ولدًا له، وأن يدفع لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتلوه(5)، وقد جاء رد أبي طالب حاسماً على هذا العرض غير المنصف إذ قال لهم: (ما أنصفتُموني تعطوني

ص: 72

-
- 1- ابن إسحاق، السيرة النبوية، 2 / 129؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 170؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 323
 - 2- حذب، أي عطف عليه ونصره من الظلم ومنعه، الفراهيدي، العين، 3 / 186؛ ابن منظور، لسان العرب، 1 / 55
 - 3- أبو جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، وكان يثير الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والعمل على إيذائه، وقتل في معركة بدر سنة (2 هـ)، ينظر، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 125
 - 4- ابن إسحاق، السيرة النبوية، 2 / 129؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 170؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 323؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، 2 / 326
 - 5- ابن إسحاق، السيرة النبوية، 2 / 133؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 171؛ ابن كرامة، تنبيه الغافلين، 71

ابنكم أغذوه لكم، وأعطيككم ابن أخي تقتلون، ما هذا بالنصف تسوموني سوم العرير(1) الذليل(2)، ونستشف من الرواية كيفية معاملة بني أمية لأبي طالب من خلال مطالبته بالتخلي عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأنه غريب ألصق به، وإعطاءه عمارة بن الوليد مكانه، وأنهم جوبهوا بالرفض القاطع من قبل أبي طالب، وهذا يدل على مدى الحماية المقدمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل عمه أبي طالب.

وبعد رفض أبي طالب العرض الذي قدمته قريش له بإعطائه عمارة بن الوليد بدلاً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تحالفت قريش هذه المرة على قتاله، فذهبوا إلى أبي طالب وقالوا له: (يا أبا طالب أن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استتهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا- نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين)(3).

ويبدو أن قريشاً وبنو أمية تحولوا من أسلوب الترغيب والمكر والخداع إلى أسلوب التهديد والقتل، حتى طلبوا من أبي طالب منازلته في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ظناً منهم إنه سينصاع إلى أوامرهم فيسلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد ذلك عملت قريش يتقدمها بنو أمية ومن معها من القبائل على مقاطعة بني هاشم والمطلب، فقد تعاهدت قريش على (أن لا ينكحوا إلى بني هاشم

ص: 73

1- العرير، أي الغريب، ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4 / 35

2- ابن سعد الطبقات الكبرى، 1 / 171؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 1 / 345؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 327؛ العاملي، الدر النظيم، 207

3- ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 171؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 323؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1 / 132

وبني المطلب ولا يناكحوهم، ولا يبايعوهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم(1)، إن إستخدام قريش ومن معها لأسلوب المقاطعة مع بني هاشم، ما هو إلا وسيلة للضغط على أبي طالب من أجل تسليمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبما أن بني أمية أحد بطون قريش في مكة، فقد كان لهم الدور الأكبر في هذه المقاطعة، ومما يدل على ذلك أسماء الأشخاص الذين ذهبوا إلى أبي طالب يعترضون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه سب آلهم وعاب دينهم.

عداء بني أمية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحاوله قتله إزدادت العداوة بين البيت الهاشمي والبيت الأموي حتى قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد بني هاشم بدعوة قريش إلى توحيد دين الله(2)، ومن الذين نصبوا العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو أحيحة سعيد بن العاص(3)، الذي مات مشركاً، إذ كان من أشد الناس عداوة وبغضاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم عقبة بن أبي معيط، الذي كان فاجراً فاحشاً خبيثاً، حيث وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً فوطأ عنقه الشريف،

ص: 74

1- ابن اسحاق، السيرة النبوية، 2/ 137؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 234؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1/ 165

2- المقرئزي، النزاع والتخاصم، 42

3- سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، من سادات بني أمية في الجاهلية، يقال له ذو العصابة كناية عن السيادة، ذهب إلى الشام للتجارة، وحبسه جفنة بن عمرو والغساني، وافتداه بنو أمية بمال كثير، عاش إلى ما بعد ظهور الإسلام، ومات على دين الجاهلية، ينظر، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 3/ 235

ووجده مرة أخرى فوضع عليه سلا جزور أو شاة(1)، وقد أسر ببدر فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا محمد من اللصيبة، فقال: النار)(2).

وكان من أذى عقبة بن أبي معيط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه أخذ مكثل(3) فجعل فيه عذرة ثم ألقاه على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(4)، وقد شتمه وألقى عمامته وجره في المسجد فأخذه من يده(5)، وكان عقبة من بين أصحاب قريش الذين رموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتهم عدة منها قول عقبة أنه كاهن(6)، ومرة أخرى خنقه خنقاً شديداً فقام أبو بكر فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(7)، وإن صحت هذه الرواية يحق لنا ان نتساءل، وهل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عاجز عن الدفاع عن نفسه؟ حتى يقوم عقبة بن أبي معيط بجره في المسجد، خصوصاً مع وجود أبي طالب الذي كان يحميه من أذى المشركين، ولا سيما ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يتمتع بقوة لا تضاهيها قوة بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام إذ ورد قوله:

ص: 75

-
- 1- السلا، المراد منها المشيمة، وهي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي، إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد، وإلا قتلتها، ينظر، الجوهري، الصحاح، 6 / 2381
 - 2- البخاري، صحيح البخاري، 4 / 71؛ مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، 5 / 180؛ الطبرسي، إعلام الوري، 1 / 121
 - 3- المكثل، بكسر الميم، هو الزبيل الكبير، الذي يسع خمسة عشر صاعاً، كأن فيه كتلا من تمر، ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 4 / 150؛ ابن منظور، لسان العرب، 11 / 583
 - 4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 1 / 147
 - 5- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 1 / 52؛ المجلسي، بحار الأنوار، 18 / 204
 - 6- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 1 / 45
 - 7- ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 188؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 333؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 3 / 318؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 1 / 216

(كنا إذا اشتد البأس اتقيننا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أقربنا للعدو)(1).

هذه أفعال عقبة بن أبي معيط وأعماله الدنيئة وتجروءه على رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الدين جعلت عاقبته القتل جزءاً بما فعل.

أما أم جميل أروى بنت حرب الأموية هي الأخرى فقد ذكرت في القرآن كما بيّنا، إذ كانت من أشد أعداء الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد عملت بكل طاقتها على إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فمن بين أفعالها ما ذكرته الروايات، إنها كانت تمشي بالنميمة، والعداوة، والشحناء، كما كانت تحتطب الشوك فتلقيه على طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً(2)، وكانت أم جميل عوناً لزوجها أبي لهب على كفره وعناده، كما في قوله تعالى:

«وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ»(3)، فهذا تكون يوم القيامة عوناً في عذابه في نار جهنم(4).

أما الحكم بن العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أسلم يوم الفتح، وكان سبب طرده، أنه كان يفشي سره، فلم يزل طريداً في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وخلافة أبي بكر وعمر، ثم أدخله عثمان وأعطاه مائة ألف درهم(5)، فضلاً عن عتبه

ص: 76

1- الجاحظ، العثمانية، 328؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 174 / 1

2- الطبري، جامع البيان، 30 / 442؛ ابن الجوزي، زاد المسير، 8 / 327؛ السهيلي، الروض الانف، 3 / 285

3- سورة المسد، آية، 4 - 5

4- ابن كثير، تفسير القرآن، 4 / 603

5- ابن قتيبة، المعارف، 353؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 2 / 91؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، 42

بن ربيعة الذي كان من أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم(1).

نستشف من الروايات الواردة، أن بني أمية قد بذلوا جهوداً كبيرة في إيذاء نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، من أجل الضغط عليه للتراجع عما جاء به، واستخدموا شتى الوسائل لثنيه عن موقفه في نشر الدعوة وهو مصداق قوله تعالى:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»(2).

ومن أفعال بني أمية وعداوتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم شيبه وعتبة ابنا ربيعة؛ وأبو سفيان، إنهم اتفقوا مع باقي القبائل على قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، على أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً ويقتلونه، وبذلك يضيع دمه بين القبائل فلا يقدر بنو هاشم على حربهم جميعاً(3).

عداء أبي سفيان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعد أبو سفيان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو رأس من رؤوس الأحزاب لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكهف للمناقين(4)، ومن أشد الحاقدين على الإسلام وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآله وسلم، وسعى في كيفية التخلص منه، ووصل الأمر

ص: 77

-
- 1- المقرزي، النزاع والتخاصم، 45
 - 2- سورة التوبة، آية، 32
 - 3- ابن هشام، السيرة النبوية، 1 / 333؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 372؛ ابنثير، الكامل في التاريخ، 2 / 3؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1 / 235
 - 4- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 6 / 343

أن دبر لاغتياله، فقال لنفر من قريش: (ألا أحد يغتال محمداً، فإنه يمشي في الأسواق؟ فأتاه رجلٌ من الأعراب فقال له: قد وجدت أجمع الرجال قلباً، وأشدّهم بطشاً، وأسرعهم شداً، فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله، فقال له: أنت صاحبنا)، فأعطاه بعيراً ونفقة، وأمره بكتمان أمره، وتوجه إلى المدينة بعد ستة أيام من خروجه، وأخذ يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدل عليه وهو في مسجد بني الأشهل(1)، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرف ما يدور في خاطره وما يحمله من غدر، فجذبه أسيد بن حضير(2)، وبعد أن أخذ أماناً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، اعترف بأن الأمر دبر من قبل أبي سفيان، فأخلي سبيله وأسلم بعد ذلك(3).

يتضح لنا من خلال الرواية المتقدمة مدى الحقد الدفين من قبل أبي سفيان إزاء الدين الإسلامي ومحاولته قتل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فجاءت محاولته هذه لتفضحه أكثر وتبين موقفه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الدعوة الإسلامية، وبعث

ص: 78

-
- 1- بني الأشهل، وهم بطن من النبيت من الأوس، من الأزدي، من القحطانية، وهم: بنو الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، ومنهم سعد بن معاذ سيد الأوس، ومنهم جماعة كثيرة من الصحابة ممن شهد بدرًا وغيرها، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 335
 - 2- اسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأشهلي، يكنى أبا يحيى، وله صحبة وهو من المدينة، وأسلم على يد مصعب بن عمير، وهو احد النقباء، واختلف في شهوده بدرًا، وشهد أحداً وغيرها من المشاهد، وشهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس، وتوفي سنة سنة (20 هـ) ودفن بالبقيع، ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، 1 / 240
 - 3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 90؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 2 / 111

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أثر ذلك كل من عمرو بن أمية(1)، وسلمة بن أسلم(2) إلى أبي سفيان وأمرهم بقتله إن ظفروا به(3).

وبرز الدور الأكبر لبني أمية في عدائهم إزاء بني هاشم من خلال معركة بدر، إذ كان لهم النصيب الأكبر في هذه الحرب، إذ ورد في الروايات ما يشير إلى هذا الجانب، فقد قام كل من حنظلة بن أبي سفيان(4)، وعمرو بن أبي سفيان(5)، بتحريض الناس على الخروج، وكان عتبة بن ربيعة على رأس المناهضين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ(6)، وقد قتل قادة بني أمية في المعركة مثل شيبة بن ربيعة على يد

ص: 79

- 1- عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، يكنى أبا أمية، بعثه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحده عيناً إلى قريش، وأرسله إلى النجاشي وكيلاً فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأسلم قديماً وهو من مهاجرة الحبشة، وكان من أنجاد العرب، وتوفي أيام معاوية قبل الستين، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 491؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 4 / 181
- 2- سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي الأنصاري الحارثي، شهد بدرًا والمشاهد كلها، ويكنى أبا سعيد وقتل في العراق يوم الجسر سنة (14 هـ) في أول خلافة عمر بن الخطاب، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 411؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 303
- 3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 90؛ ابن عساکر، تاريخ، مدينة دمشق، 45 / 425؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 2 / 111
- 4- حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وهو من شجعان الجاهلية الأشداء، أدرك الإسلام وكان شديد الأذى على الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقتل في معركة بدر سنة (2 هـ)، ينظر، ابن قتيبة، المعارف، 345
- 5- عمرو بن أبي سفيان بن حرب، اشترك في معركة بدر، وأسره أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يفده أبو سفيان، وأطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سراحه مقابل إطلاق سراح أحد المسلمين، ينظر، ابن هشام، السيرة النبوية، 2 / 476؛ ابن قتيبة، المعارف، 344
- 6- ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم، 150؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 21؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 96

عبيدة بن الحارث، وقتل عتبة على يد الحمزة، وقتل الوليد بن عتبة على يد الإمام علي عليه السلام، وقتل حنظلة بن أبي سفيان على يد الإمام علي عليه السلام أيضاً⁽¹⁾، وعقبة بن أبي معيط قتله الإمام علي عليه السلام بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لما كان يفعل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة⁽²⁾، وهناك بعض الروايات تشير إلى أن الإمام علياً عليه السلام اشترك في قتل الثلاثة⁽³⁾.

وكانت خسارة المشركين من قريش في معركة بدر، لها وقع كبير في نفوسهم من الناحية الاجتماعية والإقتصادية والسياسية، ومن جانب آخر إزدادت العداوة والبغضاء بين بني أمية، وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبني هاشم والمطلب، لذلك أخذ أبو سفيان يعد العدة ليأخذ ثأره من المسلمين، لاسيما بعد مقتل صناديدهم، فجمعوا الأموال لحرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁴⁾.

وفي معركة أحد برز حقد بني أمية بشكل كبير، إذ أوردت الكثير من المصادر التاريخية ما فعلته هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بالتمثيل بالحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وبقية الجثث بعد انتهاء المعركة⁽⁵⁾، وفي الوقت نفسه

ص: 80

-
- 1- الواقدي، المغازي، 1 / 69؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 426
 - 2- ابن هشام، السيرة النبوية، 2 / 525؛ ابن قتيبة، المعارف، 345؛ الصنعاني، المصنف، 5 / 206؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 27؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1 / 347
 - 3- ينظر، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 2 / 311؛ المجلسي، بحار الأنوار، 19 / 315
 - 4- ابن هشام، السيرة النبوية، 3 / 581؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 500؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 5 / 339
 - 5- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 366؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2 / 524؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 943؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 27 / 230

ذكرت رواية أخرى بأن معاوية بن المغيرة (1)، هو الذي قام بالتمثيل بالجثث وجدع أنف حمزة بن عبد المطلب (2)، ليصرف النظر عما فعلته هند بنت عتبة لعنة الله عليها بالتمثيل بالجثث.

يتبين ان كل هذه الأمور التي فعلتها قريش ومن معها، وخاصة بنو أمية، هي انتقام لما فقدوه من قاداتهم في بدر، ومن ثم أدت تلك الأفعال إلى زيادة العداء بين البيتين الهاشمي والأموي.

وبعد معركة الخندق (3)، وخسارة المشركين من قريش ومن معها من بني أمية، أصبحت زمام الأمور بيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وازدادت قوته، بينما فقد الطرف الآخر قوتهم ولم يقدرُوا فيما بعد على التحرش أو الإعتداء على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واستمر الأمر على ذلك حتى فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، نتيجة قيام قريش بنقض أحد بنود صلح الحديبية (4)، إذ ناصر حليفها بنو بكر حينما

ص: 81

1- معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وهو جد عبد الملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت معاوية، وكان قد انهزم في أحد، واستأمن له عثمان بن عفان فأمنه على إن وجد بعد ثلاثة أيام قتل، فأقام بعد ثلاث وتواري، وأرسل له زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فقتلاه، وقيل قتله الإمام علي عليه السلام، ينظر، ابن هشام السيرة النبوية، 3 / 617؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 6 / 127

2- ابن عبد البر، الاستيعاب، 943؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 58؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 27 / 230؛ المقرئ، النزاع والتخاصم، 49

3- معركة الخندق، وهي المعركة التي حدثت بين المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقريش ومن معها من القبائل مثل بني غطفان، وبني سليم، وبني أسد، وبتحريض من اليهود، وكانوا عشرة آلاف مقاتل، وكان النصر فيها للمسلمين سنة (5 هـ)، ينظر، الواقدي، المغازي، 2 / 440؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 3 / 700؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 1 / 368

4- وهو الصلح الذي عقد بين قريش والرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنة (6 هـ)، وكان من بين شروطه، دخول القبائل في عهدة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقريش، فدخلت قبيلة خزاعة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبيلة بكر مع قريش، ولما حدث نزاع بين بكر وخزاعة ناصر قريش حليفها بكر، فأنقض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحليفته خزاعة، ينظر، ابن هشام، السيرة النبوية، 4 / 852؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 91؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 43

قتلوا رجلاً من خزاعة حليفة المسلمين، فعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك نقضاً لبنود الصلح والمعاهدة التي بينهم وبين قريش، لذلك قرر المسير إلى مكة ودخولها في السنة الثامنة للهجرة(1).

وبعد فتح مكة دخل الكثير من قريش في الإسلام عنوة ومكرهاً له خوفاً من القتل، ودخل أبو سفيان الإسلام على يد العباس بن عبد المطلب، وكان من أشد الأعداء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء رديفاً على بغلة العباس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأله أن يشرفه ويكرمه(2)، وبعد دخوله على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، سأله أن يشهد بشهادة التوحيد، فشهد بذلك، ولكنه رفض أن يشهد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه رسول الله قائلاً:

(أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس ويلك تشهد بشهادة الحق، قبل أن تضرب عنقك)(3).

ص: 82

-
- 1- ابن هشام، السيرة النبوية، 3 / 851؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 376؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 43؛ ابن الجوزي، المنتظم، 3 / 343
 - 2- ابن هشام، السيرة النبوية، 4 / 861؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 53؛ الطبرسي، إعلام الوري، 1 / 215؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 2 / 193
 - 3- ابن هشام، السيرة النبوية، 4 / 863؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 53 - 54؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 813؛ الطبرسي، إعلام الوري، 1 / 220؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 23 / 449

وعلق أحد الباحثين على أن رفض أبي سفيان الإعراف برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو بسبب الشك فيها، ولكنه أسلم خوفاً من أن يضرب عنقه، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في منتهى الحلم معه، فالرجل أعلن استسلامه وليس إسلامه(1).

ومما يدل على عدم إيمان أبي سفيان قوله للعباس: (يا أبا الفضل ما رأيت ملكاً هكذا قط إلا ملك كسرى، ولا ملك بني الأصفر، ودخل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقال له: يا محمد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك، فلا والله ما لقيتك من مرة إلا ظفرت علي، فلو كان إلهي محققاً، لغلبتك، فشهد أبو سفيان أن محمداً رسول الله(2)، ومما يدل على عدم إيمان أبي سفيان أيضاً تصريحه بشكل علني بقوله:

(أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره(3)).

وجاء في الرواية ان العباس قال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن(4))، ويحق لنا ان نسأل، ما الذي يحمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أن يعطي أبا سفيان هذه الميزة وهو ضعيف في تلك الحال، وليس له أدنى تأثير على قومه أو أهله، ويبدو أن الرواية وضعت من قبل الرواة في العهد الأموي، وأضافوا اسم أبي سفيان لتكون له منقبة، وهذا الأمر مستبعد، وحتى لو تنازلنا عن ذلك فإن أبا سفيان لم يعط أي ميزة، بل أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آمن كل الموجودين في مكة، خصوصاً مع ذكر المصادر

ص: 83

1- الحمداني، السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق عليه السلام، 383

2- الواقدي، المغازي، 816/2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 54/3

3- ابن حنبل، مسند أحمد، 263/1؛ البخاري، صحيح البخاري، 5/4؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، 178/9

4- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 377/1؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 54/3؛ ابن حبان، الثقات، 47/2؛ الطبرسي، إعلام الوري، 1/

222؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 188/2

إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(من دخل داره فهو آمن)⁽¹⁾، وهذا يعني أن دار أبي سفيان مساوية للدور البقية.

عداء الأمويين لبني هاشم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتخذ أبو سفيان موقفاً حاول من خلاله إثارة الفتنة، وذلك من خلال تحريض الإمام علي عليه السلام للنهوض بالأمر، بعد انقسام المسلمين فيما بينهم، فيمن يخلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحدث الخلاف بين المهاجرين والأنصار، فبعض الأنصار يريدون تولية سعد بن عبادة⁽²⁾، وقسم من المهاجرين يريدون ترشح أبي بكر للخلافة⁽³⁾.

أما الدور الذي قام بنو أمية من خلال أبي سفيان الذي ذهب إلى أمير

ص: 84

-
- 1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 378؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 54؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، 332؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، 7 / 26؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، 1 / 387
 - 2- سعد بن عبادة بن دليم من الخزرج، يكنى أبا ثابت وقيل أبوقيس وكان نقيباً، شهد العقبة ويدراً، وكان سيداً جواداً، ومقدماً في قومه وجيهاً، له رئاسة وسيادة على قومه، وشارك يوم الفتح، وامتنع عن بيعة أبي بكر إلى أن مات بحوران من أرض الشام، واختلفوا في سنة وفاته، فقيل سنة (14 هـ) وقيل سنة (15 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 566؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 280
 - 3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 235؛ الجاحظ، العثمانية، 199؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 205

المؤمنين عليه السلام وقال له: (إني لأرى عجاجة لا- يطفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم، أين المستضعفان؟ أين الأذلان، علي وعباس، ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟، ثم قال لعلي: أبسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالاً)، فأبى الإمام علي عليه السلام، وتمثل بقول:

ولئن يقيم على خسف يراد به *** إلا الأذلان غير الحي والوتد هذا على الخسف مربوط برمته *** وذا يشج فلا يبكي له أحد(1) وقد بين أحد الباحثين موقف أبي سفيان للتعريض بالقيادة الجديدة للإسلام، وتحريض الناس لمعارضة تلك القيادة، ومن ثم قد أظهر أبو سفيان الرغبة الكامنة في نفسه، وهي محاولة خرق الإسلام من الداخل عن طريق إفتعال الأزمات والحرب بين المسلمين وشق وحدتهم، ليفسح المجال لنفوذ النفعيين والمنافقين وحصولهم على مكاسب عند الأطراف الإسلامية المتصارعة(2). ومع ذلك فقد حصل البعض على الإمتيازات مع وجود القيادات الجديدة للدولة، لا سيما عمر بن الخطاب.

وقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه عن هذا الموقف بقوله:

(أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وارجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفارقة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح(3).

وفي بيان شرح الخطبة في قوله عليه السلام: أيها الناس شقوا أمواج الفتن، هنا

ص: 85

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 209؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 189؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 210

2- الجابري، السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام، 38

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 41

حذر الإمام عليه السلام من الفتن التي تضاعفت وترادفت، التي شبهها بأمواج البحر المضطربة(1)، وأراد الإمام عليه السلام بسفن النجاة، هم أهل البيت عليهم السلام(2)، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)(3)، بينما ذهب ابن أبي الحديد، أن مراد الإمام عليه السلام هنا ليس أهل البيت، وإنما أمر بالتقية(4)، وأنه يرى أن الخلافة حقه لا يجوز أن تصرف عنه إلى غيره، وفي الوقت نفسه يرى مصلحة الإسلام أهم وفوق كل شيء(5).

أما قوله عليه السلام: عرجوا عن طريق المنافرة، أي الإبتعاد عن التفاخر بالفضائل والمآثر القديمة(6) وروي أن أبا سفيان حاول إثارة الفتنة بين المسلمين من خلال قيامه بالتحريض على ذلك حيث وقف على باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والعباس ينظرون في أمره، فنادى: (بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم، ولا سيما تيم بن مرة وعدي فما الأمر إلا منكم وإليكم، وليس لها إلا أبو الحسن علي...، ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل المرذل بن المرذل، أما والله لئن شتتم لأملأنها خيلاً ورجلاً، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام:

(إرجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد ما تقول وما زلت تكيد للإسلام وأهله فما

ص: 86

-
- 1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 206
 - 2- الراوندي، منهاج البراعة، 1 / 144
 - 3- الطبراني، المعجم الكبير، 3 / 46؛ القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1 / 28؛ الصدوق، الأمالي، 343؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 2 / 343
 - 4- شرح نهج البلاغة، 1 / 208
 - 5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 204
 - 6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 204؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 1 / 339

أضر ذلك شيئاً(1) إن المتتبع لكلام أبي سفيان يجده يحمل الكثير من معاني التحريض على القتال والفرقة بين المسلمين من خلال ما عرضه على أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنه يعرفه حق المعرفة، وما هو قصده من هذا التصريح، لذلك رد عليه بقوله ما زلت تكيد للإسلام وأهله، وعبر أحد الباحثين عن ذلك، بأن الإمام علياً عليه السلام كان يعرف ابا سفيان الذي قاد المعارضة ضد الإسلام أكثر من عشرين عاماً هو وابنه معاوية، ولم يدخل الإسلام إلا- في فتح مكة، بعد أن يؤس من القضاء عليه، لا- يمكن ان يكون بهذا الحرص على الإسلام والمسلمين(2).

وقوله عليه السلام وضعوا تيجان المفاخرة، أي ارفعوها عن رؤوسكم، فتاج المفاخرة كان لبس إبليس، كما ورد في قوله تعالى:

«أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»(3)، أما قوله:

(أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح)، فقد بينَ فيه ابن أبي الحديد ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك، أنه يريد أفلح من نهض في طلب الرئاسة بناصر ينصره، وأعوان يجاهدون بين يديه، وأراد بلفظ الجناح هنا الأعوان والأنصار بهم القوة على النهوض بالحرب والطيران في ميدانها(4)، وفي هذا الكلام تنبيه على قلة

ص: 87

-
- 1- الصنعاني، المصنف، 5 / 451؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 10؛ المفيد، الإرشاد، 1 / 190؛ المقرئزي، النزاع والتخاصم، 48؛ الأميني، الغدير، 3 / 254
 - 2- الشرهاني، حسين علي، التغيير في السياسة المالية، 21
 - 3- سورة الأعراف، آية 12
 - 4- شرح نهج البلاغة، 1 / 205

ناصره في هذا الأمر(1)، ومن أقوال الإمام في ذلك: (من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والإنابة بعد الفرصة)(2).

العلاقة بين بني هاشم وبني أمية بعد خلافة عثمان تولى عثمان الخلافة سنة 23 هـ / 643 م بعد وفاة عمر بن الخطاب، وجاءت توليته بعد آلية أوجدها عمر أطلق عليها ب (الشورى) وكانت أحد أساليب تداول السلطة السياسية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبمجيء عثمان إلى الخلافة واستلامه السلطة، تمكن بنو أمية من الأخذ بزمام الأمور في الدولة الإسلامية، وقد توضح ذلك جلياً عندما صرح أبو سفيان قائلاً عند دخوله على عثمان بعدما بويع للخلافة: (قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار)(3)، لذلك قام عثمان بن عفان بتولية العديد من رجالاتهم على معظم الأمصار الإسلامية، وعلى الرغم من عدم أهلية هؤلاء لقيادة الأمصار الإسلامية إلا أنهم أخذوا يتحكمون بمقدرات الدولة والمجتمع الإسلامي كيفما أرادوا، وفي مقدمة هؤلاء معاوية بن أبي سفيان والي الشام الذي ولي عليها بعد وفاة أخيه يزيد من قبل عمر بن

ص: 88

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 1، 340

2- محمد عبدة، نهج البلاغة، 4 / 577

3- المغربي، شرح الأخبار، 2، 528؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 814

الخطاب(1)، وقد بقي في ولايته بعد استلام عثمان السلطة، وعيّن الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة، وبعده سعيد بن العاص، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح(2) على مصر(3)، ووهب خمس أفريقية لمروان بن الحكم(4).

لقد كان ظهور بني أمية في عهد عثمان استكمالاً لتحول الأمة إلى طريق الجاهلية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ارتد من ارتد وأنكر من أنكر، وبداية ظهور إسلام آخر مناقض لإسلام أهل البيت عليهم السلام ومعادٍ له، ولم يكن بنو أمية مجرد أسرة حكمت، بل عملت على إظهار إسلام جديد يختلف عما كان في عهد الخلفاء الذين سبقوهم، بالقدر الذي يسمح لهم بتحقيق مآربهم وأطماعهم والعودة إلى ما قبل الإسلام، لذلك استغل بنو أمية فرصة وصول عثمان إلى ذفة السلطة، وأخذوا بالإحاطة به، موحدين موقفهم للوقوف بشدة بوجه بني هاشم متمثلين بالإمام علي عليه السلام(5).

ص: 89

1- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 2/ 393؛ المسعودي، مروج الذهب، 1/ 625

2- عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب، وقد أسلم قديماً، ثم ارتد وخرج من المدينة إلى مكة، فأهدر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم الفتح، فجاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأمن له فأمن، وكان أخاه من الرضاعة، وولاه عثمان بعد عمرو بن العاص على مصر، فلم يزل والياً حتى قتل عثمان وتوفي سنة (59 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6/ 129؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3/ 33

3- البلاذري، فتوح البلدان، 313؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 58؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 252؛ المسعودي، مروج الذهب، 1/ 625

4- ابن قتيبة، المعارف، 195

5- الورداني، صالح، السيف والسياسة، 94

ومصدق ذلك عندما أمر عثمان أبا ذر الغفاري بأن يسير إلى الربذة(1)، وبأن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، ولما خرج من المدينة ومروان يسيره عنها، خرج كل من الإمام علي عليه السلام وابنيه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وعمار بن ياسر وعقيل وعبد الله بن جعفر(2)، فاعترض مروان أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه، وأخبرهم بأوامر عثمان بعدم تشييع أباذر، لكن الإمام عليه السلام لم يلتفت إليه وضرب بين أذني راحلته، ونهره(3)، فشكا مروان ذلك إلى عثمان بأن الإمام علياً عليه السلام قد عصى أمرك، فأرسل عثمان في طلب الإمام عليه السلام، وقال له: (ألم يبلغك أنني قد نهيت الناس عن أبي ذر، وعن تشييعه، وضربت مروان بين أذني راحلته وشتمته، فهو شاتمك وضارب بين أذني راحلتك، قال الإمام عليه السلام: أما راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأما أنا فوالله لئن شتمني، لأشتمنك أنت بمثلها بما لا أكذب فيه، ولا أقول إلا حقاً، فقال عثمان:

ولم لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت بأفضل منه، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إليّ تقول هذا، وبمروان تعدلني، فأنا أفضل منك، وأبي أفضل من أهلك، وأمي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثلتها، فغضب عثمان، واحمر وجهه، فقام

ص: 90

-
- 1- الربذة، وهي قرية من قرى المدينة تبعد ثلاثة أيام عن المدينة، على طريق الحجاز، وفيها قبر الصحابي أبي ذر الغفاري، وكان قد خرج مغاضباً لعثمان، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3 / 24
 - 2- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، يكنى أبا جعفر، ولدته أمه في الحبشة، وأمّه أسماء بنت عميس، وقدم مع أبيه المدينة، وكان كريماً جواداً ظريفاً، وكان من أجود أهل المدينة، وكان يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومات في المدينة سنة (80 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 461؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 387
 - 3- الجوهرى، السقيفة وفدك، 7؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 69

ودخل داره وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام، ثم أصطلح الطرفان بعد ذلك(1).

يفهم من النص المتقدم أن عثمان وبنو أمية أخذوا يتحكمون بأمر الدولة والمسلمين على وفق أهوائهم وآرائهم، حتى مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وعلاقته بالمجتمع، وذلك عندما خرج ليودع أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عندما أعلن موقفه بالوقوف ضد سياسة عثمان، ووصل الأمر إلى أن يعدل أمير المؤمنين عليه السلام بمروان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك وصل الحال بطلب عثمان من الإمام عليه السلام أن يسبه مروان، إذ ورد في الرواية أن مروان هو الغالب على رأي عثمان(2).

ونلاحظ أن مروان لم يتجرأ على سب الإمام ولكن الوليد بن عقبة سبق أنسب الإمام عليه السلام عندما أقام عليه الحد في قضية شرب الخمر ودفاع عثمان عنه، ولم يتجرأ أحد بإقامة الحد عليه إلا الإمام علي عليه السلام، فلذلك قال له الوليد عندما أراد جلده: (يا صاحب مكس(3)، فرد عليه عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر، إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت، وأنت عالج من أهل صفورية(4).

نستشف من ذلك أن بسبب تهاون عثمان مع أقاربه من بني أمية، وعدم تطبيق حدود الله عليهم، جعلهم يتمادون في طغيانهم، بل وتجراًهم على أمير المؤمنين عليه السلام، مما انعكس ذلك سلباً على العلاقة بين الأُسرتين، ومما لاشك فيه أن

ص: 91

1- المسعودي، مروج الذهب، 1 / 632؛ المجلسي، بحار الأنوار، 31 / 182

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 70

3- صاحب مكس، المكس، الظلم وقيل انتقاص الثمن وهو ما يأخذه العشار من دراهم، وفي الحديث (لا يدخل صاحب مكس الجنة)، ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 8 / 477

4- المسعودي، مروج الذهب، 1، 627

هذه الأمور قد زادت من حقد الأمويين على بني هاشم.

العلاقة بين بني هاشم وبني أمية بعد مقتل عثمان بعد مقتل عثمان من الذين ثاروا عليه، بويح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة من قبل المهاجرين والأنصار، إلا ثلاثة نفر من بني أمية، وأولهم مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم، وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام، بما فعل بهم في بدر وشتمه لمروان بن الحكم، وعييه لعثمان حين ضمه إليه، واتفقوا فيما بينهم واشتروا عليه عدة شروط لقاء بيعته، منها أن يترك ما في أيديهم من أموال، وقتل قتلة عثمان، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام لكلامهم وقال: (أما ما ذكرت من وتري إياكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حقاً من حقوق الله تعالى، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيق)⁽¹⁾.

نستنتج من الرواية عدة أمور منها، أنهم لا يزالون يحملون في صدورهم البغض لأمير المؤمنين عليه السلام والحقد عليه لقتله آبائهم في معركة بدر، فضلاً عن مطالبتهم بإعفائهم عما في أيديهم من الأموال التي أخذوها في حياة عثمان، وفي

ص: 92

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 76/2؛ المسعودي، مروج الذهب، 1/642؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 31/7

حال قيام الإمام عليه السلام بذلك سيعطل حقاً من حقوق الله، وحاشاه أن يفعل ذلك كما أخبرهم، والشيء الآخر أنهم وجدوا حجة جديدة، وذلك لجعلها سبباً رئيساً لتحقيق أهدافهم السياسية والمادية لدى الإمام ومساومته على ذلك، ألا وهي المطالبة بدم عثمان، والأخذ بثأره، لكن الإمام عليه السلام رفض إعطاءهم ما يمتنون وهو ما أدى إلى زيادة الحقد عليه من قبلهم.

وبيّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام موقفه حيال مطالبهم المتمثلة بإبقاء أموالهم بحوزتهم، ولا سيما قطائع عثمان، إذ ذكر في هذا الصدد قوله: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)⁽¹⁾، إذ بيّن الشراح في شرح هذه الخطبة، وهو أن القطائع هي ما يمنحه الإمام لبعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج، وتسقط عن خراجه ويجعل عليها ضريبة يسيرة عن الخراج⁽²⁾، وكان عثمان قد أقطع كثيراً من بني أمية وغيرهم من أوليائه من أرض الخراج على هذه الصورة أي بدون مقابل ولكن نجد على العكس من عثمان، أن عمر قد أقطع القطائع لأرباب الحرب والآثار المشهورة في الجهاد، وفعل ذلك ثمناً لما بذلوه⁽³⁾، وبين الإمام عليه السلام، ان كل قطعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله والمسلمين فهو مردود إلى بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء

ص: 93

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 47

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 250؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 47؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 57

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 250؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 1 / 361؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 57

ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان لردده في حاله(1)، وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام يقوم بتقسيم المال الموجود في بيت المال ويصلي فيه ركعتين رجاء أن يشهد له يوم القيامة أنه لم يحبس أموال المسلمين(2).

وجاء أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أشاروا عليه بإعطاء الأموال لأشراف العرب من قريش وتفضيلهم على الموالي والعجم، لغرض إسمالتهم إلى جانبه، لما كان معاوية يفعل ذلك، فرد عليهم الإمام عليه السلام قائلاً:

(أتأمروني أن اطلب النصر بالجور لا والله ما أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لسويت بينهم)(3).

ومن المؤكد أن فعل أمير المؤمنين عليه السلام في استرجاع الأموال المأخوذة من أموال المسلمين قد أثار حفيظة المنتفعين من بني أمية وبطانتهم، ومن ثم أدى ذلك إلى زيادة كرههم وحقدهم على أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى سياسته التي لم يرضوا بها لأنها تجردهم من كل شيء.

أما بشأن معاوية وعلاقته بالإمام عليه السلام فهي واضحة، وذلك من خلال ما قام به في محاربة الإمام عليه السلام، وعدم الاعتراف ببيعته واستثارة ببلاد الشام، وكان مبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام شديد الإنحراف عنه، وكيف لا يبغضه، وقد قتل أخاه حنظلة يوم بدر، وخاله الوليد بن عتبة، وشرك حمزة في جده وهو عتبة أوفي

ص: 94

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 250

2- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 42 / 478؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 3 / 643؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 13 / 183

3- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 174؛ الثقفى، الغارات، 76؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، 130

عمه، وهو شيبية وقتل من بني عمه عبد شمس نقرأ كثيراً من أعيانهم، وجاء مقتل عثمان، الذي تمنى معاوية مقتله ليصفو له الجو، على الرغم من تمكنه من نصرته، ولكنه لم يفعل، ونسب مقتله إلى الإمام عليه السلام، وإيوانه لكثير من قتلته، فتأكدت البغضة وثار الأعداء بينهم(1).

ومن الشواهد على بغض معاوية للإمام علي عليه السلام، انه روي عن سعد بن أبي وقاص(2) أنه دخل على معاوية في بعض حاجاته، فذكروا الإمام علياً عليه السلام، فقال معاوية منه فغضب سعد لذلك وقال: (تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وسمعتته يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعتته يقول: لأعطين الراية لرجل يحب الله ورسوله)(3).

وذكر أحد الباحثين ان معاوية حاول بكل ما أوتي من قوة أن يربي جيلاً ومجتمعاً كاملاً على سب الإمام عليه السلام ولعنه، وأقام سنة وظاهرة إجتماعية تمارسها جماهير المسلمين تعد سب علي عليه السلام أمراً مشروعاً في نظر الإسلام، بل ومحبباً ومرغباً فيه، وخص المسلمين على عده ديناً يلتزم به المرء المسلم في

ص: 95

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 308 / 1

2- سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن وهب بن عبد مناف، ويكنى أبا أسحاق، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية، وهو من المسلمين الأوائل، وأحد القادة في المعارك والغزوات، وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أحد ستة الشورى، ولي الكوفة أيام عثمان، وتوفي سنة (55 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 127 / 3؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء

3- ابن أبي شيبه، المصنف، 496 / 7؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 525 / 2

وعلى الرغم من عظم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في النفوس، واعتراف العرب بشجاعته، وانه البطل الذي لا يقام له، كان معاوية يتهدده وعثمان بعد حي، بالحرب والمنازلة ويراسله برسائل خشنة(2)، وروي أن معاوية قدم المدينة أواخر أيام عثمان، فجلس عثمان معتذراً عن أمور قام بها، وقال إن رسول الله قد قبل توبة الكافر، وإني رددت عمي الحكم بن العاص لأنه تاب، فقبلت توبته، فقطع عليه كلامه معاوية وقال للمسلمين الحاضرين عنده: (أيها المهاجرون، قد علمتم أنه ليس منكم رجل إلا قد كان قبل الإسلام مغموراً في قومه تقطع الأمور دونه حتى بعث الله رسوله فسبقتم إليه، وأبطأ عنه أهل الشرف والرئاسة... وسيدوم لكم هذا الأمر ما استقمتم، فإن تركتم شيخنا هذا يموت على فراشه وإلا خرج منكم، ولا ينفعكم سبقكم وهجرتكم فقال له علي عليه السلام: ما أنت وهذا يا ابن اللخناء، فقال معاوية: مهلاً يا أبا حسن عن ذكر أُمي فما كانت أخس نسائكُم، فنهض الإمام عليه السلام وخرج من المسجد... وفي اليوم التالي دخل معاوية إلى المسجد واتفق الحاضرون وفيهم الزبير ألا يوسعوا له، فجاء وجلس بين أيديهم وقال لهم: أتدرون لماذا جئت؟ قالوا لا، فقال: أني أقسم بالله إن لم تتركوا شيخكم يموت على فراشه لا أعطيكم إلا هذا السيف(3).

إن هذه الرواية تعطي التبريرات لمعاوية نفسه في الأخذ بشأر عثمان، وكأن القوم من المهاجرين هم من نقم على عثمان في حين أن جل الثوار كانوا من

1- الحيدري، كمال، معالم الإسلام الأموي، 153

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 308

3- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 3 / 1093؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 309

الأمصار وهم من أشعل نار الثورة على عثمان وأدى ذلك إلى قتله، في الوقت الذي كان بإستطاعة معاوية نصرته إلا أنه لم يتم بذلك كما بينا في الصفحات السابقة.

وانتقلت مصالح الأمويين فيما بينهم، إذ أعلن رؤوس بني أمية الذين لم يبايعوا الإمام عليه السلام وعلى رأسهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة(1)، بالإتفاق مع معاوية عزمهم على حرب الإمام عليه السلام، فضلاً عن محاولة معاوية الإستئثار بالشام والخروج على السلطة، إذ طالب بتوليته على الشام مقابل بيعته، ولكنه جوبه بالرفض المطلق من قبل الإمام عليه السلام بعد تبادل الطرفين العديد من الكتب والرسائل بهذا الشأن(2).

ومن عداة معاوية لأمر المؤمنين علي عليه السلام هو تأسيسه لمبدأ سياسة السب التي أصبحت فرضاً يتبعه آل أمية وأشياهم قد ساروا عليه طوال مدة حكمهم، ومن الشواهد على ذلك، ما ذكره ابن أبي الحديد، أن معاوية كتب نسخة واحدة إلى عماله، (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون علياً وبيراًون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته)(3).

ومن جملة ما كتب معاوية إلى عماله بلعن الإمام عليه السلام وسبه، هو ما كتبه إلى عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة(4)، إذ جاء فيه: (وقد أردت إيصائك بأشياء

ص: 97

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 76/2

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 93/15

3- شرح نهج البلاغة، 36/11

4- المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، يكنى أبا عبد الله، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، يقال له (مغيرة الرأي)، أسلم سنة (5هـ)، شهد الحديبية واليرموك والقادسية، ولاه عمر البصرة، ثم الكوفة، وتولاها في عهد معاوية، ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/3؛

ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 156/6

كثيرة، فأنا تاركها على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً إيصائك بخصلة: لا تتحتم عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والإقضاء لهم، وترك الإستماع منهم... (1).

نلاحظ من خلال توصية معاوية للمغيرة بأن لا يدع سب الإمام علي عليه السلام ولعنه والنيل منه ومن أصحابه الذين يتكلمون بفضائله حتى يحقق مآربه في القضاء على مكانة خصمه بين الناس. ومن الشواهد التي أدت إلى قيام معاوية بقتل من يحب أمير المؤمنين عليه السلام ورفضه التخلي عنه هو ما قام به عامله المغيرة ابن شعبة بإخباره بشأن الصحابي الجليل حجر بن عدي (2)، الذي كان يعلو صوته في قول الحق أمام المغيرة بن شعبة مما أدى إلى مقتله بعد أن طلبوا منه هو وبعض أصحابه التخلي عن موالاة أمير المؤمنين عليه السلام ولعنه، ولكنه رفض وقال:

(لا أقول ما يغضب الرب) (3).

ص: 98

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 253؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 326

2- حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي، وهو معروف بحجر الخير، كان من فضلاء الصحابة، وشهد القادسية، والجمل والنهران سنة (38 هـ) وكان على كندة بصفين، وهو من أعيان الصحابة، قتله معاوية بعد أن بعث به زياد بن أبيه وذلك سنة (51 هـ)، وقبره في قرية عذراء بدمشق، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 337؛ ابن عبد البر، الاسيعاب، 173؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 1 / 697

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 276؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 8 / 26؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 336

ومن الجدير بالملاحظة أن حقد معاوية وبغضه لأمر المؤمنين عليه السلام استمر حتى بعد إستشهاد الإمام عليه السلام، بل وحتى بعد وفاة معاوية نفسه لكونه المؤسس لذلك، ويتضح ذلك من خلال ملاحقة من يروي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أو أهل بيته عليهم السلام، وكل ذلك محاولة من الأمويين وعلى رأسهم معاوية ابن أبي سفيان في القضاء على آثار أهل البيت عليهم السلام بين المسلمين، فضلاً عن آثار الموالين لهم الذين لم يتخلوا عن تبعيتهم لإمامهم عليه السلام.

ومن أساليب معاوية، أنه كتب إلى عماله (أن الحديث كثر في عثمان وفشا في كل مصر، وناحية، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتون بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله. وذلك عن طريق إرسال الصلوات والأموال)⁽¹⁾.

وقد أراد معاوية من خلال ذلك محو آثار أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته ومواليه، لذلك لم يتوان في وضع الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من أجل النيل من مكانة الإمام عليه السلام وأهل بيته، وقد استخدم في ذلك موارد بيت مال المسلمين في سبيل تلك الغاية.

ومن جانب آخر أمر معاوية اصحاب الدواوين في الأمصار ان ينظروا من قامت عليه البينة انه يحب علياً عليه السلام وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه وأن ينكلوا به ويهدموا داره، وكانت نتيجة ذلك أن ظهرت

ص: 99

الكثير من الأحاديث الموضوعية من قبل المحدثين ليحفظوا عند ولا تهم بالجاء والأموال(1)، وكل ذلك فعله معاوية بسبب عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك اعتقاده بأنه أولى الناس بالأمر من جهة ولكونه الحجة على الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولأنهم يحبون علياً عليه السلام، ولا ذنب لهم سوى ذلك.

وعلى الرغم من ورود الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة في حب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، منها ما روي عن أنس بن مالك(2) أنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أيها الناس إني أحدثكم حديثاً فأعرفوا، وعرفوا به الناس بعدي، أنه لا يحب علياً إلا من أحبني، ولا يبغضه إلا من أبغضني، فمن حدثكم أنه يحبني ويبغض علياً فهو كاذب، وإنه لشيء كتبه الله عز وجل عليه لا يملك غيره)(3)، وفي حديث آخر عن عبد الله بن مسعود(4)، قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من زعم أنه آمن بي وما أنزل عليّ وهو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن)(5).

ص: 100

1- المصدر نفسه، 37 / 11

2- أنس بن مالك بن النضير بن ضمضم بن زيد بن حزام، الإمام المفتي المقريء المحدث، خادم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر أصحابه موتاً، روى عنه علوم كثيرة، وتوفي سنة (93 هـ)، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 53؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 1 / 275

3- المغربي، شرح الأخبار، 1 / 153؛ الطوسي، الأمالي، 547

4- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن فأر بن مخزوم، وهو من المسلمين الأوائل، وأحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، شهد بدرًا والحديبية والهجرتين أي إلى الحبشة والمدينة، وتوفي سنة (32 هـ) ودفن في البقيع، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 407؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1، 461

5- المغربي، شرح الأخبار، 1 / 153، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 42 / 280

ولعل الحديثين السابقين غيظ من فيض من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ ورد له صلى الله عليه وآله وسلم العديد من الأحاديث بهذا الخصوص، وما ذلك إلا تأكيداً على تقديم علي عليه السلام على غيره من المسلمين في أمورهم الدينية والدنيوية.

وعلى الرغم من ذلك كله نجد أن معاوية يتخذ المواقف من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ولعل ذلك متأب من كون إسلام معاوية والعديد من أهل بيته كان إسلاماً نفعياً، إسلام رهبة ومصالحة، ولم يكن إسلام رغبة واعتقاد ويقين، لذلك جاهر في عدائه لأمر المؤمنين عليه السلام والمصلحين من المسلمين.

نهج البلاغة ومميزاته نهج البلاغة هو عبارة عن مجموعة من منتخبات خطب وأدعية ووصايا ورسائل وكلمات قصار للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جمعها الشريف الرضي، و من المعروف ان هذه الكلمات التي جمعت من قبل الشريف الرضي ليست الوحيدة التي نقلت عن الإمام عليه السلام، بل أن هناك المئات من الخطب التي وردت عنه عليه السلام، التي قال عنها المسعودي: (والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، وتداول ذلك عنه قولاً وعملاً)⁽¹⁾.

وتميزت كتابات الإمام علي عليه السلام في كتبه ورسائله بأسلوب فني ألا وهو

ص: 103

1- مروج الذهب، 1 / 705؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 7؛ ينظر، يعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، 198؛ الشيرازي، نفحات الولاية، 1 / 33، الحائري، أيوب، قبسات من نهج البلاغة، 17؛ جابر، حميد سراج، الفكر الإختباري، 41

المخاطبة بالأسم، وهو ما كان متبعاً منذ عصر الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تبين ذلك جلياً من خلال ما بعثه من الرسائل والكتب إلى ملوك الدول، لغرض نشر الدعوة الإسلامية، فأصبح ذلك الأسلوب الفني متبعاً فيما بعد، وقد سار عليه أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك، واتبعه في كتبه ورسائله التي كان يبعث بها إلى ولاته وعماله وأعدائه، ومثال ذلك كتابه الذي بعثه إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة جاء فيه:

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب)⁽¹⁾، واستخدم الإمام عليه السلام ألفاظاً واستعارات أراد بها الرفعة والعلو للمقابل، وفي الوقت نفسه تحمل في طياتها معاني أخرى، مثل كلمة الجبهة والسنام⁽²⁾، ومن سماتها أيضاً قوة الإيحاء، إذ تتضمن معنيين، الأول حقيقي، والثاني مجازي⁽³⁾.

واشتمل نهج البلاغة على الأمور البلاغية، والفصاحة وعلوم اللغة العربية، ومعاني الكلمات الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في أي كتاب آخر، فأمر المؤمنين عليه السلام هو الذي شرع الفصاحة والبلاغة، وأظهر بواطنها، ومنه تعلم الناس قوانين البلاغة والفصاحة، وأصبح المنبع الوحيد الذي يستقي منه الخطباء والوعاظ جواهر الكلام، ومع ذلك بقي كلامه عليه السلام في الصدارة ولم يتقدم عليه أحد منهم، لأن كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي⁽⁴⁾، وفيه

ص: 104

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 391

2- الفحام، عباس علي، بلاغة النهج، 151

3- المصدر، نفسه، 152

4- أي أن خطبه تحوي الكثير من أسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر وأحوال المعاد ما لم يأت في كلام أحد من أكابر العلماء، وأساطين الحكمة، ينظر، البحراني، شرح المئة كلمة لأمر المؤمنين، 217

عبقة من الكلام النبوي(1)، والمتمعن في نهج البلاغة يجده يحتوي على أبواب عديدة من العلوم المختلفة التي لا يستغني عنها طالب العلم، فضلاً عن العالم المتعلم، وكذلك بما يتضمنه من كلام عن التوحيد والعدل وتنزيه الله تعالى عن تشبيهه بالخلق، وإزالة كل الشبهات عن ذلك(2).

ويمتاز نهج البلاغة بميزة الفصاحة والجمال التي لا تحتاج إلى توضيح لمن كان له خبرة ومعرفة بفنون الكلام، وعلى الرغم من مرور أربعة عشر قرناً تقريباً على نهج البلاغة نجده على ما كان عليه من الحلاوة واللفظ(3)، لذلك نجد بعض أصحاب الإمام عليه السلام ممن كان له خبرة في هذا الفن، من المعجبين بكلام الإمام كابن عباس، الذي قال عنه الجاحظ بأنه من الخطباء الأقوياء، كان يسعى دائماً لسماع الإمام عليه السلام، حتى أن الإمام عليه السلام عندما قطع عليه رجل خطبته المعروفة بالشقشقية، سأله ابن عباس قائلاً: (يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت، فقال عليه السلام:

(هيئات إنها شقشقة هدرت ثم قرت، ولم يطرد في كلامه، فكان ابن عباس يقول: والله ما ندمت على شيء كما ندمت على قطعه هذا الكلام)(4).

وجاء عن ابن عباس في كتاب بعثه إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

ص: 105

1- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 18

2- المصدر نفسه، 23

3- المطهري، في رحاب نهج البلاغة، 19

4- البيان والتبيين، 1 / 230

(ما انتفعت بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانتفاعي بهذا الكلام)(1)، وفي الموضوع ذاته، نجد حتى أعداءه عليه السلام قد شهدوا له بالفصاحة والبيان وجمال الأسلوب، إذ روي أن محقن بن أبي محقن(2)، الذي أدبر عن الإمام علي عليه السلام وجاء إلى معاوية متملقاً وقال له: جئتك من أعيان الناس، فقال له معاوية: (ويحك كيف يكون أعيان الناس، فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره)(3).

وهذه شهادة من أعدائه الذين لا يستطيعون إنكار ما له من الفصاحة والبلاغة والعلم الذي ورثه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويبيّن ابن أبي الحديد بالقول:

أن أمير المؤمنين عليه السلام هو إمام الفصحاء، كما قال في كلامه أنه: (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، وكان على قوله مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة)(4).

أقوال العلماء والمفكرين والأدباء في نهج البلاغة أورد الكثير من العلماء والمفكرين والأدباء آراءهم وأقوالهم حول نهج البلاغة، وعلى الرغم من اختلافها، لكنها جاءت ضمن إطار واحد، ألا وهو

ص: 106

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 108

2- محقن بن أبي محقن الديلي، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه ابنه بسر، وهو الذي مر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد إنصرافه من صلاة الفجر، وكان مع سرية زيد بن حارثة في سرية حسمي التي كانت في جمادى الآخرة سنة (6 هـ)، ينظر، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 10 / 49

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 49؛ الحلبي، كشف اليقين، 475

4- شرح نهج البلاغة، 1 / 149

المدح والثناء على هذا الكتاب، لما تضمنه من خطب ورسائل وحكم ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد اكتفينا بأراء مجموعة من العلماء القدامى والباحثين المحدثين الذين بينوا موقفهم من نهج البلاغة، وجاء هذا الإختصار من أجل عدم الإطالة، فضلاً عن إيراد آراء أخرى من قبل باحثين آخرين تناولوا هذا الموضوع(1).

وسنورد بعض آراء العلماء القدماء بهذا الشأن، إذ قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب(2): (حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت)(3)، وقال ابن نباتة(4): (حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب)(5).

ونرى الجاحظ يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أورد قوله:

ص: 107

-
- 1- المطهري، في رحاب نهج البلاغة، 21 - 23؛ الحائري، قبسات من نهج البلاغة، 23 - 28؛ الزيدي، أهل البيت عليهم السلام مكاتبتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم في نهج البلاغة، 20 - 25
 - 2- عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر، الكاتب البليغ، وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب إماماً، وهو من أهل الشام، وتوفي سنة (132 هـ)، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3 / 228
 - 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 49
 - 4- ابن نباتة، أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل، صاحب الخطب المشهورة، كان إماماً في علوم الأدب، وأجمع على ان خطبه ما عمل مثلها، وهو من أهل ميفارقين، وكان خطيب حلب، وبها اجتمع مع أبي الطيب المتنبّي في خدمة سيف الدولة بن حمدان، وتوفي سنة (347 هـ)، ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3 / 156
 - 5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 49

(قيمة كل أمرٍ ما يحسن)⁽¹⁾، إذ بيّن رأيه في قوله هذا: (لو لم تقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، لما تضمنتها من معاني كثيرة على الرغم من قصرها، ولكن فيها ما يغني عن الكلام الكثير، وأثنى عليه واصفاً إياه بأن الله تعالى قد ألبسه من ثوب الجلالة، وأغشاه من نور حكيمته...

بقدر ما يحمله الإمام عليه السلام من نية صادقة في تقواه، مما انعكست تلك الحكمة على قوله الشريف)⁽²⁾.

أما قطب الدين الكيذري، فقد بيّن موقفه بقوله: (ان هذا هو نهج البلاغة نطفة من بحار علومه الغزيرة، ودرة من جواهر أصدافه الجمّة الغفيرة، وقطرة من قطرات غيثة المدرار، وكوكب من كواكب فلكه الدوار، ولعمري أنه الكتاب الذي لا يدانيه في كمال الفضل كتاب، وطالب مثله كالعنزي لا يرجى له إياب، وهو محجر عيون العلوم، وفي خلال الكتب كالبدر بين النجوم، ألفاظه علوية علوية، ومعانيه قدسية نبوية، وهو عديم المثل والنظير... وهذا الكتاب الغاية في بلاغة البلغاء والنهية في فصاحة الفصحاء)⁽³⁾.

بينما نجد الراوندي (ت 573 هـ) قد بيّن مكانة كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يأتي من حيث أهميته بعد كتاب الله تعالى وقول رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه يحمل في طياته تفاصيل عن كل ما يحتاج إليه الفرد من أمور الدينوية والدينية، لأن الإمام عليه السلام أخذ واستنبط علومه من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي علمه من علومه

ص: 108

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 517

2- البيان والتبيين، 1 / 83؛ الأملي، حسن زادة، دراسة مصادر نهج البلاغة، 15

3- حدائق الحقائق، 1 / 68 - 69

قبل وفاته ألف باب من العلوم، يفتح له من كل باب ألف باب من العلم(1).

وقال سبط بن الجوزي (ت 654 هـ): (ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام محفوف بالعصمة والعناية الإلهية، ويتضمن موازين الحكمة، فكل من يسمعه يحس أن الله تعالى ألقى عليه المهابة، وهو مزيج بين الحلاوة والفصاحة والبهجة والقبول، بحيث أعجز الناطقين، وحير أصحاب العقول، لأن ألفاظه يشرف عليها نور النبوة)(2).

وذهب ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ) بقوله: (ان كلامه عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة)(3)، فضلاً عن ما تضمنه نهج البلاغة من الكثير من التفاصيل الدقيقة الخاصة بعلم التوحيد والعدل، بالإضافة إلى ما يتضمنه من المواعظ الخاصة بالزهد، والتحذيرات الدينية، والمواضيع الخاصة بالأخلاق، واحتوى على العديد من المسائل الفقهية التي يسير عليها الناس، ومواضيعه تدخل ضمن إطار المعجزات المحمدية لأنها تحوي الكثير من المسائل الغيبية، التي هي خارج نطاق القدرة البشرية، ومنها ما لا يفهمه إلا العارفون والراسخون في العلم(4).

أما فيما يخص الآراء التي طرحها العلماء المحدثون بخصوص نهج البلاغة وموقفهم منه، فقد وصف أغا بزرك الطهراني نهج البلاغة بأنه كالشمس الطالعة التي جعلت رؤيتها لجميع الناس، لما لها من علو الشأن والقدر وارتفاع

ص: 109

1- منهاج البراعة، 7 / 1

2- تذكرة الخواص، 119

3- شرح نهج البلاغة، 49 / 1

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 32 / 1

المحل، والتي أخذ من نورها جميع الكائنات، فكتاب النهج الذي أخذ يقتبس من نور علمه جميع الناس، لأنه صدر من معدن الوحي الإلهي، وانه يأتي بعد القرآن الكريم من حيث التبليغ والتعليم، وفيه من القوانين ما توصل الفرد إلى سعادة الدنيا والنعيم في الآخرة، وقد قيل فيه:

نهج البلاغة نهج العلم والعمل*** فاسلكه يا صاح تبلغ غاية الأمل(1) أما محمد عبده فقد بين موقفه من نهج البلاغة، إذ قال في هذا الصدد: (لقد أوفي لي حكم القدر الإطلاع على نهج البلاغة مصادفة بلا تَعَمُّل... فتصفحت صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات، فكان يخيل إليّ في كل مقام، أن حروياً شبت وغارات شنت، وان للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، بل كلما انتقلت من موضع إلى آخر أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حلل العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية... وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً، لا يشبه خلقاً جسدياً فصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه من غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى المشهد الأجلي... وأتأت كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة يعرفهم مواضع الصواب، ويبصرهم مواضع الإرتياب، ويحذرهم مزلق الإضطراب... ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة(2).

وفي الصدد ذاته ذكر محمد جواد مغنية رأيه بخصوص نهج البلاغة قائلاً

ص: 110

1- الذريعة في تصانيف الشيعة، 14 / 111

2- نهج البلاغة، 1 / 5 - 6

(شرحت أول خطبة تضمنت هذا الموضوع، شرحت وفسرت بما تهيأ لي من صياغة وتركيب، وجاءت الثانية، وفيها نفس الموضوع بأسلوب آخر فشرحتها بأسلوب آخر، ثم الثالثة والرابعة... إلى عشرات، فوقفت حائراً، هل أكرر ما سبق كما فعل غيري من الشارحين، أو أحيل على ما تقدم، أو أشرح بأسلوب عاشر أو حادي عشر، ومن أين؟ فأفانيت علاّتي فماذا أقول، وقد أكرر مع التلخيص أو أحيل أو أكرر وأتعسف(1).

نلاحظ أن كلام محمد جواد مغنية حول نهج البلاغة يتكلم فيه عن دقة أمير المؤمنين عليه السلام ومدى براعته في صياغة الخطب، حيث يجعل لكل خطبة أسلوبها وصياغتها الخاصة بها بمعزل عن الخطب الأخرى، وهذا مما حير عقول العلماء.

والمتتبع لخطب وكلام الإمام عليه السلام يجده يتضمن الكثير من المعاني التي لا يمكن فهمها بسهولة إلا بعد الاستعانة بمفردات اللغة العربية عن طريق المعاجم اللغوية.

وفي الحديث ذاته بين حسن آل عصفور رأيه بشأن نهج البلاغة، إذ قال: (إن نهج البلاغة هو القرآن الناطق، والثقل الآخر باتفاق الموافق والمخالف، وهو البحر الذي لا يدرك قراره، ولا يسبر أغواره، فهو أحسن مثال حي للإنسان الكامل في كتاب الله الحق في حكمته وعلمه وهديه وإعجازه وفصاحته(2).

أما الكاتب جورج جرداق فقد صور لنا نهج البلاغة بصورة فنية تتجسد فيها العاطفة والخيال، فقال في كلام الإمام عليه السلام: (هذا الذكاء الخارق، وهذا الخيال الخصب في أدب الإمام يتحدان إتحاد الطبيعة بالطبيعة مع العاطفة

ص: 111

1- في ظلال نهج البلاغة، 3 / 46

2- إتمام نهج البلاغة، 5

الهادرة التي تمدّها بوهج الحياة، فإذا الفكرة تتحرك وتجري في عروقها الدماء سخية حارة، وإذا بها تخاطب فيك الشعور بمقدار ما تخاطب العقل لانطلاقها من عقل تمدّه العاطفة بالدفي، وقد يعجب المرء بأثر من آثار الفكر أو الخيال في ميادين الأدب وسائر الفنون، إن لم تكن للعاطفة مشاركة فاعلة في إنتاج هذا الأثر(1).

جامع نهج البلاغة الشريف الرضي أولاً: نسب الشريف الرضي الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، المعروف بالموسوي ولد ببغداد سنة (359 هـ / 970 م)(2).

جاء عند الثعالبي أن الشريف الرضي: (ابتداءً يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبداع أهل الزمان إنشاء، وأعجب سادة العراق الحدائق، يتحلّى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحفظ من جميع المحاسن وافر، ثم أنه أشعر الطالبين على كثرة شعرائهم المفلّحين(3)، ولو

ص: 112

-
- 1- روائع نهج البلاغة، 14
 - 2- الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 3 / 41؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، 4 / 415؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 17 / 285؛ الصفدي، وفيات الأعيان، 2 / 276
 - 3- المفلّح، يقال: أفلق فلان وهو يفلق إذا جاء بعجب وشاعر مفلّح يجيء بالعجائب في شعره، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 10 / 311

قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق(1).

ولي الشريف الرضي نقابة الطالبين(2) ولقب بزدي الحسين، ويكنى أبا الحسن، نقيب النقباء، وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة وولي نقابة الطالبين مراراً(3)، ومن الجدير بالذكر أن والد السيد الرضي (الحسين بن موسى) ولي نقابة الطالبين قبل ذلك خمس مرات(4)، وكان يحكم فيهم وولي كذلك النظر في المظالم، وإمارة الحج وبعد ذلك ردت هذه الأعمال إلى ولده الرضي سنة (388 هـ / 988 م)، وأبوه على قيد الحياة(5).

وجاء أن الشريف الرضي عالي الهمة شريف النفس، لم يقبل صلة ولا جائزة حتى أنه رد صلات أبيه، وأما ملوك بني بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل، وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز الأتباع

ص: 113

1- يتيمة الدهر، 3 / 155

2- نقابة الطالبين النقابة هي الرئاسة، والنقابة مثل الولاية، وهي وظيفة شرفية عرفت في البلاد الإسلامية منذ العهد العباسي، وكان يقيم على السادة الأشراف تقيماً لهم إجلالاً لهم واعترافاً برفع منزلتهم وعظيم مقامهم، ويعينه في كل مدينة يكثر فيها عددهم يمثلهم ويتأسس عليهم، ويختار لها أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلاً وأجلهم رأياً لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته برياسته وتستقيم أمورهم بسياسته، ثم ينصب أحدهم بوظيفة نقيب النقباء وهو بمثابة المشرف على سائر النقباء في الديار الإسلامية، ينظر، الماوردي، الاحكام السلطانية، 126

3- الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 32، 40؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 415؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 2 / 276

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1، 55

5- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 415

والأصحاب(1)، حتى ان بهاء الدولة(2)، كان يلقبه بالطاهر الأوحد(3).

وأورد ابن الجوزي ان الشريف الرضي قرأ عند الشيخ أبي اسحق إبراهيم بن أحمد الطبري(4)، وكان الشريف حينذاك شاباً حديث السن، فقال له الشيخ:

(أيها الشريف أين مقامك؟ قال: في دار أبي بباب محول(5)، فقال مثلك لا يقيم بدار أبيه، قد نحللتك داري التي بالكرخ المعروفة بالبركة فامتنع الرضي، وقال:

لم أقبل من غير أبي قط شيئاً، فقال له: حقي عليك أعظم لأنني حفظتك كتاب الله فقبلها(6).

وذكر ابن أبي الحديد(7)، أن الشريف الرضي كان مترسلاً ذا كتابة قوية وكان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمة ملتزماً بالدين وقوانينه، وكان يتمتع

ص: 114

-
- 1- المدني، الدرجات الرفيعة، 468
 - 2- بهاء الدولة، فيروز أبو نصر الملقب بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي، صاحب بغداد، وهو الذي قبض على العباسي الطائع وولى القادر، كان يحب المصادرات، فجمع اموالاً ما لم يجمعه احد من قبله من بني بويه، وتوفي سنة (403 هـ)، ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 17 / 185؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 7 / 19
 - 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 55
 - 4- إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو اسحق الطبري، قرأ القرآن وسمع الكثير من الحديث كان فقيهاً على مذهب مالك، وكان شيخ الشهود ومقدمهم، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم، خرج له الدارقطني خمسمائة جزء، ينظر، ابن الجوزي، المنتظم، 15 / 38
 - 5- باب محول، هي محلة كبيرة في بغداد، كانت متصلة بالكرخ، ذات جامع وسوق، وتقع في غربي بغداد مشرفة على السراة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1 / 312
 - 6- ابن الجوزي، المنتظم، 15 / 38
 - 7- شرح نهج البلاغة، 1 / 57

بشرف وشدة ظلف(1)، وتوفي الشريف الرضي يوم الأحد السادس من محرم سنة (406 هـ / 1015 م)، ودفن في داره في مسجد الأنباريين(2)، وحضر وفاته الوزير فخر الملك(3)، وحضر جميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه، ثم نقل إلى مشهد الإمام الحسين بن علي عليه السلام بكر بلاء فدفن عند أبيه(4).

ثانياً - أقوال المؤرخين والعلماء بحق الشريف الرضي حظي الشريف الرضي بمكانة متميزة بين العلماء والمؤرخين المعاصرين له، والمتأخرين عنه، وذلك لما له من علم واسع جعله يحظى بتلك المكانة بين العلماء، بالإضافة إلى تقرب السلطة له، والمناصب الإدارية التي كلف بها، والألقاب التي حصل عليها من قبل الأمراء في البلاد، وقد ذكره الكثير من العلماء والمؤرخين.

وفي هذا الصدد ذكر النجاشي، ان الشريف الرضي نقيب العلويين ببغداد، أخو المرتضى كان شاعراً مبرزاً له كتب عديدة(5)، وذكر ابن تغري بردي: (أن

ص: 115

1- الظلف، هو منع النفس من الشيء، ينظر، الجوهري، الصحاح، 4 / 1399

2- الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 3 / 41؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 419

3- فخر الملك، الوزير الكبير، أبو غالب محمد بن علي بن خلف الصيرفي، وباسمه صنف كتاب الفخري في الآداب السلطانية، ولي بعض الأعمال، وولي بعد ذلك ديوان واسط ثم استوزر، وكان نائب السلطان بهاء الدولة بفارس، ثم ولي العراق بعد عميد الجيوش، قتل سنة (407 هـ)، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5 / 124؛ سيرة أعلام النبلاء، 17 / 282

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8 / 91؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، 210؛ المدني، الدرجات الرفيعة، 478؛ الأميني، الغدير، 4 / 211

5- رجال النجاشي، 389

الشريف الرضي كان عارفاً باللغة والفرائض، والفقه، والنحو، وكان شاعراً فصيحاً عالي الهممة متديناً(1)، بينما ذهب الخطيب البغدادي بقوله: (أنه من أهل العلم والأدب، وله تصانيف كثيرة، وحفظ القرآن في مدة قصيرة، وألف كتاباً في (معاني القرآن)، وكان من أبرز شعراء قريش في عصره، وله أشعار كثيرة)(2).

وترجم الذهبي له وقال: (محمد بن الحسين الشريف الرضي، صاحب الديوان، له نظم في الذروة حتى قيل: هو أشعر الطالبين، وديوانه من أربع مجلدات، وله كتاب معاني القرآن، مما يدل على سعة علمه)(3).

أما ابن حجر العسقلاني فجاء في ترجمته للشريف الرضي قوله: (الشريف الرضي أبو الحسن، شاعر بغداد رافضي جلد)(4).

يفهم من شهادة هؤلاء العلماء والمؤرخين بحق الشريف الرضي، بأنها دليل على مكانته العلمية بين علماء عصره، وكذلك ما خلفه من أثر علمي كان له صدى واسع بين العلماء والمؤرخين، تناقلته مصادر التاريخ المختلفة.

ثالثاً: المكانة العلمية للشريف الرضي 1- علم الشريف الرضي:

نشأ الشريف الرضي في دار أبيه الحسين بن موسى، وكان يتصف بصفات

ص: 116

1- النجوم الزاهرة، 4 / 240

2- تاريخ مدينة بغداد، 4 / 40 - 41

3- سير أعلام النبلاء، 1 / 57

4- لسان الميزان، 5 / 141

الذكاء والورع منذ صباه على حد تعبير العلماء، وتم إعتقال أبيه من قبل عضد الدولة(1)، وكان عمرة آنذاك عشر سنوات، فتولت أمه فاطمة بنت الناصر(2)، مهمة تربيته وتعليمه، والرواية معروفة في ذلك، وهي: (أن الشيخ المفيد(3) رأى في المنام كأن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دخلت عليه وهو في مسجده في الكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين، فسلمتهما إليه وقالت له:

علمهما الفقه، فانتبه متعجباً من ذلك، فلما تعالی النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر، ومعها ولداها الرضي والمرتضى(4) صغيرين، فقالت له: أيها الشيخ هذان ولداي أحضرتهما لتعلمهما

ص: 117

1- عضد الدولة، السلطان، أبو شجاع فناخسرو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملك فارس بعد عمه عماد الدولة، ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، كان بطلاً شجاعاً مهيباً نحوياً، أديباً عالماً، جباراً عسوفاً، ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 16 / 249

2- فاطمة بنت الناصر الصغير بن الحسن أحمد بن محمد الناصر الكبير الطروش بن علي بن الحسين ابن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ينظر، الشريف الرضي، الناصريات، 8؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، 310
3- المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم وشيخ الإمامية على مذهبهم، كان صاحب فنون وبحوث وكلام واعتزال وأدب، وكان واحداً من الذين جمعوا فنون العلم الأصليين، الفقه والأخبار ومعرفة الرجال والتفسير والنحو، كان يناظر أهل كل عقيدة، توفي، سنة (413 هـ)، ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 4 / 374؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 17 / 344؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 1 / 108

4- الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد سنة (355 هـ) يلقب بالمرتضى ذي المجدين، كانت له نقابة الطالبين، كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، له تصانيف عديدة على مذهب الشيعة، وله ديوان شعر كبير، توفي سنة (436 هـ)، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3 / 313؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 17 / 588

الفقه، فبكى الشيخ المفيد وقص عليها الرؤيا، وتولى تعليمهما الفقه(1)، نستشف من الرواية أن الشريف الرضي إبتدأ حياته العلمية على يد كبار العلماء في عصره آنذاك، مما ينم على الإدراك الكبير والمستوى العقلي عنده، مما انعكس ذلك إيجابياً على مسيرته العلمية.

وبدأ الشريف الرضي بتلقي العلوم في حداثة سنه، ودرس مع أخيه المرتضى مختلف العلوم والفنون واللغة، ودرس على يد الأديب ابن نباتة السعدي، وقرأ كلاهما الفقه على الشيخ الجليل محمد بن محمد الملقب بالشيخ المفيد، وتلمذ في الشعر والأدب على أبي عبد الله المرزباني(2)، وأخذ الحديث والأصول وغيرهما من أساتذة آخرين(3)، إذ روي أن الشريف الرضي أحضر إلى ابن السيرافي النحوي(4)، وهو طفل لم يبلغ عشر سنين فلقنه النحو، وجلس معه يوماً في

ص: 118

-
- 1- المفيد، المزار، 7؛ الخبري، ديوان الشريف الرضي، 1 / 63؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 63
 - 2- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ابن عبيد البغدادي، الكاتب، صاحب التصانيف، وكان راوية مكثراً، صنّف أخبار الشعراء، وصنّف كتاباً في ذلك، وكان معتزلياً، وصنّف كتاباً في أخبار المعتزلة، توفي سنة (384 هـ)، ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 4 / 227؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 16 / 448
 - 3- الشريف المرتضى، الإنتصار، 24
 - 4- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي، سكن بغداد وولي القضاء بها وكان ابوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبوه سعيد بن عبد الله، كان يدرس القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة العربية عالماً بالأدب والفرائض والشعر، توفي، سنة (368 هـ)، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 / 78؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 16 / 247

الحلقة الدراسية فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم فقال له: (إذا رأيت عمر، فما علامة النصب في عمر؟ فقال له الرضي: بغض علي، فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره)(1).

وذكر الثعالبي ان الشريف الرضي ابتداء يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل، (وشعره عالي المديح الممتنع في وصفه عن القدح الذي يرجع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة، ويشمل على معادن يقرب جناها ويبعد مداها)(2)، وجاء أن الأدياء يطلقون عليه النائحة الشكلى لرقه شعره(3)، وله أشعار في الغزل والفخر والحماسة، وفي الهجاء ولكن بألفاظ نقيه وتورع عن تصريح باسم المهجوج، وله شعر في المديح والرثاء، وقد جمعت أشعاره في ديوان كبير يدخل ضمن أربع مجلدات(4).

وإن دل على شيء فإنه يدل على حدة ذكائه وشدته، لأنه متأثرٌ بحياة عصره الثقافية، وكذلك ابتداء تعليمه على يد العلماء الكبار أنذاك مثل الشيخ المفيد والسيرافي كما مر بنا.

ومن غرر شعره ما كتبه إلى القادر بالله(5)

ص: 119

1- الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 3 / 40؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 416

2- يتيمة الدهر، 3 / 155

3- الثعالبي، يتيمة الدهر، 3 / 156

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 416

5- القادر بالله أبو العباس بن اسحق بن المقتدر، ولد (سنة 336 هـ / 947 م)، واسم أمه تمني وقيل دمنة، بويغ بالخلافة بعد خلع اخيه الطائع، كان يلبس زي العامة ويقصد الأماكن المباركة، ومدة خلافته إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر، توفي سنة (422 هـ)، ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 15 / 127

عطفاً أمير المؤمنين فإننا *** في دوحة العلياء لا نتفرق ما بيننا يوم الفخار تفاوت *** ابداً كلانا في المعالي معرّق إلا الخلافة ميزتك فإنني *** أنا عاطل منها وأنت مطوق (1) ومن خلال النظر والتمعن في الأبيات الشعرية، نجد تطلع الشريف الرضي، إلى منصب الخلافة، لما كان يمتاز به من مؤهلات وصفات تؤهله لهذا المنصب، لكن يبدو أن بعض الظروف كان تقف دون تحقيق رغبته في ذلك، وهذا ما أشار إليه ابن أبي الحديد بأن الشريف الرضي كان يمتاز بعلو الهمة، ويطمح إلى أشياء عظيمة، يعبر عنها في شعره بسبب عدم توفر أسباب تحقيقها (2).

وروي أن بعض الأدباء مرعلى بقايا من دار الشريف، وما فعل بها الزمان، فأنشد شعراً للشريف الرضي جاء فيه:

ولقد وقفت على ديارهم *** وطلولها بيد البلى نهب فوقفت على ربوعهم من لغب *** نصوي ولج بعذلي الركب وتلفتت عيني فمدخفيت *** عنها الطلول تلفت القلب (3) فمر شخص وسمعه ينشد هذه الأبيات، فأخبره أنها للشريف الرضي، فتعجب من الإتفاق (4).

ص: 120

-
- 1- الخبري، ديوان الشريف الرضي، 2؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، 3 / 163؛ حلاوي، محمود مصطفى، ديوان الشريف الرضي، 2 / 38
 - 2- شرح نهج البلاغة، 1 / 58
 - 3- الخبري، ديوان الشريف الرضي، 3؛ حلاوي، ديوان الشريف الرضي، 1 / 249
 - 4- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4 / 416؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 2 / 277

2- مؤلفات الشريف الرضي لم تقتصر مؤلفات الشريف الرضي ومصنفاته على علم معين، بل انها شملت العديد من العلوم والفنون، إذ شملت هذه المؤلفات التفسير، والحديث النبوي، وخصائص الأئمة، فضلاً عن الأدب الذي كان الشريف الرضي قد أكثر من التأليف فيه، والفقه والبيان، ولعل أبرز هذه المؤلفات:

1- جمعه خطب الإمام علي عليه السلام في كتابه المعروف بنهج البلاغة، وهو كتاب عظيم الشأن يدور فيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ويدور كلامه على أقطاب ثلاثة هي الخطب والأوامر، والكتب والرسائل، والحكم والمواعظ، فجمعه الشريف الرضي باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، وأفرد لكل صنف من ذلك باباً وفصل فيه أوراقاً(1).

ومواضيع النهج متنوعة تماماً كمواضيع القرآن، فقد تكلم أمير المؤمنين عليه السلام عن صفات الله، وعن النبوة واليوم الآخر، وعم جميع الكائنات من الذرة إلى أعظم المجرات، وما لها من أوضاع محكمة وأبعاد محددة تؤدي إلى غايات معقولة(2).

2- كتب التفسير، إذ كان له عدد من المؤلفات في هذا المجال منها ما هو موجود، والبعض الآخر مفقود أشارت إليه المؤلفات الأخرى، ومن الكتب الموجودة، كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل(3)، وكتاب تلخيص البيان

ص: 121

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 70

2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 9

3- الشريف الرضي، حقائق التأويل

عن مجاز القرآن(1)، ومن الكتب المفقودة كتاب معاني القرآن(2).

3- كتب الحديث والفقه وخصائص الأئمة، ومن أبرز مؤلفات الشريف الرضي في مجال الحديث مجازات الآثار النبوية(3) وله في الفقه كتاب تعليق خلاف الفقهاء(4)، وكتاب خصائص الأئمة(5).

4- كتب الأدب، وكان للشريف الرضي دور كبير في الجانب الأدبي، إذ له العديد من المؤلفات في هذا المجال، ومن أبرز مؤلفاته هو، ديوان شعره المتكون من أربعة مجلدات(6)، وانتخاب شعر ابن الحجاج(7)، وتعليقة الإيضاح لأبي علي(8)، وسيرة والده الطاهر الذي ألفه سنة 379 هـ(9)، ومختار شعر أبي إسحاق الصابي(10)، والزيادات في شعر أبي تمام(11)، وله كتاب، ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل شعرًا(12).

ص: 122

- 1- الشريف الرضي، تلخيص البيان
- 2- أشار إليه ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 416؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 277
- 3- الشريف الرضي، مجازات الآثار النبوية
- 4- أشار إليه النجاشي، رجال النجاشي، 398
- 5- الشريف الرضي، خصائص الأئمة
- 6- الخبري، ديوان الشريف الرضي
- 7- أشار إليه ابن عنبه، عمدة الطالب، 208
- 8- أشار إليه النجاشي، رجال النجاشي، 398؛ المدني، الدرجات الرفيعة، 467
- 9- أشار إليه الشريف الرضي، حقائق التأويل، 91؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 277
- 10- أشار إليه الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 277
- 11- أشار إليه النجاشي، رجال النجاشي، 398
- 12- أشار إليه الشريف الرضي، حقائق التأويل، 91

رابعاً: الشكوك حول نهج البلاغة يحتوي نهج البلاغة على العديد من المباحث والمطالب الفلسفية مما لم يكن معروفاً في جزيرة العرب في ذلك الوقت، ومن جانب آخر فقد حوى نهج البلاغة الكثير من الأخبار الغيبية التي يستحيل أن تصدر إلا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وارث علم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبناءً على ما تقدم كيف تصمد التشكيكات التي حصلت إلى حد إتهام الشريف الرضي بوضعه لهذا الكتاب، فهو لم يكن يعلم الغيب، لما عرف عنه من الجدارة العالية في الأدب والبلاغة والفصاحة(1)، وأن الشريف الرضي لم يكن الأول الذي جمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام، بل سبقه إلى ذلك كثيرون. إن أول من جمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام هو زيد بن وهب الجهني(2)، الذي شهد صفين وجمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر والأعياد(3)، ومن الذين كتبوا قبل الشريف الرضي خطب أمير المؤمنين عليه السلام أبي الحسن علي بن محمد المدائني الإخباري(4).....

ص: 123

1- سبتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 14

2- زيد بن وهب أبو سليمان الجهني، أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كبار الصحابة، سكن الكوفة وصحب الإمام علياً عليه السلام وسمع منه القرآن على ابن مسعود، وشهد معه المشاهد كلها، وتوفي بعد وقعة الجمامم في حدود سنة (83 هـ)، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 252؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 1 / 26

3- ابن البراج، جواهر الفقه، 11

4- المدائني، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن سيف المدائني، ولد سنة (132 هـ)، ونشأ في بغداد وصنف التصانيف وكان عجباً في السير والمغازي والأنساب، وأيام العرب مصداقاً لما ينقله، حدث عنه خليفة بن خياط وله من المؤلفات خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخطب أمير المؤمنين عليه السلام وولده وأخبار أهل البيت عليهم السلام، ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 10 / 400

وسماه ابن النديم خطب علي عليه السلام(1).

وممن كتب خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام مسعدة بن صدقة(2)، وهو من أصحاب الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام، نقلت عنه خطب أمير المؤمنين المروية عن الإمام الصادق عليهما السلام(3).

وحاول البعض نسبة الكتاب إلى الشريف الرضي كما ذكرنا وأنه ليس من كلام الإمام، وإنما الذي جمعه هو الذي وضعه، وقد رد عليهم الكثيرون ومن بينهم ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة الذي يبين موقف المشككين بنسبة نهج البلاغة، وأن السبب بذلك هو لتعصبهم وابتعادهم عن الطريق الصحيح، وأكد بقوله: (إنه إذا كان نهج البلاغة مصنوعاً أو منحولاً كله أو بعضه، والأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك، والثاني يدل على ما قلناه، لأن من أنس الكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد...

وإذا تأملت في نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً، ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض

ص: 124

1- ابن النديم، الفهرست، 3/ 114

2- ابن صدقة العبدي، مسعدة بن صدقة، يكنى أبا محمد وقيل كنيته أبو بشير، روى عن أبي عبد الله الصادق وعن أبي الحسن الرضا عليهما السلام، له كتب منها خطب أمير المؤمنين عليه السلام، حدث عن أحمد بن محمد بن يحيى، وحدث عنه هارون بن سليم، ينظر، النجاشي، رجال النجاشي، 415

3- الصدوق، الأمالي، 170؛ المفيد، الإرشاد، 1/ 290

في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه، وأوسطه كآخره، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً، لم يكن كذلك)، ومن خلال ذلك يتبين ضلال من زعم أنه منحول أو بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام(1).

ونسبه البعض إلى الشريف الرضي والبعض الآخر إلى الشريف المرتضى، وأن الرضي لم يهتم بذكر أسانيد ومصادر الخطب والرسائل إلا في بعض المواطن المحدودة، إلا ان هناك الكثير ممن تصدى لتلك الأوهام والشكوك حول نسبة نهج البلاغة، وأول تلك الشكوك والأوهام أطلقها المؤرخ المعروف بابن خلكان (ت 681 هـ)، الذي يعد من أوائل الذين اثاروا الشكوك حول نهج البلاغة بقوله: (وقد اختلف الناس في نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي عليه السلام هل من جمع الشريف المرتضى أم جمع اخيه الرضي؟ وقد قيل: أنه ليس من كلام علي عليه السلام، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه)(2).

واتفق العسقلاني(3) والذهبي في رأيهما عند ترجمة الشريف الرضي بقولهما:

(وهو المتهم بوضع نهج البلاغة، ومن طالع نهج البلاغة جزم أنه مكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام، ففيه السب الصراح والحط على السيدين: أبي بكر وعمر، وفيه التناقض والأشياء الركيكة التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب باطل)(4)، وممن شكك في

ص: 125

1- شرح نهج البلاغة، 10 / 102؛ ينظر، الشريف، تهذيب نهج البلاغة، 1 / 23؛ العاملي، شروح نهج البلاغة، 23 - 24

2- وفيات الأعيان، 3 / 313

3- لسان الميزان، 4 / 233

4- ميزان الاعتدال، 3 / 124

نهج البلاغة أيضاً اليافعي الذي ذهب إلى ما ذهب إليه ابن خلكان حول نسبة نهج البلاغة(1).

ونأتي هنا للإطلاع على آراء بعض المؤرخين المضطربة حول نهج البلاغة، فنجد أن رأي الذهبي مثلاً يختلف من كتاب إلى آخر بشأن نهج البلاغة، فعند ترجمته للشريف الرضي في كتابه سير أعلام النبلاء(2)، وكتابه العبر في خبر من غير(3)، لم يتعرض له بشيء وأثنى عليه، بينما نجده يقول في كتاب الميزان موضحاً: (إن علة الجزم يكون في الكتاب مكذوباً على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح على السيدين أبي بكر وعمر...) (4)، وفي سير أعلام النبلاء: (المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي عليه السلام، ولا أسانيد لذلك وبعضها باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا للإمام من النطق بها) (5)، وقد علق أحد الباحثين على هذه الإضطرابات في التشكيك بأن غايتها هي تضعيف الكتاب بكل وسيلة، وإن الفرق بين العبارتين في الكتابين حول نهج البلاغة ما هو إلا دليل آخر على هذا الإضطراب(6)، وكذلك إنزعاجهم من الخطبة

ص: 126

1- مرآة الجنان، 43 / 3

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 285 / 17

3- الذهبي، العبر، 213 / 2

4- الذهبي، ميزان الاعتدال، 124 / 3

5- الذهبي، سير أعلام النبلاء 285 / 17

6- الميلاني، علي الحسيني، تشييد المراجعات، 79؛ ينظر، الشريف، عبد الهادي، تهذيب شرح نهج البلاغة، 1 / 19؛ الجلاي، محمد حسين، مسند نهج البلاغة، 1 / 73؛ الموسوي، محسن باقر، المدخل إلى علوم نهج البلاغة، 218

الشكشقية التي وردت في نهج البلاغة(1).

فضلاً عما ذكره العاملي، بشأن مسألة عدم إيراد الشريف الرضي بعض أسانيد الخطب التي جمعها، فقد علق على هذه الشبهة، بأن الشريف الرضي وهو من العلماء الثقات، وجب قبول قوله، لأن ما جمعه من كتب العلماء، أضف إلى ذلك أنه لم يقصد أن تؤخذ منه الأحكام الشرعية، ومسائل الحلال والحرام حتى يذكر أسانيد(2).

ونجد ان الشريف الرضي قد بين احتياطه في الرواية وأمانته في نقل كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو على الرغم من اختياره المواضيع الطويلة حسب موضوع كتابه، ولكنه يتحرج من نقل الكلام الوارد بروايات مختلفة، لذلك نراه يذكر اختلاف الروايات، ويكرر كلمة ((وفي رواية))، ولا يعرف هذا الإحتياط إلا من كانت له دراسة في نهج البلاغة(3)، فتراه معلقاً على بعض الخطب بقوله: (وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا إننا كررناه ههنا لما في الروايتين من إختلاف)(4)، أو إنه يقول: (وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من الخطب، إلا ان فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره)(5).

أما ابن أبي الحديد فقد بين في شرحه لأحد الخطب التي ذكرها نصر بن

ص: 127

1- الميلاني، تشييد المراجعات، 79؛ الجلاي، مسند نهج البلاغة، 57؛ نعمة، عبدالله، مصادر نهج البلاغة، 22

2- حسين جمعة، شروح نهج البلاغة، 25

3- الخطيب، عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، 1 / 344

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 178

5- المصدر نفسه، 3، 407

مزاحم في كتاب وقعة صفين، وهي الخطبة نفسها التي ذكرها الرضي، ولكنه ضم إليها بعض الفقرات من خطبة أخرى، وهذه هي عادة الشريف الرضي يختار الفصيح والبلغ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام(1).

خامساً: مصادر نهج البلاغة وأسانيده:

تطرقنا إلى بعض الشكوك التي أطلقها بعض المشككين حول نهج البلاغة ونسبته للشريف الرضي بسبب عدم بيان الرضي لأسانيده بعض الخطب والكتب والرسائل، مما حمل هؤلاء المشككين على الطعن به، ولكن عمل بعض الباحثين بجهود كبيرة على استخراج مصادر نهج البلاغة التي دونت قبل عصر الشريف الرضي، ومن أبرز هذه الكتب هو كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ويتكون من أربعة مجلدات، ومن الكتب الأخرى التي سلطت الضوء على هذا الجانب كتاب نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة لمحمد باقر المحمودي(2)، وقد جمع المحمودي في كتابه هذا جميع ما للإمام عليه السلام من كلام أعم من الخطب والأوامر والكتب والرسائل والوصايا والكلمات الحكيمة القصار، فهو يشمل على نهج البلاغة، وأقسام أخرى لم تقع فيما اختاره الشريف الرضي أو لم تكن تحت اختياره، وغيرها من الكتب التي أثبتت أن نهج البلاغة هو للإمام علي عليه السلام، وإنما الشريف الرضي هو الذي جمعه، بالإضافة إلى ما أورده بعض الباحثين من أسماء الذين عاصروا أمير المؤمنين عليه السلام

ص: 128

1- شرح نهج البلاغة، 65 / 15

2- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة

أوالمتأخرين عنه والذين نقلوا الكثير من خطبه ودونوها وحفظوها لنا(1)، والتي أسهمت في إثبات ان نهج البلاغة هو كلام الإمام وليس للشريف الرضي.

وسنورد بعض الروايات التي أخذ منها الشريف الرضي، المروية بسند وكذلك الأسانيد التي سبقت وعاصرت عصر الشريف الرضي، التي هي جزء يسير مما ذكرته الكتب التي أثبتت ان نهج البلاغة هو ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

المصادر والأسانيد التي سبقت وعاصرت عصر الشريف الرضي أولاً - الخطب التي نقلتها المصادر المروية بسند:

تناولت العديد من الدراسات موضوع أسانيد نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي، وقد اختلفت هذه الأسانيد فمنها ما روي عن الإمام علي عليه السلام بسند عن طريق رجال الحديث وبعض الأشخاص الذين عاصروا الإمام عليه السلام، والبعض الآخر نقل من المصادر التي سبقت وعاصرت عصر الشريف الرضي، والتي تطرق إليها العديد من الباحثين من أجل إبعاد الشكوك والأوهام التي تطرق إليها بعض المغرضين للنيل من نهج البلاغة(2).

ص: 129

1- الطباطبائي، عبد العزيز، المتبقي من مخطوطات نهج البلاغة حتى نهاية القرن الثامن الهجري، 27 - 28

2- الجلاي، مسند نهج البلاغة، 1 / 243 - 247؛ الشريف، تهذيب نهج البلاغة، 1 / 15 - 17؛ الزيدي، أهل البيت عليهم السلام مكاتبتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم في كتاب نهج البلاغة، 38 - 42

سوف نتكلم عن بعض المصادر المروية عن طريق رجال الحديث النبوي في النقل ومنهم:

1- أبو جحيفة السوائي، وهب بن عبد الله بن مسلم(1)، روي عنه قول الإمام عليه السلام:

(ان أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم...) (2).

2- كميل بن زياد النخعي(3)، روى عنه الشريف الرضي كلاماً خاطب فيه الإمام علي عليه السلام كميلاً:

(ان هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول) (4).

3- رواية نوف البكالي(5)، روى عن الشريف الرضي حديثاً حدث به

ص: 130

1- أبو جحيفة السوائي، وهب بن عبد الله بن مسلم، وقيل وهب بن جابر، وهو من أهل الكوفة، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يبلغ الحلم، كان على شرطة الإمام علي عليه السلام، واستعمله على خمس المتاع الذي كان في حربه، توفي سنة (75 هـ)، ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، 428 / 5

2- ابن أبي شيبة، المصنف، 1، 677؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 581 / 4

3- كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن سعد بن مدحج، روى عن عثمان والإمام علي عليه السلام، وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، وقتله الحجاج بن يوسف عندما قدم إلى الكوفة سنة (82 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8 / 299؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 278 / 24

4- الإسكافي، المعيار والموازنة، 80؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، 117؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 533 / 4

5- نوف البكالي أبو زيد نوف بن فضالة وقيل نسبة إلى بكال، من الطبقة الأولى من الشاميين، ومن رجال الحديث، وإمام أهل الشام، توفي سنة (90 هـ)، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 455 / 9؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 307 / 62

الإمام عليه السلام أوله:

(أراقد أنت أم راقم، فقلت بل راقم يا أمير المؤمنين...) (1).

4- رواية ذعبل اليماني (2)، روى عنه الشريف الرضي قول الإمام عليه السلام:

(لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان...) (3).

5- رواية ضرار بن ضمرة الضبابي (4)، عند دخوله على معاوية بن أبي سفيان وسأله عن أمير المؤمنين عليه السلام، روى الشريف الرضي قول الإمام عليه السلام:

(يا دنيا إليك عني أب تعرضت أم إليّ تشوقت، لا حان حينك...) (5).

6- رواية الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام المتوفى (114 هـ)، روى

ص: 131

1- الصدوق، الخصال، 337؛ الشريف الرضي، خصائص الأئمة، 97؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 522 / 4

2- ذعبل اليماني بكسر اوله وسكون ثانيه، وهو من أصحاب الإمام علي عليه السلام ذرب اللسان بليغ في الخطاب، شجاع القلب، سأل أمير المؤمنين عليه السلام: هل رأيت ربك؟ فقال له: ويلك يا ذعبل لم أكن أعبد رباً أراه، وهو من أهل القرن الأول، ينظر، الكليني، الكافي، 1 / 138؛ الصدوق، الامالي، 423

3- الكليني، الكافي، 1 / 98؛ الصدوق، التوحيد، 109؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 285 / 2

4- ضرار بن ضمرة وقيل ضرار بن حمزة القباني، إذ اختلف في اسم أبيه، من أهل القرن الأول، وكان ضرار مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخت أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو من خواص الإمام عليه السلام، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 8 / 457

5- المسعودي، مروج الذهب، 1 / 707؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 516

عن جده وروى الشريف الرضي عنه قول الإمام علي عليه السلام:

(كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر، فتمسكوا به، فأما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم...)(1).

7- رواية ثعلب الشيباني(2)، روى عن ابن الأعرابي(3)، عن المأمون العباسي (ت 223 هـ) قول الإمام علي عليه السلام: (أخبر ثقله)، وقال الرضي: ومن الناس من يروي هذا لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، ومما يقوى أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: قال المأمون: (لولا إن علياً عليه السلام قال:

أخبر ثقله، لقلت أنا: أفله تخبر)(4).

ثانياً: الخطب التي نقلها من المصادر المدونة:

هناك الكثير من المصادر التي أخذ منها الشريف الرضي في جمعه لخطب ومواظ أمير المؤمنين عليه السلام التي أطلق عليها فيما بعد نهج البلاغة، ومن هذه المصادر التي سبقت عصره، وأخذ منها روايات الخطب، ونقل منها كلام أمير

ص: 132

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 192

2- ثعلب الشيباني، ابو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان ثقة حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، وتوفي سنة (سنة 291 هـ) ببغداد ودفن بمقبرة باب الشام، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1 / 102؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 14 / 5

3- ابن الأعرابي، أبو عبد لله محمد بن زياد الكوفي صاحب اللغة، وهو من موالي بني هاشم، كان عالماً باللغة، ورأساً في كلام العرب، وله تصانيف عديدة، وتوفي سنة (231 هـ)، ينظر، ابن خلكان وفيات الأعيان، 4 / 309؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 10 / 687

4- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 20 / 70؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 591

المؤمنين عليه السلام، سنذكر عددًا منها كدليل على أن الشريف الرضي قد جمع نهج البلاغة من هذه المصادر:

كتاب (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم المنقري (ت 202 هـ)، وذكر قول الإمام عليه السلام عند مسيره إلى الشام:

(الحمد لله كلما وقب ليل غسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق) (1).

كتاب (المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للإسكافي (ت 220 هـ)، إذ ذكر قول الإمام عليه السلام:

(سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي) (2).

كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (ت 255 هـ)، وذكر فيه خطبة للإمام علي عليه السلام يحث فيها أصحابه على الجهاد (أما بعد فإن الجهاد

باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه...) (3).

كتاب (المحاسن) لأبي جعفر أحمد البرقي (ت 274 هـ)، وذكر قول الإمام عليه السلام وبين فيه متى تكون الفتن:

(إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها الرجال...) (4).

كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة الدينوري (ت 267 هـ)، إذ ذكر كلام الإمام عليه السلام إلى الزبير يستفيئه للدخول في طاعته:

ص: 133

1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 134؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 89

2- الإسكافي، المعيار والموازنة، 82؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 307

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 2 / 53؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 64

4- البرقي، المحاسن، 1 / 208؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 91

(لا تلقين طلحة(1)، فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه...)(2)، وذكر في كتابه (الإمامة والسياسة) كلام الإمام عليه السلام عندما أشار عليه أصحابه بالإستعداد لحرب أهل الشام:

(ان إستعدادي لحرب أهل الشام وجريير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه...)(3).

كتاب (جمل من أنساب الأشراف) للبلاذري (ت 279 هـ)، إذ ذكر قول الإمام عليه السلام بشأن الخوارج لَمَّا سمع قولهم لا حكم إلا لله قال:

(كلمة حق يراد بها باطل، نعم لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله...)(4).

كتاب (الأخبار الطوال) للدينوري (ت 282 هـ)، إذ ذكر كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في أهل البصرة:

(أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء. خفت عقولكم أوسفهمت حلومكم...)(5).

ص: 134

-
- 1- طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، ويكنى أبا محمد وهو من المسلمين الأوائل، ولم يشهد وقعة بدر وشهد معركة أحد واصيبت كفه، وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ممن خرج على أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمل، وقتل من قبل مروان بن الحكم عندما رماه بسهم، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 196
 - 2- ابن قتيبة، عيون الأخبار، 1 / 195؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 72
 - 3- الإمامة والسياسة، 1 / 115؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 86
 - 4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 3 / 126؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 84
 - 5- الدينوري، الاخبار الطوال، 152؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 46

كتاب (الغارات) للثقفى الكوفى (283 هـ)، وذكر كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة:

(وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه...)(1).

كتاب (تارىخ اليعقوبى) لليعقوبى (ت 292 هـ)، إذ ذكر قول الإمام عليه السلام: إلى مصقلة بن هبيرة الشيبانى(2)، عامله على أردشير خرة(3) (بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته، فقد أسخطت إلهك، وأغضبت إمامك...)(4).

10- كتاب (الكامل فى اللغة والأدب) لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ)، ذكر خطبة الإمام على فى حث أصحابه على الجهاد:

(أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه)(5).

11- كتاب (تارىخ الرسل والملوك) للطبرى (ت 310 هـ)، وأورد خطبة الإمام على عليه السلام بعد التحكيم:

(وإن أتى الدهر الفادح بالخطب الجليل...)(6)، وذكر رواية عبد الرحمن

ص: 135

1- الثقفى، الغارات، 404؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 419

2- مصقلة بن هبيرة بن شبل بن يثربى بن امرئ القيس، كان من اصحاب الإمام عليه السلام وولى أردشير خرة من قبل ابن عباس، وعتب عليه الإمام عليه السلام فى إعطاء مال الخراج لمن يقصده من بنى عمه، وقيل انه فدى نصارى بنى ناجية بخمس مائة ألف فلم يردها كلها، ينظر، ابن عساكر، تارىخ مدينة دمشق، 58 / 269

3- أردشير خرة، وهى اسم كورة، مركب معناه بها أردشير، وأردشير ملك من ملوك الفرس، ينظر، ياقوت الحموى، معجم البلدان، 1 / 146

4- اليعقوبى، تارىخ اليعقوبى، 2 / 105؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 445

5- المبرد، الكامل فى اللغة والأدب، 1 / 20؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 64

6- الطبرى، تارىخ الرسل والملوك، 5 / 77؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 78

ابن أبي ليلى الفقيه(1)، عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يحض الناس على الجهاد:

(أيها المؤمنون، أنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ...) (2) 12- كتاب (المستترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للطبري الشيعي (ت القرن الرابع الهجري)، ذكر كلام الإمام في وصف بيعته بالخلافة:

(وبسطم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم عليّ تذاك الأبل الهيم...) (3).

13- كتاب (تحف العقول) لابن شعبة الحراني (ت القرن الرابع الهجري)، إذ ذكر عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي(4)، لما ولاه على مصر وأعمالها:

(هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه على مصر...) (5).

14- كتاب (العقد الفريد)، لابن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ)، إذ ذكر

ص: 136

1- عبد الرحمن بن أبي ليلى واسمه يسار بن بلاب بن بلبل بن أحيحة بن الجلاح ويكنى عبد الرحمن، روى عن عمر بن الخطاب وأمير المؤمنين علي عليه السلام، وخرج على الحجاج وقتل بدجيل، ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، 8 / 299

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 357؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 580

3- الطبري الشيعي، المستترشد، 1 / 418؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 379

4- مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن مذحج، كان من أصحاب الإمام عليه السلام، شهد معه الجمل وصفين، ولاه الإمام عليه السلام مصر، فلما كان في العريش شرب شربة من عسل فمات مسموماً سنة (37 هـ)، ينظر ابن سعد الطبقات

الكبرى، 8 / 323؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء 4 / 34

5- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، 90؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 457

كلام الإمام عليه السلام في ذم أهل البصرة:

(كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة، رغا فأجبتكم وعقر فهيرتم)(1).

15- كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت 346 هـ)، إذ ذكر خطبة الإمام عليه السلام في التهديد في الدنيا:

(أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع...)(2).

16- كتاب (دعائم الإسلام) لأبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي (363 هـ)، وذكر كلام الإمام عليه السلام عند عزمه للمسير إلى الشام:

(اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب...)(3).

17- كتاب (تهذيب اللغة) للأزهري (ت 370 هـ)، أورد كلام الإمام عليه السلام:

(لنا حق فإن اعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الأبل وإن طال السرى)(4).

18- كتاب (الأمالي) للصدوق (ت 381 هـ)، ذكر كلام الإمام عليه السلام بشأن صرفه عن حقه في الخلافة:

(فقمتم بالأمر حين فشلوا، وتطلعت حن تقبعوا، ونظقت حين تعتوتوا...)(5).

ص: 137

1- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 4/ 170؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 235؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1/ 45

2- المسعودي مروج الذهب، 1/ 714؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1/ 67

3- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/ 347؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1/ 88

4- الأزهري، تهذيب اللغة، 1/ 341؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4/ 506

5- الصدوق، الأمالي، 313؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1/ 81

ثالثاً: المصادر التي عاصر مؤلفوها عصر الشريف الرضي هنالك العديد من المصادر المدونة التي عاصر مؤلفوها الشريف الرضي، والتي حوت على العديد من خطب ومواظ أمير المؤمنين عليه السلام، والتي استقى منها الشريف الرضي مادته لجمع ذلك الكتاب، وسنحاول ان نسلط الضوء على عدد من تلك المصادر:

كتاب (الفرج بعد الشدة) للتتوخي (ت 384 هـ)، إذ ذكر قول الإمام عليه السلام:

(عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق الباء يكون الرخاء...)(1).

كتاب (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس (ت 395 هـ) وذكر قول الإمام عليه السلام:

(كنا إذا أحمر البأس إتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن أحدنا اقرب إلى العدو منه)(2).

كتاب (الجميل) للمفيد (ت 413 هـ)، وأخذ عنه الشريف الرضي خطبة الإمام عليه السلام:

(ويزعم أنه قد بايع بيده، ولم يبائع بقلبه...)(3)، وذكر في كتاب الإرشاد خطبة الإمام عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة:

(إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة...)(4).

ص: 138

1- التتوخي، الفرّج بعد الشدة، 1 / 44؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 575

2- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2 / 101؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 557

3- المفيد، الجميل، 175؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 217

4- المفيد، الإرشاد، 1 / 248؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 75

كتاب (حلية الأولياء في طبقات الأصفياء) لأبي نعيم الأصفهاني (ت 430 هـ)، إذ ذكر كلام الإمام عليه السلام:

(ألا وأن الدنيا قد تصرمت، وأذنت بوداع، وتنكر معروفها...)(1).

كتاب (دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم) للقضاعي (ت 454 هـ)، إذ ذكر قول الإمام عليه السلام:

(من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب)(2).

كتاب (السنن الكبرى) للبيهقي (ت 458 هـ)، وذكر قول الإمام عليه السلام:

(إذا بلغ النساء نصف الحقائق فالعصبة أولى)(3).

كتاب (الأمالي) للطوسي (ت 460 هـ)، وذكر قول الإمام عليه السلام:

(ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن...)(4) هذه بعض المصادر والأسانيد التي تدلل على أن الشريف الرضي هو من جمع نهج البلاغة المتضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لما عرف عنه من مكانة علمية كبيرة بين علماء عصره، وللرد على المغرضين الذين حاولوا النيل من المكانة الكبيرة التي حظي بها نهج البلاغة بين الأوساط العلمية على مدى القرون، وقد أوردنا بعض المصادر التي اعتمدها الشريف الرضي في جمعه لنهج البلاغة، وإن هدف الشريف الرضي من جمعه الكتاب، لا ليجعل منه مصدراً من مصادر الفقه أو مدركاً من مدارك الأحكام، بل ليخرج جانباً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام

ص: 139

1- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، 1 / 77؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 92

2- القضاعي، دستور معالم الحكم، 25؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 506

3- البيهقي، السنن الكبرى، 7 / 121؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 554

4- الطوسي، الأمالي، 146؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 584

الذي يتضمن: (جانباً من البلاغة والفصاحة وجواهر الكلام...)(1).

سادساً: شروح نهج البلاغة نظراً للأهمية التي يتمتع بها نهج البلاغة الذي حوى كلام أمير المؤمنين عليه السلام، والذي يتضمن مختلف العلوم، فقد عكف عليه العلماء والمؤرخون والأدباء، وعلقوا عليه وشرحوه بمختلف الشروح، وتفاوتت تلك الشروح من ناحية حجمها، ومنها ما شرح النهج كله، أو تضمن شرح بعض الخطب، أو اقتصر على جانب معين منه، ولكنها تصب في جانب واحد ألا وهو إظهار ما يحتويه نهج البلاغة من علوم مختلفة كما ذكرنا، وقد تجاوزت تلك الشروح العشرات على اختلافها، إذ ذكر الشيخ آغا بزرك الطهراني (50) شرحاً من شروحات نهج البلاغة(2)، وذكر الأميني (81) شرحاً(3)، بينما ذكر العاملي (210) شرحاً مختلفاً لنهج البلاغة(4)، فضلاً عما ذكرته بعض الدراسات بخصوص هذا الموضوع(5). وسنكتفي بالإشارة إلى أسماء مؤلفيها وعناوين تلك الشروح، وسنذكر عدداً منها خشية الإطالة:

ص: 140

-
- 1- الخطيب، عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، 1 / 26؛ سببتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 7
 - 2- الذريعة في تصانيف الشيعة، 14 / 113 - 161
 - 3- الغدير، 4 / 131 - 191
 - 4- شروح نهج البلاغة، 35 - 113
 - 5- الجلال، مسند نهج البلاغة، 202 - 207؛ الشيرازي، نفحات الولاية، 34 - 36؛ الزيدي، أهل البيت عليهم السلام مكانتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم في كتاب نهج البلاغة، 60 - 63

كتاب (أعلام نهج البلاغة) للمحقق علي بن ناصر السرخسي، ويتألف من جزئين، وذكر الخطب المختارة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام (1).

كتاب (حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة) لقطب الدين الكيذري البيهقي (من أعلام القرن السادس الهجري)، ويتكون من مجلدين، ويقوم الشارح بشرح الخطب بشكل مختصر (2).

كتاب (معارج نهج البلاغة) لعلي بن زيد البيهقي الأنصاري (ت 565 هـ)، ويتكون من جزئين ويقوم بشرح بعض الكلمات الصعبة (3).

كتاب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) للراوندي (ت 573 هـ)، ويتكون من ثلاثة أجزاء، وأسلوبه بالشرح يتضمن بيان بعض الكلمات لغوياً ثم يقوم بشرح الخطبة بشكل مختصر، بالإضافة إلى عدد من الشروح التي ذكرها الراوندي في شرحه (4).

كتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ)، ويتألف الكتاب من عشرين جزءاً، وطبع عدة طبعات، ويضم بين دفتيه معلومات تاريخية وأدبية، وهو شرح مطول لنهج البلاغة.

كتاب (شرح نهج البلاغة) للبحراني (ت 679 هـ)، ويتكون الكتاب من خمسة أجزاء، والبحراني من فلاسفة الإمامية، ورفد شرحه بالشواهد التاريخية.

كتاب (شرح النهج) للعلامة جمال الدين بن الحسن بن سديد الدين يوسف

ص: 141

1- السرخسي، أعلام نهج البلاغة

2- كيذري البيهقي، حدائق الحقائق

3- البيهقي، معارج نهج البلاغة

4- الراوندي، منهاج البراعة، 48 - 37 / 1

ابن المطهر (ت 726 هـ)، وهو شرح مختصر لشرح كمال الدين بن ميثم(1).

كتاب (شرح نهج البلاغة)، لشارح محقق (من أعلام القرن الثامن الهجري)، ويتلخص منهجه بذكر الخطبة، ثم بيان اللغة لبعض الكلمات، ثم الإعراب وبعد ذلك يأتي على بيان معنى الخطبة(2).

كتاب (نهج البلاغة) لمحمد عبده (ت 1323 هـ)، من علماء الأزهر، ويتكون من أربعة أجزاء، ذكر فيها الخطب، مع بيان بعض المفردات.

كتاب (منهاج البراعة) لحبيب الله الخوئي (ت 1324 هـ)، ويتكون من واحد وعشرين جزءاً، يتلخص منهجه ببيان اللغة، ثم الخطبة(3).

كتاب (في ظلال نهج البلاغة) لمحمد جواد مغنية (ت 1400 هـ)، ويتكون شرحه من أربعة أجزاء، يقوم الشارح ببيان المعنى اللغوي للفقرة ثم إعراب الكلمات ثم بيان معنى الخطبة.

كتاب (شرح نهج البلاغة) لعلي انصاريان (1408 هـ)، وقسم الشارح كتابه إلى فصول، وجعل لكل فصل عنواناً مستقلاً مع الشرح(4).

كتاب (بهبج الصباغة في شرح نهج البلاغة) لمحمد تقي التستري (ت 1415 هـ)، ويتألف من أربعة عشر جزءاً، شرح الخطب بدون تسلسل، وبدأ شرحه لغوياً ثم ينطلق منه إلى وقائع تاريخية وأدبية معززة بأنواع الشواهد

ص: 142

1- أغا بزرك الطهراني، الذريعة في تصانيف الشيعة، 14 / 124

2- شارح محقق (من أعلام القرن الثامن)، شرح نهج البلاغة

3- الخوئي، منهاج البراعة

4- انصاريان، علي، نهج البلاغة

كتاب (نهج البلاغة) لصبحي الصالح، وشرحه مشابه لشرح محمد عبده، وهو جزء واحد.

كتاب (شرح نهج البلاغة) لمحمد مهدي الحسيني الشيرازي، ومنهجه في الشرح هو توضيح الكلمات على شكل هوامش، ويتكون من اربعة أجزاء في مجلد واحد(2).

كتاب (نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة) لناصر مكارم الشيرازي، ويقوم الشارح بإعطاء نبذة مختصرة عن مناسبة الخطبة ووقتها، ثم يقوم بتقسيم الخطبة إلى فقرات(3).

ص: 143

1- التستري، بهج الصباغة

2- الشيرازي، محمد الحسيني، نهج البلاغة

3- الشيرازي، مكارم، نفحات الولاية

المبحث الأول: مكانة بني أمية في نهج البلاغة

المبحث الثاني: موقف بني أمية من الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الثالث: أساليب بني أمية للوصول إلى السلطة في نهج البلاغة في نهج البلاغة

ص: 145

المفاخرة بنسب الإمام ومكانة بني أمية اتضححت مكانة بني أمية وصورتهم الحقيقية من خلال ما تم عرضه لبعض آيات القرآن الكريم ووصفهم بالشجرة الملعونة، إذ نزلت بعض الآيات التي بينت الصورة الحقيقية لمكانتهم وقيمتهم الدينية والاجتماعية، في حين جاءت الأحاديث المروية عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتؤكد ذلك وتستشرف ما ستلقى الأمة منهم.

ولم تكن نظرة الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة تختلف عما نطق به القرآن الكريم والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ بينت رسائل وكتب الإمام عليه السلام المتبادلة بينه وبين معاوية تلك المكانة التي عليها بنو أمية، مقارنة بمكانة أهل البيت عليهم السلام، عند الله تعالى، ونبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك المكانة النسبية والاجتماعية له عليه اسلام وآبائه(1)،

ص: 147

1- للمزيد من التفاصيل، ينظر، الزيدي، أهل البيت عليه السلام مكانتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم من خلال كتاب نهج البلاغة، 126

وسنشير إلى تلك المكانة من خلال ما بينه أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

إذ ورد قول الإمام علي عليه السلام: في هذا الصدد مخاطباً معاوية بقوله:

(وأما قولك إنا بنوعبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب)(1)، ويبيّن ابن أبي الحديد في شرحه ان الترتيب يقتضي أن يجعل هاشماً بإزاء عبد شمس لأنهما متقاربان من ناحية الآباء من الجد الأكبر وكلاهما ولد عبد مناف(2) لصلبه، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب، وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب، وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام، لأن كل واحد من هؤلاء مقابل صاحبه، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صفين اضطر إلى أن يجعل هاشماً بإزاء أمية بن عبد شمس(3)، بينما ذكر البحراني ان معاوية اراد ان يخبر الإمام عليه السلام عن مساواته بالشرف والفضيلة باعتبارهم من بيت واحد، وكل قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر، فأجابه الإمام عليه السلام من عدة وجوه، منها شرفه من جهة الآباء المتفرعين عن عبد مناف، وذلك ان سلك آباءه عليه السلام أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أو سلك آباء معاوية أبو سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف، والظاهر أن كل واحد من أولئك الثلاثة أشرف ممن هو

ص: 148

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

2- عبد مناف، وهو بطن من بطون قريش وهم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب، ومنهم بنو عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل، وكان بنو هاشم وبنو عبد شمس متقاسمين رياسة بني عبد مناف، والبقية أحلاف لهم، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 342

3- شرح نهج البلاغة، 15 / 90

في درجته من آباء معاوية(1).

وبينت الروايات التاريخية مدى مكانة آباء أمير المؤمنين عليه السلام مقارنة بمكانة آباء معاوية واجداده، إذ روي أن هاشمًا واسمه عمر وكان صاحب إيلاف قريش، وأصاب قريش سنوات ذهبن بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز فخبز له، فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده، ونحر الإبل ثم أمر الطهارة فطبخوا، ثم كفا القدور على الجفان، فأشبع أهل مكة، فكان هاشم أول من انتداهم من الجوع الذي أصابهم، فسمي لذلك هاشمًا، فحسده أمية بن عبد شمس على ذلك وحدثت المنافرة بينهما التي تم ذكرها(2)، وقال عبد الله بن الزبير(3) في ذلك:

عمر والعلاهشم الثريد لقومه *** ورجال مكة مستنون عجاف(4) وتدلل الرواية المتقدمة على مدى مكانة بني هاشم بالنسبة لمكانة بني أمية بين قريش وبين القبائل العربية.

أما مكانة أبي طالب فروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال:

(لما توفي أبو طالب رضوان الله تعالى عليه، نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 149

1- شرح نهج البلاغة، 4 / 344؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 425

2- ينظر، الفصل الأول، الصفحة، 31

3- عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي، الشاعر. كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أصحابه بنفسه ولسانه، وكان من أشعر قريش في الجاهلية، أسلم يوم الفتح، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 403؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 4 / 76

4- ديوان عبد الله بن الزبير، 53

وأخبره بالخروج عن مكة فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل يسمى الحجون(1)، فصار إليه(2)، وتبين هذه الرواية على مدى المكانة والشأن الذي كان يتمتع به أبو طالب، حتى أن قريشاً لم تكن تتجرأ على إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما مات أخذ المشركون من قريش يؤذونه، وكما جاء في الرواية بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب)(3).

أما فيما يخص الرواية التي بينت لنا مكانة معاوية بين قومه إذ جاء أنه: (لما كتب معاوية إلى زياد بن أبيه(4) عندما كان على فارس بعد أمير المؤمنين عليه السلام وهدده وعيره، أجابه زياد قائلاً: أما تعبيرك لي بسمية، فأنت ابن جماعة(5)، وعلى ما يبدو ان رد زياد على معاوية بقوله ابن جماعة لما كان شائعاً بأن معاوية كان

ص: 150

-
- 1- الحجون، وهو جبل بمكة عند مدافن أهلها، وقيل هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 / 225
 - 2- الكليني، الكافي، 1 / 449؛ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، 174؛ المجلسي، بحار الأنوار، 35 / 137
 - 3- ابن هشام، السيرة النبوية، 2 / 283؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 66 / 339؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1 / 606؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1 / 172
 - 4- زياد ابن أبيه ويقال ابن أمه، وزياد ابن سمية جارية الحارث بن كلدة، واختلف في وقت مولده، فقيل ولد في عام الهجرة، وقيل ولد يوم بدر، ويكنى ابا المغيرة، ليست له صحبة ولا رواية، كان داهية خطيباً، استعمله عمر بن الخطاب على صدقات البصرة، واستعمله الإمام علي عليه السلام على بعض أعماله، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 254؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3 / 494
 - 5- الثقفى، الغارات، 928؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 142؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، 1 / 572

ينسب إلى أربعة كما جاء في الرواية(1).

وفي سياق آخر من سياقات التفاضل الذي يتعدى المآثر الشخصية والنسبية إلى المآثر المعنوية لا سيما تلك التي ترتبط بالأفضلية الدينية والنسبية، يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المعنى مخاطباً معاوية بن أبي سفيان بقوله: (ولا- المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق)(2)، وذهب محمد عبده إلى ان المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام هذا: (هو ان المهاجر الذي آمن من المخافة وهاجر تخلصاً منها)(3)، في حين ذكر ابن أبي الحديد: (ان معاوية من الطلقاء، لأن كل من دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنوة بالسيف فملكه ثم منّ عليه عن إسلام أو غير إسلام فهو من الطلقاء، وممن لم يسلموا كصفوان بن أمية، وممن أسلم كمعاوية ابن أبي سفيان، وكذلك كل من أسر في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم امتن عليه بفداء أو غير فداء فهو طليق، وممن امتن عليه بفداء كسهيل بن عمرو)(4)، ويرى البحراني (أن شرف أمير المؤمنين عليه السلام جاء من خلال هجرته مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أما معاوية فكونه من الطلقاء، وكذلك أفضلية الإمام علي عليه السلام من حيث حسن إسلامه والنية الصادقة على العكس من معاوية وكيف كان إسلامه)(5)، وربما

ص: 151

1- الزمخشري، ربيع الأبرار، 4 / 276؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 106

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 375

4- سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر، يكنى ابا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية، أسر يوم بدر كافراً وكان خطيب قريش وتم فداؤه، وهو الذي جاء في الصلح يوم الحديبية، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 119؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 315

5- شرح نهج البلاغة، 4 / 345

المقصود بالهجرة كذلك الهجرة إلى الله وهو في مكة لأنه عليه السلام شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى كما جاء ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» (1)، إذ بين بعض المفسرين إنها نزلت في حق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (2)، ولذلك أراد الإمام ان يبين لمعاوية المكانة التي عليها بعض المهاجرين الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه و آله وسلم لأنهم اعتقدوا بالإسلام إعتقاداً صادقاً لا إسلام بدون إعتقاد بمبادئه، وإنك أسلمت خوفاً على حياتك.

وروي ان عمرو بن العاص سأل معاوية حاجة فتباطأ معاوية في قضائها له، فغضب عمرو بن العاص فقال لمعاوية: (إعرف حقنا ولا تنكر فضلنا، فرد عليه عمرو: فكرت في أصغر بذلي عندك فوجدته يعلو الأيدي التي ذكرتها، فقال معاوية كيف ذلك؟ قال: لأنني طمست لك الشمس بالطين نهاراً، والقمر بالعهن المنفوش ليلاً، وأبطلت حقاً وحققت باطلاً حتى سحرت أعين الناظرين، وأذان السامعين في إخفاء أودك وإطفاء نور غيرك، فهل رأيت حقاً أحق من علي الهمام الهزير الضرغام الليث المقدم، السيد الإمام، والبدر التمام، قرابة وشجاعة ونسباً وحسباً وفضلاً وصلاة، وآثاراً حسنة في الإسلام، وهل رأيت باطلاً أبطل منك أولاً وآخرأً، اللعين ابن اللعين، والطلق ابن الطليق، وثن ابن وثن، متردداً في الطلقاء ومن أبناء الطلقاء، جميع الآثار القبيحة لك ولأبيك ولسلفك في الإسلام) (3).

ص: 152

1- سورة البقرة، آية، 207

2- العياشي، تفسير العياشي، 1 / 101؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 2 / 125 الطوسي، التبيان، 2 / 183

3- القمي، العقد النضيد، 124

وفي السياق ذاته صرح أمير المؤمنين عليه السلام بشأن مسألة النسب بقوله:

(ولا الصريح كاللصيق) وجاء في صدد ذلك قول ابن أبي الحديد قوله: أن الإمام عليه السلام أراد بذلك الصريح بالإسلام واللصيق بالإسلام، فالصريح هو من أسلم إعتقاداً وإخلاصاً، واللصيق من أسلم تحت السيف أو رغبة في الدنيا، وقد صرح بذلك وقال عليه السلام:

(كنتم ممن دخل في هذا الدين رغبة أو رهبة)⁽¹⁾، ويبدو ان ابن أبي الحديد قد اعتمد في شرحه على قول الإمام عليه السلام هذا، بينما يرى البحراني غير ذلك، إذ أشار إلى ذلك بتعليقه أن الإمام عليه السلام أراد بذلك صراحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعياً⁽²⁾، واللصيق بغير أبيه⁽³⁾.

ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه البحراني وبعض الشراح⁽⁴⁾ في بيان المراد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، (ولا الصريح كاللصيق) في ذلك، ولعل مما يحملنا على ذلك ويعزز ما نذهب إليه هو ما أوردناه من روايات بشأن نسب معاوية بصورة خاصة وبني أمية بصورة عامة⁽⁵⁾، وإذا رجعنا إلى كلمة اللصيق التي خاطب بها الإمام عليه السلام معاوية نجدها عند علماء اللغة تعني، الرجل المقيم في الحي وليس

ص: 153

1- شرح نهج البلاغة، 15 / 90

2- شرح نهج البلاغة، 4 / 345؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 375

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 426

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 375؛ التستري، بهج الصباغة، 10 / 255

5- ينظر، الفصل الاول، 10 - 18

منهم، كما في قول حاطب(1): (اني كنت أمراً ملصقاً بقريش)(2)، وقد أشار أحد الباحثين كما بينا سابقاً إلى ذلك الأمر للرد على ابن أبي الحديد بشأن مسألة النسب بقوله: لو أن الإمام عليه السلام أراد من كلمة اللصيق من أسلم تحت السيف لاكتفى بالعبارة السابقة من النص نفسه (ولا المهاجر كالطليق)، والمعروف ان الطلقاء هم ممن أسلموا بعد الفتح بالسيف وليس اعتقاداً خالصاً(3)، وعليه ان ما ذكرناه من روايات تناقض رأي ابن أبي الحديد الذي طرحه بشأن نسبهم.

ومما جاء في هذا الصدد ما أورده ابن أبي الحديد لبعض الأبيات الشعرية التي أنشدها أبو طالب والتي تعني باستعباد عبد المطلب لأمية بن عبد شمس عندما تظاهرت قريش عليه وعلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، جاء فيها:

توالى علينا موليانا كلاهما *** إذ سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا *** هما نبذانا مثل ما تنبذ الخمر هما أغمضنا للقوم في أخويها *** فقد أصبحت أيديهما وهما صفر(4) وكذلك روي ان عثمان بن عفان قال أريد رجلاً أدرك الملوكة، فذكر له رجل من اليمن، فسأله: هل رأيت عبد المطلب بن هاشم؟ فأجابه: (نعم رأيت رجلاً

ص: 154

1- حاطب بن أبي بلتعة، ويكنى أبا محمد من لخم حلفاء الزبير بن العوام، وهو أحد بني راشد ابن أرب الذي كان اسمهم خالفمة ولما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سماهم راشد، وشهد حاطب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدرأ وأحداً والمشاهد كلها، وبعثه الى المقوقس حاكم الإسكندرية، وتوفي سنة (30 هـ) في المدينة، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 106 / 3

2- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 4 / 249؛ ابن منظور، لسان العرب، 10 / 330

3- عجمي، أحمد فاضل، العرب قبل الإسلام، 242

4- شرح نهج البلاغة، 15 / 176

قعداً أبيض طويلاً مقرون الحاجبين، بين عينيه غرة يقال إن فيها بركة، وإن فيه بركة، قال: أفرأيت أمية بن عبد شمس؟ قال: نعم رأيت رجلاً آدم دميماً قصيراً أعمى يقال أنه نكد، وإن فيه نكداً، فقال عثمان: يكفيك من شر سماعه، وأمر بإخراج الرجل(1)، فعثمان لم يشأ أن يسمع من الرجل أكثر من الذي سمعه عن أمية لأن كلمة النكد تعني اللؤم والشؤم، وكل شيء جر على صاحبه شراً(2).

أما قوله عليه السلام:

(ولا المحق كالمبطل)(3)، أي أن أمير المؤمنين عليه السلام محقّ فيما يقوله ويعتقده، ورواية خصمه من كونه مبطلاً، وهذان الإعتباران أقرب لكونهما من الكمالات والردائل الذاتية(4)، وروي أن سودة بنت عمارة(5) قدمت على معاوية تشتكي إليه من سوء أحوال عامله بسر بن أرطاة(6)، الذي قتل الرجال ونهب

ص: 155

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 176

2- الفراهيدي، العين، 5 / 331

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 345

5- سودة بنت عمارة بنت الأشتر الهمدانية، شاعرة من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان، وهيالقائلة لأخيها: وانصر علياً والحسين ورهطه ***واقصد لهند وابنها بهوان ينظر، ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 344

6- بسر بن أبي أرطاة، واسمه عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس، ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسمع شيئاً منه و نزل في الشام وأصبح أحد قادة معاوية المخلصين، أرسله إلى المدينة ومكة واليمن، وقتل كل من كان على طاعة الإمام علي عليه السلام، ومضى إلى اليمن وقتل ابني عبيد الله بن العباس الذي كان والياً على اليمن وهما عبد الرحمن وقثم وسبى النساء، وتوفي سنة (86 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 539؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 88

الأموال، وطلبت منه عزله، وفي حالة رفضه فإنهم يكفرونه، فغضب معاوية لقولها وأراد حملها إلى بسر ليقتلها، فأنشدت قائلة:

صلى الإله على روح تضمنها قبر *** فأصبح فيه العدل مدفونا قد حالف الحق لا يبغى به بدلا *** فصار بالحق والإيمان مقرونا فسألها من هذا فقالت له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فشكوت إليه رجلا كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا، فقال:

(اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك وكتب كتاباً جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم...

«قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْدَّ بَيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْرَ آحَاثِهَا ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (1)، فأخذت سودة بنت عمارة الكتاب وسلمته إياه وانصرف معزولاً (2).

يتضح من الرواية ان أمير المؤمنين عليه السلام محق، وكيف لا والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه:

(علي مع الحق والحق مع علي) (3)، بينما نجد معاوية يأمرهم بقتل الناس وسلبهم أموالهم وهذا يعبر عن منتهى الإنحراف والباطل، فكيف يساوي معاوية نفسه مع أمير المؤمنين عليه السلام.

أما قوله عليه السلام:

ص: 156

1- سورة الأعراف، آية، 85

2- ابن أعثم الكوفي، الفتوح. 3 / 60؛ الأربلي، كشف الغمة، 1 / 172

3- الإسكافي، المعيار والموازنة، 35؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 42 / 449

(ولا المؤمن كالمدغل)⁽¹⁾، فقد ذهب البحراني في شرحه إلى أنه عليه السلام مؤمن، والمؤمن الحق مستكمل للكمالات الدينية والنفسانية، وإلى خسة خصمه من جهة كونه مدغلاً أي خبيث الباطن مشتملاً على النفاق والرذائل الموبقة، وبدأ بذكر الكمالات والرذائل الخارجية، لأنها مسلمة عند الخصم وأظهر له وللخلق من الأمور الداخلية⁽²⁾، وهو مصداق قوله تعالى:

«أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»⁽³⁾، إذ قال عدد من المفسرين أن المؤمن الحق هو علي بن أبي طالب⁽⁴⁾.

وفي موضع آخر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى قضية الشك في الدين بقوله:

(وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه)⁽⁵⁾، أراد الإمام عليه السلام ان يبين لمعاوية أن من استكمل دينه وتيقن منه وأبعد نفسه عن الريبة والشك في ذلك لا ضير في ان يكون مظلوماً طالما استكمل كل الفضائل التي تخص ذلك، وقد اجتمع معاوية وأعوانه على ظلم الإمام عليه السلام⁽⁶⁾.

ص: 157

1- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، 3 / 404

2- شرح نهج البلاغة، 4 / 345

3- سورة السجدة، آية 18

4- الطبري، جامع البيان، 21 / 129؛ القمي، تفسير القمي، 2 / 170؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 14 / 105

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 417

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 391

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن القوم الذين يقاتلونهم ماذا نسميهم وهم ونحن على دين واحد فأجابه قائلاً: بما سماهم الله تعالى في كتابه:

«وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» (1) فأجابه الإمام عليه السلام عندما وقع الإختلاف بيننا فنحن أولى بكتاب الله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبالحق، فنحن آمننا وهم كفروا، وعلى هذا شاء الله تعالى قتالهم (2).

وفي موضع آخر جاء عنه عليه السلام أنه قال:

(ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم) (3)، إذ طرح ابن أبي الحديد تساؤلاً وأجاب عليه، هل أن على المسلم ان يعاب لأن سلفه كفار، نعم إذا اتبع آثار سلفه واحتذى حذوهم، وأمير المؤمنين عليه السلام ما عاب معاوية بأن سلفه كفار فقط، بل لكونه متبعاً لهم (4)، وأراد الإمام عليه السلام ان يبين لمعاوية إنك تفتخر بأبائك وأجدادك وهو وقود النار (5).

وفي هذا المعنى جاء بيان ذلك من خلال كلام موجه إلى معاوية من قبل الإمام الحسن عليه السلام، إذ جاء فيه لما بويع معاوية خطب فذكر علياً عليه السلام فنال منه، ونال من الإمام الحسن عليه السلام، فرد عليه بقوله:

(أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي

ص: 158

1- سورة البقرة، آية 253

2- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 322

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 404

4- شرح نهج البلاغة، 15 / 91؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 346

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 426

فاطمة وأمك هند، وجددي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أئمتنا ذكراً، والأئمة حسباً وشرناً قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقال طوائف من أهل المسجد آمين(1)، يتبين من الرواية ان الإمام الحسن عليه السلام قد أوضح لمعاوية مكانة آبائه وفضلهم على الناس مقارنة بآبائه الذين عرفوا بالكفر، وهذا من باب تذكير لمعاوية وهو يتجرأ على أمير المؤمنين عليه السلام وينال منه، وخصوصاً ان معاوية قد أسس لسياسة سب الإمام علي عليه السلام على منابر المسلمين(2).

وأشار الإمام علي عليه السلام إلى ما جعله الله لهم من فضل النبوة والمكانة التي خصهم بها الله تعالى قياساً بالآخرين بقوله عليه السلام:

(وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللتنا بها العزيز، ونعشنا بها الدليل، ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة، وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سيلاً(3)، إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه أن مراد الإمام عليه السلام بقوله لمعاوية في حال تساوي أسلافنا في المآثر، فنحن في أيدينا الفضل عليكم بالنبوة التي أنعشنا بها الخامل، وأئمتنا بها النبوة(4) بينما ذكر البحراني ان هذا الفضل الذي حصل في

ص: 159

1- المفيد، الإرشاد، 2 / 15؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 3 / 198؛ الأربلي، كشف الغمة، 2 / 164

2- الجابري، السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام، 67

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 404

4- شرح نهج البلاغة، 15 / 91

هذا البطن من هاشم هو سبب إذلالهم الأعداء، وإنعاشهم وتقويتهم الأذلاء، وإسترقاقهم الأحرار، وذلك فضل عريت عنه بنو أمية(1)، وعلى الرغم مما ذهب إليه البحراني في إبراز تلك المكانة غير إننا نعتقد أن أهل البيت عليهم السلام بعيدون كل البعد عن مسألة الإذلال والإسترقاق، وإنما توجههم منصب نحو إصلاح الناس ورفع الفقراء والمستضعفين وأخذ حقهم من الأقوياء والطغاة.

ومن ثم بين أمير المؤمنين عليه السلام مكانة الداخلين في الإسلام عن طريق الرغبة أو الرهبة، مسلطاً الضوء على كيفية إسلام معاوية الذي أكرهه هو وأبوه وأمه وإخوته على ذلك، وعلى الرغم من ذلك فإن الشيطان قد استحوذ عليه بعد أن منّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم من الطلقاء، إذ خاطب الإمام عليه السلام معاوية موضحاً له ان الله تعالى أدخل الناس في دينه أفواجاً، كما في قوله تعالى:

«إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا»(2)، ودخول بني أمية للإسلام لم يكن لله بل إما رغبة أو رهبة(3) وكنتم يامعاوية ألد أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطلقتكم حوله الشائعات والدعايات وجمعتم لحربه الجيوش، لا لشيء إلا لكونه مع الضعيف ضد القوي، ومع الفقير ضد الغني، ولما أنتشر الإسلام في الجزيرة العربية، وخاب منكم الأمل، إستسلمتم للقوة وقتلتم عسى أن يكون الإسلام تجارة رابحة في الدنيا(4).

ان أهم ما يثبت كلام الإمام عليه السلام هو الكيفية التي تقبل من خلالها الأمويون

ص: 160

1- شرح نهج البلاغة، 4 / 346

2- سورة النصر، آية 1 - 2

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 346

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 427

الإسلام، فهي لا تعدو ان تكون إلا إسلام غير المقتنع، فالروايات تصور لنا ذلك جلياً، إذ أن طبيعة إسلام أبي سفيان حددتها الرواية التي تقول أنه قد أدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقر بأن لا إله إلا الله ثم توقف عن الاعتراف بالنبوة للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

(أما هذه ففي النفس فيها شيء، ولم يعترف بها إلا بعد أن هدد بالقتل)⁽¹⁾، الأمر الذي يقودنا إلى الإستدلال على طبيعة دخول بني أمية بصورة عامة، وأبي سفيان بصورة خاصة بالإسلام، وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما دخل إلى مكة قال لقريش:

(ما تقولون، قالوا نقول: ابن أخ وابن عم رحيم كريم، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فخرجوا فبايعوه على الإسلام)⁽²⁾، وهي طبيعة أكد عليها القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»⁽³⁾.

ومن نافلة القول أن أمير المؤمنين عليه السلام وضع في خطبة له موقف بني أمية من الدين الإسلامي ومخالفة تعاليمه لغرض إشباع رغباتهم إذ جاء في هذا الصدد قوله عليه السلام:

ص: 161

-
- 1- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 9؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 1 / 377؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 54
 - 2- يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 1 / 379؛ النسائي، السنن الكبرى، 6 / 383؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 16 / 231؛ الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، 2 / 178
 - 3- سورة الأنبياء، آية 107

(فإن منهم الذي قد شرب الحرام وجلد حداً في الإسلام)(1)، إذ أشار الراوندي ان أمير المؤمنين عليه السلام عني بالمغيرة بن شعبة(2)، لما شرب الخمر في عهد عمر وكان والياً من قبله، فصلى بالناس وهو سكران وزاد في عدد الركعات وقاء الخمر فشهدوا عليه وجلد حداً(3)، وأيده البحراني وأضاف شخصاً آخر هو عتبة بن أبي سفيان جلد حداً لشربه الخمر(4)، بينما يرى ابن أبي الحديد أن الإمام عليه السلام عني بشارب الخمر هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان أشد الناس وأبلغهم تحريضاً لمعاوية وأهل الشام على حرب أمير المؤمنين عليه السلام(5).

وأبدى ابن ابي الحديد رأيه عن ان المغيرة بن شعبة إتهم بالزنا، وهذا ما تؤكد بعض المصادر التي ذكرت قصة قيام المغيرة بن شعبة بالزنا(6)، ولم يجر له ذكر في شرب الخمر، وأيضاً ان المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية ولا مع

ص: 162

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 485

2- المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب الثقفي، يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عيسى، أسلم عام الخندق، وقدم مهاجراً وهو من دهاة العرب وهو أعور أصيب بيوم اليرموك، تولى ولاية الكوفة وعزله عمر وولاه البصرة، وأقره عثمان فيها، واعتزل صفين فلما كان الحكمان لحق بمعاوية، وتوفي بالكوفة سنة (50 هـ)، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 665؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 6 / 156

3- منهاج البراعة، 3 / 226

4- شرح نهج البلاغة، 5 / 191

5- شرح نهج البلاغة، 17 / 172

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 69؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 60 / 38؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 6 / 365؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 49

الإمام علي عليه السلام(1)، ونحن نرجح رأي ابن أبي الحديد، ولا ندرى ما السبب الذي حمل بعض الشراح على الإشتباه فيمن عنى الإمام عليه السلام، وسنثبت أن المراد هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي جلد حداً، ولا ننسى أن المغيرة ليس من بني أمية، والخطاب موجه إلى بني أمية، وكان الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان لأمه قد ولاه الكوفة، وكان سكيراً شرب الخمر، وصلى بالناس جماعة صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران(2).

ومن الجدير بالذكر ان الوليد بن عقبة بن أبي معيط قد نزلت فيه آية قرآنية بينت فسقه، إذ جاء في ذلك قوله تعالى:

«أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»(3)، والمقصود كما بينه بعض المفسرين هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط(4)، وورد أن الإمام علياً عليه السلام مر على جماعة من أهل صفين فيهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهم يشتمونه، فأخبروه بذلك، فوقف في ناس من أصحابه وقال:

(إنهدوا إليهم وعليكم السكينة والوقار وسيماء الصالحين، ووقار الإسلام، والله لأقرب قوم من الجهل بالله عز وجل قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة

ص: 163

1- شرح نهج البلاغة، 17 / 172

2- النسائي، السنن الكبرى، 3 / 248؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 119؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 752

3- سورة السجدة، آية 18

4- القمي، تفسير القمي، 2 / 170؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 7 / 333؛ السمعاني، تفسير السمعاني، 4 / 251

يعني عمرو بن العاص، وأبو الأعور السلمي(1)، وابن أبي معيط شارب الخمر والمجلود حداً في الإسلام، وها هم يقصبوني ويشتموني، وقبل اليوم ما قاتلوني وما شتموني...)(2).

ويسوق أمير المؤمنين عليه السلام سبباً آخر كان مدعاة لدخول بني أمية للإسلام، وهو سبب الطمع وحب المال إذ عُدَّ من الأسباب الرئيسية في دخولهم له، وعبّر عن ذلك بقوله عليه السلام:

(وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضاخ)(3)، وفيهذا الصدد وضح ابن أبي الحديد ما أراد أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه أعلاه، إذ أشار إلى ان الذين رضخت له على الإسلام الرضاخ(4)، هو معاوية وذلك لأنه من المؤلفلة قلوبهم الذين رغبوا في الإسلام والطاعة مقابل جالٍ دفعت إليهم وهم قوم معروفون كمعاوية وأخوه يزيد بن أبي سفيان(5)، وأبيهما أبي سفيان

ص: 164

1- أبو الأعور السلمي، هو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد، واختلف في صحبته، وقد أدرك الجاهلية، وحديثه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما أخاف على أمتي شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإماماً ضالاً)، وكان من أصحاب معاوية وعليه مدار الحرب بصفين، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 46 / 51

2- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 391؛ الإسكافي، المعيار والموازنة، 152؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 45

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 485

4- الرضيخة، هي شيء قليل يعطاه الإنسان يصانع به شيئاً آخر يطلب منه كالأجر، ينظر، الجوهري، الصحاح 1 / 421

5- يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أسلم يوم فتح مكة، وشهد مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيناً واعطاه من غنائم حنين مائة ناقه من الإبل واربعين أوقية، وشارك في فتوح الشام في زمن أبي بكر، وولاه عمر بن الخطاب على ولاية الشام، ومات في طاعون عمواس سنة (18 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 9 / 409؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1 / 328

وغيرهم، وكان إسلام هؤلاء للطمع والأغراض الدنيوية، ولم يكن عن أصل ولا عن يقين وعلم وكلهم أسلموا بعد الفتح(1).

وأعطى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد غزوة حنين(2) التي ورد ذكرها في القرآن بقوله تعالى:

«وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كُفِّرَتْكُمْ»(3)، إلى المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألف به قلوبهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى معاوية مائة بعير وأعطى حكيم بن حزام(4)، مائة بعير وأعطى دون المائة رجلاً من قريش(5).

ص: 165

1- شرح نهج البلاغة، 17 / 172؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 152

2- حنين، هو وادٍ يقع بين مدينة الطائف ومكة بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وعنده وقعت الغزوة بين المسلمين وبين قبيلتي هوازن وثقيف بقيادة مالك بن عوف النصري من قبيلة هوازن، في السنة الثامنة للهجرة، ينظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 70؛ ابن الأثير،

الكامل في التاريخ، 2 / 135

3- سورة التوبة، آية 25

4- حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد، وابن عم الزبير بن العوام، وهو من مسلمة يوم الفتح وكان من أشراف قريش ووجهها في الجاهلية والإسلام، ومن المؤلفة قلوبهم، وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف ذلك، عاش مائة وعشرين سنة، وتوفي سنة (54 هـ)، وقيل (58 هـ)، ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، 2 / 58؛ الذهبي،

سير أعلام النبلاء، 3 / 44

5- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 383؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 90

ومما لا شك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد بذلك إستمالة قلوب هؤلاء القوم من خلال إعطائه الرضائخ والعطايا، وان الهدف من ذلك هو لاستمالتهم وتحبيب الإسلام إلى نفوسهم لما للمال من أثر في كسب ود النفوس، وهذا الأمر بالمجمل يؤكد لنا أن إسلام العديد من أفراد البيت الأموي كانت وراءه أسباب مادية، ولم يكن إعتقاداً حقيقياً برسالة السماء.

محاولة معاوية وبني أمية خلق نظراء للإمام علي عليه السلام في المكانة الدينية، إذ حاول معاوية بن أبي سفيان إيجاد وخلق نظراء للإمام علي عليه السلام من خلال قيامه بإخبار الإمام عليه السلام بأشياء لا تعنيه بشيء سنذكرها في كتابه لأمر المؤمنين عليه السلام، لأن مكانته التي هو عليها لا تؤهله للتحدث معه، وأخذ يحاوره بتلك الأشياء وكأن الإمام عليه السلام لا يعلم منها شيئاً، ويمكن إيجاز ذلك الكتاب بعدة نقاط جاء فيها:

قوله للإمام علي عليه السلام بأن الله تعالى قد اختار النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغ رسالته للناس.

إدعائه بقيام بعض المسلمين بمؤازرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل أبي بكر، وعمر بن الخطاب الذي فتح الفتوح ومصر الأمصار وأذل رقاب المشركين، ثم عثمان الذي نشر الملة.

إتهامه للإمام عليه السلام بالتحريض على عثمان، وعدم نصرته بعد ان طلب منه ذلك.

قوله للإمام بأنك حسدت أبي بكر وتخليت عن بيعته، وكرهت خلافة عمر وحسدته وفرحت بقتله، وحسدت ابن عمك عثمان ونشرت مقابحه، وطعنت في دينه وأغرقت فيه السفهاء.

مطالبته للإمام عليه السلام بتسليم قتلة عثمان، وإعادة أمر الخلافة شورى للمسلمين.

تهديده للإمام عليه السلام بالسيف، والمطالبة بدم عثمان(1).

وردّ عليه الإمام عليه السلام بقوله:

(أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه إصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لدينه، وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً)(2). وعلق بن أبي الحديد على ذلك بقوله: وموضع التعجب هنا أن معاوية يخبر الإمام علياً عليه السلام باصطفاء الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وتشريفه وتأييده، (وهذا ظريف لأنه يجري كإخبار زيد عمرا عن حال عمرو)، أي يسأل الإمام عن نفسه، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام كالشيء الواحد(3)، وهذا الموقف يثير التعجب والإستغراب من تصرف معاوية بن أبي سفيان بشأن اخباره عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ألا يعلم مكانة أمير المؤمنين عليه السلام عنده؟ وقد صرح القرآن بذلك بقوله تعالى:

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»(4)، وجاء في الحديث الرسول الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(علي مني وأنا منه)(5)، حتى يخبره بشأن إصطفاء الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي موضع آخر بين الإمام عليه السلام لمعاوية بقوله:

(إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك

ص: 167

1- شرح نهج البلاغة، 15 / 140 - 141

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 414

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 142

4- سورة آل عمران، 61

5- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 320؛ القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1 / 19

كنقل التمر إلى هجر، أو داعي مسدده إلى النضال(1)، وما أورده أمير المؤمنين عليه السلام في مقاله هذه هو مثل قديم، إذ ان هجر(2) اسم مدينة، وأصل هذا المثل (كمستبضع تمراً إلى هجر)، وأصل المثل ان رجلاً قدم إلى البصرة بمال يشتري شيئاً للربح فلم يجد أكسد من التمر، فاشترى بماله تمراً وحمله إلى هجر وادخره في البيوت ينتظر به السعر، فلم يزد إلا رخصاً حتى فسد جميعه فتلف ماله فضرب مثلاً لمن يحمل الشيء إلى معدنه الذي هو أولى منه كحامل التمر إلى معدنه(3).

وهذا المعنى ينطبق تماماً على معاوية إذ يحاول اخبار الإمام عليه السلام بنعمة الله تعالى عليهم، إذ اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ومن هذا البيت بالذات خلاف بقية البيوت والقبائل الموجودة في ذلك الوقت، ومعنى (داعي مسدده إلى النضال)، أي معلمه الرمي(4) إشارة إلى قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم *** فلما اشتد ساعده رمانى(5) وهنا تشبيه إلى من هو أولى به منه كما يدعو الإنسان مسدده وأستاذه في الرماية إلى المراماة، ومسدده أولى بأن يدعو إلى ذلك(6)، والأجدر بمعاوية ان

ص: 168

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 414

2- هجر، وهي إحدى مدن البحرين وهي كثيرة النخيل، وبينها وبين مدينة البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل، وفتحت أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر، ابن الفقيه الهمداني، البلدان، 89؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 / 393

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 384؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 466

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 142

5- المزني، ديوان معن بن أوس، 72

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 384

يتعلم من أمير المؤمنين عليه السلام لا أن يخبره بهذه الأمور التي هو أعرف وأعلم بها منه لقربه منها، وابتعاد معاوية عن الحقيقة.

ثم أخذ معاوية يحاول إيجاد مكانة له بين الإمام عليه السلام وبين من سبقوه في الخلافة من الصحابة بقول الإمام عليه السلام:

(وزعمت أن أفضل الناس فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم ينقصك ثلمته (ثلمه)، وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس)⁽¹⁾، والسؤال المطروح هنا لماذا يركز معاوية على إيراد أسماء أبي بكر وعمر وفضلهم؟ وما هو المبتغى الحقيقي والهدف من ذلك؟ هل هو محاولة لكسب جمهور المسلمين الذي يعتقد بصحة خلافة هؤلاء، أم هو فعلاً قناعة حقيقية من معاوية بن أبي سفيان بذلك الأمر؟ وعلى ما يبدو أن معاوية حاول أن يحصل على أكبر تأييد لقضيته، ويحاول أن يعطيها صفة شرعية من خلال الاعتراف بخلافة المتقدمين على الإمام عليه السلام.

وبين ابن أبي الحديد إن الإمام عليه السلام خاطب معاوية إنك زعمت أن أفضل الناس في الإسلام، والمراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر⁽²⁾، وبيان معاوية حال أصحابه وذكر الأفضل ثم الأفضل منهم معرضاً بأفضليتهم على الإمام عليه السلام مع عدم مشاركتهم له في الفضل⁽³⁾، والثناء على الشيخين ليطعن الإمام عليه السلام بهما فيبلغ منه معاوية ما أراد⁽⁴⁾، وإن غرض معاوية من ذلك إستفزاز الإمام عليه السلام

ص: 169

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 414

2- شرح نهج البلاغة، 15 / 143

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 384

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 466

بخصوص الكلام على الشيخين لتكون حجة على الإمام عليه السلام يضيفها إلى حجج أخرى مثل اتهامه بقتل عثمان والتحريض عليه لتدعيم موقفه.

ومن ثم تطرق الإمام عليه السلام لمسألة التفضيل والترتيب مخاطباً معاوية، إما ان يتم فإن تم فهو بمعزل عنك، إذ ليس لك نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم في الإسلام، فيكون إذن خوضك فيما لا يعنك، وإن نقص فليس عليك من نقصانه عار وليلحقك منه وهن، فخوضك فيه أيضاً فضول(1)، أي لأنك لست منهم في شيء، لا بالقرابة في الإسلام ولا بالقرابة الخصيصة.

وقد روي أن الإمام عليه السلام خطب خطبة قال فيها ما يناسب هذا الشأن:

(الحمد لله الذي لا يبرم ما نقص، ولا نقص ما أبرم، ولو شاء ما اختلف إثنان من هذه الأمة، ولا من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار حتى لقت بيننا في هذا المكان فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء لعجل النعمة، وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم ويعلم الحق أين مصيره)(2).

وفي خطبة أخرى لأmir المؤمنين عليه السلام سلط الضوء على مكانة معاوية بن أبي سفيان، وأوضح ان ليس من حق معاوية حشر نفسه بين المهاجرين الأولين والأنصار، إذ جاء في ذلك قوله عليه السلام:

(وما للطلاق وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم)(3)، وهنا استفهام على سبيل الإستحغار عليه ان

ص: 170

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 384

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 13؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 515

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415

يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور الكبار، وأن أبا سفيان كان من الطلقاء، وكذلك معاوية فهو طليق ابن طليق(1)، وإن المغزى من التذكير بمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على بني أمية في فتح مكة من خلال السؤال المطروح، هو لماذا يؤكد الإمام عليه السلام على مسألة الطلقاء خصوصاً وأنها وردت في أكثر من موضع وأكثر من وقت؟ والذي يبدو ان التركيز على ذلك نابع من عدة أمور منها:

1- التذكير بمن هم طلقاء وعدم ترسخ الإسلام في نفوسهم، وأنهم إنما استسلموا له ولم يسلموا به.

2- التذكير بمكانتهم في الإسلام والإشارة إلى أنهم أناس لم يكن لهم أي دور في تثبيت دعائمه، وإنما دخلوه دون ان يبذلوا أي جهد للدفاع عن الإسلام.

3- ان تركيز الإمام عليه السلام على ذكر الطلقاء وأبنائهم ما هو إلا شعار وتحذير من هذه الفئة خصوصاً وان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد صرح بحديث حول خلافة معاوية وهو من الطلقاء بقوله:

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)(2)، ومن الطبيعي ان المراد بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم المذكور هو تسلط معاوية على رقاب الأمة، إذ أوعز صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأمة بمعالجة هذا الامر من خلال القضاء على معاوية دون أن يتزعمها، لما لذلك من مفسد على الإسلام والأمة على حد سواء.

وأراد الإمام عليه السلام بقوله:

(والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم) هو إنكاره على معاوية تعرضه بالمفاضلة بين المهاجرين، ولم يذكر معاوية

ص: 171

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 384؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415

2- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 2 / 300؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 59 / 156

إلا المفاضلة بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر، فشهادة أمير المؤمنين عليه السلام بأنهما من المهاجرين الأولين، وإن قدر معاوية أصغر من أن يدخل نفسه في مثل ذلك(1)، هل النتيجة التي توصل إليها ابن أبي الحديد من كلام الإمام عليه السلام في أنها شهادة لهما بالهجرة الأولية في الإسلام هي نتيجة متلائمة مع كلام الإمام عليه السلام ونعتقد ان ابن أبي الحديد حاول من خلال كلام الإمام ان يستثمر كل ما من شأنه إبراز فضائل الخلفاء السابقين.

وضرب أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية مثلاً في حكمه إذ قال: (هيهات لقد حن قدح ليس منها)(2)، وجاء ان هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم(3)، وروى الطبرسي، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما أراد ان يقتل عقبة بن أبي معيط قال له: (يا محمد ألم تقل لا تصبر قريش؟ أي لا يقتلون صبياً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم وأنت من قريش؟ إنما أنت عالج من أهل صفورية، والله لأنت في الميلاد أكبر من أيك الذي تدعي له، فقال: من للصبيّة؟ قال: النار، ثم قال: حن قدح ليس منها)(4)، وفي بعض المصادر أنه عندما أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتل عقبة بن أبي معيط، قال: أقتل من دون قريش، فقال عمر بن الخطاب، حن قدح ليس منها(5).

ومن نافلة القول ان عقبة بن أبي معيط من بني أمية، فكلاهما اي معاوية وعقبة بن أبي معيط من شجرة واحدة، الأمر الذي يقودنا ان ما صرح به

ص: 172

- 1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 144
- 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415
- 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 144؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 538
- 4- تفسير مجمع البيان، 4 / 460
- 5- ابن قتيبة، غريب الحديث، 1 / 287؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، 4 / 64

النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص عقبة بن أبي معيط هو ذاته الذي صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بحق معاوية بن أبي سفيان.

عدم أهلية معاوية في النظر في أمور الأمة لم يكن معاوية بن أبي سفيان بأي حال من الأحوال مؤهلاً لقيادة الأمة التي تحمّل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأوائل المشاق في سبيل تثبيت أركان الإسلام فيها ومحاولة الإرتقاء بها، فهو أي معاوية من مسلمة الفتح، ومن الطلقاء كما أشرنا، فضلا عن ذلك كانت مواقفه ومواقف أبيه وأهل بيته كلها مواقف عداء ضد الإسلام وأهله، ولم يدخلوا الدين إلا بعد أن أصبح واقع حال في مكة والحجاز بصورة عامة.

لذلك كله بين أمير المؤمنين عليه السلام الدرجة والمكانة التي عليها معاوية وأهل بيته بالنسبة للنظر في شؤون الأمة، إذ جاء ذلك في قوله عليه السلام:

(طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها)⁽¹⁾، وأشار ابن أبي الحديد في تفسير هذا القول أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك أن الحكم في هذه القضية أي قضية المهاجرين الأولين من يجب أن يكون الحكم في القضية على معاوية ولا له فيها، ويجوز أن يكون الضمير راجع إلى الطبقات⁽²⁾، ومراد الإمام من ذلك أن معاوية ليس من القوم الذين حكم بتفضيل بعضهم على بعض في شيء، وليس

ص: 173

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415

2- شرح نهج البلاغة، 15 / 145

أهلاً للحكم فيها(1).

وخاطبه الإمام عليه السلام موبخاً له بقوله:

(ألا ترعب أيها الانسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخر حيث أخرج القدر)(2)، إن قصد الإمام عليه السلام من توجيه الكلام لمعاوية هو ان يرفق بنفسه ويكف عنها ولا يحمل عليها ما لا تطيقه وأن يقف عند حده(3)، أما قوله: قصور ذرعك، وهنا أصل الذراع بسط اليد، يقال: ضقت ذراعاً أي ضاق ذرعى(4)، أما المراد من كلام الإمام عليه السلام (وتتأخر حيث وضعك القدر)، أي ضنع نفسك حيث وضعك الله تعالى، ويقال ذلك لمن فوق إستحقاقه(5)، أي يا معاوية اعرف مكانتك ولا تحاول الوصول إلى مرتبة هي ليست لك وأنت عنها بعيد(6)، وجاء في الرواية أنه لما جاء معاوية إلى المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري(7)، فعاتبه معاوية على عدم استقباله ومن معه من الأنصار، فقال له:

(لم يكن لنا دواب، فقال معاوية: أين النواضح؟ قال أبو قتادة، عقربناها في

ص: 174

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 385

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 145؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 386

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 145

5- المصدر، نفسه، 15 / 145

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 385

7- أبو قتادة، واسمه الحارث بن ربيعي بن بلدمة بن خناس بن سنان، وقد اختلف في اسمه، شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبعثه في سرية إلى نجد سنة (8 هـ) وقد دعى له اللهم بارك له في شعره وبشره، وتوفي سنة (54 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 4 / 378؛ الذهبي، سير، أعلام النبلاء، 2 / 499

طلبك وطلب أهلك بيدر(1).

ومن خلال النص المتقدم يتضح ان معاوية وأباه لم يكن لهم أي مكانة بين المهاجرين والأنصار لأنهم كانوا أشد أعدائهم والمحاربين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدين الإسلامي فمكانتهم المتدنية واضحة ولا تصل إلى مرتبة الأنصار ودورهم الجهادي الذي بذلوه مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن وصولها إلى مكانة الإمام علي عليه السلام، والرد المتقدم يشير إلى المكانة المتدنية التي كانت عليها مكانة معاوية.

ومن جانب آخر وضع أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية حقيقة أمره ومكانته بين المسلمين الأوائل بصورة عامة، إذ قال له:

(فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر الظافر)(2)، أي ما الذي أدخلك بيني وبين أبي بكر وعمر وأنت من بني أمية ولا تيمياً ولا عدوياً هذا مما يرجع إلى أنسابنا، ولست مهاجراً ولا ذا قدم في الإسلام، فتقوم بمزاحمة المهاجرين وأرباب السوابق بأعمالك واجتهادك، فإذن لا يضرك غلبة الغالب منا ولا يسرك ظفر الظافر(3).

وفي موضع آخر من خطبته عليه السلام قال مخاطباً معاوية بن أبي سفيان:

(وإنك لذهاب في التيه، رَوَّاع عن القصد)(4)، إذ أن قول ابن أبي الحديد

ص: 175

1- الصنعاني، المصنف، 60 / 11؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 296 / 34؛ الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، 141 / 2

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 415 / 3

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 145 / 15؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 466 / 3

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 415 / 3

يحتمل معنيين، أحدهما بمعنى الكبر والآخر التيه من قولك: تاه فلان في البياء، ومنه قوله تعالى:

«قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ»(1)، والمعنى الثاني أصوب، يقول إنك شديد الإيغال(2)، وفي معنى آخر أن معاوية كثير الذهاب والتوغل في الضلال عن معرفة الحق، وكثير العدول عن الصراط المستقيم في حق الإمام عليه السلام(3)، وأراد بقوله (رواغ عن القصد) أي تترك الحديث عن الصحابة، وما جرى بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في حاجة إلى كلام غير هذا الكلام وهو الكلام في البيعة وحقن الدماء والدخول في طاعة الإمام(4).

ويشير النص إلى أن معاوية أبتعد عن الحق كثيراً إذ شبهه الإمام كالتائه في الصحراء لا يعرف طريقه، وهو بفعله هذا قد أنكر وأبتعد عن حقيقة معرفة فضل الإمام عليه السلام وأهل بيته ومعرفة مكانتهم قياساً بمكانة بني أمية، وكان يجب عليه ان يترك الحديث عن الصحابة وإن غرضه من ذلك الحديث بشأن البيعة هو لاختلاق الفتنة بين المسلمين لكي يتمكنوا من ضرب الإسلام لتحقيق غاياتهم.

وفي موضع آخر خاطب أمير المؤمنين عليه السلام معاوية قائلاً:

(ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدث)(5)، وبين ابن أبي الحديد

ص: 176

1- سورة المائدة، آية، 26

2- شرح نهج البلاغة، 145 / 15

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 386 / 4

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 145 / 15؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 386

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 415 / 3

أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك إنك يا معاوية لست أهلاً لأخبرك بذلك أيضاً، فإنك تعلمه ومن يعلم الشيء لا يجوز أن يخبر به، ولكن أذكر ذلك لأنه تحدث بنعمة الله تعالى علينا، وقد أمرنا أن نتحدث بنعمته سبحانه (1)، وهو مصداق قوله تعالى:

«وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (2)، والذي يبدو من كلام الإمام عليه السلام لمعاوية إننا نتحدث بفضل الله تعالى علينا ونلتزم بتعاليم القرآن حيث أمر الله سبحانه بذلك.

الأفضلية الجهادية لبني هاشم في الإسلام سنَّ بنو هاشم نهجهم في الذود عن الإسلام ونبه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ وقع على كاهلهم العبء الأكبر في مساندة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهار دعوة الحق، وقدموا على أثر ذلك تضحياتهم الجسام التي كان من بينها أن لقي العديد منهم الشهادة فداءً للدين والعقيدة، وفي هذا الصدد برز أمير المؤمنين عليه السلام هذا الأثر، إذ أشار إلى فضل شهدائهم، وجاء ذلك في قوله عليه السلام:

(إن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصار ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين تكبيرة عند

ص: 177

1- شرح نهج البلاغة، 15 / 145

2- سورة الضحى، آية، 11

صلاته عليه(1)، ومن الجدير بالذكر أنه أراد بذلك سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه، وينبغي ان يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ان سيد الشهداء على أنه سيد الشهداء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن علياً عليه السلام مات شهيداً ولا يجوز ان يقال حمزة سيده، بل هو عليه السلام سيد الشهداء كلهم(2)، يفهم من قول الإمام علي عليه السلام انه لقب اطلق على أهل البيت عليهم السلام بأجمعهم.

أما قوله:

(لكل فضل) أي أن لكل واحد فضل من هؤلاء لا يجحد(3)، أي شهداء بني هاشم لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون(4)، وروي ان حمزة بن عبد المطلب أول من جيء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد انصراف قريش من معركة أحد، أو كان من أولهم فصلى عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان أول من كبر عليه خمساً، ثم جمع إليه الشهداء فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد، حتى صلى عليه سبعين مرة، لأن الشهداء سبعون(5).

وفي قوله عليه السلام:

(أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل

ص: 178

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 146

3- المصدر نفسه، 15 / 146

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 466

5- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 41؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 30؛ المقريزي، إمتاع الإسماع، 1 / 173

بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين(1)، ذهب ابن أبي الحديد إلى أنه عليه السلام أشار في ذلك إلى جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه(2)، ونبه على وجه الفرق بينهم وبين من عاداهم بذكر أفضلية أهل بيته التي انفردوا بها دونهم في الحياة وبعد الممات بعد ان قرر لكل من الصحابة فضلاً لتثبيت الأفضلية لبيته بالقياس إليهم(3).

فمن ذلك أفضليتهم بالشهادة وشهيدهم الذي أشار إليه عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وأشار إلى وجه أفضليته بالنسبة لسائر الشهداء من وجهين، أحدهما قوله وهو تسمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له سيد الشهداء، والثاني هو ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خصه بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه أربع عشرة صلاة، وذلك أنه كان كلما كبر عليه خمساً حضرت جماعة أخرى من الملائكة فصلى بهم عليه أيضاً، وذلك من خصائص حمزة رضى الله عنه وشرف بني هاشم في حياتهم وموتهم(4)، ومنه أفضليتهم لما حدث لجعفر بن أبي طالب عليه السلام في اثناء المعركة من قطع يديه فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الإعتبار ذا الجناحين والطيار في الجنة(5).

ص: 179

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 415 / 3

2- جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبا عبد الله، وهو أشبه الناس خلقاً وخلقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أكبر من الإمام علي عليه السلام، وهو من المهاجرين الأوائل وهاجر إلى أرض الحبشة، وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين فتح خيبر فتلقيه واعتنقه وقال: (ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدم جعفر ام بفتح خيبر) واستشهد بمعركة مؤتة سنة (8هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 4 / 31؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 109

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 386

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 386؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 466

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 386؛ ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 4 / 35؛ ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، 143

وجاء ان أمير المؤمنين عليه السلام قال يوم افتتح البصرة وركب بغلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعكم الله، فقام إليه أبو أيوب الأنصاري(1)، قال بلى يا أمير المؤمنين حدثنا، فإنك كنت تشهد ونغيب، فقال عليه السلام:

(إن خير خلق الله يوم يجمعهم الرسل، وإن أفضل الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي ألا إن أفضل الأوصياء وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ألا وإن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة، لم ينحل لأحد من هذه الأمة جناحان غيره كرم الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وشرفه، والسبطان الحسن والحسين عليهما السلام يجعلهم الله مع أهل البيت عليهم السلام، ثم تلا الآية:

«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»(2)(3).

وهنا أراد الإمام عليه السلام من خلال النص المتقدم بيان أفضليتهم على سائر الأمة ومكانتهم في الدنيا والآخرة، وكذلك توضيح ان منهم خير الشهداء الذين

ص: 180

1- أبو أيوب، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، شهد العقبة وهدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من أكابر الصحابة وأقدمهم إسلاماً، وشهد النهروان مع الإمام علي عليه السلام ولم يشهد معه صفين، توفي بالقسطنطينية من ارض الروم سنة (51 هـ) زمن معاوية، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 772؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء 2 / 404

2- سورة النساء، آية، 69

3- الكليني، الكافي، 1 / 450؛ المجلسي، بحار الأنوار، 22 / 283

ضحوا بأنفسهم من أجل الإسلام، بخلاف من حارب الإسلام بشتى الطرق والوسائل.

المكانة الإخلاقية لبني هاشم رد أمير المؤمنين عليه السلام على تصريح معاوية الذي إدعى فيه مساواتهم في الشرف والفضيلة، وأنهم كانوا على الألفة والجماعة قبل الإسلام، من خلال بيان حالهم وحال بني أمية بعد الإسلام مشيراً بذلك إلى أفضليتهم عليهم بقوله:

(أما بعد فإننا كنا وكنتم على ما ذكرت على الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس، إنا كنا آمنًا وكفرتكم، واليوم استقمنا وفتنتم)(1).

إذ ان الإمام عليه السلام اسلم وجملة من أهل بيته، ومعاوية وأهل بيته حينئذ كفار(2)، وكان هناك تباين بين بني هاشم وأموية في الطباع والأخلاق، وتنافس على الزعامة والصدارة في الجاهلية، ونافر أمية هاشم عند الكاهن الخزاعي على خمسين ناقة، والجلاء عن مكة عشر سنوات فحكم الكاهن لهاشم على أمية وانتهت الخصومة عند هذا الحد بلا حرب وضرب(3)، إذا كيف كانوا بيتاً واحداً وكانت هناك ألفة بينهم وجماعة بين البيتين على حد قول معاوية؟! وأما قوله عليه السلام:

(وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً، وبعد أن أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(4) وان من اسلم من أهل بيته طوعاً، بينما أسلم أهل معاوية بعد أن اشتد الإسلام

ص: 181

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 486

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 195

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 160

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 486

وصار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزب قوي من أشرف العرب واستعار لفظ أنف العرب لهم باعتبار كونهم أعمامهم (1)، الذين دخلوا قبل الفتح (2)، وكان أبو سفيان أسلم كرهاً وذلك لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة في غزوة الفتح أتى ليلاً فنزل البطحاء وما حولها، فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدور حول الكعبة في طلب من يبعثه إلى قريش ليخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعتذروا إليه فلقى أبا سفيان فقال له:

(كن رديني لتمضي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونأخذ الأمان لك، فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليه الإسلام فأبى، وكان العباس يحامي عنه للقرابة، فقال يارسول الله إنه يسلم غداً، فلما جاء الغد دخل به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعرض عليه الإسلام، فأبى فقال له العباس في السر، يا أبا سفيان إشهد أن لا إله إلا الله، وإشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يكن ذلك في قلبك، فإنه يأمر بقتلك إن لم تقل، فشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد رأى أكثر من عشرة الآف حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خرجوا معه واجتمعوا إليه) (3).

ومن خلال النص المتقدم نرى أن الإمام عليه السلام قد عمل على تكبير معاوية بحاله وحال آبائه وموقفهم من الإسلام وكيفية إسلامهم وبين كذلك أفضلية أهل بيته بدخولهم للإسلام رغبة لا كرهاً كما فعل آباء معاوية، وما أورده بعض المصادر من تعاطف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكرمه معه بأن جعل لأبي سفيان مكانة

ص: 182

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 195

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 486

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 377؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 53

خاصة، وهي أن كل من دخل دار أبي سفيان فهو آمن(1)، وقد تم مناقشة مسألة إعطاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مكانة خاصة لأبي سفيان فيما سبق(2).

وفي كلام للإمام عليه السلام بين مكانة بني أمية قبل الإسلام مخاطباً معاوية بقوله:

(ومتى كنتم يامعاوية ساسة الرعية، وولاة أمر الأمة بغير قدم سابق ولا شرف باسق)(3)، إذ بين ابن أبي الحديد ان الإمام عليه السلام قال لمعاوية متى كنتم سادة الأمة وولاة في الإسلام، وإلا ففي الجاهلية لا ينكر رياسة بني أمية على بعض البطون وان بني عبد شمس كانوا يوم بدر قادة الجيش، كان رئيسهم عتبة ابن ربيعة ويوم أحد والخندق قادة الجيش كان رئيسهم أبو سفيان، وأيضا في لفظ أمير المؤمنين عليه السلام ما يشعر بما قلناه (وولاة أمر الأمة) فإن الأمة من العرب هم المسلمون، أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم(4).

ولما قامت دولة الأمويين باسم الإسلام وسنحت الفرصة عادوا إلى طبيعتهم وجاهليتهم الأولى، وبناءً على هذا يكون مراد الإمام عليه السلام من السيادة ونفيها عن أمية السيادة الحقة العادلة لا سيادة البغي والعدوان(5).

أما قوله عليه السلام:

(والقدم السابق) أي سابقة حسنة، ولا شرف باسق، أي عالٍ(6)، وهنا

ص: 183

1- ابن هشام، السيرة النبوية، 4 / 864؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 377

2- ينظر، الفصل الاول، 41

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398

4- شرح نهج البلاغة، 15 / 61؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 405

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 405

6- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 62

كناية عن التقدم في الأمور والأهلية لذلك، ونبه عليه السلام بقوله بغير قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم في الأمور شرط لتلك الأهلية في المتعارف، والظاهر أنهم لم يكن فيهم من أهل الشرف أهل لذلك(1)، يفهم من ذلك ان مع كون بني أمية لهم السلطة على بعض البطون من قریش لكن ذلك لا يؤهلهم لقيادة الأمة حتى ينافسوا أمير المؤمنين عليه السلام محاولين إظهار أنهم أهل لذلك وأن لديهم الشرف والمكانة التي تؤهلهم لذلك، وجاء أنه عند إجتماع الناس لبيعة معاوية حضر قيس بن سعد بن عبادة(2) فقال له معاوية بايع فأجابته إني كنت أكره مثل هذا اليوم وخطب الناس وقال:

(... يامعشر الناس لقد اعتضتم الشر من الخير، واستبدلتم الذل من العز، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيد المرسلين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم، وأنتم لا تعقلون)(3).

وروي أيضاً، (ان معاوية جمع كل قرشي بالشام وقال لهم لا أحد منكم في هذه الحرب يطول لسانه ما عدا عمراً فأين الحمية، فرد عليه الوليد بن عقبة

ص: 184

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4/ 328

2- قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا الفضل، كان من كرام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسخيائهم ودهاتهم، وكان شريف قومه هو وأبوه وجده، وصحب الإمام علياً عليه السلام بعد ذلك، وشهد معه الجمل وصفين والنهروان هو وقومه، وولاه مصر وعزله بعد ذلك، توفي سنة (60 هـ)، وقيل (59 هـ) في المدينة، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5/ 369؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 608

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 123 - 124

وقال أي فعال تريد، والله ما نعرف في أكفائنا من قريش العراق: من يغني غناءنا باللسان ولا باليد، فقال معاوية، بلى إن أولئك وقوا علياً عليه السلام بأنفسهم، قال الوليد: كلا بل وقاهم علي بنفسه، قال ويحكم، أما فيكم من يقوم لقرنه منهم بالمبارزة ومفاخرة، فقال مروان: أما البراز فإن علياً عليه السلام لا يأذن للحسن والحسين عليهما السلام ولا لمحمد بنيه ولا لابنه عباس وإخوته، ويصلى بالحرب دونهم، فلا يهيم نبارز، وأما، المفاخرة، فيماذا نفاخرهم، بالإسلام أم الجاهلية، فإن كان بالإسلام فالفخر لهم بالنبوة وإن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن فإن قلنا قريش قالوا عبد المطلب(1).

ويمكن الرد على قول مروان بن الحكم في مسألة عدم السماح للإمام الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية بالمشاركة في الحروب من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، بالقول: وهل مروان بن الحكم أكفاً منهم في الحروب؟ ألم يشترك هؤلاء الثلاثة في الحروب في الجمل(2) وصفين(3)، وجاء كلام لأمير المؤمنين عليه السلام ليدلل على هذه الحقيقة إذ يحث فيه ولده محمد بن الحنفية على القتال عندما اعطاه الراية يوم الجمل بقوله:

(تزلو الجبال ولا تزل. عض على ناصدك، أعر الله جمجمتك. تد في الأرض قدمك. ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك، وأعلم أن النصر من عند الله سبحانه(4)، وهذا خير دليل على اشتراك أبناء أمير المؤمنين عليه السلام المذكورين في

ص: 185

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 8 / 78؛ المدني، الدرجات الرفيعة، 413

2- ينظر، الثقفى، الغارات، 924؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 500

3- ينظر، المنقري، وقعة صفين، 249

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 44

ويشير الإمام عليه السلام إلى حقيقة هذه الأفضلية كونها أتت من الله تعالى، إذ خصهم بذلك الإصطفاء، لذنجد الإمام عليه السلام يقول:

(فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا)⁽¹⁾، إذ بين ابن أبي الحديد أن هذا الكلام عظيم، عالٍ على الكلام ومعناه عالٍ على المعاني، وصنوعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره، يقول:

(ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى)⁽²⁾. فظاهر كلام الإمام عليه السلام تبدو عليه ظاهرة الجلالة والعظمة وفي الوقت نفسه حمل في طياته معاني أخرى ألا وهي أنهم عليهم السلام عبيد لله تعالى، وسائر الناس عبيد لهم⁽³⁾.

وهنا الإشارة إلى نعمة الرسالة وما يستلزمه الشرف والفضل وكان الناس عيالاً لهم فيها ووصلت هذه النعمة إلى الناس بواسطتهم⁽⁴⁾، وعلق محمد عبده بقوله:

(وأصل الصنيع ما تصنعه لنفسك بالإحسان حتى خصصته بك كأنه عمل يدك، وآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسراء إحسان الله عليهم والناس أسراء فضلهم بعد

ص: 186

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 415

2- شرح نهج البلاغة، 15 / 146

3- المصدر نفسه، 15 / 146

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 378؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 470

ذلك(1).

وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زوج ابنته فاطمة عليها السلام من أمير المؤمنين عليه السلام بعد قدومه من مكة بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلما زوجها علياً عليه السلام، قالوا في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما أنا زوجته ولكن الله تعالى زوجه(2)، أشار الإمام عليه السلام في هذا النص أن الله تعالى فضلنا وشرفنا على الخلق كلهم، وهم حجج الله تعالى على خلقه وهم الوسطة بين الناس جميعاً والله سبحانه وتعالى قد منّ عليهم بالنبوة والرسالة فهم في هذه المكانة العالية التي خصهم بها الله تعالى قد جعلهم الوسطة بينه وبين خلقه، لأنهم عباد أكرمهم الله وجعل لهم من المنزلة عنده ان يستجيب دعاء من دعاه بواسطتهم، وكما بيّن القرآن الكريم ذلك بقول الله تعالى:

«وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا»(3).

وفي نص آخر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام يبين لنا المكانة التي عليها أهل البيت عليهم السلام بالقياس إلى غيرهم من الأمة إذ جاء قوله في هذا الصدد:

(لا يقاس بأل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً(4). وذهب البحراني في شرحه ان مراد من ذلك هو اشارته الى تفضيل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأمة بصورة عامة فضلاً عن الإشارة إلى معاوية

ص: 187

1- نهج البلاغة، 3 / 415؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 386

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 1 / 260؛ الحلبي، المحتضر، 241

3- سورة النساء، آية 64

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 33

وتفضيل نفسه عليه السلام عليه بشكل خاص، وقيام معاوية بترشيح نفسه للخلافة، وتفضيل الإمام عليه، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه وأراد من ذلك هو نعمة الدين والإرشاد إليه(1)، فمن الطبيعي لا يمكن ان يتساوى الشخص المنعم عليه بالشيء مع الشخص الذي أنعم عليه، ونعمة أهل البيت عليهم السلام بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واضحة للأمة والذي أخرج الله تعالى به الناس من الظلمات إلى النور من خلال الدين الإسلامي وتعاليمه، ومن ثم تكون طاعتهم واجبة على المسلمين إذ ان فيها تنظيماً لشريعتهم وأماناً لهم(2).

وصرح الإمام عليه السلام بشأن مسألة اختلاط بني هاشم مع بني أمية على الرغم من وجود الكثير من الفوارق بين البيتين، إذ ورد قوله عليه السلام بهذا الشأن:

(لم يمنعنا قديم عزنا، ولا عادي طولنا على قومك، ان خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك)(3)، حيث صرح ابن أبي الحديد بقوله: (ان الإمام عليه السلام أراد إخبار معاوية إننا تزوجنا منكم وتزوجتم فينا على الرغم من إنكم لستم أكفاءنا، وأراد بقوله: (قديم وعادي) هو تعبير مجازي لا حقيقة لأن بني هاشم وبني أمية متساوون في الشرف إلى ان ظهر هاشم بن عبد مناف الذي عرف بمكارمه وأفعاله، وكذلك ظهر أخوه عبد شمس وعرف بمثل ذلك، وأخذ التنافس بين الطرفين في الفعل، وان المدة بين هاشم وظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن إلا مدة قصيرة نحو تسعين سنة، ومن ثم لا يؤخذ القصد

ص: 188

1- شرح نهج البلاغة، 1 / 306

2- الحصونة، رائد حمود، أهل البيت عليهم السلام مكاتبتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم من خلال كتاب نهج البلاغة، 12

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 416

من عادي طولنا هنا طول المدة، بل المراد منها تعبير عن الأفعال الجميلة مثل قولهم لفلان قدم صدق، وقديم أثر أي سابقة حسنة(1).

بينما يرى البحراني أن الإمام أراد الإمتنان والإفتخار على معاوية، وان قصده من لفظة عادي منسوب إلى عاد قوم هود، وهو تعبير عن القدم ووجه المقارنة بذلك أنهم أي بني هاشم على الرغم من فضلهم على بني أمية لم يمتنعوا من مخالطتهم ومناكحتهم وهم ليسوا أهلاً لتلك المكانة والمرتبة(2)، ونحن نرجح رأي البحراني في هذا الصدد، وان الإمام عليه السلام خاطب معاوية بشأن مسألة المخالطة موضعاً له، نحن أجل وأعلى منكم ولكن ذلك لا يمنع من معاملتكم معاملة الأكفاء بالزواج، وان الإمام عليه السلام بعيد عن التفاخر على الناس، ولكن موقف معاوية اضطره إلى ذلك، ووضع الشيء في محله ليس من باب الفخر بل إظهار مكانة بني أمية التي يتبجح بها معاوية بن أبي سفيان، وكما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه سلام: يجوز للإنسان ان يزكي نفسه عند الضرورة كما فعل يوسف عليه السلام، حين قال لملك مصر:

«قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ»(3).

وهنا أراد معاوية ان يساوي نفسه وبني أمية بالإمام عليه السلام وبني هاشم بأنهم قد تزوجوا منهم وزوجهم، محاولاً بذلك أن يجعل لهم مكانة إزاء الإمام علي عليه السلام، وان الزواج من الآخر لا يعني تساوي المكانة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج من نساء شتى هل هذا يعني أن آبائهن أكفاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما ينطبق على رسول الله a بلا شك

ص: 189

1- شرح نهج البلاغة، 15 / 147

2- شرح نهج البلاغة، 4 / 470

3- سورة يوسف، آية، 55

ينطبق على أمير المؤمنين عليه السلام لأنه نفسه بنص القرآن الكريم بقوله تعالى:

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» (1).

ومن جانب آخر أراد معاوية أن يجعل لبني أمية مكانة وشرفاً مثل بني هاشم كما بينا، ولكن الإمام عليه السلام رد عليه وبين له من باب التذكير ان ذلك غير ممكن من عدة وجوه بقوله:

(وَأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي، ومنكم المكذب، ومنا أسد الله، ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيد شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم) (2)، بين ابن أبي الحديد في شرحه ان مراد الإمام عليه السلام من قوله:

(أنى يكون كذلك) أي كيف يكون شرفنا كشرفكم (3)، وأشار الإمام عليه السلام إلى بيان ما ادعاه من نفي كونهم أهلاً لمخالطتهم بالمقابلة بين حال بني هاشم وحال بني أمية ليرز من تلك المقابلة رذيلة كل واحد من بني أمية بإزاء فضيلة كل واحد ممن ذكر من بني هاشم، وبظهور فضائل الأفراد ورذائلهم يتبين نسبة البيت في الشرف والخسة (4).

وقوله عليه السلام:

(منا النبي ومنكم المكذب)، فقد اختلف الشراح من هو المكذب، وبين ابن أبي الحديد ان المكذب هو أبو سفيان بن حرب عدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمكذب له

ص: 190

1- سورة آل عمران، آية 61

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 416 / 3

3- شرح نهج البلاغة، 148 / 15

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 388 / 4

والمجلب عليه، وهؤلاء الثلاثة بإزاء أبي سفيان، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعاوية بإزاء الإمام علي عليه السلام، ويزيد بن معاوية بإزاء الحسين عليه السلام(1)، بينما يرى البحراني ان المكذب من بني أمية هو أبو جهل بن هشام، وإليه الإشارة في الآية الكريمة:

«وَدَرْزِي وَالْمُكْذِبِينَ»(2)، وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفضيلته وذكر أبا جهل برذيلة تكذيبه(3).

ويرى الباحث ترجيح رأي ابن أبي الحديد ومحمد جواد مغنية بأن المكذب هو أبو سفيان بن حرب، لأن أبا جهل من بني مخزوم، وكذلك لما كان خطاب الإمام علي عليه السلام موجهاً إلى معاوية فالمقصود هنا بنو أمية لا غيرهم من القبائل لأنهم كذبوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف كان إسلامهم كما بينا سابقاً.

وروي ان عثمان لما بويع بالخلافة دخل عليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار فقال أبو سفيان بن حرب: (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به ابو سفيان ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة، فانتهره عثمان، وساء ذلك بما قال، فأمر بإخراجه(4).

من خلال ما ورد نلاحظ الكفر الواضح لبني أمية وعدم الاعتراف بوجود الجنة والنار وهذا بعينه هو النفاق الذي هم عليه، وقد كذبوا بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 191

1- شرح نهج البلاغة، 15 / 148؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 470

2- سورة المزمل، آية 11

3- شرح نهج البلاغة، 4 / 388

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 10 / 58؛ الجوهري، السقيفة وفدك، 87، المسعودي، مروج الذهب، 632 / ابن أبي الحديد، شرح

نهج البلاغة، 9 / 42؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، 1 / 354

وان إسلامهم لم يكن سوى ستار يلودون تحته خوفاً على حياتهم وهذا تصريح من الإمام عليه السلام ينم عن منتهى القرب والمكانة عند الله تعالى ان جعل منا النبي ومنكم المكذب.

أما قوله عليه السلام:

(ومنا أسد الله، ومنكم أسد الأحلاف)، يعني بذلك حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سماه بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله(1)، وأسد الأحلاف يعني عتبة بن ربيعة(2)، بينما يرى البحراني أن المقصود بأسد الأحلاف هو أسد ابن عبد العزى(3)، والأحلاف هم بنو عبد مناف وبنو زهرة(4) وبنو أسد(5) وبنو تيم(6).....

ص: 192

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 148؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 388

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 148

3- أسد بن عبد العزى بن قصي، من أجداد العرب في الجاهلية، بنوه حي كبير من قريش منهم حكيم بن حزام الصحابي، وخديجة بنت خويلد (أم المؤمنين) وورقة بن نوفل، وكانت تلبية بني أسد في الجاهلية إذا حجوا (لبيك اللهم لبيك، يارب أقبلت بنو أسد، اهل الوفاء والجلد إليك)، ينظر، الزبير، نسب قريش، 228

4- بنو زهرة وهم بطن من مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب من العدنانية، ومنهم سعد بن أبي وقاص من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم آمنة بنت وهب أم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم جماعة في صعيد مصر، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 275؛ كحالة، معجم قبائل العرب، 2 / 482

5- بنو أسد، وهم حي من قريش وهم بنو أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب من العدنانية، ومنهم الزبير بن العوام، ومنهم خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين)، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 38

6- بنو تيم، بطن من قريش من بني مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ومنهم أبو بكر وطلحة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من منازلهم حفر الرباب وهي ماء بالدهناء، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 190

وبنو الحرث بن فهر(1) وسموا الأحلاف لأن بني قصي(2) أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدي بني عبد الدار(3) من اللواء والندوة والحجابه والرفادة، وهي كل شيء كان فرضه قصي على قريش لطعام الحجاج في كل سنة، ولم يكن لهم إلا السقاية فتحالفوا على حربهم وأعدوا للقتال، ثم رجعوا عن ذلك ناكسين وأقروا ما كان بأيديهم(4)، بينما ذكر محمد عبده بأن أسد الأحلاف هو أبو سفيان بن حرب لأنه حزّب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الخندق(5).

ويبدو ان رأي ابن أبي الحديد هو الأقرب للصواب بأن أسد الأحلاف هو

ص: 193

1- بنو الحرث، بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر، وكان للحارث هذا من الولد، ضبة، والخلج، ومنهم أبو عبيدة بن الجراح أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 48

2- بنو قصي، هم بني قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، من قريش العدنانية، واسم قصي زيد وقيل يزيد، لأن أمه فاطمة بنت سعد لما تأيمت من كلاب بن مرة، وقصي في حجرها، تزوجها ربيعة بن حزام وسار بها إلى الشام فنشأ قصي مع اخواله بني كلب في باديتهم وبعد وتقصى، فسمي قصياً، ثم عاد إلى مكة وجمع قبائل قريش، وكان سيدهم ورئيسهم، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 399

3- بنو عبد الدار، وهم بطن من قصي بن كلاب من العدنانية، وكان لعبد الدار من الولد عثمان، وعبد مناف، والسباق. ومنهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وهو الذي أخذ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الكعبة يوم الفتح وفي بني شيبه حجابه الكعبة وفي النسبة الى عبد الدار ثلاثة مذاهب، عبادي، وعبادي، ينظر، القلقشندي، نهاية الأرب، 336

4- شرح نهج البلاغة، 4 / 388

5- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، 3 / 416

عتبة بن ربيعة معززاً رأيته بأن بني عبد مناف كانوا في ذلك الحلف(1).

وفي بدر ذكر أنه لما جاء عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فقدموا من الصف فطلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليقدم لهم أكفأهم من قريش، فقام حمزة وعلي عليه السلام وعبيدة بن الحارث، فتقدموا إليهم فقال حمزة:

(أنا أسد الله وأسد رسوله، قال: شيبة: كفؤ كريم)، فاختلف هو وشيبة فقتل شيبة(2).

وفي قوله عليه السلام:

(ومنا سيد شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار)(3)، يعني عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام، ومنكم صبية النار هي الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر، وقد قال:

(كالمستعطف له عليه السلام من للصبية يا محمد قال: النار)(4)، وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين أمر بقتل عقبة بن أبي معيط قال له: (فمن للصبية يا محمد:

قال: النار)(5)، ومن خلال الحديث فإن المقصود من صبية النار هم أولاد عقبة بن أبي معيط، وقيل صبية النار هم ولد مروان بن الحكم الذين صاروا أهل النار

ص: 194

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 148

2- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 1 / 323؛ المفيد، الإرشاد، 1 / 74

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 416

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 148؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 388

5- الصنعاني، المصنف، 5 / 206؛ الطبراني، المعجم الكبير، 11 / 322؛ البيهقي، السنن الكبرى، 9 / 64؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 6 /

عن البلوغ، وكانوا صبية حين أخبر بذلك عليه السلام(1).

ووردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشأن الحسن والحسين عليهما السلام تبين مدى مكانتهم الدنيوية والأخروية، وإخبار الإمام عليه السلام بذلك ينم عن منتهى المكانة للحسين عليهما السلام عند الله تعالى وعند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقياس إلى مكانة خصمه معاوية وأسرته، هذا وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

(الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة)(2).

ثم أخبر عليه السلام بقوله:

(ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب)(3)، يعني هنا فاطمة الزهراء بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(4)، وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة:

(ابشري فإن الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين، وعلى نساء الإسلام وهو خير دين)(5)، أما حمالة الحطب فهي أم جميل بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب التي ورد فيها نص قرآني(6)، وهي التي تحمل الشوك فتشره بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليعقره، وكانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي العداوة وتهيج نارها كما توقد النار الحطب، فاستعير عليه السلام لفظ الحطب لتلك النميمة للمشابهة

ص: 195

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4/ 388؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3/ 416

2- الحميري القمي، قرب الإسناد، 112؛ النسائي، السنن الكبرى، 5/ 50؛ القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/ 37

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3/ 416

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15/ 149؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4/ 388

5- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 3/ 104؛ المجلسي، بحار الأنوار، 43/ 36

6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15/ 149

المذكورة(1)، وقد أنزل الله تعالى قوله:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصَّبُ لِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ»(2).

ويفهم من النص المتقدم ان الإمام عليه السلام قد ذكر ما هم عليه من الفضل عند الله تعالى وما وعدهم ربهم بأن جعل منهم خير نساء العالمين، وجعل الله تعالى منهم شر نساء أهل النار بنص القرآن الكريم وهذه مرتبة المنافقين ومكانتهم بسبب عدائهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته.

بعد ذلك اخذ الإمام عليه السلام بذكر فضيلة إسلامهم وما كانوا عليه قبل الإسلام بالقياس لبني أمية بقوله:

(فإسلامنا قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع)(3)، والمقصود بالجاهلية هنا المدة الزمنية قبل الإسلام، وليس لجاهلهم، فهم موحدون، أي ان شرف بني هاشم في الجاهلية لا ينكره أحد(4)، وبين ابن أبي الحديد، ان هذا الكلام قد تعلق به بعض من يتعصب للأمويين وقال: (لو كانت جاهلية بني هاشم في الشرف كإسلامهم لعدّ من جاهليتهم حسب ما عدّ من فضيلتهم في الإسلام)(5)، وأشار الإمام عليه السلام إلى ان شرف بيته على غيره لا يختص به في الإسلام فقط، فإن شرف بني هاشم في الجاهلية أيضاً مشهور ومكارم أخلاقهم لا يدفعها

ص: 196

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 388

2- سورة المسد

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 416

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 416؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 387

5- شرح نهج البلاغة، 15 / 149

دافع(1)، فمآثر بني هاشم وأخلاقهم معروفة كما نقلته المصادر، إذ روي ان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما أسلم قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى شكر لك ثلاث خصال في الجاهلية فما هي؟ قال: (يا رسول الله ما زنت قط لأنني قلت في نفسي: إن ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي ان يرضاه لغيره تكمراً، ولا كذبت كذبة قط تأثماً، ولا شربت الخمر قط تدمماً لأنه يذهب العقول)(2).

يتضح من خلال الحديث أن مكانة وشرف بني هاشم، ومكانة وشرف بني أمية لم تتضح فقط بظهور الإسلام، وإنما نال بنو هاشم من الشرف والمكانة ما لا ينكره أحد فقد اشتهر بنو هاشم بالمآثر والكرم والكرامات، ونذكر منهم عبد المطلب على سبيل المثال فقد رد الله تعالى أصحاب الفيل عن مكة بدعائه(3)، وكذلك تفجر عيون الماء من تحت قدم بعير عبد المطلب(4)، والكثير من المكارم والكرامات لبني هاشم في الجاهلية وفي الإسلام جعلتهم ذوي مرتبة ومكانة عالية دفعت البعض ليحسداهم عليها.

ص: 197

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 389؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 471

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 389

3- يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 1 / 305

4- ابن حبيب، المنمق، 99

المبحث الثاني موقف بني أمية من الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة

من خلال ما تم عرضه من علاقة بني هاشم وبني أمية قبل البعثة وبعدها والتي اتسمت بطابع العداء والنزاع بينهم، وهذا من شأنه أن ينعكس على موقف بني أمية وهم أحد بطون قريش، الذين وقفوا موقفاً سلبياً إزاء الدعوة الإسلامية التي جاء بها نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وان نجاحه سيفقددهم ما كانوا يتمتعون به من امتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية في مكة، خصوصاً وان ذكريات المنافرة بين هاشم وأميه وفوز هاشم على أميه والجلاء عن مكة لا زالت عالقة في أذهانهم(1).

لذلك توضح موقفهم من الدعوة من خلال عدة مواقف بدءاً من إيذائهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم(2)، وبطرق مختلفة ومحاوله قتله من قبل أبي سفيان(3)، وكذلك إتباع طرق عديدة للنيل من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتراجع عن دعوته وصولاً إلى المقاطعة وعزل

ص: 199

1- ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1 / 57؛ المقرئزي، النزاع والتخاصم، 39

2- ينظر، البلاذري، جمل من انساب الأشراف، 1 / 147؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، 1 / 52

3- ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 90؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 45 / 425

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبنو هاشم والمطلب في شعب أبي طالب(1)، في محاولة يائسة من قبل قريش، ومن معها من بني أمية بصورة خاصة لمحاولة ثني الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتراجع عن موقفه والإستسلام لهم(2).

محاولة بني أمية إثارة الفتنة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانقسام المهاجرين والأنصار فيمن يولونه خليفة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة واختيار أبي بكر من قبل بعض المهاجرين والأنصار خليفة للمسلمين(3)، حاول بنو أمية متمثلين بأبي سفيان إثارة الفتنة بين المسلمين لزيادة الخلاف بينهم، إذ أقبل أبو سفيان وهو يقول: (والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا- دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم، أين المستضعفان، أين الأذلان علي والعباس)، ثم طلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يمد يده لبياعه فرفض ذلك وقال له:

(وإنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك لطالما بغيت الإسلام شراً، لا

ص: 200

1- شعب أبي طالب، وهو الشعب الذي آوى إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة، وكان لعبد المطلب قسمه بين بنيه لما ضعف بصره، وكان النبي قد أخذ حظ أبيه وكان منزل بني هاشم ومسكنهم، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3 / 347

2- ينظر، ابن هشام السيرة، النبوية، 1 / 234؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1 / 165

3- ابن هشام، السيرة النبوية، 4 / 1071؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 22

حاجة لنا في نصيحتك(1)، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الموقف في إحدى خطبه الشريفة بقوله:

(أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة)(2)، إذ بين الراوندي(3) في شرحه ان مراد أمير المؤمنين عليه السلام بسفن النجاة هم أهل البيت عليهم السلام مستندا إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)(4)، بينما ذهب البحراني بالقول أن المقصود بهذه الخطبة التي ألقاها أمير المؤمنين عليه السلام بعد اجتماع السقيفة وبيعة أبي بكر، هو محاولة أبي سفيان إثارة الفتنة، وأن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم البعض فيكون ذلك دماراً للدين(5).

وروي ان أبا سفيان جاء إلى باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والعباس منشغلون بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنادى:

بني هاشم لا- تطمعوا الناس فيكم *** ولا سيماتيم بن مرة أو عدي فما الأمر إلا فيكم وإيكم *** وليس لها إلا أبو حسن علي أبا حسن أشدد بها كف حازم *** فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي ثم نادى بأعلى صوته يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فضيل الرذل بن الرذل، أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلا ورجالا؛ فناده

ص: 201

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 209؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 189

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 41

3- منهاج البراعة، 1 / 146

4- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 2 / 146؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 9 / 168

5- شرح نهج البلاغة، 1 / 39

أمير المؤمنين عليه السلام: ارجع يا أبا سفيان: (فوالله ماتريد ما تقول وما زلت تكيد للإسلام وأهله....)(1).

نستشف مما تقدم عدة أمور منها محاولة أبي سفيان إثارة الفتنة بين القبائل، ونتائجها حالة الضعف والفوضى التي تنتج عنها، وكذلك ان أبا سفيان كان من مسلمة الفتوح الذين أسلموا كرها فهو لا يزال يضمّر أحقاد الجاهلية والنزعة القبلية على الإسلام، فضلاً عن كونه من رؤوس النفاق ومن أشد المحرضين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الدين الإسلامي، فضلاً عن معرفة أمير المؤمنين عليه السلام عما يدور في خاطره.

وعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله بأن الإمام عليه السلام قد خيب ظن وآمال الكثيرين ممن كان إسلامه مشكوكاً فيه وبعض الذين ينظرون إلى مسألة الحكم نظرة قبلية وعائلية بسبب عدم وعيهم ونضجهم، وحاول بعضهم حمل الإمام عليه السلام على تغيير رأيه وموقفه المبدئي الرسالي، ولكن الإمام رفض ذلك لأنه ينظر إلى المسألة مسألة فتنة(2).

وان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الفتنة التي حاول إثارتها أبو سفيان تمثل وصية لهذه الأمة في كيفية التعامل مع الفتن الضالة والمضلة، وذلك عن طريق الالتحاق والتمسك بأئمة الهدى عليهم السلام، وهذه الوصية التي أوصى بها الإمام عليه السلام ليست خاصة بعصره وإنما تمتد لكل العصور والأجيال(3).

ص: 202

1- المفيد، الإرشاد، 1 / 190

2- شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ، عند الإمام علي، 173

3- الشكري، حيدر فاضل، أهل البيت في نهج البلاغة، 86

وفي الأمر عينه جاء قوله عليه السلام:

(وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة)⁽¹⁾، هنا أراد أمير المؤمنين عليه السلام الميل والابتعاد عن طريق المنافرة⁽²⁾، وعلق التستري انه يراد بكلام الإمام عليه السلام إرتقوا عن ذلك الطريق ولا تسلكوه لأنه ينزل بكم إلى حضيض الهلكة⁽³⁾، وأراد بقوله: (وضعوا تيجان المفاخرة)، أي ارفعوا عن رؤوسكم تيجان المفاخرة فتاج المفاخرة كان لبس إبليس⁽⁴⁾، وهو مصداق قوله تعالى:

«خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»⁽⁵⁾، وكلام الإمام عليه السلام موجه إلى أصحاب السقيفة وقيام قريش والأنصار بالمنافرة والمفاخرة⁽⁶⁾.

ومن سياق الكلام يتضح لنا أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن المنافرة والتفاخر فيما بين المهاجرين والأنصار بشأن مسألة خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيمن يخلفه، وما تؤول إليه الأمور من صراع يؤدي بالمعرضين إلى تحقيق أهدافهم في شق وحدة المسلمين.

إبعاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، اتفق بعض المهاجرين والأنصار على تنصيب أبي بكر للخلافة بعده لإدارة شؤون الأمة، على الرغم من علمهم بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الأمر بعد

ص: 203

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 41 / 1

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 339 / 1

3- بهج الصباغة، 413 / 4

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 204 / 1

5- سورة الأعراف، آية 12

6- التستري، بهج الصباغة، 413 / 4

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أكد عليه في مواضع كثيرة، ومن أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشأن، إنه روي عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام:

(هذا أول من آمن بي وأول من يصفحني يوم القيامة، وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر، وهو بابي الذي آتي به، وهو خليفتي من بعدي)(1)، وجاء في حديث آخر قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(أنت ولي كل مؤمن بعدي)(2)، حيث جاءت هذه الأحاديث لتدلل على أحقيته بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدها عهد أبو بكر إلى عمر بن الخطاب للخلافة من بعده، والذي عمل بدوره على جعلها شورى في ستة اختارهم ليكون منهم، وكان الهدف منها هو إبعاد الإمام عليه السلام عن حقه في الخلافة.

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه عن ظلامته تلك بقوله:

(حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم إنني أحدهم فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيَّ مع الأول حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر)(3)، وذكر المفيد قضية الشورى بقوله: (لما جعلها عمر شورى في ستة وقال إن بايع إثنان لواحد وإثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، فخرج الإمام عليه السلام من الدار وهو معتمد

ص: 204

1- ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، 42 / 42؛ الذهبي، میزان الاعتدال، 3 / 2

2- الطيالسي، مسند أبي داود، 360؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين؛ 64؛ الطبراني، المعجم الكبير، 12 / 78؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 3 / 134

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 37

على يد ابن عباس، وقال يا ابن عباس: ان القوم عادوكم بعد نببيكم كمعاداتهم لنبيكم في حياته، والله لا ينيب بهم الحق إلا السيف، فقال له ابن عباس: وكيف ذاك قال: أما سمعت قول عمر، قال: بلى أولم تعلم ان عبد الرحمن ابن عم سعد، وان عثمان صهر عبد الرحمن، قال: بلى. قال: فإن عمر قد علم ان سعداً وعبد الرحمن و عثمان لا يختلفون في الرأي، وأنه من بويع منهم كان إثنان معه، وأمر بقتل من خالفهم ولم يبال ان يقتل طلحة إذ قتلني وقتل الزبير، أم والله لئن عاش عمر لأعرفته سوء رأيه فينا قديماً وحديثاً ولئن مات يجمعني وإياه يوم يكن فيه فصل الخطاب(1).

إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك، أنه لما طعن عمر جعل الخلافة في ستة كان أمير المؤمنين عليه السلام أحدهم، وتعجب عليه السلام من ذلك الموقف الذي جاء فيه عمر في قضية الشورى، إذ قال (متى اعترض الشك في مع أبي بكر حتى أقرن بسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف(2)، وأمثالهما لكني طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهم كما طلبته وهو موسوم بأكابره، أي هو حقي فلا أستكف من طلبه إذ كان المنافس فيه جليل القدر أو صغير المنزلة(3).

نستنتج من ذلك ان قضية الشورى ما هي إلا وسيلة لإقناع رأي الأمة بأن

ص: 205

1- الإرشاد، 1 / 285

2- عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، يكنى أبا محمد، كان اسمه عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الرحمن، وهم من المسلمين الأوائل وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها، توفي، سنة (31 هـ)، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 442؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 3 / 475

3- شرح نهج البلاغة، 1 / 181

الأمر جرت على وفق الإنتخاب من قبل أعضاء الشورى، ولكن يكمن في داخلها هدف هو حرمان الإمام عليه السلام من حقه في الخلافة، خصوصا وان الإمام عليه السلام يعلم بأن الأمر قد زوي عنه أثناء مخاطبته للعباس بقوله: (أما إنني أعلم أنهم سيولون عثمان، وليحدثن البدع والأحداث، وإن بقي لأذرك، وإن قتل أو مات ليتداولنها بنو أمية بينهم، وإن كنت حيا لتجدني حيث يكرهون)(1).

وفي موضع آخر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام جاء قوله:

(لكنني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا)(2)، أي ان المنافسة بين أصحاب الشورى كانت على الألقاب والمناصب والفرص بين الطرفين غير متكافئة، والظروف غير مهيئة للإمام عليه السلام لكي يردع المخالفين عن الباطل، ويأخذ بهم إلى طريق الحق، فأثر السكوت لمصلحته ولصالح المسلمين، وفي الوقت نفسه كان شديد المراقبة لهم وكثير المحاسبة، حيث كان يرشدهم في الكثير من المواقف للتي هي أصلح لهم وللمسلمين، وكان أبو بكر وعمر يسمعان من الإمام عليه السلام ويسمعان منه ويرجعان إليه في كثير من الأمور(3)، وكما قال عمر: (لولا علي لهلك عمر)(4)، ولكن عثمان كان دائم المعارضة للإمام عليه السلام بسبب ما يحيط به من حاشية على رأسهم مروان بن الحكم الذي كان يتحكم في أمره(5)، وعلى ما يبدو أن الخلفاء الذين سبقوا عثمان كان الإمام عليه السلام شديد المراقبة على كثير من

ص: 206

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 187 / 1

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 37 / 1

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 92 / 1

4- الكليني، الكافي، 424 / 7؛ الشريف الرضي، خصائص الأئمة، 85

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 92 / 1؛ ينظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 70 / 2

أعمالهم، وكانوا يستشيرونه في كثير من الأمور، ولولا الإمام عليه السلام لما استطاعوا قيادة الأمة، بإعتراف عمر بذلك، ولكن عثمان رفض الأخذ بنصائح الإمام عليه السلام.

وأراد بقوله عليه السلام:

(فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره)⁽¹⁾، اختلف بعض الشراح فيمن قصد الإمام عليه السلام بضغنه، إذ بين بعضهم أن مراد الإمام علي عليه السلام بذلك سعد بن أبي وقاص لأن أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباه يوم بدر⁽²⁾، بينما ذهب ابن أبي الحديد بالقول أن المقصود بذلك هو طلحة وليس سعد بن أبي وقاص لأن أباه مات في الجاهلية حتف أنه⁽³⁾، فيما عنى الإمام عليه السلام بقوله:

(مال الآخر لصهره) يعني عبد الرحمن بن عوف مال إلى عثمان لأنه زوج لأخت⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس فإن الشورى هدفها إبعاد الإمام عليه السلام عن تسلّم الخلافة وجعلها في بني أمية وممثلهم عثمان بن عفان وهذا ما ورد في الرواية، إذ قال الإمام عليه السلام لعمة العباس بن عبد المطلب:

(عدلت عنا فقال وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثر فإن رضي رجلان فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن

ص: 207

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 37 / 1

2- الراوندي، منهاج البراعة، 127 / 1؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 322 / 1؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 37 / 1؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 92 / 1

3- شرح نهج البلاغة، 185 / 1

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 185 / 1؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 92 / 1

عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخرا ن معي لم ينفعاني(1).

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(مع هن وهن)(2)، أي الإشارة إلى أمور يكنى بها ولا يصرح بذكرها وأكثر ما يستعمل ذلك في الشر(3)، ويعني ذلك الأذنياء من الناس، إذ تقول العرب فلان هني وهو تصغير هن، أي دون الناس ويريدون بذلك تصغيره(4)، بينما علق التستري على ان قول الإمام عليه السلام: (هن وهن) لم يقتصر على ما ذكر عن إصغاء الأول مع الثاني لكونه ابن عمه، وميل الثاني إلى عثمان لكونه صهره، بل عبر بني أمية عن إرادتهم تلك واتفاق الباقيين معه(5)، ولعل مصداق ذلك ما جاء على لسان عبد الله بن أبي سرح عندما قال مخاطباً أهل الشورى:

(أيها الملاء إن أردتم ان لا تختلف قريش فبايعوا عثمان)(6).

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الأمر مديراً مسبقاً لعزل أمير المؤمنين عليه السلام من قبل بني أمية ومن وقف وراءهم لغرض إيصالهم للسلطة، وفي هذا الصدد صرح أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي في غدرهم أولاً وأخيراً في قوله:

ص: 208

-
- 1- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، 3 / 925؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 230؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، 4 / 207؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 461
 - 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 37
 - 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 185
 - 4- الصدوق. علل الشرائع، 1 / 152
 - 5- بهج الصباغة، 5 / 185
 - 6- الجوهري، السقيفة وفدك، 86

(أن الأمة ستغدر بك بعدي)(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أكد أمير المؤمنين عليه السلام على أحقيته بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبيناً أنه وارث علمه وخليفته، ولكن القوم تحالفوا على إبعاده عن حقه، وقال عليه السلام في هذا المضمون:

(ومن ذا أحق به مني حياً أو ميتاً)(2)، إذ صرح البحراني بقوله أن الإمام عليه السلام أراد من ذلك أنه الأحق بالمنزلة والأقرب منه، ففي حياته بالأخوة والوزارة، وبعد موته بالوصية والخلافة، فهو أحق بالمنزلة وولاية أمره من بعده(3).

ومن خلال القول ان القرآن الكريم نصَّ على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء في قوله تعالى:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»(4)، إذ ذكر العديد من المفسرين أنها نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام حينما مر به سائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتمه(5).

وفي إحدى خطبه الشريفة في نهج البلاغة يبين لنا أمير المؤمنين عليه السلام المكانة التي حظي بها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقربه منه، والتي قال فيها:

ص: 209

-
- 1- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 436؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 3 / 142؛ الطوسي، الأمالي، 476؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11 / 297
 - 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 338
 - 3- شرح نهج البحراني، 3 / 413
 - 4- سورة المائدة، آية، 55
 - 5- الطبري، جامع البيان، 6 / 389؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 6 / 221؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 2 / 132

(وفاضت بين نحري وصدري نفسك)(1).

أما بصدد قوله عليه السلام:

(ومن ذا احق به مني حياً او ميتاً)، روي عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن امير المؤمنين عليه السلام مراراً، ولما جاء دخل عليه فأخذ يناجيه بكلام، ثم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يومه، فكان أمير المؤمنين عليه السلام آخر الناس به عهداً(2).

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى قضية إغتصاب حقه في الخلافة في موضع آخر من نهج البلاغة بقوله عليه السلام:

(فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا)(3)، وأشار ابن أبي الحديد، ان الإستثثار على الإمام عليه السلام والتغلب على أمر الخلافة لم يتحدد الآن(4) ولكنه منذ قبض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(5)، وعلق محمد جواد مغنية بقوله: (أن حق الإمام عليه السلام في الخلافة هو حق الإنسان بالذات لأنه الحارس والضامن ومن أجل هذا وحده حاربوه ودافعوه عن الخلافة، ولما توافرت له الأسباب ثار عليه الناكثون والقاسطون والمارقون، وخلقوا المشاكل والمصاعب للإسلام، والمجتمع الإسلامي بكامله من التفرقة في الدين، وسفك

ص: 210

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 346

2- ابن أبي شيبة، المصنف، 7 / 495؛ ابن حنبل، مسند احمد، 6 / 300؛ النسائي، السنن الكبرى، 4 / 261

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 42

4- أي الوقت الذي ألقى الإمام عليه السلام خطبته هذه عندما أشير عليه أن لا يخرج لقتال طلحة والزبير عندما خرجا لقتاله، ينظر، الشريف الرضي، نهج البلاغة، 45

5- شرح نهج البلاغة، 1 / 214

الدماء وإنتهاك الحرمات فتظلم الإمام عليه السلام للحق والناس جميعاً(1)، وجاء في هذا الصدد، ان الإمام علياً عليه السلام خطب وقال:

(قد أبيتم إلا أن أقولها ورب السماء والأرض، ان من عهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إلي ان الأمة ستغدر بك بعدي)(2).

وروى الصدوق بإسناده عن الإمام علي عليه السلام قال، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(إذا متُّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم يتمالئون ويمنعونك حقك)(3)، يتضح لنا من خلال ذلك بيان الإمام عليه السلام مظلوميته في حقه وكذلك إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بما يجري عليه من اغتصاب حقه ومحاربة الناس له.

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية أي مسألة إغتصاب حقه والتي جاء فيها:

(أما والله لقد تميمصها ابن أبي قحافة، وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير. فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتني بين ان أصول بيد جذاء، او أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير. ويشيب فيه الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت ان الصبر على هاتها أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده...)(4).

ص: 211

1- في ظلال نهج البلاغة، 1 / 112

2- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 436؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 3 / 143؛ الطوسي، الأمالي، 476

3- عيون أخبار الرضا، 1 / 72

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 154

وفي السياق ذاته أشار أمير المؤمنين عليه السلام، إلى منازعة معاوية له على الخلافة بقوله:

(هلم الخطب في ابن أبي سفيان)(1)، هنا تعجب الإمام عليه السلام من الأحوال والظروف التي أدت إلى أن يصير معاوية منازعه في الرياسة، ويحظى عند الناس بمقامٍ صالحٍ وأن يقع بمقابلته وأن يكون نداه(2)، وجاء ان الإمام الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية يذكره بما فعلت قريش من توثبها على أمر الخلافة محتجة بقربها من العرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإبعاد أهل بيته عن الأمر، وامسكوا عن حقهم مخافة على الدين، وتعجب الإمام الحسن عليه السلام من معاوية على إقدامه على أمر ليس من أهله، لا بفضل يذكر في الإسلام:

(وأنت ابن اعدى الناس للإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وسوف تلقى ربك ويخزيك بما قدمت يدك)(3).

ونستشف من كلام الإمام الحسن عليه السلام أنهم امسكوا عن حقهم ولم يطالبوا به في ذلك الوقت خوفاً على الدين الإسلامي من الذين يتربصون به الدوائر، للقضاء عليه فكان إمسكهم أولى حفاظاً عليه.

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(فلقد اضحكني الدهر بعد إيكائه)(4)، الإشارة إلى ما كان عنده من الكآبة لتقدم من سلف عليه فلم يقنع الدهر بذلك حتى جعل معاوية نظيراً

ص: 212

1- محمد، عبده، نهج البلاغة، 257 / 2

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 189 / 9؛ محمد، عبده، نهج البلاغة، 257 / 2

3- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، 35؛ المجلسي، بحار الأنوار، 39 / 44

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 257 / 2

له فضحك عليه السلام مما تحكّم به الأوقات ويقتضيه تصرف الدهر وتقلبه(1)، وعلق محمد جواد مغنية على الأمر بقوله: (المراد من ضحك الإمام عليه السلام هو حين احتجت قريش على الأنصار بشجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، وبكى حين فوجئ بأن قادة الحروب على الإسلام هو وابوه يطمح إلى خلافة نبي الإسلام ومنصبه)(2) وأن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح ينافس الإمام عليه السلام على منصب الخلافة، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(ان معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النار ولولا كلمة فرعون أنا ربكم الأعلى، ما كان أحد أسفل من معاوية)(3).

فمنذ ان قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمل القوم على إبعاد الإمام عليه السلام عن الخلافة بغضاً له وحباً في الملك والرئاسة وغيرها من الأسباب، لأنه لو وليها يحملهم على الحق، وهذا ما لا يرغبون به، وقد عبر عن ذلك بقوله عليه السلام:

(حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسد فواره من ينبوعه)(4)، إذ عملت قريش ومن معها مثل طلحة والزبير ومن آزرهما على إبعاد الإمام عليه السلام وبتشجيع من معاوية وعمرو بن العاص ومن والاهم على ذلك الأمر(5)، وأتخذوا من قميص عثمان وسيلة لتحقيق غايتهم في إبعاد الإمام عليه السلام(6)، وهم

ص: 213

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9/ 190؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 276

2- في ظلال نهج البلاغة، 2/ 447

3- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 217؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2/ 536

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 2/ 257

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9/ 190

6- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2/ 448

بذلك يعملون على القضاء على مسألة وراثه أهل البيت عليهم السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واستئصالها من جذورها وجعلها في أيدي غيرهم، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ذلك(1).

وجاء انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إرتجت مكة في نعيه، فسأل أبو قحافة عن الأمر، فقالوا له نبأ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتولي أبي بكر الخلافة بعده، فقال: (وهل رضيت بنو عبد شمس والمغيرة، قالوا: نعم، قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله، ما أعجب هذا الأمر، تنازعون النبوة وتسلمون الخلافة، أن هذا لشيء يراد(2).

وفي صفيين جعل معاوية مكافئة مالية لكل من يقتل العباس بن ربيعة الهاشمي(3)، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

(لو وُدَّ معاوية إنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة إلا - طعن في بطنه، إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره(4)، من خلال الرواية يتضح ان معاوية يسعى للقضاء على أي فرد من بني هاشم، فكيف هو الحال مع أهل البيت وسيدهم أمير المؤمنين عليهم السلام يومئذ، ومما لا شك فيه انه يسعى للقضاء عليهم لأنهم أعداؤه التقليديون الذين يقفون حائلاً دون تحقيق غاياته.

ص: 214

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 276

2- المفيد، الأمالي، 91؛ الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال، 135

3- العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، وكان ذا قدر ومنزلة أقطعه عثمان داره في البصرة، ومائة ألف درهم، وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شهد معه صفيين وكان على القلب من جنده وكان من شجعان قريش وأبطالها، وقد قتل غرار أحد قادة معاوية، ينظر، ابن قتيبة، المعارف، 128

4- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 3 / 144؛ المجلسي، بحار الأنوار، 32 / 592

إحجام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن المطالبة بحقه في الخلافة إحتج أمير المؤمنين عليه السلام بشأن مسألة اغتصاب حقه في الخلافة على أهل السقيفة وعلى أبي بكر وعمر، وما جاء في خطبته الشقشقية خير دليل على ذلك، ثم تكرر احتجاجه على أهل الشورى بشأن حقه في الخلافة، وجاء قوله عليه السلام في هذا الصدد:

(لقد علمتم إنني أحق الناس بها من غيري)(1) هنا خاطب أمير المؤمنين عليه السلام أهل الشورى بأنكم على علم بحقي في الخلافة دون غيري وأنتم تعدلون عني، وكلام الإمام عليه السلام واضح لا غموض فيه فهو ينظر إلى الخلافة كأداة لتحقيق العدل والمساواة فإذا تحقق هذا المطلب استطاع ان يخفف من حدة الضغوط التي مورست ضده لإقصائه عن حقه(2)، وأورد ابن أبي الحديد العديد من الروايات التي ناشدهم بها والتي تبين حقه في الخلافة دون غيره، وكذلك الخصائص والفضائل التي يتميز بها أمير المؤمنين عليه السلام عن غيره من الصحابة والتي احتج بها الإمام عليه السلام على أهل الشورى بعد ان بايع عبد الرحمن والحاضرون لعثمان، وامتنع هو عليه السلام عن البيعة وقال لهم:

(إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال

ص: 215

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 361

السرى(1)، ومن هذه المناشآت التي ناشدهم بها، قوله لهم في هذا المعنى:

(أنشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين نفسه، حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من كنت مولاه فهذا مولاه) غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) غيري؟ فقالوا: لا(2)، وذكر الكثير من فضائله في هذا الجانب حتى قطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه وأبلغه بأن الناس لا ترضى إلا ب عثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ثم قال عبد الرحمن: (يا أباطحة ما الذي أمرك به عمر؟ قال:

أن أقتل من شق عصا الجماعة، فقال عبد الرحمن لعلي، بايع إذن، وإلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به(3).

وعند التأمل في النص المذكور نلاحظ إبتعاد أصحاب الشورى وخاصة عثمان ومن يؤازره عن الحق وعن المكانة التي رسمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام وأوضحها لهم، وهم يعلمون بأنه أحق منهم لتولي الخلافة لا لحاجة لها وإنما من أجل الدين وقوامه وإصلاح الناس، وخاصة ان عمر بن الخطاب قد أشار إلى ذلك عندما حدد أصحاب الشورى وما يمتازون به من صفات ووصف أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لأصحاب الشورى:

(والله إني لأعلم مكان الرجل لو وليتموه أمركم ليحملنكم على المحجة

ص: 216

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 134

2- شرح نهج البلاغة، 6 / 134

3- المصدر نفسه، 6 / 134

البيضاء، قالوا: فلم لا توليه؟ قال: ليس إلى ذلك سبيل(1)، وهذا دليل واضح على ان الأمر مدبرله مسبقاً بإبعاد الإمام عليه السلام وحرمانه عن حقه في الخلافة، وهناك رواية اخرى تدلل على ذلك الأمر، ومفادها ان سعيد بن العاص الأموي طلب من عمر بن الخطاب ان يستزيده في داره، فأخبره بأمر وأمره بكتمانه وقال له أنه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك(2).

وفي موضع آخر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام جاء قوله:

(ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين)(3)، حيث أشار البحراني بقوله:

ان أمير المؤمنين عليه السلام أقسم على ترك المنافسة في أمر الخلافة وعدم الخوض في صراع مع المنافسين له، وهو إشارة إلى ان غرضه من ترك المنافسة هو لصالح حال المسلمين واستقامة أمورهم وسلامتهم من الفتن التي قد تعصف بهم في حال منازعته للأمر وهذا يؤدي بدوره إلى شق عصا الإسلام(4).

وفي السياق ذاته صرح أمير المؤمنين عليه السلام بالجور الذي لحق به من جراء الشورى بقوله:

(ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة)(5)، حيث علق ابن أبي الحديد على قول الإمام عليه السلام ذلك، بأن الجور الذي وقع في خلافة عثمان لم يقع إلا عليه فقط،

ص: 217

-
- 1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 120؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 478
 - 2- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 35؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 21 / 119؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 12 / 580
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114
 - 4- شرح نهج البلاغة، 2 / 208
 - 5- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

ولم يتضمن ذلك الجور على المسلمين والإسلام(1)، وكيف ذلك، وكل ما آل إليه المصير هو من تداعيات خلافة عثمان لتوريثه أهل بيته وتوزيعه الثروات والثافات في سياسة العطاء، وتولية الصبيان وإلى ذلك من الأمور، وعلق التستري على قول ابن أبي الحديد بتصريحه ذلك بأنه مضحك، وكيف لم يكن جوراً على الإسلام(2)، ومما يدل على ذلك أن أبا سفيان في أيام عثمان مر على قبر الحمزة بن عبد المطلب فضربه برجله وقال له: يا أبا عمارة قم فانظر إن الدين الذي كنت تضربنا عليه بالسيف في يد شبابنا يلعبون فيه(3)، والباحث يتفق مع التستري بشأن مسألة الجور على المسلمين والإسلام، إذ سنين فيما بعد كيف أدار بنو أمية الدولة في ظل خلافة عثمان بن عفان وما لاقت الأمة من أعمالهم من الظلم والجور واغتصاب حقوق الناس وهذا ما اشارت إليه المصادر التاريخية كما سنوضح ذلك(4).

ص: 218

1- شرح نهج البلاغة، 6 / 134

2- بهج الصباغة، 4 / 510

3- المقرئزي، النزاع والتخاصم، 7؛ المجلسي، بحار الأنوار، 33، 89

4- ينظر الفصل الثالث من الدراسة، 182 - 185

موقف الشخصيات الأموية من بيعة الإمام علي عليه السلام عرف الأمويون بعدائهم للدعوة الإسلامية منذ بداية ظهورها في مكة على يد الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ برز دورهم بشكل كبير في محاربة تلك الدعوة على يد زعيمهم أبي سفيان الذي ناصب العداء للإسلام والمسلمين، وبعدها جاء من يكمل هذا الدور العدائي من بعده متمثلاً بالشخصيات الأموية التي برزت فيما بعد وخاصة عندما تسلم أمير المؤمنين عليه السلام خلافة المسلمين، إذ توحدت مواقفهم الراضية لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام لأنهم لم يجدوا فيها ما يحقق رغباتهم، وفيما يلي نعرض بعضاً من تلك المواقف:

أولاً: نقض مروان بن الحكم بيعة الإمام عليه السلام يعد مروان بن الحكم من الشخصيات التي وقفت موقفاً سلبياً إزاء خلافة أمير المؤمنين عليه السلام إذ كان من بين الذين بايعوه بعد مقتل عثمان، ولكن سرعان ما نقض بيعته وغدر بعد أن ثار على الإمام عليه السلام مع أصحاب الجمل، إذ جاء كلام الإمام عليه السلام في هذا الصدد:

(أولم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسبتيه)⁽¹⁾، إذ صرح ابن أبي الحديد بقوله ان هذا الخبر روي من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب (نهج البلاغة) وهي قوله عليه السلام في مروان:

ص: 219

(يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وإن له أمة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة من ولده يوماً أحمر)⁽¹⁾، وقوله عليه السلام أولم يبايعني بعد قتل عثمان أي وقد غدر، وهكذا لو بايعني الآن⁽²⁾.

ورويت أحاديث كثيرة بشأن مروان بن الحكم، إذ روى الكليني، مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عن مروان بن الحكم:

(الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون)⁽³⁾.

وكان مروان مجاهراً بالإنحاد هو وأبوه وهما الطريدان اللعينان، وكان أبوه عدو النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكيه في مشيته ويغمز عليه ويدلع لسانه، وتم طرده إلى الطائف⁽⁴⁾.

وأراد بقوله عليه السلام:

(لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسبتيه)، ومعنى كف يهودية أي غادرة، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث⁽⁵⁾، ويفهم من ذلك تشبيهه باليهود لغدرهم كما بين الله تعالى في كتابه الحكيم:

«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ»⁽⁶⁾، ومعنى ذلك بأن الله وصف اليهود والمشركين بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، لأن اليهود

ص: 220

1- شرح نهج البلاغة، 6 / 117

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 117

3- الكافي، 8 / 238؛ ينظر، الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 4 / 480

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 119

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 207

6- سورة المائدة، آية، 82

ظاهروا المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين يؤمنون بنبوته موسى عليه السلام والتوراة التي أتى بها، فكان ينبغي أن يكونوا إلى من وافقهم في الإيمان بنبيهم وكتابهم أقرب، وظاهروا المشركين حسداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم(1)، أما قوله عليه السلام:

(لو بايعني بيده لغدر بسبتيه) ومعنى السبة(2)، إهانة له لأن الغدر من أقبح الرذائل فنسبته إلى السبة أولى النسب، أما المعنى الآخر انه يريد الكلام حقيقة لا مجازاً، وذلك لأن الغادر من العرب كان إذا عزم على الغدر بعد عهد عاهده أو عقد، إستهزاء بما كان اظهره من اليمين والعهد(3)، وربما المراد من ذلك ان مروان لو بايعه بكفه لغدر باصبعه وهو السبابة وهي أحد أصابع اليد وهو يتلائم مع سياق كلام أمير المؤمنين عليه السلام لما كان متعارفاً بين العرب بأن البيعة تتم باليد.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ كفه عندما بسط يده ليايعة مروان بن الحكم فنترها وقال: لا حاجة لي فيها إنها كف يهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكت بأسته(4)، نستنتج من ذلك ان مروان بن الحكم بما يتصف به من صفات وأخلاق جعلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بطرده مع أبيه فكيف لا- يغدر بأمر المؤمنين عليه السلام وينكت بيعته، إذ كان يقال لمروان بن الحكم خيط الباطل(5).

ص: 221

1- الطوسي، التبيان، 3 / 614

2- السبة، هو كل شيء يلزم به سبة او عيب، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 4 / 625

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 118؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 207؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 112

4- المفيد، الجمل، 222؛ القطب الراوندي، الخرائج والجرائح، 1 / 197

5- البلاذري، جمل من انساب الأشراف، 6 / 256؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 681

ثانياً: كتاب الإمام علي عليه السلام إلى معاوية بشأن بيعته تبودلت الكتب والرسائل بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان بشأن بيعة معاوية للإمام، ولكن معاوية كان يتهرب كل مرة من أمر البيعة لذلك عمل الإمام عليه السلام إلى إرسال جرير بن عبد الله البجلي(1)، إلى معاوية محملاً إياه رسالة إليه لكي يحمله على البيعة أو الحرب، وجاء فيها:

(أما بعد فقد أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم(2)، إذ ذكر ابن أبي الحديد ان الإمام عليه السلام أراد من جرير بأن لا يترك معاوية متلكاً متردداً يطمعك تارة ويؤيسك تارة أخرى، بل احمله على أمر فصل، أما البيعة أو ان يأذن بالحرب، وخذه بالأمر الجزم أي الأمر المقطوع، ولا- تكن ممن يقدم رجلاً- ويؤخر أخرى(3)، لأن معاوية كان يتلون أيام المهلة ليستعد له فلا يجيبه بجواب فاصل(4).

وروي: (ان أمير المؤمنين عليه السلام حينما أراد ان يبعث رسولا إلى معاوية، قال له جرير إبعثني إلى معاوية فأدعوه على ان يسلم لك الأمر ويجتمع معك على حق على ان يكون أميراً من أمرائك وعاملاً من عمالك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام، خذ الكتاب واعلم أنني لا أرضى به أميراً وأن العامة لا ترضى به خليفة، فانطلق حتى

ص: 222

1- جرير بن عبد الله بن جابر وهو السليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة البجلي، يكنى أبا عمرو من ساكني الكوفة، ووكان إسلامه بالعام الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد قبيلة بجيلة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذي الكلاع وذي ظليم باليمن، وتوفي سنة، (54 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8: 145؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 120

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 396 / 3

3- شرح نهج البلاغة، 38 / 14

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 321 / 4

أتى الشام وقال لمعاوية: قد اجتمع لابن عمك أهل المصريين وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر ولم يبقَ إلا هذه الحصون التي أنت فيها، وبعد ذلك خطب معاوية بأنه خليفة عمر و عثمان وأنه وليه في الدم، وقد قتل مظلوماً وأحب أن يستطلع آراء الناس في قتل عثمان فقام أهل الشام بأجمعهم، وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك(1)، ومما لا شك فيه ان معاوية على علم بأن الإمام عليه السلام لن يبقيه في ولاية الشام، لذلك أخذ يخلق الأعداء والأسباب عسى ان تقيده في شيء مما يرغب في تحقيقه.

وفي المعنى ذاته قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(ثم خيّر بين حرب مجلية، أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وان اختار السلم فخذ بيعته، والسلام)(2)، هنا المراد بحرب مجلية تجلي المقهورين فيها عن ديارهم أي تخرجهم(3)، وسلم مخزية أي فاضحة، وإنما جعلها مخزية لأن معاوية امتنع أولاً عن بيعة الإمام عليه السلام فإذا دخل في السلم فإنما يدخل في البيعة، وإذا بايع بعد الإمتناع فقد دخل تحت الهضم ورضي بالضم وذلك هو الخزي(4).

هنا وضع الإمام عليه السلام معاوية بين خيارين، الأول عند رفضه البيعة سوف يلاقي جزاء رفضه حرباً من الإمام عليه السلام وأتباعه تبعده عن الديار التي هو فيها

ص: 223

1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 27 - 28؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 492

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 396

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 38؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 321

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، شرح نهج البلاغة، 14 / 38، مغنية في ظلال نهج البلاغة، 3 / 395

والتي عمل على توطيد ملكه فيها منذ توليته على الشام، أما الخيار الثاني هو ما يستشعر به معاوية من الذل والمهانة التي سوف تلحق به لأنه خضع للإمام عليه السلام بعد عناده الطويل وامتناعه عن البيعة، لأنه ينظر إلى البيعة على أساس عصبي لا يمت للدين بصلة.

وقوله عليه السلام:

(فانبذ إليهم) من قوله تعالى:

«فَأَنْبَذَ إِلَيْهِمْ عَلَيَّ سَوَاءً»⁽¹⁾، إذ علق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله:

(وأصله العهد والهدنة وعقد الحلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين ثم يبدو لهما في ذلك فينتقلان إلى الحرب، فينبذ أحدهما إلى الآخر عهده كأنه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه أحدهما يوم الحرب وأبطله فأستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة، ونسخ شريعة السلام السابقة للحرب المعاقبة لها)⁽²⁾، وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام خطبة في هذا الشأن جاء فيها:

(ان إستعدادي لحرب أهل الشام وجريير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير أرادوه، ولكن قد وقتت لجريير وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً. والرأي عندي الإنانة، فأرودوا ولا أكره لكم الإعداد)⁽³⁾، يتضح من ذلك ان الإمام عليه السلام أراد إعطاء معاوية بعض الوقت عسى أن يرجع إلى رشده ويباع الإمام عليه السلام.

ص: 224

1- سورة الأنفال، آية، 58

2- شرح نهج البلاغة، 38 / 14

3- الشريف المرتضى، نهج البلاغة، 91

إحتجاج الإمام علي عليه السلام على معاوية بالمهاجرين والأنصار بعد مقتل عثمان إلتجأ المهاجرون والأنصار إلى أمير المؤمنين عليه السلام لغرض بيعته وتمت البيعة من قبلهم، ولكن معاوية وأهل الشام رفضوا بيعته، وقد احتج الإمام عليه السلام على معاوية بقوله:

(إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه)⁽¹⁾، أي ان الإمام عليه السلام احتج على معاوية ببيعته بأهل الحل والعقد بالإجماع كما بايعوا الخلفاء من قبله حسب ما يعتقده معاوية وأهل الشام، ولو احتج عليهم بالنص لم يوافقوا بإعتقادهم انه لم يكن منصوباً عليه ولم يسلم له⁽²⁾، وكان عليه السلام رفض البيعة إلا بعد إلحاح الجماعة والصحابة وفي مقدمتهم طلحة والزبير، وكان الهدف من كتابة الإمام عليه السلام لمعاوية بشأن بيعته إلا تجنباً للفتنة⁽³⁾، وما إن تمت البيعة للإمام عليه السلام حتى كتب إلى معاوية بشأن بيعته وأرسل له رسالة بذلك بيد جرير بن عبد الله البجلي، وروي ان أمير المؤمنين عليه السلام امتنع وقال لهم:

(أنا لكم وزيرٌ خير مني امير)⁽⁴⁾، أي أنه عليه السلام رفض الخلافة وعرض عليهم

ص: 225

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 395

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 32؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 320

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 391

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 427؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 81

أن يكون لهم سنداً فيمن يختارونه، فكان أمير المؤمنين عليه السلام وزيراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه ابن أبي الحديد بهذا الخصوص بأن الإمام عليه السلام جعل احتجاجه على معاوية بشأن بيعته بأصحاب الحل والعقد بنظر معاوية وهم المهاجرون والأنصار من المسلمين الاوائل، لأنهم يمثلون الرأي الأول والأخير، ولو احتج عليه بالنص والأحاديث التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأن أمير المؤمنين عليه السلام لرفض معاوية ذلك رفضاً قاطعاً، وهو مع ذلك رفض بيعة الإمام وطلب شروطاً منها توليته على الشام(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

(فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب أن يرد)(2)، أي ان البيعة تمت من قبل أكثرية الصحابة وحضرها غيرهم فقد لزمته وليس له أن يرفض أو يعترض، ولا للغائب أن يرد بيعة الإمام عليه السلام الذي بايعه الصحابة، وهذه الحجة تدفع معاوية وأصحاب الجمل، وأنهم يعترفون بخلافة الثلاثة لأنها بيعة المهاجرين والأنصار(3)، وكذلك بيعة الإمام عليه السلام فكيف تقضوا هنا ما أبرموه هناك، وذكرت المصادر التاريخية أن بيعة أبي بكر لم يجمع عليها الصحابة، فسعد ابن عباد(4) لم يبايع ولا أحد من أهله، وكذلك بنو هاشم وأنصارهم، وما

ص: 226

1- ينظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 138؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 405

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 395

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 391

4- سعد بن عباد ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن الخزرج، يكنى أبا ثابت، وكان يكتب بالعربية في زمن الجاهلية، شهد سعد العقبة مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الإثني عشر، وكان سيداً جواداً وكان يحض الأنصار على الخروج لقتال المشركين في بدر، ولم يشترك فيها، وشهد احداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتوفي سنة (15 هـ)، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 3 / 566؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 2 / 441

توقف معاوية وأضرابه عن تصحيح بيعة أبي بكر لا تمتنع من امتنع منها(1).

وقد كتب الإمام عليه السلام إلى معاوية يأمره بالمبايعة له وإن يدخل فيما دخل فيه الناس، وأن لا يشق عصا المسلمين ولا يسفك دماءهم، فأجابه معاوية، محتجاً عليه بقتل عثمان وإتهام الإمام عليه السلام بذلك وأن يسلم قتلة عثمان، وأحتج عليه بأن حجتك على أهل البصرة وقد أطاعوك، ولم يطعك أهل الشام، وإن طلحة والزبير كانا بايعاك ولم أبايعك أنا، وأما فضلك في الإسلام وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلمعمرى ما أدفعه ولا أنكره(2).

بعد ذلك بين أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية أن الأمر الفصل والأول والأخير بشأن بيعته لأصحاب الشورى وهم المهاجرون والأنصار وقد عبر عن ذلك بقوله:

(وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه(3) أن ذلك يعني رغبة عن الإمام الذي وقع عليه الإختيار(4)، والضمير في أمرهم يعود للصحابة الذين بايعوا الإمام عليه السلام ومن قبله، والخارج بطعن هو معاوية، والخارج ببدعة أصحاب الجمل الناكثون(5)، وقوله عليه السلام:

ص: 227

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 391

2- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 121؛ ابن الدمشقي، جواهر المطالب، 3 / 395

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 395

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 31

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 392

(فإن أبا قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى)(1) وذكر في مورد آخر ان المروي بعد قوله ولاه الله ما تولى (وأصله جهنم وساءت مصيراً)، وأن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضوا بيعتي، فكان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، إلا ان تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك، واستعنت بالله عليك، وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه، ثم حاكم إلي القوم أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريد فخذعة الصبي عن اللبن(2).

أراد الإمام عليه السلام هنا تذكير معاوية بشأن أصحاب الجمل أي أنهم نقضوا بيعته الإمام عليه السلام وأعلنوا الحرب عليه وهو بمثابة الخروج على الدين، لأن الإمام عليه السلام الممثل الرئيسي لهذا الدين، وقد نالا جزاءهما بما فعلا عليك ترك الخدع والأباطيل التي لا تجدي نفعاً.

وفي موضع آخر بين الإمام عليه السلام موقفه من معاوية بشأن البيعة، إذ كتب إليه يخبره بأن البيعة واحدة ليس فيها خيارات وليس فيها نظر بقوله:

(لأنها بيعة واحدة لا يشي فيها نظر ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن)(3)، أي أن بيعة الإمام عليه السلام لا يعاود النظر فيها ولا يراجع ثانية، ولا يوجد فيها خيارات أخرى لمن قام ببيعته أو لم يبايع فهي بالنهاية تلزم الذين عقدوا البيعة ومن تخلف عنها(4) ولا تتجزأ بطبيعتها إلى

ص: 228

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 395

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 31؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 392

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 396

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 37

رضا الصحابة بها او رفض من عداها لهم(1)، وأما قوله عليه السلام:

(الخارج منها طاعن)، أي طاعن على الأمة لأنهم أجمعوا على ان الإختيار طريق الإمامة(2)، ويجب مجاهدته لمخالفة سبيل المؤمنين(3)، وقصد من قوله عليه السلام:

(المروي فيها مداهن) أي الذي يرتئي ويبطئ عن الطاعة ويفكر وأصله من الروية والمداهن المنافق(4).

أراد الإمام عليه السلام إفهام معاوية بأن بيعته شأن بيعة الولاة الذين سبقوه، واقرنت بيعة الصحابة ممن حضر البيعة وأنه لا تكون هناك بيعة أخرى، وأن الذين يخرجون عن البيعة هم المنافقون المصانعون الذين تستوجب مجاهدتهم لخروجهم عن ذلك الأمر.

إعراض الإمام عليه السلام عن بني أمية لقد أعرض أمير المؤمنين عليه السلام عن الكثير من حقوقه والتجاوزات التي حصلت عليه وخاصة من بني أمية ومنها اتهامه بقتل عثمان بن عفان والتحريض عليه، وقد دعاهم إلى بيعته والدخول في طاعته لأجل مصلحة المسلمين ووحدتهم،

ص: 229

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 394

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 37

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 320

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 37؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 320

وقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بكتاب أرسله إلى معاوية جاء فيه:

(من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد علمت إعداري فيكم، وإعراضني عنكم، حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له)(1)، خاطب أمير المؤمنين عليه السلام معاوية وبنى أمية بكونه ذا عذر إلى الله تعالى من خلال قيامه بالنصح لعثمان(2)، وإعراضه عليه السلام عنهم بسبب إسائتهم إليه وعفوه عنهم حتى قتل عثمان وما جرى في المدينة من أحداث(3)، وروي ان أهل المدينة كتبوا إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويقسمون له إنهم لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمهم من حق الله، فلما خاف القتل شاور ناصحه وأهل بيته، فأشاروا عليه أن يرسل إلى الإمام علي عليه السلام ليردهم عنه حتى يأتيه إمداد، فقال لهم عثمان انهم لم يقبلوا التعليل وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان، فأرسل الى أمير المؤمنين عليه السلام وطلب منه أن يتدخل في الأمر وأن يؤجله ثلاثة أيام، وممرت الأيام ولم يفي بوعدته، فثار عليه القوم وقتلوه(4).

وفي الغرض نفسه جاء قوله عليه السلام:

(والحديث طويل، والكلام كثير وقد أدبر ما أدبر وأقبل ما أقبل فبايع من قبلك، وأقبل إليّ في وفد من أصحابك)(5)، إذ قام الإمام عليه السلام بإخبار معاوية بأن الكلام في أمر عثمان كثير وطويل وأصبح من الماضي، قد أقبل زمان فبايع وأقدم

ص: 230

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 497

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 217

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 53

4- ينظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 62؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 369

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 498

أنت ومن معك، لكن معاوية رفض ذلك الأمر بسبب رغبته إلى الملك والرئاسة التي يطمح لها منذ توليته من قبل عمر بن الخطاب على الشام(1)، فضلاً عن قيام من يحرضه على الخروج على أمير المؤمنين عليه السلام مثل الوليد بن عقبة الذي كان من أشد المحرضين على الإمام عليه السلام الذي كان ينشد معاوية بهذه الأبيات:

فو الله ما هند بأمك إن مضى *** نهار ولم يثار بعثان ثائر أقتل عبد القوم سيد أهله *** ولم تقتلوه، ليت أمك عاقر ومن عجب أن بت بالشام وادعاً *** قريراً وقد دارت عليه الدوائر(2) بينما يرى البحراني بقوله ان الإمام عليه السلام إخبار معاوية بأن بعض الناس قد نكث بيعته كطلحة والزبير ومن تابعهما، وبعضهم أقبل وبايعني(3)، يتبين من ذلك ان الإمام عليه السلام أخبر معاوية بشأن إسائتهم إليه وقد كان عثمان واعده بأن يفى بوعوده للشوار بعزل العمال الفاسدين وتغيير سياسته ولكنه لم يفِ بوعوده الذي قطعه للإمام عليه السلام وهذه تعتبر إساءة بحقه، وكذلك إتهامهم المستمر له بقتل عثمان وهو مع ذلك صفح عنهم ودعاهم للبيعة والدخول في طاعته لكنهم أبوا ذلك.

وفي كتاب أرسله أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية يدعوه فيه للدخول في بيعته في بداية حرب صفين بقوله عليه السلام:

(من أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر أما بعد، فإن بيعتي لزمك وأنا بالمدينة وأنت بالشام، وذلك إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان

ص: 231

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 53

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 53

3- شرح نهج البلاغة، 5 / 218

فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وأما عثمان فقد كان أمره مشكلاً على الناس، المخبر عنه كالأعمى والسامع كالأصم، وقد عابه قوم فلم يقبلوه وأحبه قوم فلم ينصروه، وكذبوا الشاهد واتهموا الغائب، وقد بايعني الناس بيعة عامة، من رغب عنها مرق ومن تأخر عنها محق، فأقبل بالعافية وأعمل على حسب ما كتب(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة دعا الإمام عليه السلام معاوية للدخول في بيعته وأن يترك الإكثار من المطالبة بدم عثمان كسبب من أسباب امتناعه عن البيعة، ودعاه إلى ذلك بقوله عليه السلام:

(وقد أكثر في قتل عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى)(2) أي أن معاوية أراد من الإمام عليه السلام تسليم قتلة عثمان له، ولكن الإمام عليه السلام أجابه بأن يدخل في بيعته ثم يقوم بمحاكمة الناس إلى كتاب الله بصفته الحاكم الشرعي الوحيد الذي يحق له محاكمتهم، وبما أن قتلة عثمان كان من بينهم من المهاجرين والأنصار فليس من حق معاوية الطلب من الإمام عليه السلام تسليمهم إياه حتى يقوم بقتلهم بغير محاكمة عادلة(3)، وإن الإمام بصفته الحاكم الحق يجب أن يتحاكم إليه الطرفان فإذا حكم بالحق استمرت حكومته وإلا بطلت إقامته(4).

نستشف من ذلك أن معاوية قد طلب من الإمام عليه السلام أن يسلمه قتلة عثمان

ص: 232

1- ابن اعثم الكوفي، الفتوح، 2 / 494

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 488

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 198

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 15

كشروط لبيعته، ولكن الإمام عليه السلام رفض ذلك ودعاه إلى حكم كتاب الله فيهم، وقد روي، (أنه عند بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بايعه طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وباقي الناس إلا ثلاثة نفر من قريش وهم مروان بن الحكم، وسعيد ابن العاص، والوليد بن عقبة، وطلبوا شرط بيعتهم اموراً منها قتل قتلة عثمان، فغضب الإمام عليه السلام لذلك وقال لهم: أما قتلي قتلة عثمان فلو لمني قتلهم اليوم لمني قتالهم غداً، ولكن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه...)(1).

وأشار الإمام عليه السلام إلى مدى تعجبه من تلون أساليب معاوية للإبتعاد عن بيعته والبدع التي يبتدعها من أجل تحقيق غايته وعبر عن ذلك عليه السلام بقوله:

(فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة، والحيرة المتبعة، مع تضييع الحقائق، وإطراح الوثائق التي هي لله طلبه، وعلى عباده حجة)(2)، وبين الراوندي ان الإمام عليه السلام تعجب من شدة لزوم معاوية للأهواء التي هو مبتدعها والتحير بها عن قصد الحق، وذلك إنه في كل وقت يوقع شبهة ويبتدع رأياً يقوي به أصحابه ويقرر في أذهانهم بذلك ان علياً عليه السلام لا يصلح للإمامة(3)، فتارة يقول أنه قتل عثمان، وتارة أخرى يزعم أنه خذله، وتارة يقول أنه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة تصرفه بالعطاء وتقريب مال المسلمين على غير الوجه الشرعي(4)، ومرة يعترف بكونه صالحاً للإمامة ويطلب إليه الإقرار على الشام،

ص: 233

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 76؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 2/ 443

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3/ 439

3- منهاج البراعة، 3/ 127

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5/ 77؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 410

إلى غير ذلك مما يتدعه في الدين من الأباطيل(1)، ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقائق الأمور التي ينبغي أن يعتقدها مع كونه عليه السلام الأحق بهذا الأمر وإطراحه لمواثيق الله وعهوده المطلوبة المرضية له وهي على عباده حجة يوم القيامة(2).

ويبدو ان معاوية قد استخدم هذه البدع والأساليب لغرض الحصول على فرصة من الإمام عليه السلام لتثبيته على ولاية الشام لكنه فشل في كل محاولاته في الحصول على مبتغاه، لذلك كان يستخدم في كل مرة اسلوباً جديداً محاولاً القفز على الحقيقة وهي إطاعة الإمام الحق لهذه الأمة وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(3)، وجاء عند العياشي، قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية أنها نزلت بالولاية للأئمة عليهم السلام(4).

ص: 234

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 77 / 5

2- المصدر نفسه، 78 / 5

3- سورة النساء، آية 59

4- تفسير العياشي، 328 / 1

المبحث الثالث أساليب بني أمية للوصول إلى السلطة في نهج البلاغة

بعد بزوغ فجر النبوة وظهور الدين الإسلامي انزعجت قريش ومنهم على وجه الخصوص بنو أمية لأنه قضى على السيادة في مكة التي كان بنو أمية جزءاً منها وأصبحت القيادة وخاصة بعد الفتح بيد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتح لهم هذا الدين التعامل على أساس الطبقيّة وسيادة بعضهم على بعض، لذلك أخذوا ينظرون إلى الدين ورياسة الأمة من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه ملك يتوارثه بنو هاشم وهذا ما بينه أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب عندما جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال له، ويحك إنه ليس بملك ولكنها النبوة)⁽¹⁾.

وبعد ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكثير من الأحاديث التي نصت على وصيته للولاية ي لأمير المؤمنين عليه السلام من بعده ومنها، قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: 235

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 126؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 254؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 23 / 450

(من كنت مولاه فعلي مولاه)(1)، لذلك ازداد حسد بني أمية وخوفهم من انتقال الملك بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده أولاده فيخسرون مكانتهم التي كانوا عليها في قريش إلى الأبد، لذلك عملوا على إيجاد وسيلة توصلهم إلى مبتغاهم واستعادة نفوذهم الذي خسروه، وبعد وصول عثمان إلى السلطة عن طريق الشورى التي لا تخلو من إتفاق مسبق على وصول الأمويين إلى الحكم، وذلك عندما قال الإمام عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف عندما رفض ان يبايع عثمان:

(ليس هذا اول يوم تظاهرتم علينا فيه، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك)(2).

ومن جانب آخر لا يمكن تغافل الدور الذي أداه عمر بن الخطاب في تهيئة الأرضية المناسبة لهم للوصول إلى السلطة، فقد عمل على تولية معاوية بن أبي سفيان على بلاد الشام بعد موت أخيه يزيد سنة 18 هـ ليقف حجر عثرة دون انتقال السلطة إلى آل البيت عليهم السلام(3)، وكذلك توضح لنا قضية سعيد بن العاص الأموي الذي طلب من عمر بن الخطاب أن يستزيده في أرض داره ووعدته بأنه سيلبي الأمر من بعده من يصل رحمه(4)، ويتضح أن الأمر مهين مسبقاً لتولي السلطة من قبل بني أمية وهنا سؤال يطرح، ألم يعلم عمر بن الخطاب أن معاوية

ص: 236

-
- 1- الإسكافي، المعيار والموازنة، 72؛ ابن حنبل، مسند أحمد، 1 / 84؛ الترمذي، سنن الترمذي، 5 / 297؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، 2 / 110
 - 2- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 3 / 930؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 233؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 464
 - 3- الورداني، السيف والسياسة، 80
 - 4- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 35؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 21 / 119

وبني أمية قد نزلت فيهم الكثير من الآيات القرآنية التي تدمهم وتلعنهم في أكثر من موضع في القرآن الكريم(1)، ألم يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد لعنهم في أكثر من موضع(2)، وهو مع ذلك يقربهم ويوليهم ويكون بذلك قد هبأ لهم الأسباب المناسبة للإستيلاء على الأمور بأساليب وطرق عديدة ساعدتهم في الوصول للسلطة.

وبعد تولي عثمان الخلافة تهيئت الأمور لبني أمية لسط نفوذهم واللعب بمقدرات الدولة، وسنأتي على ذكر بعض الأساليب التي اعتمدها بنو أمية في الوصول إلى السلطة والتي أشارت إليها خطب الإمام عليه السلام في نهج البلاغة ولعل أبرز تلك الأساليب ما يأتي:

أولاً: تأويل القرآن بعد وصول عثمان بن عفان إلى السلطة سنة 23 هـ / 644 م الذي خص بني أمية بالإمارة والإماتات، سلم جميع الأمور إلى مروان بن الحكم الذي كان الغالب عليه، ومن نافلة القول ان مروان بن الحكم وأباه منعا من دخول المدينة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك رفض أبو بكر وعمر دخولهما إليها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا انه لما آلت الأمور إلى عثمان أدخل مروان إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم(3)، وروي ان أموالاً أتت عثمان من العراق فقسّمها كلها في

ص: 237

1- القمي، تفسير القمي، 22 / 2؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 11 / 6؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 260 / 3

2- الضحاك، الآحاد والمثاني، 300 / 3؛ الحلبي، السيرة الحلبيّة، 510 / 1

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 193 / 1

بني أمية، والكثير من الأمور التي أدت إلى نقمة المسلمين عليه ومن ثم مقتله من قبل أهل المدينة مع القوم الذين قدموا من مصر(1).

وكان مقتل عثمان بن عفان الحجة التي اتخذها معاوية لرفضبيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وإعلان تمرده على الشرعي وعدم الدخول في طاعته، فضلاً عن كون ذلك الأمر (قتل عثمان) كان من الأمور التي مهدت السبيل لمعاوية للوصول إلى السلطة عن طريق اتخاذ أسلوب تأويل القرآن لصالحه وإدعائه بأنه ولي دمه، وقد عبر الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله:

(فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن)(2)، ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك هو تعدي معاوية وظلمه، أي كنت مثابراً على طلب الدنيا أو مصراً عليها، وتأويل القرآن هو ما كان معاوية يموه به على أهل الشام فيقول لهم أنا ولي عثمان(3)، وقد قال الله تعالى:

«مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا»(4)، وعلى اثر ذلك طلب معاوية السلطان تحت راية قميص عثمان واتخذ من كتاب الله تعالى ذريعة لغرضه وقال أنا ولي دم عثمان، وإذن فأنا السلطان، على الرغم من وجود أبناء عثمان وإخوته وبعده معاوية عن إرتباطه نسبياً بعثمان، ولكن لما حكم معاوية وسيطر لم يأخذ واحداً من قتلة عثمان بجريرته، بل كان يقرب بعضهم ويجيزهم

ص: 238

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 73؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 365

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 479

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 17 / 104

4- سورة الإسراء، آية 33

إذن فمن الواضح ان معاوية قد اتخذ من مقتل عثمان ذريعة تمكنه من حشد الطاقات لمقاتلة الإمام عليه السلام لغرض تحقيق غايته في الوصول للسلطة، وقد ذكر ان عمار بن ياسر قام بصفين وخطب بالناس وقال:

(أن الناس يطلبون ما يزعمون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا لإحداثه، فقالوا: ما أحدث شيئاً وذلك لأنه مكنهم من الدنيا... فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولا هي ما بايعهم من الناس رجالان)(2).

وفي مكان آخر جاء قول الإمام عليه السلام:

(وطلبتي بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصبت أنت وأهل الشام بي، وألّب عالمكم جاهلكم، وقائمتكم قاعدكم)(3)، إذ ذكر البحراني في شرحه ان معاوية أخذ يتهم الإمام عليه السلام بمقتل عثمان وألبسه التهمة وألزمها له هو وأهل الشام على الرغم من علمهم ببراءة الإمام من ذلك حيث قام معاوية بتفسير الآية المذكورة آنفاً تفسيراً عاماً ليجد له منفذاً ليقحم نفسه فيها ويطلب بدم عثمان على الرغم من بعده عنه(4)، وأراد بقوله عليه السلام:

ص: 239

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 129

2- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 319؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 39

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 479

4- شرح نهج البلاغة، 5 / 180؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 479

(وألب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم)، ان قصد الإمام عليه السلام من ذلك هو قيام عالمكم بحالي وما أنا عليه من الحق بتحريض من جهل به، وكذلك أخذ القائمون على حربي بتحريض كل من قعد عنه(1)، وعلق محمد جواد مغنية على ذلك ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك ان العلماء والخطباء الذين باعوا دينهم لمعاوية قد قاموا بتهينة الدين والقرآن وفقاً لشهواته ورغباته(2)، وقيل ان المقصود بعالمهم أبوهريرة وقائمهم عمرو بن العاص(3)، ومن الواضح ان بعض أهل الشام كانوا غير راغبين في قتال الإمام عليه السلام والخروج عليه لكن معاوية وجد ما يحقق هدفه ألا وهو اتهام الإمام عليه السلام بقتل المظلوم ليكون لذلك وسيلة له لاستنهاض الناس وتأليبهم عليه.

ثانياً: خداع الناس ومن الأساليب التي سلكها معاوية أسلوب خداع الناس وإيهامهم بأن الإمام علياً عليه السلام هو الذي قتل عثمان وعمل على ترسيخ هذه الفكرة في نفوسهم وأذهانهم حتى باتت من المسلمات لديهم بأن الذي قتل عثمان هو الإمام علي عليه السلام، وقد نوه أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك مخاطباً معاوية بقوله:

(وأرديت جيلا من الناس كثيراً خدعتهم بغيك)(4) أي أهلكت صنفاً من

ص: 240

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 180 / 5

2- في ظلال نهج البلاغة، 129 / 4

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 479 / 3؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 446

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 435 / 3

الناس بضلالك(1)، واخبره بذلك الأمر من باب التوبيخ له بسبب ضلاله عن الدين(2)، وروي ان الإمام عليه السلام قد أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية لأخذ البيعة منه، وأن يدخل فيما دخل فيه الناس فطلب منه معاوية الإنتظار ليأخذ رأي الناس وخطب بالناس وبيّن لهم أنه خليفة امير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة عثمان ووليه وابن عمه وقد علمتم أنه قتل مظلوما، وطلب منهم بيان رأيهم في مسألة الأخذ بثأره، فأجابوا الى ذلك(3)، نستنتج من ذلك ان معاوية بسبب ابتعاده عن الدين أخذ يلبس الحق بالباطل ويشوه الحقائق في أذهان الناس من اجل تهيئة الأجواء المناسبة له للوصول للسلطة عن طريق حشد اكبر قدر من الناس عن طريق هذا الأسلوب.

وفي السياق ذاته ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

(وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتلاطم بهم الشبهات)(4)، إذ أشار أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه مع معاوية إلى مسألة طلب الدنيا من خلال قيامه بإقناع الناس بآرائه المنحرفة عن طريق الله تعالى والتي أغرقهم بها من خلال التلاعب بأذهانهم وعقولهم مما جعلها مضطربة بعيدة عن الصواب والخطأ وهو ما شبهه الإمام عليه السلام بأمواج البحر من شدتها(5) وجاء أنه لما استوثق الأمر لأبي العباس السفاح، وفد عليه عشرة من أمراء الشام، فحلفوا له بالله وبطلاق

ص: 241

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 102

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 67

3- ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 59 / 130، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3 / 60

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 435

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 67

نسائهم وبأيمان البيعة بأنهم لا يعلمون إلى ان قتل مروان بن محمد ان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهلاً ولا قرابة إلا بني أمية(1).

ولكن هذا الأمر ليس مطلقاً على أهل الشام فمنهم من كان من الذين عاشوا في المدينة ورأوا وسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستقروا فيما بعد في بلاد الشام كأبي أيوب الأنصاري وبلال وعبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر وغيرهم الكثير، وهل هؤلاء لا يعرفون نسباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى بني أمية.

وفي جانب آخر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ذكر قوله:

(فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولوا على أدبارهم، وعولوا على أحسابهم)(2)، أي انهم كانوا يقصدون حقاً فمالوا إلى الباطل(3)، وأنهم عدلوا عن الحق ومالوا بسبب ما ألقاه إليهم من الشبهة واعتمدوا على قتالهم على احسابهم حمية الجاهلية في الذب عن اصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه(4).

من خلال ما تقدم يمكن ملاحظة ان معاوية بسبب تطلعه وحبه للجاهلية القديمة التي استغلها بين أهل الشام بوصفها سلاحاً يحقق من خلاله هدفه وهو المطالبة بدم عثمان ليشير بين نفوسهم هذا العامل للنهوض معه ضد الإمام عليه السلام، وفي صفين استنهض هاشم بن عتبة(5) الناس ودعاهم إلى قتال عدوهم وأقبل

ص: 242

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 125 / 7؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6 / 79

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 435

3- المصدر نفسه، 3 / 435

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 125

5- هاشم بن عتبة بن أبي وقاص القرشي الزهري، يكنى أبا عمرو، اسلم يوم الفتح ويعرف بالمرقال، وكان من الفضلاء الأخيار الأبطال، فقتل عينه يوم اليرموك، وشهد القادسية وشهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل وصفين وكان على الرجال وقتل فيها، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 747؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 6 / 404

إليه عدد منهم، والتقى بأهل الشام، وقال لأصحابه:

(لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ماترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها، وانهم لعلى ضلال وإنكم على الحق)(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة ذكر الإمام عليه السلام أسلوباً آخر من أساليب معاوية ألا وهو ارسال الدعاة إلى بقية المناطق يدعون إلى طاعته في السر ويثبطون المسلمين عن نصرته أمير المؤمنين عليه السلام ويوقعون في أنفسهم أنه إما قاتل عثمان أو خاذل له، وأن الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية وأخلاقه وسيرته بزعمهم(2)، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني إنه وجه على الموسم أناساً من أهل الشام، العمي القلوب، الصم الأسماع، الكمه الأبصار، الذين يلتمسون [يلبسون] الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون الدنيا درهاً بالدين)(3)، إذ عنى الإمام عليه السلام بذلك اخباره عن معاوية، وأن الشام سمي مغرباً لأنه من الأقاليم المغربية، وأراد بالموسم أيام الحج، وقد كان للإمام عليه السلام عيون يخبرونه بما يتجدد من الأمور عن معاوية، وكذلك لمعاوية، كما جرت عادة الحكام بمثله(4).....

ص: 243

-
- 1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 354؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 42 / 5
 - 2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 107؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 69 / 5
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 435
 - 4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 69

وقد بعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي(1)، سنة 39 هـ / 660 م ليقوم للناس الحج فنزعه قثم بن العباس(2)، فدخل بينهما أبو سعيد الخدري وغيره فأصطلحوا على أن يقيم الحج شيبه بن عثمان(3)، ويصلي بالناس(4).

وعلى ما يبدو ان معاوية استغل موسم الحج لإرسال دعائه إلى هناك بسبب كثرة من يتوافد من الناس لأداء فريضة الحج، لذلك وجدها فرصة سانحة لخداع الناس وتضليلهم بالدعايات والأوهام التي يطلقها.

ووظف معاوية أهل الشام وغيرهم وطاعتهم له لتحقيق مصالحه وممن وجد فيهم صفات قد استغلها منذ وصوله إلى الحكم على الشام، وقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك الصفات في أكثر من موضع من نهج البلاغة إذ قال عليه السلام:

ص: 244

1- يزيد بن شجرة الرهاوي وهو من قبيلة الأشعرين، وهو أحد أمراء معاوية، وبعثه في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة فدخلها وخطب فيها وأراد ان يقيم الحج فنزعه قثم بن العباس وهو عامل أمير المؤمنين عليه السلام على مكة فاصطلحا بعد ذلك، وكان يغزو الثغور وقتل في إحدى غزواته سنة (58 هـ)، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 761؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 220 / 65

2- قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمير ادرك صدر الإسلام في طفولته، ومر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يلعب فحمله، وولاه ابن عمه الإمام علي عليه السلام على مكة واستمر فيها إلى أن قتل الإمام عليه السلام، وخرج في أيام معاوية إلى سمرقند وقتل فيها، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 349 / 6 / الذهبي، سير أعلام النبلاء، 440 / 3

3- شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، عبد الله بن عبد العزى القرشي العبدي، وكان مشاركاً لابن عمه عثمان الحنفي في سدانة بيت الله الحرام، ويكنى أبا عثمان، وكان قد أسلم بعد عام الفتح وكانت وفاته سنة (59 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 63 / 6؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 13 / 3

4- ابن عبد البر، الاستيعاب، 761؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 605 / 3

(ألا وإن معاوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية)⁽¹⁾، إذ صرح البحراني ان معاوية قد قاد جماعة قليلة ووصفهم الإمام عليه السلام برذيلتين هما، ان معاوية كونه قائد غواة وكونه لبس عليهم الحق وأراهم الباطل في صورة الحق⁽²⁾، أما قوله عمس⁽³⁾ عليهم خبر مقتل عثمان إذ كان ينشر قميص عثمان ويتظلم للحق والعدل كذباً ونفاقاً وصدق أهل الشام حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية، وقتلوا انفسهم لأجل معاوية وبدعه⁽⁴⁾، وقد روي أن لما غلب أهل الشام على نهر الفرات فرحوا بالغلبة، فقال لهم معاوية: (يا أهل الشام هذا والله أول الظفر لا-سقاني الله من حوض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان شربوا منه حتى يغلبوني عليه)⁽⁵⁾.

وفي قوله عليه السلام الذي وصفهم به بأوصاف ابتعدوا فيها عن الله تعالى إذ قال:

(العمى القلوب، الصم الأسماع، الكمه الأبصار)⁽⁶⁾، إذ بين البحراني في شرحه أن الإمام عليه السلام وصف معسكر الشام بأوصاف تستلزم البعد عن الله تعالى لغرض التنفير عنهم ومن هذه الصفات (شمول الغفلة بهم من كل وجه عما خلقوا لأجله واستعار لقلوبهم وجه العمى باعتبار عدم عقليتهم للحق وإدراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة وعدم انتفاعهم من جهة الأسماع بالمواعظ

ص: 245

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 92

2- شرح نهج البلاغة، 2 / 138

3- عمس، اي مظلم لا يدري من أين يؤتى إليه، او تأتي الأخفاء والظلمة، ينظر، الجوهري، الصحاح، 3 / 952؛ الزبيدي، تاج العروس، 8 / 373

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 287

5- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 125؛ المنقري نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 163

6- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 436

والتذاكير ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بها من آثار الله سبحانه وتعالى كما لا ينتفع بذلك فاقد هاتين الآيتين(1)، ومن يتصف بهذه الصفات جديرٌ بأن يطيع معاوية في كل شيء وفي الوقت نفسه وجد معاوية من يستجيب لأمره ويصدقه في كل شيء، وهو مصداق قوله تعالى:

«لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»(2)، أى ان هؤلاء عندما يؤمرون بشيء لا يفقهونه بقلوبهم ولم يسمعوا بأذانهم ولا يرونه بعيونهم اطلقوا عليهم بكماً عمياً صماً، وعندما لا ينتفعون بتلك الجوارح سموا بأسمائهم(3).

ثم بين أمير المؤمنين عليه السلام على ما هم عليه من الصفات المذكورة إذ يقومون بتحريف الحقيقة والإبتعاد عنها، وقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بقوله:

(الذين يلتمسون [يلبسون] الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين)(4)، والمراد من ذلك انهم يخلطونه ويعمونه فيه وأنهم يعلمون انه على حق ومعاوية على باطل ثم يكتمون ذلك ويقومون بتغطية ذلك بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه إلى غير ذلك من أباطيلهم(5). ويطيعون معاوية في مقابل معصية خالقهم أي يتبعونه إلتماسا وطلباً للحق ولا

ص: 246

1- شرح نهج البلاغة، 5 / 69

2- سورة الاعراف، آية 179

3- الطبري، جامع البيان، 9 / 175؛ الطوسي، التبيان، 5 / 69

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 436

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 108؛ البحراني شرح نهج البلاغة، 5 / 69

يعلمون انه على باطل(1)، أما قوله يحتلبون الدنيا درها أي كانوا دعاة يظهرن سمة الدين وناموس العبادة(2) وتمسكهم بطواهر الدين لتحصيل الدنيا وأخذهم ما لا يستحقونه منها وأن محاربتهم للإمام عليه السلام إنما كانت كما زعموا لأخذ الثأر لعثمان وانكار المنكر على قاتليه وخاذليه لذلك تمكنوا من تأليف قلوب العرب وأكثر جهال المسلمين على حربته عليه السلام وأخذ البلاد(3).

يتضح من ذلك أنهم يطيعون معاوية وهم يعلمون أنه على باطل بسبب سعيهم للدنيا، وهم بذلك يعصون خالقهم بسبب إطاعتهم معاوية، وجاء ان أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يسير إلى الشام خطب في أنصاره فتكلم هاشم بن عتبة وأخبره بأن أصحاب معاوية أعداء له ويطلبون الدنيا ويتحججون بالطلب بدم عثمان لمقاتلتك وهم يكذبون بما يزعمون، فانهض بنا إليهم فإن أجابوا فذلك هو الحق وإن أبوا ذلك فذلك ظني بهم(4).

ثالثاً: أسلوب الغدر والمكر من الأساليب التي اتبعها معاوية بن أبي سفيان لغرض الوصول للسلطة وتثبيتها بعد أن وصل إليها هو أسلوب الغدر وعدم الوفاء بالالتزامات التي عليه أو التي يعطيها من أجل تحقيق غايته وهي الوصول للسلطة ومن ثم إبقائها في أهل بيته من بعده، ولم تكن إشارات أمير المؤمنين عليه السلام بعيدة عن فضح هذا

ص: 247

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 108، البحراني شرح نهج البلاغة، 5 / 70

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 107

3- البحراني شرح نهج البلاغة، 5 / 70

4- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 92

الاسلوب الذي انتهجه معاوية لذلك الغرض، فمما ورد في هذا الشأن قوله عليه السلام:

(والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر)(1)، وذكر البحراني في شرحه، ان الدهاء هو استعمال العقل والرأي الجيد فيما يراد فعله مما لا ينبغي مع إظهار ارادة غيره، ويسمى صاحبه داهية(2).

وأكد أمير المؤمنين عليه السلام ان معاوية ليس بأقدر منه عليه السلام على فعل الدهاء وأكد ذلك بالقسم البار(3)، وأن هدف معاوية هو المجد والسلطان وأن كل الوسائل حق عنده ما دامت تؤدي إلى تحقيق غايته(4)، نستنتج من ذلك أن معاوية لا يتوانى عن فعل أي شيء حتى لو كان على حساب مصلحة الدين والمهم عنده تحقيق غاياته وطموحاته، وفي رواية أوردها الطبري ان عمر بن الخطاب قال:

(تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية)(5).

أما قوله عليه السلام:

(ولكنه يغدر ويفجر)، إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه ان الغدر معناه ترك الوفاء(6)، وهنا إشارة إلى لوازم الدهاء التي لأجلها تركه وهو يغدر وبواسطته الفجور فإن الوفاء لما كان نوعاً تحت العفة كان الغدر هو رذيلة نوعاً تحت ما

ص: 248

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 345

2- شرح نهج البلاغة، 3 / 438

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 438

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3، 212

5- تاريخ الرسل والملوك، 5 / 330

6- شرح نهج البلاغة، 10 / 165

يقابل العفة وهو الفجور(1)، وصفة الغدر والفجور من صفات معاوية التي أوصلته للسلطة وقد عبر عنها بنفسه، ففي رواية الأصفهاني، ان معاوية قال:

(الأ- ان كل شيء أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به)(2)، وفي رواية اخرى أنه لما استتمت الهدنة بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام سار معاوية حتى نزل النخيلة(3)، وصلى بالناس وخطب فيهم وقال:

(إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم)(4).

ثم عبّر الإمام عليه السلام عن كراهية الغدر بقوله:

(ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس)(5)، إذ نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن الدهاء والغدر عن نفسه، ويبيّن كراهيته لما له من علاقة مباشرة بالفجور، وبما ان صفة الغدر من صفات معاوية فهو فاجر(6)، إذن هنا ربط أمير المؤمنين عليه السلام دهاء معاوية بالغدر، إذ جعلهما حقيقتين متلازمتين في شخصية معاوية الذي استخدم دهاءه وحيله في غدر الآخرين للوصول إلى مآربه الشخصية، وأمير المؤمنين عليه السلام بعيد كل البعد عن الغدر والمكر، لما عرف عنه من التقوى والإيمان،

ص: 249

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 439

2- مقاتل الطالبين، 77

3- النخيلة، تصغير نخلة، وهو موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي عليه السلام لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 / 278

4- المفيد، الإرشاد، 2 / 15؛ الأربلي، كشف الغمة، 2 / 164؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 11 م 429

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 345

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 439

وعبر عن ذلك في كلام له:

(لولا- التقى لكنت أدهى العرب)(1)، فالدهاء في قول الإمام عليه السلام يخالف التقى لأنه جعله شرطاً في عدم تحقيق التقى، ولا غاية للإمام عليه السلام إلا الدين وإحقاق الحق وفي سبيله تجب التضحية بكل عزيز وثمانين(2)، وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد على أن الإمام عليه السلام أعقل الناس، منها ما جاء في قول عمر بن الخطاب: (أفضانا علي)(3)، وقوله أيضاً: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)(4)، ووردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة بحق أمير المؤمنين عليه السلام التي تبين هذا الجانب.

بينما نجد الكثير من الشواهد على دهاء معاوية وتضليله للناس من أجل الوصول إلى مصلحته، فروي أنه لما دس السم إلى مالك الأشتر أقبل على أهل الشام وقال لهم: إن علياً وجه الأشر إلى مصر فأدعوا الله أن يكفيكموه، فكان أهل الشام يدعون عليه في كل صلاة، ولما أخبر بموته أنبأ أهل الشام بأن موته نتج عن دعائهم لأنهم حذب الله(5)، وهكذا استطاع معاوية أن يخدع أهل الشام بمثل بأخبار كهذه ليحصل على تأييدهم، وكيف لا يصدقونه وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأوصاف تجعلهم يصدقون به مثل (العمي القلوب، الصم الأسماع،

ص: 250

1- الكليني، الكافي، 8 / 24؛ القاضي النعمان، شرح الاخبار، 2 / 106

2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 212

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 2 / 293؛ ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 2 / 706

4- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 1 / 311؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 4 / 96؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 4 / 467

5- الثقفى، الغارات، 264؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 96

ومن أساليبه في هذا الشأن انه راسل قيس بن سعد بن عبادة يستميله بسطان العراقين (البصرة والكوفة) وسطان الحجاز لمن أحب من أهل بيته إن صار معه، فرد عليه قيس بأعنف قول، فأظهر معاوية لأهل الشام أنه قد بايع، وأمرهم بالدعاء له، واختلق كتاباً نسبه إليه وقد قرأه عليهم وهذا نصه:

(أما بعد، إن قتل عثمان كان حدثاً في الإسلام عظيماً، وقد نظرت لنفسي وديني فلم أر بوسعي مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برأ تقياً، فنستغفر الله لذنوبنا، ألا وإنني قد ألقيت لكم السلام وأحببت قتال قتلة إمام الهدى المظلوم، فاطلب مني ما أحببت من الأموال والرجال أعجله عليك)(2).

وقيام معاوية بإصدار مثل هذا الكتاب ونسبته إلى قيس بن سعد بن عبادة ما هو إلا لخداع الناس وتضليلهم بأن قيس بن سعد ترك أمير المؤمنين علياً عليه السلام والتحق بركب معاوية، وبناءً على ما تقدم نستشف ان معاوية اتخذ وسيلة الخداع والمكر والحيلة أساليب لإلتفاف الرأي العام الشامي حوله، وقد نتج عن ذلك السيطرة المطلقة على الشام التي امتدت إلى عقود من الزمن.

ص: 251

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 436

2- الثقفى، الغارات، 217؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 550؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 51

رابعاً: أساليب الترغيب والمال السياسي الترغيب لعة: الرغبة مصدر قولهم رغب، يقال من الرغبة، رغب يرغب رغباً ورغباً ورغبة ورغباً(1).

أما الرغبة اصطلاحاً، هو العطاء الكثير والجمع رغائب، قال الشاعر:

وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب(2).

واتبع بنو أمية وخاصة معاوية أساليب عديدة من أجل الوصول للسلطة ومن هذه الأساليب أسلوب بذل الأموال من أجل كسب الانصار والمؤيدين لهم، ومنها شراء الذمم كما هي الحال مع عمرو بن العاص، أو بأساليب أخرى تندرج ضمن أساليبه غير الشرعية من أجل طموحاته غير المتناهية، وأفرزت سياسة معاوية تلك آثاراً على المدى البعيد، مما انعكس على الكثير من القبائل والأشخاص وعلى ولائهم وطاعتهم لأئمة المؤمنين عليه السلام، وجاء كلامه في هذا الشأن بقوله عليه السلام:

(أوليس عجباً إن معاوية يدعو الجفافة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم وأنتم تريكاة الإسلام وبقية الناس إلى المعونة وطائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون عليّ)(3)، ذهب ابن أبي الحديد بالقول: كيف قال الإمام عليه السلام ان معاوية لم يكن يعطي جنده، وأنه عليه السلام كان يعطيهم، والمشهور

ص: 252

1- الجوهري، الصحاح، 1/ 137؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/ 415

2- الجوهري، الصحاح، 1/ 137؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2/ 416؛ ابن منظور، لسان العرب، 1/ 422

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 2/ 286

ان معاوية كان يمد أصحابه بالأموال والرهائب، ويعني ذلك ان معاوية لم يكن يعطي أصحابه على وجه المعونة والعطاء، إنما كان يعطي رؤوساء القبائل من اليمن وساكني الشام الأموال الجليلة يستعبدهم بها ويدعو أولئك الرؤوساء أتباعهم من العرب فيعطونهم، فمنهم من يطيعهم حمية الجاهلية ومنهم من يطيعهم لأياد وعوارف من أولئك الرؤوساء عندهم(1)، ومنهم من يطيعهم ديناً زعموا للطلب بدم عثمان، ولم يكن يصل إلى هؤلاء الأتباع من أموال معاوية قليل ولا كثير(2).

والمعونة هنا تعطى إلى الجند وهي شيء يسير من المال لغرض ترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم ويكون ذلك خارجاً عن العطاء المفروض شهراً فشهرأ يكون شيئاً له مقدار يصرف في أثمان الأقوات ومؤنة العيال وقضاء الديون(3)، إذن الترغيب كان من خلال هذا الوجه وهو التمييز في العطاء عند الإمام عليه السلام، وعدم التمييز عند معاوية الذي كان مدعاة لاستحواذ معاوية على رؤوس القوم المؤثرين في أتباعهم وهنا برز دور الترغيب الذي استخدمه معاوية.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقسم بين الرؤوساء والأتباع على وجه الخصوص العطاء والرزق، ولا يرى شريفاً على مشروف فضلاً، فكان من يقعد عنه بهذا الطريق أكثر ممن ينصره ويقوم بأمره، وذلك لأن الرؤوساء من أصحابه كانوا يجدون أنفسهم متساوين مع أتباعهم فيخذلونه باطناً وإن أظهروا له

ص: 253

1- شرح نهج البلاغة، 56 / 10

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 56 / 10؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 351 / 3

3- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 57 / 10

النصر(1)، وروي ان أشرف الكوفة كانوا غاشين لأمير المؤمنين عليه السلام وكان هواهم مع معاوية، وذلك لأن أمير المؤمنين عليه السلام كان لا يعطي أحداً من الفيء أكثر من حقه، بينما كان معاوية قد جعل الشرف في العطاء في ألفي درهم(2).

وذكر نصر بن مزاحم انه لما اشترطت قبائل عك والأشعريين على معاوية ما اشترطوا من العطاء والفريضة، فأعطاهم لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية وشخص بصره إليه، حتى فشا ذلك بين الناس وبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فساء ذلك(3)، فمن خلال الرواية نفهم أن عك والأشعريين قد اشترطوا شرطاً على معاوية مقابل الإنضمام إليه، لأنه لم يكن يعطي بشكل شهري كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام، لذلك وافق معاوية على شروطهم لغرض كسب أكثر عدد من المؤيدين لسياسته.

وقد علق أحد الباحثين بقوله: (ان سياسة معاوية اتضح فيما بعد في أهل العراق الذين هم مجتمع قبلي يدين لرؤسائه بالطاعة المطلقة، وهؤلاء الرؤساء يطمحون إلى مزيد من القوة والسلطان والغنى والمنزلة الاجتماعية ولا يجدون شيئاً منها عند الإمام عليه السلام بينما هم يجدونها عند معاوية كما يشتهون(4)، ونحن لا نتفق مع الباحث بهذا الرأي، لأن العراق لم يكن مجتمعاً قبلياً، على العكس من ذلك، فالقبلية جاءت بعد عملية الفتوحات واستقرار القبائل والأعراب فيها، وهل كان العراقيون وحدهم الذين يدينون لرؤسائهم، وأهل الحجاز والشام

ص: 254

1- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 10 / 57

2- الثقفى، الغارات، 451؛ المجلسى، بحار الأنوار، 34 / 51

3- وقعة صفين، 435

4- شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 215

وفارس وغيرها من المناطق، ألم تكن طاعة الشاميين مطلقة لمعاوية.

ثم ان هؤلاء الرؤساء يقولون ان حكومة معاوية خير من حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وهي خير لهم بلا إشكال، وتسمع القبيلة كلها مقالة زعيمها فتدين بها، غير واعية أن حكومة معاوية خيرٌ لرؤسائها، فحكومة أمير المؤمنين عليه السلام خير لها، وذلك لأنها تستن المساواة سياسة لها بينما تستن تلك سياسة الأثرة، وهم لا يعون هذا، وعلى هذا الأساس كانت سياسة معاوية تؤثر في العراق(1).

إلا ان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام طلبوا منه أن يعطي الأموال، ويفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن يخاف عليه من الناس فراره إلى معاوية(2)، لكن أمير المؤمنين عليه السلام أجابهم بقوله:

(أأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجماً)(3)، إذ رد أمير المؤمنين عليه السلام على الذين أشاروا عليه كيف تأمروني ان أطلب النصر من الله بأن أجور على قوم وليت عليهم الذين لا سوابق لهم ولا شرف وكان عمر ينقصهم في العطاء عن غيرهم(4)، بينما ذهب البحراني بالقول ان هؤلاء القوم الذين أشاروا على أمير المؤمنين عليه السلام إن فضلت هؤلاء القوم لكانوا معك بقلوبهم ونصروك(5)، وذكر محمد عبده ان المراد من قول الإمام عليه السلام:

ص: 255

1- شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 215

2- الثقفى، الغارات، 75؛ المفيد الأمالي، 175؛ الطوسي، الأمالي، 194

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 211

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 8 / 98

5- شرح نهج البلاغة، 3 / 123

(ما أطور به ما سمر سمير)، أي ما أمر به ولا أقاربه مبالغة في الإبتعاد عن العمل بما يقولون، وما سمر سمير أي مدى الدهر(1).

ويبدو ان معاوية وظف الرأي العام حوله بأسلوب الترغيب مما جعل الناس تطمع فيه وبالأموال التي يبذلها وخاصة لرؤساء القبائل مما أدى ذلك بأصحاب الإمام عليه السلام إلى طلب منه ذلك الأمر منه أيضاً.

وفي الصدّد ذاته تطرق أمير المؤمنين عليه السلام إلى مسألة المساواة في العطاء بين الناس، وصرح بذلك بقوله:

(لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)(2)، أي ان أمير المؤمنين عليه السلام حريص على المساواة بين الناس في توزيع المال الذي من خلاله يسود العدل وتجتمع النفوس على مقاتلة العدو في حالة كون المال ماله الخاص، فكيف به وهو مال الله تعالى الذي فرضه لهم بالتساوي، وهذا ما عبر عنه الإمام عليه السلام بالإعتذار عن التفضيل في العطاء(3).

نستنتج من ذلك ان أمير المؤمنين عليه السلام رفض إعطاء هؤلاء الأشراف لأنه مؤتمن على أموال الرعية، وإذا فعل فإنه يخالف ما جاء به دين الله، وأمير المؤمنين عليه السلام أبعد من أن يفعل ذلك، وأنه لو امتلك المال لنفسه لقام بقسمته بالتساوي على قومه فكيف يقوم بالتصرف بما لا يملك، وجاء أن أمير المؤمنين عليه السلام عند إنتهائه من معركة الجمل أعطى الناس بالسوية ولم يفضل أحداً على أحد، وأعطى

ص: 256

1- نهج البلاغة، 211 / 2

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 211 / 2

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 124 / 3

الموالي كما اعطى الصليبية(1)، وقال عليه السلام:

(قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد اسماعيل على ولد اسحق فضل وأخذ عودًا من الأرض فوضعه بين اصبعيه)(2).

وفي موضع آخر من خطب أمير المؤمنين عليه السلام جاء قوله:

(ألا وان إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله)(3)، إذ بين ابن أبي الحديد إن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وقد نهى الله تعالى عنه وانه يرفع صاحبه عند الناس، ويضعه عند الله(4)، وكلام الإمام عليه السلام واضح بأن الذين يعطون الأموال يحظون في الدنيا بمنزلة رفيعة من قبل أتباعهم، ولكن الله تعالى يحاسبهم في الدار الآخرة بما عملوا من تبذير تلك الأموال في غير مواضعها.

أما بخصوص معاوية فكانت سياسته مغايرة كلياً لسياسة أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الموضوع، فقد اتبع سياسة الترغيب من خلال بذل الأموال في غير حقها، وقد أخذت هذه السياسة بالنتائج التي كانت مبتغى معاوية، إذ تأثر الكثير من أصحاب النفوس الضعيفة لا سيما زعماء القبائل وأشرف الناس بهذه السياسة التي تنافي الدين والشرع، وعبر شمس الدين عن ذلك بقوله: (وقد صارت الشام ملاذاً لمن يغضب عليه الإمام لخيانة خانها في عمله، او جريرة جرّها على

ص: 257

1- الصليبية، وهو العربي الذي يعرف له نسب صحيح إلى قبيلة من قبائل العرب في الشمال أو الجنوب، ينظر، الأمين، مستدركات اعيان الشيعة، 20 / 2

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 82 / 2

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 211 / 2

4- شرح نهج البلاغة، 90 / 8

نفسه، ومطمحاً لمن يريد المنزلة، فيجد عند معاوية الإكرام، والرفعة، والعطاء، والمنزلة الاجتماعية(1).

ويمكن الرد على قول شمس الدين ذلك بالقول: ألم يوجد إكرام عند أمير المؤمنين عليه السلام؟ ألا توجد منزلة إجتماعية للصحابة الخالص؟ ألا توجد رفعة لأولئك الذين ثبتوا على المبادئ؟ ونعتقد ان الاشكالية في النفوس القلقة التي كانت تسيرها الأهواء والمصالح والمنافع الشخصية، فعبيد الله بن العباس كان ذا مكانة عند أمير المؤمنين عليه السلام وفي المجتمع ولكنه باع دينه ودنياه بمائتي ألف درهم لمعاوية قاتل ولديه.

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري(2)، عن ذلك بقوله:

(أما بعد، فقد بلغني ان رجلاً ممن قبلك يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً(3)، أي ان مراد الإمام عليه السلام بقوله يتسللون أي يخرجون إلى معاوية هاربين خفية واستتاراً، فلا تأسف ولا تحزن عليهم(4)، وعلق محمد عبده

ص: 258

1- دراسات في نهج البلاغة، 216

2- سهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن الحارث، ويكنى أبا سعيد وشهد بدرًا وأحدًا وثبت مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وشهد الخندق والمشاهد كلها، وشارك في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وولاه على فارس وأخرجوه منها، وولى مكانه زياد بن أبيه، وعند موت سهل كبر عليه أمير المؤمنين خمس تكبيرات وذلك سنة (38 هـ) في الكوفة، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 436 / 3

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 494 / 3

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 39؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 186 / 4

على ذلك بأن فرار تلك الجماعات دليل على ضلالهم، والضلالة مرض يصيب بنية الجماعة وكيانها وربما يؤدي إلى فسادها، فهروبهم كان وسيلة لشفائهم من مرض الضلالة(1).

وفي السياق ذاته جاء قوله عليه السلام:

(فرارهم من الهدى، والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل)(2)، أي ان الفرار من الحق إلى الباطل من أقوى أسباب العذاب(3)، إنهم تركوا إمام الهدى والحق، والتحقوا بإمام الضلالة وهو معاوية، وقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بقوله:

(إنما هم أهل دنيا، مقبلون عليها، ومهطعون إليها، عرفوا العدل، ورأوه، وسمعوه، ووعوه، وعلموا ان الناس عنده في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة)(4)، والمراد هنا انهم مسرعون إلى الأثرة، والأثرة هي اختصاص النفس بالفائدة وتفضيلها على غيرها(5) والمقصود بقول أمير المؤمنين ذلك انه عليه السلام لا يقسم إلا بالسوية، ولا ينفل قوماً على قوم، ولا يعطي على الأحساب والأنساب كما يفعل غيره، فتركوه وهربوا إلى من يستأثر ويؤثر(6).

ومن خلال ما تقدم نستشف أن البعض ترك جانب الإمام عليه السلام وهم على

ص: 259

1- نهج البلاغة، 3 / 495

2- المصدر نفسه، 3 / 495

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 187

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 495

5- المصدر نفسه، 3 / 495؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 461

6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 40

علم بعدله، ولكنهم باعوا دينهم بدنيا معاوية لأنه يفضل في العطاء شخصاً على شخص آخر وهذا مما لا يوجد عند الإمام عليه السلام لذلك تركه من كان في نفسه مرض من هذا النوع.

وروي ان أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من النهروان أمر أصحابه بالاستعداد لمحاربة معاوية، فتناقلوا وأخذوا يتصنعون الأعذار وتوجهوا إلى الكوفة(1)، وهكذا فعلت سياسة معاوية فعلها في مجتمع الإمام عليه السلام فمال رؤساء أصحابه إلى الخيانة، وتخاذلوا عن نصره فلا يجيبونه حين يدعوهم، ولا ينصرونه حين يستنصرهم(2).

2- المال السياسي استخدم الأمويون الأموال بوصفها وسيلة للحصول على تأييد شرائح المجتمع المختلفة بدءاً من زعماء القبائل وكذلك بعض الشخصيات والشعراء والمحدثين لوضع الأحاديث الكاذبة لغرض تمجيد بني أمية، وبالفعل فقد استطاعوا فرض سيطرتهم بهذه الوسيلة على زمام الأمور عن طريق هذه الأموال للحصول على أكبر قدر من التأييد لدعم سلطانهم.

عمل معاوية بكل طاقته من أجل تدعيم موقفه للوصول للسلطة، ومن أبرز تلك الوسائل التي جاء ذكرها في نهج البلاغة هو اعتماد معاوية على بعض الشخصيات التي تمتعت بدهاء سياسي ومنهم عمرو بن العاص الذي بايعه

ص: 260

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 173؛ الثقفى، الغارات، 496؛ المفيد، الأمالي، 149

2- شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 217

بشرط أن يوليه مصر، وإشراكه في أمره فلا يخرج عنه(1).

وكان معاوية قد استشار أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال له إستعن بعمر بن العاص، فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمر أشد إعتزلاً إلا أن ترضيه(2)، وصرح أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بقوله:

(لم يبايع حتى شَرَطَ أن يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمناً(3))، إذ بين البحراني ان هذا الكلام يبين حال عمرو بن العاص مع معاوية فذكر أنه لم يبايع حتى شرط أن يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمناً(4)، وروي ان معاوية استدعى عمرو بن العاص وطلب مساعدته في مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام الذي وصفه معاوية لعمر بن العاص بأنه الرجل الذي عصى الله وشق عصا المؤمنين وقتل وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة وقطع الرحم، فقال عمرو: من هو؟ فقال معاوية: علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

(والله يا معاوية ما أنت وعلي حملي بعير، أي ليس لك هجرته وسابقته، ولا صحبته ولا جهاده ولا علمه، والله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب)، وطلب من معاوية مقابل قتال أمير المؤمنين عليه السلام ان يعطيه مصر طعمة، لكن معاوية أخذ يتباطئ ويتلصقاً عن طلبه حتى وافق على ذلك(5)، فعاهده على ذلك وبايع

ص: 261

1- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 115

2- ابن قتيبة الإمامة والسياسة، 1 / 115؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 59 / 130

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 64

4- شرح نهج البلاغة، 2 / 28

5- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 37

معاوية(1). وعلى هذا الأساس فإن عمرو بن العاص كان له الدور الأكبر في تشجيع معاوية في الخروج على الإمام عليه السلام وحربه(2).

وفي الغرض نفسه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(فلا ظفرت يد البائع وخزيت أمانة المبتاع)(3)، هنا اختلف بعض الشراح في بيان مراد الإمام عليه السلام من ذلك، فقال ابن أبي الحديد ان البائع يعني معاوية والمبتاع عمرو بن العاص(4)، بينما يرى البحراني ان البائع هو عمرو بن العاص والضمن هو مصر(5)، ويرى الباحث ان رأي البحراني هو الأرجح والأقرب للصواب، إذ أن البائع هو عمرو بن العاص لأنه باع دينه بدنيا معاوية وهي مصر، وهو مصداق قوله تعالى:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ»(6).

ومن نافلة القول ان المفسرين بينوا أن الله تعالى أخبر عن الذين باعوا حظهم من نعيم الآخرة بتركهم طاعته، وإيثارهم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه، ولا حظ لهم في نعيم الآخرة، ولا يخفف عنهم العذاب في الآخرة ولا أحد

ص: 262

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 28 / 2

2- رحيم فرحان، الأسرة الأموية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، 113

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 64 / 1

4- شرح نهج البلاغة، 50 / 2

5- شرح نهج البلاغة، 28 / 2

6- سورة البقرة، آية 86

ينصرهم من عذاب الله تعالى بسبب إقبالهم على الدنيا وتركهم آخرتهم(1).

وهذا ينطبق تماماً على معاوية وعمرو بن العاص لتآمرهم واجتماعهم على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، وأعقب أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بالتويخ لهم والخزي بعد بيان موقفهم والذم للمبتاع بذكر هوان أمانته عليه وهي بلاد المسلمين وأموالهم التي أفاء الله عليهم(2).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة، بعث أمير المؤمنين عليه السلام بكتاب إلى عمرو بن العاص يوبخه على بيعه ذمته ودينه لمعاوية مقابل دنيا فانية زائلة، إذ عبر عن ذلك بقوله:

(فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئٍ ظاهر غيّه، مهتوك ستره)(3)، ومعنى هذا الكتاب كما هو واضح هو لوم وتوبيخ الإمام عليه السلام لعمر بن العاص على متابعتة لمعاوية في باطله وتغييره عما هو عليه(4)، وضمان تكفل معاوية بإيصاله إلى ولاية مصر مؤجلة، وقطعة وافرة من المال معجلة، ولولديه وغلماناه ما ملأ أعينهم(5).

والمراد من قول الإمام عليه السلام مهتوك ستره، أي ان معاوية كان كثير الخلاعة والهزل صاحب جلساء وسمار ومن المشهور انه هاتك لستر دين الله، وصاحب

ص: 263

1- الطبري، جامع البيان، 1 / 567؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 1 / 92؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي، 1 / 276

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 92

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 441

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 82

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 124؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 82

لهو وشرب وسماع، وقد كان يتستر في زمان عمر بن الخطاب خوفاً منه، إلا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب الخمر في آنية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها في الشام(1) وإنما قارب الوقار حيث خرج على أمير المؤمنين عليه السلام لحاجته إلى استغواء الناس بظاهر الدين(2).

فمعاوية لا يتورع عن الإستخفاف بالدين والإبتعاد عن الحق والكفر بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعمل على محاربتة ومحاولته سلب الحق من أهله، وقد روي ان أروى بنت الحارث بن عبد المطلب(3)، دخلت على معاوية في الموسم وهي عجوز كبيرة فلما رآها معاوية، قال: (مرحباً يا عممة، كيف أنت بعدي، قالت: كيف أنت يا ابن أخي؟ لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقلك بلا بلاء كان منك ولا من أبائك في ديننا، ولا سابقة كانت لكم مع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل كفرتم بما جاء به... فكان علي بن أبي طالب عليه السلام بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى، فغايبتنا الجنة وغايتم النار، فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، وأقصري عن قولك من ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك، فقالت له: وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تبغي بمكة وآخذهن الأجرة، إدعاك خمسة نفر من قريش، فسئلت عنهم، فقالت كلهم أتاني فانظروا أشبههم به

ص: 264

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 16 / 124

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 82؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 554

3- أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية، صحابية اشتهرت بالفصاحة، عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكانت تقيم في المدينة، وقال عنها معاوية ان نساء بني هاشم أفصح من غيرهم، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 10 / 50؛ ابن طيفور، بلاغات النساء، 27

فألحقوه فغلب عليك شبه أبوك فلحق به(1).

ومن جانب آخر تناول أمير المؤمنين عليه السلام الصفات التي عليها معاوية بقوله عليه السلام:

(يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته)(2)، إذ إن معاوية لم يتهاون في مجلسه عن شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الإسلام، والطعن عليه، وإن أظهر الإلتواء إليه(3)، وذلك الكريم هو الذي يضبط نفسه وينزهها عما يشين العرض من الرذائل، وقد كان مجلس معاوية مشحوناً ببني أمية ورذائلهم، ومجالسة الكريم لهم تستلزم نسبته إليهم ولحاقه بهم، وذلك مشين لعرضه ومقبح لذكره(4)، ومن ذلك سب أمير المؤمنين عليه السلام وجعله سنة ينشأ عليها الصغير ويشيب عليها الكبير(5)، إن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية وأخلاقه المتدنية تكشف لنا الصورة الحقيقية لصفاته، فهو شخص ملعون من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يتورع عن النيل والإنتقاص من أي شخص حتى الذي في مجلسه وحضرته(6).

ثم تابع كلامه بتوبيخه لعمر وبن العاص ووصفه بصفات يستخف منه ومن موقفه ضده، إذ أشار بقوله عليه السلام:

(فاتبعت أثره، وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه،

ص: 265

1- ابن طيفور، بلاغات النساء، 27

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 441

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 124

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 82

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 544

6- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 4 / 112 - 114

وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك بآخرتك(1)، ان إشارة أمير المؤمنين عليه السلام إلى طلب عمرو بن العاص واتباعه أثره إتباع الكلب للأسد فظاهر ولم يقل الثعلب غضاً من قدر عمرو، وتشبيهاً له بما هو أبلغ من الإهانة والإستخفاف(2)، فأذهبت بسبب إتباعك لمعاوية دنياك وآخرتك، إن قصد أمير المؤمنين عليه السلام بدنياه ما كان يعيش به من الرزق والعطاء الحلال على وجه يلتذ به في طيب نفس وفي مأمن من الحروب التي لقيها بصفين والأهوال التي باشرها في مواقفه مع معاوية وتلك هي الدنيا الحققة، وأما ذهاب آخرته فظاهر(3).

وجاء انه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لإبنه: (لو وُدَّ أبوك مات في غزاة ذات السلاسل، إني دخلت في أمور لا أدري ما حجتني عند الله، ثم نظر إلى ماله، فرأى كثرته، فقال ليته كان بعراً، ياليتني مت قبل هذا بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه، وأفسدت ديني، آثرت دنياي وتركت آخرتي، عمي عليّ رشدي حتى حضرني أجلي كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي(4)، وبالفعل فقد صادر معاوية أمواله بعد موته ونقض العهد الذي بينه وبين عمرو بشأن مصر له ولولده من بعده فقد عزل ابنه وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان(5).

وصرح أمير المؤمنين (مخاطباً عمرو بن العاص بصيغة اللوم عليه بقوله:

ص: 266

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 441

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 125؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 82

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 82؛. مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 544

4- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 130

5- المصدر نفسه، 2 / 130

(ولو بالحق أخذت، أدركت ما طلبت)(1)، أي لوقعدت عن نصرة معاوية ولم تشخص إليه ممالئاً على الحق، لوصل إليك من بيت المال قدر كفايتك، ووصلت إلى دنيا كاملة(2)، لكنك أثرت دنياك على دينك فخسرت دنيا الحلال والنجاة في الآخرة(3).

3- إستلحاق زياد بن أبيه عندما تسلم معاوية بن أبي سفيان الخلافة أخذ بالإعتماد على بعض الشخصيات التي عرفت بالدهاء والمكر مثل عمرو بن العاص الذي أعطاه مصر طعمة مقابل ولائه(4)، وكذلك المغيرة بن شعبة الذي جعله على الكوفة(5)، واستعمل زياد بن أبيه على البصرة والكوفة، (وكان زياد أول من شد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وكان يعاقب الناس، وجرّد السيف، وأخذ الناس بالظنة، وعاقبهم على الشبهة، حتى خافه الناس خوفاً شديداً)(6)، حتى أمن بعضهم من بعض فكان ربما سقط الشيء من الرجل فلا يتعرض إليه(7)، وكان زياد قد اختير من قبل ابن عباس بتوجيه

ص: 267

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 441

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 125

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 554

4- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 118؛ الثقفى، الغارات، 748؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 129

5- الدينوري، الأخبار الطوال، 218

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 222؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 307

7- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 4 / 301

من أمير المؤمنين عليه السلام ليكون والياً على اصطخر(1) وفارس(2)، واختيار زياد بن أبيه من قبل معاوية كان لاعتبارات عرفت فيه، فقد عرف بالشدة والدهاء وهذا مما توضح بعد ذلك في تثبيت الملك له.

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى قضية استلحاق زياد ومحاولة معاوية استمالته إلى جانبه حينما كاتبه على ترك أمير المؤمنين عليه السلام، إذ حذر أمير المؤمنين عليه السلام زياد من هذه القضية وأرسل إليه كتاباً جاء فيه:

(وقد عرفت ان معاوية كتب إليك يستنزل لبك، ويستفل غربك، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ليقتم غفلته، ويستلب غرته)(3)، هنا حذر أمير المؤمنين عليه السلام زياداً من قيام معاوية ومكره وعمله بالبحث عن زلته وأخطائه لغرض الوصول إلى عقله(4)، والغرب تأتي هنا بمعنى الحدة(5)، أي يحاول ان يثنيه من حدته وعزمه عما هو عليه من الرأي الصحيح في نصرته وولائه للإمام عليه السلام، وهو أشبه بالشيطان الذي يأتي المرء من هذه الجهات المذكورة، أي أنه يأتي الإنسان من كل جهة كما يأتي الشيطان(6)، وهو مصداق قوله تعالى:

ص: 268

-
- 1- اصطخر وهي بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، وقيل أول من أنشأها اصطخر بن طهمورث ملك الفرس، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان عليه السلام ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان 1 / 11
 - 2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 137؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 249
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 446
 - 4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 137؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 92
 - 5- الفراهيدي، العين، 4 / 409
 - 6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 92

«ثُمَّ لَا تَبِغُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» (1)، ومعنى ذلك ان الشيطان يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان، ويحسن لهم جمع المال، ويحبب إليهم الرئاسة واللهو واللذات (2).

وفي الصدود ذاته جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(ليقتحم غفلته، ويستلب غرته) (3)، إشارة إلى فساد حيل معاوية، وذلك إنما أراد معاوية استغفاله بإستلحاقه إياه أخاً (4)، وأراد عليه السلام بالغرّة، خلو العقل عن مضارب الحيل، والمراد منها العقل الغر، أي يسلب العقل الساذج (5).

ثم نبه أمير المؤمنين عليه السلام زياد بن أبيه على مسألة الإستلحاق وعدم صحتها وحذره من أساليب معاوية بقوله:

(وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر، فلتة من حديث النفس، ونزعة من نزغات الشيطان، لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها إرث) (6)، وسوف نبين ما قاله أبو سفيان بشأن زياد قبل الخوض في تفاصيل كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، إذ روي ان زياداً تكلم وهو غلام حدث بحضرة عمر بن الخطاب كلاماً أعجب الحاضرين، فقال عمرو بن العاص، لله أبوه، لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه،

ص: 269

1- سورة الأعراف، آية، 17

2- ينظر، الطبري، جامع البيان، 8 / 179؛ الطوسي، التبيان، 4 / 362

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 446

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 93

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 446؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 416

6- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 446

فقال أبو سفيان: أما والله إنه لقرشي، ولو عرفته انه لخير من أهلك، فقال: ومن أبوه؟ قال: أنا والله وضعت في رحم أمه، فقال: فهلا تستلحقه؟ قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق عليّ إهابي(1)، أي أن خوف أبي سفيان بن حرب من عمر بن الخطاب أن يمزق جلده(2).

إذ أراد أمير المؤمنين عليه السلام تبييه زياد بشأن قضية الإستلحاق، إنما يتم بصحة استلحاق أبي سفيان له ابناً ولم تصح تلك الدعوة، وإنما قوله فلتة من حديث النفس، وضع منه بغير ثبوت ولا روية وإقرار بالزنا بقوله: أنا وضعت في رحم أمه، وذلك نزغة من نزغات الشيطان ألقاها على لسانه، فلا يثبت بها نسب ولا يستحق بها إرث(3)، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(الولد للفراش وللعاهر الحجر)(4).

وقد تناولت إحدى الباحثات قضية استلحاق زياد بن أبيه من قبل معاوية وطرحت عدة روايات تشير إلى هذه القضية التي أدت إلى هذا الإستلحاق، أما بخصوص عدم تصريح أبي سفيان باستلحاق زياد حسب الرواية المذكورة فقد أشارت ان سبب ذلك هو أنه لو كان متأكداً من بنوة زياد لما تردد في الاعتراف به ولا استطاع أن يقنع الجميع بمن فيهم الصحابة بذلك الأمر فإنه لم يؤخذ على عمل ارتكب قبل الإسلام(5)، ويمكن الرد على رأي الباحثة وذلك لأن

ص: 270

1- الثقفى، الغارات، 926؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 140 / 16

2- الطريحي، مجمع البحرين، 2 / 308؛ الأمين، أعيان الشيعة، 1 / 571

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 139؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 93

4- البخاري، صحيح البخاري، 3 / 5؛ الكليني، الكافي، 5 / 491؛ الصدوق، الخصال، 214

5- العلي، الأسر الأموية التي لم تتول الخلافة، 21

حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واضح في هذا الخصوص:

(الولد للفراش وللعاهر الحجر) فإنه لم يقتصر على حقبة قبل الإسلام أم بعده، لذلك كان أبو سفيان سيواجه معارضة شديدة مستندة إلى هذا الحديث.

وكذلك بينت الباحثة سبباً آخر من عدم تأكد أبي سفيان من بنوة زياد، هو لماذا لم يقربه أيام عثمان ذي السياسة الهينة اللينة، إلا ان يكون هذا الإقرار لا يباح له، وأن عثمان لا يمكن ان يجيزه(1)، فضلاً عما ذكر ان شهادة أمير المؤمنين عليه السلام على عدم صحة ذلك الإدعاء من قبل أبي سفيان تبطل ادعاء أبي سفيان أنه منه.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى مسألة تعلق زياد بهذه الفتنة بقوله عليه السلام:

(والمتعلق بها كالواغل المدفع، والنوط المذبذب)(2)، وشبهه الإمام عليه السلام بالنوط المذبذب(3)، واضطراب أمره وعدم لحوقه بنسب معين(4)، وكذلك بالواغل المدفع أي الفقير الذليل الذي يدخل في قوم على طعام أو شراب بغير دعوة(5).

ويذكر أن زياد بن أبيه لما ألقى القبض على عروة بن أديّة وهو أول من سل سيفه من الخوارج، أخذ يسأله عن الخلفاء، وبدأ يستعرض رأيه فيهم إلى ان وصل إلى معاوية، فسبه سباً قبيحاً، ثم سأله عن نفسه فقال: أولك لزنية،

ص: 271

1- العلي، الأسر الأموية التي لم تتول الخلافة، 21

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 446

3- النوط، كل ما علق من شيء فهو نوط، ينظر، الفراهيدي، العين، 7 / 455

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 93

5- ابن منظور، لسان العرب، 8 / 88

وآخرك لدعوة، وأنت فيما بينهما عبد عاص ربك فأمر زياد بقتله(1).

خامساً: وضع الأحاديث والنيل من الإمام عليه السلام عد وضع الأحاديث الكاذبة من الأساليب التي اعتمدها الأمويون لتدعيم سلطانهم، وذلك من خلال إغراء بعض المحدثين لإفتعال الأحاديث المكذوبة التي تمجد بني أمية ولم يتوان هؤلاء المحدثون عن إيراد العديد من الأحاديث في هذا الأمر على الرغم من سماعهم ومعرفتهم بالحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)(2)، إلا أنهم أوردوا عدداً من الأحاديث المكذوبة التي حاولت تبيان أحقية بني أمية في الخلافة وبأنهم هم الأحق في قيادة الأمة، فضلاً عن أحاديث أخرى حاولت تشويه صورة مناوئهم ومخالفهم ولعل أبرز تلك الأحاديث هي التي أرادوا بها التقليل من شأن أمير المؤمنين عليه السلام، وبالنظر لتمتع المحدثين والرواة بمكانة متميزة بين العامة فإن تأثيرهم سيكون أكبر بين الناس.

وحرص معاوية على بذل الكثير من الأموال إلى هؤلاء المحدثين لغرض رواية أحاديث مكذوبة فيه، إذ ذكر ابن أبي الحديد ان معاوية بن أبي سفيان بعد بيعة الإمام الحسن عليه السلام وعودته إلى الشام، اجتمع بالناس وخطب وقال:

(أيها الناس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر

ص: 272

1- الشهرستاني، الملل والنحل، 1 / 137

2- ابن حنبل، مسند أحمد، 1 / 78؛ البخاري، صحيح البخاري، 1 / 35؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 1 / 77

الأرض المقدسة، فإن فيها الأبدال)، وقد اخترتكم فألعنوا أبا تراب، فلعنوه(1).

فهو بحديثه الكاذب هذا قد أوهم أهل الشام به والذي يبين لهم فيه على أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك لعنه لأمر المؤمنين عليه السلام سوف يكسبه الصفة الشرعية بذلك بوصفه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حد زعمه.

وفي إحدى خطب نهج البلاغة أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الأمر بأنه سيلبي الخلافة من بعده من يأمر الناس بسبه والبراءة منه، وقد عبر عليه السلام عن ذلك بقوله:

(أما أنه سيظهر عليكم بعدي، رجل رحب البلعوم مندحق البطن، يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني...) (2)، إذ إن مراد الإمام من ذلك هو معاوية(3)، وأراد بقوله عليه السلام سيأمركم بسبي والبراءة مني، إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام بسب الإمام علي عليه السلام والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز فأزاله(4) وقد تناول أحد الباحثين سياسة السب بالتفصيل التي أسسها معاوية والتي سار عليها البيت الأموي لسنوات طويلة في النيل من أمير المؤمنين(5).

وقد كتب معاوية إلى جميع عماله بعد أن آلت الأمور إليه في السلطة: (إن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة

ص: 273

1- شرح نهج البلاغة، 4 / 55

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 96

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4 / 42

4- المصدر نفسه، 4 / 42

5- الجابري، السياسة الأموية المضادة للإمام علي، 52 وما بعدها

يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته(1). ويبيّن أحد الباحثين ان وضع الأحاديث من قبل معاوية هو بيان لسياسته القمعية تجاه أهل البيت(2).

وقد برز بذل معاوية بخصوص وضع الأحاديث من أجل النيل من أمير المؤمنين عليه السلام ومن فضائله ومحاولة إزالتها والتنفير عنها، وقد توضح ذلك جلياً بما بذله من أموال لهذا الغرض عندما بذل لسمره بن جندب(3)، أربعمئة ألف درهم على ان يروي ان هذه الآية:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»(4)، قد نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»(5)، فروى ذلك(6).

ص: 274

- 1- الطبرسي، الإحتجاج، 2 / 348؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 11 / 36
- 2- رحيم فرحان، الأسرة الأموية من خلال شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، 134
- 3- سمره بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن، وقد رده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحد لصغر سنه، ثم أجازته فشهداها مع المسلمين، وكان، عظيم الأمانة، يحب الإسلام وأهله، حتى أحدث ما أحدث، وكان زياد بن أبيه يستعمله على الكوفة إذا خرج إلى البصرة، توفي سنة (58 هـ) في خلافة معاوية، ينظر، ابن، سعد، الطبقات الكبرى، 4 / 364
- 4- سورة البقرة، آية، 204 - 205
- 5- سورة البقرة، آية، 207
- 6- الثقفى، الغارات، 840؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4 / 55

سادساً: أسلوب الترهيب الترهيب لغة: الرهبة مصدر قولهم رهب، يقال: رهب الشيء أرهبه رهباً ورهبة، أي أخفته، وأرهبته فلاناً(1)، وتقول أرهبه واسترهبه، إذا أخافه(2).

أما الترهيب اصطلاحاً: فهو مخافة من تحرز واضطراب، ومنه الترهيب للتعبد لاستعمال الرهبة فيه(3)، كما في قوله تعالى:

«لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً»(4).

وكان أسلوب الترهيب من الأساليب التي استخدمها معاوية للوصول إلى السلطة، والذي من خلاله استطاع ان ينشر الرعب بين الناس والوصول إلى غاياته المنشودة، ومن الأساليب الترهيبية التي اتبعها معاوية بن أبي سفيان لإخافة الناس هو أسلوب الغارات وسوف نتطرق إلى بعض من تلك الغارات التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

ص: 275

1- الفراهيدي، العين، 4، 41؛ الجوهرى، الصحاح، 140 / 1

2- الجوهرى، الصحاح، 140 / 1

3- الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، 366

4- سورة الحشر، آية، 13

الغارات تعد الغارات التي شنها أتباع معاوية على مناطق عديدة من الدولة الإسلامية التي كانت تحت سيطرة أمير المؤمنين عليه السلام، من أساليب معاوية الترهيبية التي يستخدمها لقتل العديد من الناس والصحابة على يد ولاته الذين استخدمهم لتثبيت ملكه، واعتمد عليهم في ترويع الأهالي في المناطق التي يشن عليها تلك الغارات، حتى يعمها الخوف والذعر، وسنشير إلى بعض تلك الغارات التي أمر بها معاوية، وكان الهدف منها تضعيف موقف الإمام عليه السلام من خلالها وخلق حالة من الفوضى والاضطراب في المناطق التابعة للإمام عليه السلام ليتسنى له بعد ذلك السيطرة عليها، ومن أهم تلك الغارات:

1- غارة الضحاك بن قيس تعد غارة الضحاك بن قيس الفهري(1) من الغارات التي بعثها معاوية للإغارة على اطراف العراق من ناحية الكوفة، إذ أرسل معاوية للضحاك وقال له: (سر حتى تمر بناحية الكوفة وترفع عنها ما استطعت فمن وجدته من

ص: 276

1- الضحاك بن قيس الفهري بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة، كان قد دعا لعبد الله بن الزبير سراً بعد موت يزيد بن معاوية ثم تخلى عن بيعة ابن الزبير ودعا إلى نفسه بعد ذلك ثلاثة أيام بتحريض من عبيد الله بن زياد، واختلف هو ومروان بن الحكم في أمر الخلافة واقتتلوا في معركة مرج راهط لمدة عشرين يوماً قتل على إثرها الضحاك بن قيس وذلك سنة (64 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 543

الأعراب في طاعة علي فأغر عليه وإن وجدت مسلحة أو خيلاً فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيمن لخييل بلغك إنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقتلها(1)، وسيّر معه ثلاثة إلى أربعة آلاف فارس وتوجه الضحّاك يأخذ الأموال ويقوم بقتل كل من يلقاه من الأعراب، ومر علي الثعلبية(2)، وأخذ أمتعة الحاج، ثم لقي عمرو بن عميس الذهلي(3)، فقتله هو وأصحابه في طريق الحاج(4)، وعلى ما يبدو ان معاوية قد أسس دولته على القتل والسلب والنهب فحتى حجاج بيت الله الحرام لم يسلموا منه.

وبعد سماع أمير المؤمنين عليه السلام بأمر غارة الضحّاك، خرج وانتدب الناس للخروج لملاقاة عدوهم وصعد على المنبر وهو يقول:

(يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم

ص: 277

1- الثقفى، الغارات، 421؛ ابن أعمش الكوفى، الفتوح، 4 / 220؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 677

2- الثعلبية، وهي من منازل طريق مكة من الكوفة بعد منطقة الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال لها الضويجعية على بعد ميل منها، وسميت بالثعلبية، نسبة إلى ثعلبة بن عمر بن عامر، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 / 78

3- عمرو بن عميس بن مسعود بن غافل بن حبيب، ابن أخ عبد الله بن مسعود، وكان عاملاً للإمام علي عليه السلام فقتله الضحّاك بن قيس بالقططانة لما أرسله معاوية للإغارة على عمال الإمام عليه السلام وقتل كثيراً ممن معه، ينظر، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، 3 /

179؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 4 / 551

4- الثقفى، الغارات، 421؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 135

وروي أن أصحابه عليه السلام ردوا عليه رداً ضعيفاً، ورأى منهم فشلاً وعجزاً فقال عليه السلام:

(وددت والله أن لي بكم بكل مائة منكم رجلاً- منهم، ويحكم اخرجوا معي ثم فروا عني إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم، ومقاساتكم، ومداراتكم مثل ما تداوي البكار العمدة(2)، والشباب المتهترة، كلما خيبت من جانب تهتك على صاحبها من جانب آخر(3).

ومن خلال النص المتقدم يظهر لنا نصح الإمام عليه السلام لأصحابه وحثهم على القتال ومواجهة عدوهم، لكنهم يظهرون التردد والتخاذل في الدفاع عن أرضهم، على الرغم مما يبيده لهم أمير المؤمنين عليه السلام من المداراة والمساواة فيما بينهم.

وأرسل أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك حجر بن عدي الكندي فعقد له راية على أربعة آلاف رجل ووصل أرض السماوة(4)، وهي أرض قبيلة كلب فكانوا أدلاءه في الطريق وعلى المياه، فلحق بالضحاك واقتتلوا فقتل من أصحاب

ص: 278

1- الثقفى، الغارات، 422؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 135

2- البكار العمدة، البكار جمع بكر، وهو الفتى من الإبل، والعمدة، وهو الموضع الذي ينتفع من سنام البعير وغاربه، ابن منظور، لسان العرب، 3 / 305

3- الثقفى، الغارات، 423؛ المفيد، الإرشاد، 272

4- السماوة، بفتح أوله، وهي الأرض المستوية لا حجر فيها، وهي بين الكوفة والشام قفري، وهي أرض لقبيلة كلب، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3 / 245

الضحك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلاً وهرب الضحك بأصحابه(1).

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام مدى تخاذل أصحابه في خطبة له وردت بهذا الشأن في نهج البلاغة أوضح فيها موقف أصحابه من تلك الغارات التي شنّها أصحاب معاوية، إذ ورد قوله عليه السلام:

(يا أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهمي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتُم حيدي حياد)(2)، ان مراد أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك هو تنبيههم على موقفهم هذا بسبب ما فعلوه بالدين وذلك لأنهم مجتمعون في أبدانهم ولكنهم مختلفون ومتفرقون في كلامهم من أجل نصرّة الدين(3)، وإن كلامهم من شدته يحسبه السامع شجاعة ولكنه في المظاهر والأقوال وعندما ترجع إلى الحقيقة نجد ضعفاً في الأقوال والأفعال(4).

وشبه أمير المؤمنين عليه السلام موقفهم هذا بأن قلوبهم صم وهي تطبق على أوصاف الحجارة التي لا تستجيب للكلام(5)، وهو مصداق قوله تعالى:

«فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»(6).

ص: 279

- 1- الثقفى، الغارات، 426؛، تاريخ الرسل والملوك، 135 / 5
- 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 69 / 1
- 3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 51 / 2
- 4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 201 / 1
- 5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 51 / 2
- 6- سورة البقرة، آية، 74

وأما أفعالهم التي تعقب هذه الأقوال فعند حضور الحرب والقتال تبدو عليهم علامات التخاذل وعدم الإستجابة للأمر والحياد عنه والفرار من مقاتلة العدو(1)، وشبههم الإمام عليه السلام بقوله حيدى حيايد(2) وهي كلمة تقال للهارب الفار(3).

ثم أشار بكلامه إلى مدى استجابتهم لدعوته بقوله عليه السلام:

(ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأضاليل)(4)، أي أنكم لا تجيبون دعوة من دعاكم، ولا يستريح من قاساكم ودائماً تتعللون بالأمر الباطلة والأمانى الكاذبة حتى لا تستجيبوا إلى الأمر(5)، وعلق محمد جواد مغنية قائلاً: لماذا يترك الإمام عليه السلام أمر الجهاد والحرب لهم ولقناعتهم، ولا يجبرهم بالقهر والقوة، بدل ان يقف فيهم منذراً وموبخاً من غير جدوى تماماً كوعاظ المساجد؟ أليست السلطة بيده والأمر له وحده؟ والجواب على ذلك أنه عليه السلام لو قسا عليهم وأخذهم بالشدة من أجل الجهاد لشقوا عصا الطاعة، وكانوا عوناً للعدو عليه(6).

من خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام لهم يتأكد أنهم ثققلوا عن مواجهة أعدائهم الذين يتربصون بهم للإيقاض عليهم وقد عبروا عن موقفهم هذا في أحد

ص: 280

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 51

2- حيدى حيايد، وهي كقولهم فيحي فياح، حايد محايدة، اي جانبه، ينظر، الجوهرى، الصحاح، 2 / 467

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 90

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 70

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 91

6- في ظلال نهج البلاغة، 1 / 202

المواقف مع الإمام عليه السلام بقولهم: (كلت سيوفنا، ونفدت نبالنا، ونصلت أسنة رماحنا...) (1)، فهذه حجج واهية يريدون التخلي بها عن مساندتهم للإمام عليه السلام في مواجهة الأعداء.

وفي السياق ذاته جاء قوله عليه السلام:

(سألتموني التطويل دفاع ذي الدين المطول) (2)، إذ طلب اصحاب الإمام عليه السلام منه تأخير الحرب، وهم يشبهون بموقفهم هذا كمن له دين يماطل في دفعه لصاحبه (3).

ان موقفهم هذا يعبر عن مدى تخاذلهم وتهاونهم في إطاعة إمامهم والعزوف عنه لأنه يمثل جبهة الحق، لذلك أخذوا يتحججون بأعذار لا تغني عنهم وعن موقفهم، وقد خطب الإمام عليه السلام في أهل الكوفة خطبة عبرت عن تخاذلهم وتقاعسهم عن القتال، إذ قال:

(يا أهل الكوفة منيت بثلاث واثنين صم ذوو أسماع، وبكم ذوو ألسن، وعمي ذوو أبصار، لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء...)

كلما أمرتكم بجهاد عدوكم إناقلتم إلى الأرض، وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول، ان قلت لكم في القيظ، سيروا، قلتكم: الحر شديد، وإن قلت لكم في البرد سيروا، قلتكم القر شديد، كل ذلك فراراً عن الجنة. إذا كنتم عن الحر والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز (4).

ص: 281

1- الثقفى، الغارات، 314؛ المفيد، الإختصاص، 153

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 70 / 1

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 91 / 2

4- المفيد، الإرشاد، 282 / 1؛ الطبرسي، الإحتجاج، 209 / 1

وفي موضع آخر من نهج البلاغة نبههم إلى الذل الذي سيواجهونه إذا ما رجعوا إلى رشدهم وبقوا على هذه الحالة وقد عبر عليه السلام عن ذلك بقوله:

(لا يمنع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالمجد)⁽¹⁾، أي لا تستطيعون دفع الضيم الذي تواجهونه إلا بالجد والاجتهاد وعدم التردد والإنكماش لمواجهة ذلك الضيم وأخذ الحق⁽²⁾.

وفي الصدد ذاته من خطبته الشريفة عبر عليه السلام عن موقفهم المتخاذل بقوله:

(أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون)⁽³⁾، وهنا استنكر أمير المؤمنين عليه السلام عليهم بسبب تخاذلهم عن الدفاع عن دارهم وأرضهم وهي أرض الإسلام التي ما فيها من العز والكرامة إذا ما قيست بغيرها، والتي يجب الدفاع عنها، لأنها موطنهم ومحل دولتهم⁽⁴⁾، وعن أي إمام بعدي تقاتلون وهو تنبيههم على مكانته عليه السلام ومدى إخلاصه لله تعالى في جميع حركاته، وكان يرى ان في بعض أصحابه ميلاً إلى معاوية رغبة في الدنيا⁽⁵⁾، ويبدو أن سياسة معاوية التي اتبعها في الهبات والأموال والعطايا لرؤساء القبائل والشخصيات هي التي أثرت في الكثير منهم وأشغلتهم عن أرضهم ودينهم، وسببت تخليهم عن الإمام عليه السلام وتخاذلهم، وقد روي ان عدي بن أرطأة⁽⁶⁾، كتب إلى عمر بن عبد

ص: 282

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 70

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 91؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 51

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 70

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 52

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 52

6- عدي بن أرطأة بن جدابة بن لوزان الفزاري الدمشقي، أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، وكان قبلها على شرطة يزيد بن أبي كبشة لما ولي للوليد بن عبد الملك، حدث عن عمرو بن عبسة، وأبي امامة وكانت داره بدمشق بنواحي كنيسة مريم، وكان من أهل الطبقة الثانية من أهل الشامات، قتله معاوية بن يزيد بن المهلب سنة (102 هـ)، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 40 / 57

العزیز یخبره بسوء طاعة أهل الكوفة، فكتب إليه عمر كتاباً أخبره فيه لا تطلب طاعة من خذل علياً عليه السلام وكان إماماً مرضياً(1).

ان النص المتقدم يشير إلى تخاذل جميع أهل الكوفة، والأمر خلاف ذلك، فكان جيش الإمام عليه السلام غالبية من سكان الكوفة، فلا يمكن ان يكونوا كلهم قد خذلوا أمير المؤمنين عليه السلام، وله عليه السلام كلام مدح فيه أهل الكوفة ويصفهم بأنهم أكرم المسلمين وأجودهم في العرب أصلاً، وما بذلوه من أنفسهم له عند خلع طلحة والزبير طاعتها له(2).

2- غارة النعمان بن بشير تعد غارة النعمان بن بشير(3) من الغارات التي بعثها معاوية للإغارة على أطراف العراق على منطقة عين التمر(4)، أذ أوصاه ان يتجنب المدن والجماعات

ص: 283

1- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 4 / 291

2- المفيد، الإرشاد، 1 / 249

3- النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بثمان سنين وقيل بست سنين، والأول أصح لأنه قيل انه ولد وعبد الله بن الزبير في السنة الثانية للهجرة، ويكنى أبا عبد الله، وكان النعمان أميراً على الكوفة لمعاوية سبعة أشهر ثم ليزيد وبعدها انحاز إلى آل الزبير فأخرجه أهل حمص منها وقتلوه بعد وقعة مرج راهط، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5 / 363؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 723

4- عين التمر، وهي بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب العسب والتمر الى سائر البلاد وهو بها كثير، وتقع على طرف البرية وهي قرية قديمة افتتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد أيام أبي بكر سنة (12 هـ) وقد فتحها عنوة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4 / 176

وأن لا يغير إلا على مسلحة، وأن يعجل بالرجوع، فتوجه النعمان بن بشير وكان عليها مالك بن كعب الأرحبي(1) وبصحبه اناس كثيرون ففرقوا عنه ولم يبق معه إلا- نحو مائة رجل، وقد أذن للجميع بالرجوع إلى الكوفة، فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بشأن غارة النعمان، فاستعان مالك بن كعب بمخنف بن سليم(2)، وهو أحد عمال أمير المؤمنين عليه السلام على الصدقة على أرض الفرات، وبرفقته خمسون رجلاً فانضموا إلى أصحاب مالك وقاتلوا أصحاب النعمان إلى ان حجز الليل بينهم فانصرف النعمان وأصحابه، وقتل رجل وجرح آخر من أصحاب مالك بن كعب(3).

وعند سماع أمير المؤمنين عليه السلام نبأ غارة النعمان بن بشير على تلك المنطقة حث

ص: 284

1- مالك بن كعب الهمداني الأرحبي، وجهه أمير المؤمنين عليه السلام إلى دومة الجندل لقتال مسلم بن عقبة حين بعثه معاوية إلى أهلها عند توقفهم عن البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام فوصل إليها وهزم مسلم بن عقبة ودعاهم إلى بيعة الإمام، وكان مالك قائد مسلحة الإمام في عين التمر، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 493 / 56

2- مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر الأزدي الغامدي، له صحبة، روى عنه أبو رملة، واسمه عامر، ويعد مخنف من الكوفيين وكان نقيب الأزد بالكوفة وعلى رأسهم بصفين، وقيل من البصريين، وولاه أمير المؤمنين على أصبهان، ومن ولد مخنف بن سليم، ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد صاحب الأخبار، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 708؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 122 / 5

3- الثقفى، الغارات، 450؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 96 / 2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 134 / 5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 244 / 3

اصحابه على الخروج لملاقاة العدو، لكنهم أبطأوا ولم يخرجوا(1)، وأصبحت صفة التخاذل من سمات البعض من أهل الكوفة وتململهم من الخروج لملاقاة العدو مع أمير المؤمنين عليه السلام على الرغم من الخطب والنصائح التي يحدثهم بها، وخطب فيهم في هذا الشأن بقوله:

(يا أهل الكوفة المنسر من مناسر(2) أهل الشام إذا أطل عليكم أغلقتم أبوابكم وانجحرتم في بيوتكم إنجحار الضبة في جحرها، والضبع في وجارها، الذليل من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أف لكم لقد لقيت منكم ترحاً ويحكم أناحيكم ويوماً أناديكم، فلا أجا عند النداء، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله منيت بكم، صم لا تسمعون، بكم لا تنطقون، عمي لا تبصرون، فالحمد لله رب العالمين! ويحكم اخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب فإن النعمان بن بشير قد نزل به جمع من أهل الشام ليس بكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الظالمين(3) يفهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام توبيخه لأصحابه بسبب هذا التخاذل، وامتعاضه منهم بسبب تخوفهم حتى من هذه الغارات الصغيرة، ودخولهم بيوتهم وعدم نصره أمير المؤمنين عليه السلام وإطاعته.

ص: 285

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 96/2

2- المنسر، بفتح الميم وكسر السين، القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير، ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 47/5

3- الثقفى، الغارات، 451، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 97/2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 244/3

من جانب آخر طلب بعض أصحاب الأمام عليه السلام وهو عدي بن حاتم(1)، من الإمام عليه السلام الخروج للحاق بالعدو لكن الإمام رفض وأمره بالتوجه إلى النخيلة، إلى ان فرض لكل واحد سبعمائة فاجتمع إليه ألف فارس عدا اصحاب عدي بن حاتم فسار بهم إلى أعالي الفرات فأغار على أدنى الشام ثم رجع(2).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعرف كيف يجعلهم إلى جانبه لو أراد ذلك، فيفضلهم ويعطيهم الأموال، ويحملهم على رقاب الناس، ويرضي غرورهم القبلي، ولكن ذلك يجعله ينقلب إلى جبار يدعم ملكه بالسيف، بدل ان يكون أباً للرعية تدعم سلطانه القلوب(3).

وبين عليه السلام في كلام له في هذا الشأن بقوله:

(وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي)(4)، أراد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله هذا إنما يصلحكم في السياسة السيف، وصدق فإن كثيراً لا يصلح إلا عليه(5)، كما فعل الحجاج بالجيش الذي تقاعس عن نصرته المهلب(6)، إذ روي انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد

ص: 286

1- عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي أحد بني ثعل، ويكنى أبا ظريف، قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة سبع وقيل عشر، ثم نزل على الكوفة وابتنى داراً وسكنها، شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام معركة الجمل وفقئت عينه، وشهد صفين والنهروان، ومات بالكوفة في أيام المختار سنة (68 هـ) وقيل (69 هـ)، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 6 / 214؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 577

2- الثقفى، الغارات، 456؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، 97 / 2

3- ينظر، شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 218

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 107

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 82

6- المهلب بن أبي صفرة واسم أبي صفرة ظالم بن سراق، ويكنى المهلب أبا سعيد، ادرك عمر بن الخطاب ولم يرو عنه شيئاً، وقد روى عن سمرة بن جندب وغيره، وهو من وجوه اهل البصرة وفرسانهم وأجوادهم، غزا في خلافة عمر، وتولى حرب الأزارقة، وولي خراسان ومات بمرور سنة (83 هـ)، في خلافة عبد الملك بن مروان واستخلف ابنه يزيد بن المهلب، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 9 / 129؛ ابن

عساكر، تاريخ مدينة، دمشق، 61 / 280

ثلاث فقد أحل دمه، فقتل جماعة فخرج الناس إلى المهلب يهرعون(1).

ثم بين أمير المؤمنين عليه السلام انه لا يمكن إصلاحهم وإفساد نفسه وذلك ان من طرق إصلاحهم هو القتل وأسلوب الشدة، وفي هذا خلاف للدين ومن ثم خروجه عليه السلام عن خط الإصلاح الذي ينادي به ويعتقده، وقد عبر عن ذلك بقوله:

(ولكنني لا أرى إصلاحكم بفساد نفسي، أي بإفساد ديني عند الله(2)، ويحق لنا أن نسأل؛ أليست نصره الإمام واجبة عليهم؟ أجاب بعض الشراح، إنه ليس كل اخلال بواجب يكون عقوبته القتل، كمن أخل بالحج، وايضاً فإنه كان يعلم ان عاقبة القتل فسادهم عليه واضطرابهم، فلو أسرع في قتلهم لشغبوا عليه شغباً يفضي إلى قتله ويقتلوا أولاده، أو يسلموه إلى معاوية، فلو ساسهم بالقتل والحال هذه، لكان آثماً عند الله، ومواقعاً للقبيح وفي ذلك إفساد دينه(3).

وعلى ما يبدو ان الحالة التي كان يعيشها مجتمع الإمام عليه السلام من الخمول والإنقياد وراء الأموال قد أثرت فيهم كثيراً وخاصة في مسألة الجهاد التي كان يأمرهم بها أمير المؤمنين عليه السلام، لا لغرض خاص به، وإنما هو للدفاع عن أرضهم من اعتداءات معاوية وأصحابه.

ص: 287

1- ابن اعثم الكوفي، الفتوح، 12/7؛ المسعودي، مروج الذهب، 116/2

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 82/6

3- المصدر نفسه، شرح نهج البلاغة، 82/6؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 193/2

3- غارة سفیان بن عوف الغامدي وجه معاوية بن أبي سفيان في سنة 39 هـ / 660 م غارة بقيادة سفیان بن عوف الغامدي(1)، في ستة آلاف رجل للإغارة على هيت(2)، وأمره بالتوجه إلى الأنبار(3) والمدائن(4) ليوقع بأهلها، وتوجه سفیان بن عوف ووصل إلى هيت ولم يجد بها أحداً، وتوجه بعد ذلك إلى الأنبار، ووجد بها مسلحة لأمير المؤمنين عليه السلام مكونة من مائة رجل فأغار عليها ولكنها صمدت بوجهه، وبعد أن حملت عليهم الخيل والرجالة قتل منهم ثلاثين رجلاً، ونهبوا الأموال ورجعوا

ص: 288

1- سفیان بن عوف بن المغفل بن عوف بن عمير بن كليب الغامدي، وكان برفقة أبي عبيدة بن الجراح حين فتحت الشام، واستعمله معاوية على الصوائف وتوفي سنة، (52 هـ) وقيل (54 هـ)، ينظر، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 21 / 348؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 3 / 106

2- هيت، وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي مجاورة للبرية، أنفذ إليها سعد بن أبي وقاص جيشاً سنة (16 هـ) لمقاتلة أهل قرقيسيا، وروي انها سميت هيت بإسم بانيها وهو هيت السبدي بن مالك، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 / 421

3- الأنبار، هي مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان اول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جددها أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، وأقام بها إلى أن مات، واختلف في سبب تسميتها، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1 / 257

4- المدائن، بالفتح جمع مدينة وهي التي بناها ملك الفرس أنوشروان بن قباد وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بني ساسان إلى ان فتحت أيام عمر بن الخطاب سنة (16 هـ) على يد سعد بن أبي وقاص، وهي تقع بين أرض الفرات ودجلة، واسمها بالفارسية توسفون وعربت إلى طيسفون وسمتها العرب لأنها سبعة مدائن، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 / 74

إلى معاوية(1)، وعند سماع أمير المؤمنين عليه السلام نبأ الغارة أرسل في طلبهم حتى جازوا مدينة هيت فلم يلحقوا بهم(2).

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى غارة سفیان بن عوف في إحدى خطبه وعبر عن تخاذل بعض أصحابه في قعودهم وعدم الدفاع عن أرضهم وإيثارهم القعود والخمول وعدم الخروج لصد تلك الغارات، وقد حدثهم عن الجهاد وما هي منزلة المجاهدين عند الله تعالى، ودعاهم عليه السلام إليه بقوله:

(ألا وأني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم)(3)، إذ بين البحراني أن الإمام عليه السلام حث أصحابه ودعاهم إلى الجهاد ووبخهم على تركه، وكان قد دعاهم مرات عديدة على قتال معاوية، وذكرهم بما أمرهم به من غزو عدوهم قبل أن يغزوهم في دارهم(4)، ودعوة الإمام عليه السلام لقومه في جميع الاوقات لغرض الجهاد هي مصداق قوله تعالى:

«قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا»(5)، ومعنى ذلك أن الإمام عليه السلام كان دائم الحث لهم على ضرورة التحرك للنيل من عدوهم قبل أن يسير إليهم

ص: 289

1- الثقفى، الغارات، 86؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 134؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/ 245

2- الثقفى، الغارات، 86؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 134؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10/ 676

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1/ 65

4- شرح نهج البلاغة، 2/ 36

5- سورة نوح، آية، 5

ويسيطر على أرضهم، وقد صرح في الكثير من خطبه يحثهم على الجهاد(1).

ثم بين أمير المؤمنين عليه السلام حالة الذل والهوان التي تصيب القوم إذا ما غزاهم عدوهم في عقر ديارهم بقوله:

(فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا- ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شذت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان)(2)، هنا أقسم أمير المؤمنين عليه السلام في بيان أمرهم ومدى الذل الذي يلقونه من غزو عدوهم لهم في دارهم وهذا نابع من توهمهم بالشجاعة، واعتقادهم فيهم الضعف ومن ثم تحملهم تلك الأوهام على القعود عن المقاومة، وتواكلهم واتكالهم بعضهم على بعض وعجزهم عن كل ما أمروا به(3) وهذا التواكل أدى بهم إلى ان تشن الغارات على أوطانهم وحدودهم(4)، ومنها مصر(5)، إن إستهانة اصحاب الإمام عليه السلام بقوة معاوية أدى بهم إلى ان يتجرأ عليهم عدوهم ويغزوهم في ديارهم، وهذا بدوره يعبر عن مدى الضعف والتهاون بين صفوف أصحاب الإمام عليه السلام.

وفي الأمر عينه جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان

ص: 290

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 170

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 65

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 36

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 64

5- التستري، بهج الصباغة، 10 / 503

البكري(1)، وأزال خيلكم عن مسالحها(2)، وسمى الإمام عليه السلام لهم غارة عدوهم وذكر لهم شخصاً معيناً وهو سفيان بن عوف، ليكون تنبيهاً لهم وليكونوا على بينة من صدق الإمام عليه السلام وظهور العدو وإقباله عليهم، وذكرهم بما فعلت خيله بديارهم وقتلهم عامل أمير المؤمنين حسان بن حسان، وإزالة خيلهم عن مسالحهم(3)، وهم مع ذلك لا يتحركون لدرء الخطر عن أرضهم على الرغم من تسمية الإمام عليه السلام لهم باسم عدوهم وما فعل بأرضهم.

وتطرق إلى مدى الظلم والعدوان الذي لحق بتلك الحدود والمسالح بقوله عليه السلام:

(ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزح حجلها، وقلبها، وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالإسترجاع والإسترحام(4)، إذ أخبرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن عظم الإنتهاكات التي حصلت على النساء المسلمات والذميات اللاتي دخلن في ذمة الإسلام وما فعل بهن العدو من سلب ونهب حليهن من الخلاخيل والمراد بالقلب يعني السوار(5)، والرعاث

ص: 291

-
- 1- حسان بن حسان، وقيل أشرس بن حسان البكري، وهو عامل أمير المؤمنين عليه السلام على مدينة الأنبار والذي قتله سفيان بن عوف الغامدي صاحب معاوية في غارته على الأنبار، وقتل معه ثلاثين شخصاً وانتهبوا ما كان في المدينة من اموال ورجعوا إلى معاوية، ينظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 134
 - 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 65
 - 3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 36
 - 4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 65
 - 5- الجوهري، الصحاح، 1 / 205

أي القرط(1)، وما تمتنع منه المرأة إلا بالإسترجاع أي قول:

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»(2)، وتناشده الرحم(3).

وفي السياق ذاته جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أریق لهم دم)(4)، والمراد بذلك انهم رجعوا إلى ديارهم وأخذوا ما أرادوا من دياركم، تأمّي العدد ولم يصبهم أي جرح منكم(5).

من خلال ما تقدم نلاحظ ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيه نوع من التوبيخ والذم لبعض أصحابه بسبب تقاعسهم هذا حتى مع انتهاك حرمهم ونهبهم أموالهم وترهيبهم الناس من قبل أصحاب معاوية، وعلى الرغم من ذلك كله لا يحركون ساكناً لمواجهة خصمهم.

4- غارة بسر بن ابي أرطاة تعد غارة بسر بن أبي أرطاة من أشد الغارات التي وجهها معاوية للإغارة على المدينة(6)، إذ وجهه معاوية في ثلاثة آلاف رجل وقال له: (سر حتى تمر

ص: 292

1- ابن سلام، غريب الحديث، 1 / 111

2- سورة البقرة، آية، 156

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 64؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 65

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 65

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 64

6- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 99؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 139؛ المسعودي، مروج الذهب، 2 / 19

بالمدينة فاطرد أهلها، وأخف من مررت به وانهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة إنك تريد انفسهم وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شرادات، ثم امض حتى تأتي صنعاء(1)، فإن لنا فيها شيعة، وقد جاءني كتابهم(2).

ونلاحظ مما جاء في وصية معاوية لبسر بن أبي أرطاة أنه أوصاه بعدم التعرض لمدينة مكة، ويبدو ان للعصبية والحقد دورهما في ذلك فمكة هي موطن معاوية الأصلي وموطن أهله من بني أمية وكانوا من قبل من زعمائها وساداتها؟ ولهم فيها مكانة قبل الإسلام، أما المدينة فهي تضم الأنصار أعداء الأمويين الذين انتصر الإسلام بسيوفهم وقضى على الشرك الذي كان معقله مكة بنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم.

وأخذ بسر بتنفيذ وصايا معاوية في فعل كل ما أوصاه به في المناطق التي مر بها حتى وصل إلى المدينة ودخل وصعد المنبر وخطب بالناس وعاب عليهم فعلهم بسبب عدم بيعه معاوية وقال لهم: (يا أهل المدينة مثل السوء لكم، قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، بما كانوا يصنعون، إلا إن الله قد أوقع بكم هذا المثل(3)).

ص: 293

1- صنعاء، وهو موضع باليمن، وسميت صنعاء لأنها مبنية من الحجارة الحصينة وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً، وهي قسبة اليمن وأحسن بلادها، تشبه دمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها، ينظر، ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، 91؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3 /

425

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 99؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 139؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 250

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 99؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 139؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 628

بعد ذلك بايع الناس لمعاوية، وأحرق بسر عدداً من الدور وأقام عدة أيام وخلف عليهم أبا هريرة(1)، ثم توجه إلى مكة وقتل في طريقه رجالاً وأخذ أموالاً ودخلها بدون قتال وطاف بالبيت وصلى ركعتين(2)، وبعد ذلك توجه إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن العباس(3)، عامل أمير المؤمنين عليه السلام وعند بلوغ الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام بتوجه بسر بن أبي أرتاة إليها قام خطيباً فقال:

(أيها الناس أن أول نقصكم ذهاب أولي النهي والرأي منكم، الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون، وإني قد دعوتكم عوداً وبدءاً، وسراً وجهرًا، وليلاً ونهاراً فما يزيدهم دعائي إلا فراراً، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة، أما والله إني لعالم ما يصلحكم، ولكن في ذلك فسادي، أمهلوني قليلاً، فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم، إن من ذل الإسلام وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل الأشرار فيجيئون، وأدعوكم وأنتم لا تصلحون فتراعون! هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها مكة والمدينة(4).

ص: 294

1- الثقفي، الغارات، 606؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 100 / 2

2- الثقفي، الغارات، 606؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 100 / 2، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 139 / 5

3- عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، يكنى أبا محمد، رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع منه، وحفظ عنه، وكان أصغر سنًا من أخيه عبد الله بن عباس، كان عامل أمير المؤمنين عليه السلام على اليمن، وأمره على الموسم، واختلف هو ويزيد بن شجرة الرهاوي الذي بعثه معاوية للحج فاصطلحا على ان يقيم الموسم شعبة بن عثمان، وكان عبيد الله أحد الأجواد، ومات سنة (58 هـ)، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 460

4- الثقفي، الغارات، 624؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 100 / 2؛ المفيد، الإرشاد، 272 / 1

نستشف من النص المتقدم ان الإمام عليه السلام قد لام أصحابه، وأن دعوته إليهم وتذكيرهم لم تزدهم إلا بعداً عنه، وأنه على معرفة بما يدور في داخلهم من طمع الدنيا وقارن بينهم وبين أصحاب معاوية الأراذل، وأصحاب الباطل فهم يستجيبون لدعوته، بينما نجد أصحاب الإمام عليه السلام لا يستجيبون له حتى مع سير الأعداء إلى أرضهم.

وطلب جارية بن قدامة السعدي(1) من الإمام عليه السلام التوجه لمواجهة بسر بن أبي أرطاة ومعه وهب بن مسعود الخثعمي(2)، وخرجا في أربعة آلاف رجل وتوجها إلى مكة، في الوقت الذي كان فيه بسر بن أبي أرطاة قد دخل اليمن وقتل ولدي عبيد الله بن عباس وهما عبد الرحمن وقتل(3)، فسار إليه اصحاب الإمام عليه السلام وقتلوا عدداً من أصحابه ولكن بسرًا هرب، وبعدها دخل جارية بن قدامة ومن معه إلى مكة والمدينة وأخذ البيعة للإمام الحسن عليه السلام لأن أمير

ص: 295

1- جارية بن قدامة التيمي السعدي، وقيل جارية بن قدامة بن مالك بن زهير، واختلف في اسمه، يكنى أبا أيوب، وقيل أبا زيد، يعد من البصريين، روى عنه أهل المدينة وأهل البصرة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، وهو الذي حاصر عبد الله بن الحضرمي في دار سنبل وأحرقه عليه، سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول له قولاً ينتفع به فقال له: (لا تغضب)، ينظر، ابن عبد البر الاستيعاب، 126

2- وهب بن مسعود الخثعمي، وهو من خثعم الكوفة، وكان شجاعاً في الجاهلية، لم يبارز رجلاً قط إلا قتله، وكان من اتباع الإمام عليه السلام وخيارهم، وكان من دعاء الإمام له بارك الله فيك، وندب من الكوفة في ألفي رجل للذب عنه وعن اوليائه، ينظر، البلاذري، جمل من انساب الأشراف، 3 / 211

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 101؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 140

المؤمنين عليه السلام قد استشهد في تلك السنة(1).

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى غارة بسر بن أبي أرطاة في إحدى خطبه إذ ورد قوله:

(أثبتت بسرًا قد اطلع اليمن، وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم بإجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حاكم)(2).

أراد أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته هذه استنفارهم للجهاد وأخبرهم بما فعل بسر بن أبي أرطاة وخروج اليمن من أيديهم، وبعد ذلك خوفهم بما حكم ظن الإمام الصادق عليه السلام ان القوم سيدالون منهم(3)، وقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام فقد تسلط عليهم معاوية من بعده على العراق وأذل أهله بالسيف، وأذاقهم الله وبال أمرهم(4)، وان الدولة ستكون لهم بسبب اجتماعهم على صاحبهم وتفرقهم عن الإمام وأنه يشير عليه السلام أنه متى وجد هذا السبب وجدت القوة والعزة، ومتى ذهب ذهب القوة والعزة(5).

نستدل من ذلك على ان اصحاب الإمام عليه السلام متفرون عنه وهو على حق، أما أصحاب معاوية فهم مجتمعون عليه على باطلهم، وروي انه لما قتل عثمان جاء رجل إلى معاوية يخبره بشأن مقتله، وأخبره أيضاً بأنه يستطيع الانتصار على أمير المؤمنين عليه السلام لأن: (من معك لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا أمرت،

ص: 296

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 102؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 141

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 62

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 20

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 20

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 62

وأصحابه يقولون إذا قال ويسألون إذا أمر، وأعلم أن علياً عليه السلام لا يرضيه إلا الرضا، وأنه لا يرضى بالعراق دون الشام، ورضاؤك بالشام دون العراق(1).

وفي السياق ذاته عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بقوله:

(وبمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل)(2)، إذ صرح ابن أبي الحديد أن سبب عصيان أهل العراق وطاعة أهل الشام بقوله: ان أهل العراق ذوي فطنة ونظر وعليه يكون التنقيب والبحث والطعن وإظهار عيوب الأمراء، وأهل الشام ذوي بلادة وتقليد وجمود على رأس واحد لا يسألون عن شيء(3).

ان رأي ابن أبي الحديد فيه نوع من التشويه قدر تعلق الأمر بالأمراء، فأبي عيوب عند أمير المؤمنين عليه السلام، ومما لا شك فيه أن العيوب في الناس وليس في من نزهه الله سبحانه وتعالى بكتابه العزيز وطهره من الرجس، فهو عليه السلام مع الحق أينما مال كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(علي مع الحق والحق مع علي)(4)، أما بخصوص مقارنة أهل الشام بأهل العراق فإن هذا الأمر لا يخلو من الصواب، وهذا ما يستدل به من خلال الكثير من الأحداث التاريخية الأخرى التي شهدتها كل من الشام والعراق.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن مسألة الأمانة وأدائها إذ قال في هذا الشأن:

ص: 297

1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 78؛ الدينوري، الأخبار الطوال، 155

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 62 / 1

3- شرح نهج البلاغة، 312 / 1

4- الإسكافي، المعيار والموازنة، 36؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 235 / 7

(وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وخيانتكم)(1)، وذهب البحراني إلى أن مراد الإمام عليه السلام من ذلك أنهم أي أهل الشام ملتزمون بالعهد والوفاء لمعاوية، وأنتم عكس ذلك وما تحملون من صفات الغدر والخيانة في العهد، وذلك بترككم مؤازرة الإمام في القتال وعصيانكم لأمره حتى صارت الكوفة مثلاً لأهل الغدر(2)، نلاحظ ان بعض الشراح يحملون أهل الكوفة أكثر مما يطبقون ويلقون باللوم عليهم وحدهم، أوليست الأمة كلها نقضت عهودها مع الإمام عليه السلام فلماذا يسלט الضوء على أهل الكوفة والعراق؟ ألم تتخاذل المدينة ومصر والشام واليمن وفارس وغيرها؟ نعم الكوفة مركز حكم الإمام عليه السلام وهي جزء من العراق ولكن يبدو لنا ان توبيخ الإمام وذمه كان عاماً لكل من لم يقف مع الحق بغض النظر عن منطقة سكنه او تواجهه لا سيما المناطق التي تحت حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر الطبري في اجتماع الحكمين أنه أرسل كل من أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية رجالاً لكل منهم لغرض التحكيم، فإذا كتب معاوية إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به ولا يسأله أهل الشام عن شيء، وإذا جاء رسول أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن عباس الذي كان من ضمن الوفد المفاوض، جاء أصحابه وسألوه، ماذا كتب إليك، فإن كتم ظنوا به الظنون، فأجابهم ابن عباس: (أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ويرجع ولا يسمعون لهم صوت وأنتم تظنون بي الظنون)(3).

ص: 298

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 62

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 21؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 178

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 67؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 205

نستشف من الغارات التي شنّها أتباع معاوية على المناطق التي كانت تابعة لأمير المؤمنين عليه السلام في أطراف العراق الغربية واليمن والمدينة وغيرها، وأنه كان يهدف من خلالها إلى عدة أمور منها:

1- محاولة معاوية نشر الرعب والخوف في المناطق التي يشن عليها تلك الغارات وخلق حالة من الإضطراب بين الناس، لحمل الإمام عليه السلام على توليته الشام.

2- لم يتورع معاوية بتوصياته بقتل الناس ونهب أموالهم، وهذا ما تبين في تلك الغارات وحتى حجاج بيت الله الحرام لم يسلموا من تلك الغارات، وهذا مما ينعكس على زعزعة الأمن في تلك المناطق.

3- نتج عن تلك الغارات بعض المواقف السلبية المتخاذلة من قبل بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وتباطؤهم في الخروج للعدو الذي اعتدى على أراضيهم وأموالهم على الرغم من تحذيرهم من ذلك من قبله عليه السلام.

المبحث الأول: الإدارة الأموية في نهج البلاغة في عهد عثمان

المبحث الثاني: موقف الإمام علي عليه السلام من الإدارة الأموية في نهج البلاغة

ص: 301

حمل الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مهمة تبليغ ونشر الدين الإسلامي لإنقاذ البشرية جمعاء من الظلم والطغيان وإزالة الفوارق الطبقيّة بين الناس، وأخذ يمهد ويعمل على إرساء الأسس الصحيحة التي يسير عليها الناس من بعده من جميع الجوانب ومنها الإدارية والماليّة، ولكن بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، أنشأ نظام الخلافة من أجل حكم الدولة الإسلامية واختير أبو بكر خليفة للمسلمين (1)، واستمرت خلافة أبي بكر لسنتين وثلاثة أشهر تقريباً (11 - 13 هـ) (2)، ثم أوصى أن يكون من بعده عمر بن الخطاب (3)،

.....

ص: 303

1- للتفاصيل ينظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 26 - 27؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 7؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 /

222

2- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 35؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 25؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 430

3- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 37؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 428

الذي بقي في الخلافة مدة عشر سنوات(1)، وتعرض لمحاولة اغتيال من قبل احد الموالي انتهت بوفاته(2)، وقبل وفاته اختار ستة من الصحابة من قريش وهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، لإختيار أحدهم خليفة من بعده في نظام أطلق عليه بالشورى في التاريخ الإسلامي، وتمخضت الشورى عن اختيار عثمان بن عفان ليكون خليفة للمسلمين بعد عمر بن الخطاب(3)، وبدأ عهد جديد في حياة المسلمين، ألا وهو عهد بني أمية وممثلهم عثمان بن عفان، الذي لم يستطع كبح جماح بني أمية، الذين استأثروا بإدارة البلاد والاموال على حساب الجميع، وأخذ بنو أمية ينظرون الى أمر الخلافة بأنه ملك يتوارثونه فيما بينهم، وقد توضح ذلك جلياً بقول أبي سفيان عندما تسلم عثمان الخلافة: (أعندكم أحد من غيركم، قالوا: لا، قال: يا بني امية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة فانتهره عثمان، وساء بما قال، وأمر باخراجه)(4)، ومن خلال الرواية فهم بنو أمية ان الأمر أصبح ملكاً خاصاً لهم يتصرفون به كيفما شاءوا.

وفي الخطب والرسائل التي وردت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة الكثير من الاشارات التي أشار فيها إلى ادارة بني أمية للدولة

ص: 304

-
- 1- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 3 / 944؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 52
 - 2- يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 52، المسعودي، مروج الذهب، 1 / 612
 - 3- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 44؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 328
 - 4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 10 / 58؛ الجوهري، السقيفة وفدك، 87، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 42؛ وردت الرواية عند المسعودي بلفظ آخر، ينظر، مروج الذهب، 1 / 633

1- الانفراد بإدارة الدولة الإسلامية:

ورد في المصادر التاريخية المختلفة الكثير من المعلومات التي تؤكد على قيام الأمويين بالسيطرة المفردة على إدارة البلاد، وإن عثمان لم يتهاون في إعطاء المناصب القيادية المهمة في إدارة الأقاليم والأمصاير إلى أقاربه وذويه من بني أمية، حتى الشخص الذي لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم راضياً عنه أو أهدر دمه من المنافقين، وكان هؤلاء أكثرهم من الطلقاء، إذ عيّن عثمان أخاه لأمه عبد الله بن أبي سرح المنافق واليا على مصر بدلا من عمرو بن العاص(1).

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله المذكور نزل فيه قوله تعالى:

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ»(2)، إذ بين عدد من المفسرون أن سبب النزول هو قيام عبد الله بن سعد بتحريف القرآن الكريم(3)، فقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بطرده وأهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة(4) فضلا عن قيام عثمان بتقريب

ص: 305

1- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 4/ 1157؛ الدينوري، الاخبار الطوال، 139؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 58

2- سورة الأنعام، آية، 93

3- الطبري، جامع البيان، 7/ 754؛ الطوسي، التبيان، 4/ 202؛ السمعاني، تفسير السمعاني، 2/ 126؛ السيوطي، الدر المنثور، 3/ 30

4- الأزدي، الإيضاح، 111؛ الحميري القمي، قرب الاسناد، 130؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، 3/ 46

شخص آخر من بني أمية هو عبد الله بن عامر بن كريز(1)، إذ ولاه على البصرة بدلا من أبي موسى الأشعري(2)، وكذلك عزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة، وولى بدله الوليد بن عقبة بن أبي معيط(3)، الذي ظهر منه شرب الخمر والفساد وفيه نزل قوله تعالى:

«أَقَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِدًا قَمَا لَا يَسْتَوُونَ»(4)، كما بينه بعض المفسرين(5)، وجمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان(6)، وكان عمر قد أوصى بأن يقر عماله من ولى الأمر بعده(7)، وهؤلاء الذين لم تكن سيرتهم حسنة عند المسلمين، وأثاروا الكثير من المشاكل للخليفة، وألبوا الناس عليه لأنهم كانوا واجهة الخلافة أمام المسلمين في الولايات الاسلامية، لذلك نصحه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ان يغير سياسته، ولا يجعل هؤلاء سبباً في الثورة عليه،

ص: 306

1- عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهو ابن خال عثمان بن عفان ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وولاه عثمان على البصرة سنة (29 هـ)، شارك في فتح خراسان وكرمان، وهو الذي شق نهر البصرة، ولم يزل واليا على البصرة حتى مقتل عثمان، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 427

2- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 153؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 60 / 2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 264

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 59 / 2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 251

4- سورة السجدة، آية، 18

5- ينظر، الثمالي، تفسير القرآن الكريم، 262؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 33 / 7

6- خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة، 112؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 10 / 32؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 13

7- البلاذري، جمل من أنساب الاشراف، 6 / 38

لذلك أخذ عثمان بالبحث عن الاعذار لتولية هؤلاء بقوله للإمام بأن عمر بن الخطاب هو الذي ولي معاوية، كذلك ابن عامر ومروان والوليد هم أقاربك، وليسوا أقاربي فقط، فردَّ عليه الإمام علي عليه السلام: (إن عمر بن الخطاب كان كل من ولي، فإنما يظاً على صماخه، إن بلغه عن حرف جلبيه، ثم بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على اقربائك، وقال له الإمام عليه السلام أيضاً:

هل تعلم ان معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه، قال: نعم، قال علي عليه السلام: فإن معاوية يقطع الامور دونك، وأنت تعلمها فيقول للناس: هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية(2)، ويمكن القول ان هناك جملة من الأمور أراد الإمام عليه السلام أن يوصلها لعثمان أهمها:

1- التذكير بالخرق الذي أحدثه عثمان، فهو يتعدى من كونه سيجلب عليه المآخذ إلى أن يعرفه إلى حساب الله وعقوبته، وهو في ذلك كله يحاول أن يذكر جانب الوازع الديني والعقيدة الدينية عند عثمان لتكون رادعاً له.

2- اعطى الإمام عليه السلام تصريحاً واضحاً لعثمان في أن عدم التزامه سيؤدي به إلى القتل، وسيكون مصداقاً لكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أنه يقيم على الأمة التقاتل فيما بينها، وهو أمر مدعاة إلى تفرقتها وتشتتها.

3- التذكير بمآخذ عمال عثمان ومدى إنجرارهم وراء أهوائهم.

وبعد تسلم عثمان الخلافة بمدة وجيزة بدأت تظهر مساوئ ولاته وعماله على

ص: 307

1- الشرهاني، حسين علي، التغيير في السياسة المالية، 26

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 337؛ المفيد، الجمل، 100؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 44

الناس، فتذمر منها الكثير بسبب سوء ادارة هؤلاء الولاة والعمال، وهذا ناتج من سوء إدارته بالطبع، وهذا ما حذره منه عمر بن الخطاب قبل وفاته عندما رشحه مع أصحاب الشورى الستة، اذ قال له: (كأني بك قد قلدتكَ قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفئى، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحا.

والله لئن فعلوا لتفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلنّ، ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولِي فإنه كائن(1)، فأوجدت هذه المساويى حاجزا نفسيا عند المسلمين، الذين كانوا يسكنون في هذه الامصار مع هؤلاء الولاة، وعزز هذا الأمر سوء تصرف هؤلاء معهم(2).

ومن جانب آخر أخذ أهل الكوفة بالشكوى من سياسة وأفعال الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي كان سيئ الصيت بينهم، والذي كان يصلي بالناس سكران، فعزله عثمان عن ولاية الكوفة بعد ان ثبتت أفعاله(3)، وولى مكانه والياً أمويًا آخر هو سعيد بن العاص الذي كان يقول: (ان السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شاءت)، فمنعوه من دخول الكوفة، وتكلموا فيه وفي عثمان، ورد عليه مالك الأشر قائلًا: (أتزعم ان السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيفنا، بستان لك ولقومك، والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبا، إلا أن يكون كأحدنا(4)، وكذلك تظلم أهل مصر من عبدالله بن أبي سرح وصرفه عنهم محمد بن ابي بكر، وكاتبه عثمان أن يستمر في ولايته، ويقال أنه كاتبه بقتل محمد

ص: 308

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 183

2- الشرهاني، التغير في السياسة المالية، 30

3- البلاذري، جمل من أنساب الاشراف، 6 / 149؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 / 625

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 323

بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه(1) وقد أنكر أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير على عثمان بقولهم: (ألم يوصيك عمر ألا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس، فلم يجبهم بشيء)(2).

وهذه الافعال من قبل عثمان وولائه في إدارة البلاد، أدت بالناس إلى الثورة عليه من قبل سكان الولايات، وقد قال السيد قطب: (وهذا التصور لتحقيق الحكم تغير شيئاً من دون شك على عهد عثمان، وان بقي في سياج الاسلام، لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ومن ورائه مروان بن الحكم يصرف الأمر بكثير من الإنحراف عن الإسلام، كما أن طبيعة عثمان الرخية، وحده الشديد على أهله، قد ساهم كلاهما في صدور تصرفات أنكرها الكثيرون من الصحابة حوله، وكانت لها معاقبات كثيرة، وآثار في الفتنة التي عانى منها الإسلام كثيراً)(3).

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة عن إستئثار عثمان في إدارة البلاد، مما أدى ذلك الى مقتله بسبب ذلك الأمر، إذ جاء قوله: (وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة وَجَزَعْتُمْ فأسأْتُمْ الجَزَع)(4)، إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه، ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك مخاطباً الذين ثاروا على عثمان وقتلوه بأنه فعل أموراً لا يجوز فعلها ألا وهي قيامه بالإستئثار بالأمر والإستبداد بها دون غيره فأساء في ذلك للمسلمين، أما أنتم فقمتم بقتله جزاءً بما

ص: 309

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 12

2- البلاذري، جمل من انساب الاشراف، 6 / 138

3- العدالة الإجتماعية في الإسلام، 159

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 71

فعل لجزعكم منه وكان الأجدر بكم أن لا- تجعلوا عقابه القتل على ما فعل، وإنما الحبس أو الخلع، وبذلك قد خالفتم وتجاوزتم حد القصاص الذي شرع حقناً للدماء، ومن ثم قد فتحتم باباً للإقتتال بين المسلمين بسبب قتلكم لعثمان(1)، ولكننا نجد أن عثمان رفض أن يخلع نفسه خاصة بعد أن طلب منه الثوار ذلك، بسبب إرساله غُلامه على جملة وكتابه الى عامله على مصر، يأمره بقتل محمد ابن أبي بكر ومن معه، وكان الثوار قد بعثوا الى عثمان يشكون إليه ظلم عامله، وقتله الناس بغير حق، فأنكر عثمان ذلك الأمر، فقالوا له: (إن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لعملك هذا، وإن كنت صادقاً استحققت الخلع لعجزك عن أمر الخلافة، حيث يكتب غيرك على لسانك، وأنت لا تعلم، فاخلع نفسك، فأبى عليهم ذلك حتى قتلوه)(2).

وجاء في رواية الطبري: ان عثمان خص أقاربه بإدارة البلاد في ولايته، حتى عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، وحرص الناس عليه، ولما سمع بخبر قتله قال: (أنا ابو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها، إذ كنت أحرض عليه حتى لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل)(3)، فضلاً عن ذلك ما ذكر من تولية أقاربه على الولايات والامصار. والتي أدت بالنهاية الى مقتله بسبب سياستهم الخاطئة التي انتهجوها مع المسلمين، الأمر الذي دفع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى تغيير عمال عثمان حال تسلمه الخلافة.

أما معاوية فحال إستلامه لأمر الخلافة، قد استعمل ولاة ممن يتصفون

ص: 310

1- شرح نهج البلاغة، 2 / 104

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 356

3- تاريخ الرسل والملوك، 4 / 357؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 140

بالدهاء والمكر والحيلة أمثال عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزباد بن أبيه، الذي كان له دور كبير في بسط السيطرة على الكوفة والبصرة، فقد أخذ الناس بالشبهة، وعاقب بالظنة وبسط الأمر لمعاوية(1)، وكان زياد قبل ذلك من الشخصيات البارزة التي ولاها عبد الله بن عباس بتوجيه من أمير المؤمنين علي عليه السلام على ولاية فارس وكرمان والبصرة، والذي استطاع السيطرة على تلك المناطق التي كانت تحت إدارته، حتى ضبطها ضبطاً صالحاً، وجبى الخراج وحماها، وقد حاول معاوية إستمالته إلى جانبه بسبب ما عرف عنه من حسن الإدارة وبسط السيطرة على المناطق التي كانت تحت سيطرته، وحذر أمير المؤمنين في أحد كتبه التي بعثها إلى زياد بن أبيه من محاولة معاوية إستمالته إلى جانبه، والذي أشرنا إليه فيما سبق(2).

وبعد استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام خاف معاوية جانب زياد بن أبيه الذي بقي في عمله، ومن الممكن أن يميل إلى جانب الإمام الحسن عليه السلام والتحاقه به، لذلك كتب إليه يستدعيه مستخدماً خدعة استلحاقه بنسبه(3)، وكان زياد ابن أبيه يحب الشرف والذكر وصعود المنابر(4)، وتبين أن للمغيرة بن شعبة دور كبير في هذا الاستلحاق حيث أخذ يمني زياد بن أبيه بذلك حتى تم الأمر لمعاوية واستلحاقه بنسبه بعد شهادة الشهود بذلك(5)، ومما لاشك فيه أن

ص: 311

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 222؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 4 / 301؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 307

2- ينظر، الفصل الثاني، ص، 147

3- الثقفى، الغارات، 927؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 140

4- الثقفى، الغارات، 929؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 142

5- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 7 / 144؛ المسعودي، مروج الذهب، 2 / 6؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 142

معاوية بعمله هذا قد خالف قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(الولد للفراس وللعاهر الحجر)(1)، وقد أدلى أحد الباحثين برأيه في مسألة استلحاق زياد بن أبيه من قبل معاوية بأن هذا الاستلحاق كان لأغراض سياسية، وقد جوبه بالرفض من قبل العديد من الشخصيات(2).

فكان زياد بن أبيه من أدوات معاوية التي حاول بها فرض سيطرته وهيمنته على العراق، إذ كان يتمتع بصفات البطش والقسوة، وتمكن أن يضبط له العراق ويقضي على جميع من يعارض حكم معاوية، فهذا حجر بن عدي الكندي الذي كان من أشد المعارضين لحكومة معاوية، تم التخلص منه من خلال دهاء زياد، إذ سيره إلى معاوية(3)، وكذلك قام زياد بقتل العديد من المعارضين أمثال رشيد الهجري(4)، الذي كان من خواص الإمام عليه السلام، حيث عرض عليه البراءة منه، لكنه رفض ذلك فقتله وقطع رجليه ويديه ولسانه وصلبه(5).

ص: 312

1- ابن حنبل، 280 / 2؛ البخاري، صحيح البخاري، 5 / 3؛ مسلم، صحيح مسلم، 171 / 4

2- للمزيد من المعلومات، ينظر، العيساوي، علاء كامل، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي عليه السلام، 85

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 263 / 5

4- رشيد الهجري، ويسمى رشيد الفارسي، وهو من موالي معاوية بن مالك، وقيل هو مولى جابر ابن عتيك الأنصاري وهو من موالي بني هاشم، شهد أحد مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فضرب رجلا من المشركين فقال: خذها وأنا الغلام الفارسي، فقال له: هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 6 / 283؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 236؛ المزي، تهذيب الكمال، 34 /

5- الثقفى، الغارات، 799؛ المفيد، الإرشاد، 1 / 325؛ الطبرسي، أعلام الورى، 1 / 343

وذكر المسعودي أن معاوية أضاف إلى زياد ولاية المدينة فيما بعد بسبب قيامه بضبط العراق له، فعلم أهل المدينة بذلك الخبر مما ولد عندهم حالة من الرعب والهلع، فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضجوا إلى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام، لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف(1).

وقد عبر أحد الباحثين عن سبب قيام معاوية بتولية زياد بن أبيه بقوله:

(ان زياد خلال مدة وجوده مع علي بن أبي طالب عليه السلام تعرف على المخلص منهم والمنافق، وكان معاوية بحاجة إلى رجل يعرف أصحاب علي عليه السلام معرفة دقيقة، حتى يتمكن منهم معاوية ويبيدهم عن بكرة أبيهم ويقضي على أي ناصر لعلي عليه السلام في الأرض،... لذلك كاتبه وتودد إليه ووعد بولاية العراق)(2).

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد فأصحاب الإمام عليه السلام المخلص معروفون لمعاوية ولا حاجة له بزياد لمعرفتهم، وإنما ولاءه لكفائه وحسن ادارته ودهائه، فضلا عما عرف عنه من شجاعته، وخير دليل على ذلك توليته من قبل أمير المؤمنين عليه السلام.

2- الاستئثار بأموال المسلمين:

من الأمور التي أكد عليها الدين الإسلامي مبدأ العدل والمساواة بين جميع المسلمين، إذ لفرق بينهم، وإن الكل متساوون في الحقوق والواجبات، وإن الفرق بينهم يكمن في عامل التقوى، والإيمان بالله تعالى، وقد نهى الله تعالى في الكثير من آيات القرآن الكريم عن أكل المال الحرام واغتصاب حقوق الآخرين

ص: 313

1- مروج الذهب، 2 / 24

2- يعقوب، أحمد حسين، كربلاء الثورة والمأساة، 80

«وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»(1). وجاء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ليضع قواعد العدالة الاجتماعية للناس ليسيروا عليها، ولكن بعد وفاته انحرفت الأمة عن المسار الصحيح الذي رسمه لهم، وخاصة في الجانب المالي فقد تصرف فيه المنحرفون على أساس المصلحة المادية لإشباع رغباتهم، ورغبات من يواليهم، وحرم أناس آخرين من حقوقهم، فقد سار عمر بن الخطاب بتوزيع العطاء بين الناس على أساس القرابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أساس القدم في الإسلام، وغيرها من الأمور التي اتخذها كأساس لتوزيع العطاء بين المسلمين(2)، وهذه السياسة التي قام بها عمر بن الخطاب قد خلقت فوارق طبقية بين المسلمين، مما أدى ذلك إلى وجود طبقتين، طبقة مترفة ومنعمة بالأموال والإمتيازات، وطبقة أخرى محرومة لا ترقى إلى الطبقة الأولى من حيث تلك الإمتيازات.

وعند وصول الثالث عثمان بن عفان إلى الخلافة، بدأت مرحلة جديدة في حياة المسلمين، ألا وهي بداية السيطرة على مقدرات الدولة من قبل بني أمية إذ أصبح بيت مال المسلمين كأنه ملك لهم، يهبون منه لمن ارادوا من اقربائهم وبعض الصحابة المقربين منهم، وعلى هذا الأساس تنامت تلك الطبقة التي وجدت في عهد عمر بن الخطاب، والتي أوجدها بسبب تفضيله العطاء على أسس وضعها هو في توزيع الأموال على المسلمين، مما خلق تفاوتاً كبيراً بين المسلمين ونشوء طبقات فقيرة بينهم، وكان عثمان بن عفان يمتلك الكثير من

ص: 314

1- سورة البقرة، آية، 188

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 44؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 614

الاموال والعقارات، ويلبس الملابس الثمينة(1)، وخلف يوم قتل عند خازنه ثلاثين ألف درهم وخمسمائة درهم، وخمسين ومائة ألف دينار فانتهبت وذهبت، وترك ألف بغير وصدقات في وادي القرى وخيبر ما قيمته مائتي ألف دينار(2)، ومن الشواهد على بذل عثمان الأموال لأقاربه وبعض الصحابة ما ذكره المسعودي، ان الزبير بن العوام بلغت ثروته أيام عثمان خمسين ألف دينار، وألف فرس، وألف عبد وأمة(3) أما عبد الرحمن بن عوف، فقد كان في مربطه مائة فرس، وألف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته ربع ماله أربع وثمانين ألفاً(4).

من جانب آخر رد عثمان بن عفان الحكم بن العاص الذي طرده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معززا مكرما وأعطاه مائة الف درهم من بيت مال المسلمين(5)، بعد ان رفض أبو بكر وعمر بن الخطاب طلب عثمان برده الى المدينة(6) وفي رواية أخرى تصور لنا الحال التي كان عليها الحكم بن العاص عند قدومه الى المدينة بعدما استدعاه عثمان، (إذ كان عليه ملابس رثة وهو يسوق تيساً، حتى دخل دار عثمان، والناس ينظرون الى سوء حاله، فخرج وعليه جبة خز وطيلسان)(7)، وهو بذلك قد خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برده الحكم بن العاص الى المدينة،

ص: 315

-
- 1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 133؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 / 624
 - 2- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 72
 - 3- مروج الذهب، 1 / 625
 - 4- المصدر نفسه، 1 / 624
 - 5- ابن قتيبة، المعارف، 194؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 3 / 366
 - 6- ابن قتيبة، المعارف، 194؛ ابن الأثير، أسد الغابة؛ 2 / 49؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3 / 24
 - 7- يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 58

وإعطائه هذا المبلغ الذي هو ليس من حقه.

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى قيام عثمان بالتصرف في بيت مال المسلمين هو وأقاربه من بني أمية في خطبة له أوردتها بهذا الشأن، بقوله:

(إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حصّته، بين نثيله ومُعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع)⁽¹⁾، إذ نابن أبي الحديد في شرحه أن الإمام عليه السلام شبه ذلك لمن امتلأت بطنه طعاماً⁽²⁾، بينما يرى البحراني في شرحه أن المقصود بثالث القوم هو عثمان، ونافجاً حصّته، كناية عن استعداده للتوسع في بيت مال المسلمين⁽³⁾، والنثيل، معناه الروث، والمعتلف، موضع العلف، ومراده عليه السلام أن همه الأكل الرجيع⁽⁴⁾ وهنا إشارة إلى بني أمية⁽⁵⁾ ومعنى الخضم⁽⁶⁾ الأكل بكل الفم، وضده القضم⁽⁷⁾ ومعناه الأكل بأطراف الأسنان، أو المراد به أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء اليابس، أي أن بني أمية على قدم عظيمة من النهمة وشدة الأكل، وامتلاء الأفواه، وقد علق البحراني أيضاً على ذلك بقوله: (ووجه التشبيه أن الإبل لما كانت تستلذ بنبتة الربيع بشهوة صادقة، وطول مدة الشتاء، مع ذلك طيبه ونظارته، كان ما أكله أقارب عثمان من بيت مال المسلمين مشبهاً لذلك من جهة كثرته وطيبه

ص: 316

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 37

2- شرح نهج البلاغة، 1 / 191

3- شرح نهج البلاغة، 1 / 323

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 191

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 234

6- الخضم، ومعناه، الأكل بأقصى الاضراس، ينظر، الفراهيدي، العين، 4 / 179

7- القضم، ومعناه، الأكل بمقدمة الأسنان، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 12 / 183

لهم، عقيب ضرهم وفقدهم، وكل ذلك من باب الذم والتوبيخ لهم(1)، وهنا الكلام يدل على حقيقة الإستئثار والنهم الذي أصاب بني أمية بعد تولي عثمان بن عفان الخلافة.

وفي السياق ذاته ورد عن أبي ذر رضوان الله تعالى عليه قوله في بني أمية:

(يخضمون ونقضهم والموعود لله)(2)، أي ان بني أمية يستأثرون بالأموال أما بقية المسلمين لا سيما الصحابة الخالص منهم يعيشون على الكفاف.

وفي الحقيقة ان هبات عثمان وعطاياه لأهله وأقاربه مشهورة وكثيرة، إذ روي انه أعطى مروان بن الحكم مائة ألف دينار، ويروي خمس أفريقيا(3)، وكذلك أعطى عبد الله بن سعد بن أبي سرح جميع ما أفاء الله من فتح أفريقية بالمغرب من طرابلس الغرب(4)، الى طنجة(5)، من غير.....

ص: 317

1- شرح نهج البلاغة، 1 / 324

2- الراوندي، منهاج البراعة، 1 / 129؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 191؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 234

3- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 50؛ البلاذري، جمل من انساب الاشراف، 6 / 133؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، 2 / 64

4- طرابلس الغرب، بفتح اوله، وهي مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط، وعليها سور ضخيم، وفيها أسواق ومسجد يعرف بمسجد الشعاب وفيها رباطات كثيرة يدرس فيها، وهي ذات خيرات كثيرة وغزاها عمرو بن العاص سنة (23 هـ) واستولى عليها عنوة وملكها، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4 / 25

5- طنجة، وهي مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط مقابل الجزيرة الخضراء وهي تبعد ميلاً واحداً عن البحر، وهي عامرة وأرضها خصبة وبينها وبين مدينة سبتة مسيرة يوم واحد، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4 / 43

ان يشركه به أحد من المسلمين(1) وأعطى أقاربه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها(2) واتخذ الأموال واستلف من بيت المال، وروي أنه بعث الى الأرقم بن عبد الله(3) خازن بيت المال فقال له: (اسلفني مائة ألف درهم، فقال له الأرقم: اكتب عليك صكاً للمسلمين، قال: وما أنت وذاك، لا أم لك، إنما أنت خازن لنا، فخرج الأرقم حال سماعه كلام عثمان الى الناس، وقال: أيها الناس عليكم بمالكم، فإني ظننت إني خازن لكم، ولم أعلم إني خازن عثمان بن عفان حتى اليوم)(4)، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ألف من بيت المال(5)، وزوج ابنته من الحارث بن الحكم(6)، وأعطاه مائة ألف درهم من بيت مال المسلمين(7)، وأقطعته أيضاً مهزور وهو موضع سوق المدينة الذي تصدق به

ص: 318

-
- 1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 192 / 1
 - 2- البلاذري، جمل من انساب الاشراف، 133 / 6
 - 3- الأرقم بن عبد الله الكندي، من بني الأرقم، وهو تابعي من أهل الكوفة، وكان مع حجر بن عدي ممن قدموا إلى مرج عذراء، وشفع فيه وائل بن حجر إلى معاوية فأطلقه، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 21 / 8
 - 4- المفيد، الأمالي، 71؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، 274 / 4
 - 5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 193 / 1
 - 6- الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الاموي، وهو اخو مروان، سمع أبا هريرة، وأدرك يوم الدار (يوم مقتل عثمان) وشهدها، وأعطاه عثمان مالاً كثيراً، وكان والياً على المدائن من قبل عثمان، فظلم أهلها فشكوه الى عثمان فعزله وعين مكانه حذيفة بن اليمان، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 412 / 11
 - 7- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 193 / 1

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين(1)، ونتيجة لهذه الأعمال التي قام بها عثمان، قد حرم المسلمون من الصدقة التي خلفها لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذلك أقطع مروان بن الحكم أرض فدك وهي أرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبها لابنته فاطمة الزهراء عليه السلام(2)، واستقرض الوليد بن عقبة بن أبي معيط من بيت مال المسلمين في الكوفة مبلغاً من المال ولم يرجعه، فألح عليه عبد الله بن مسعود خازن بيت المال، من أجل إرجاع هذا المبلغ، فامتنع وكتب إلى عثمان بالأمر، فأرسل كتاباً إلى عبد الله بن مسعود يقول فيه: (إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال)، فترك عبد الله بن مسعود عمله وقال:

(كنت أظن إنني خازن بيت مال المسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك)(3)، والشواهد كثيرة على هبات عثمان بن عفان إلى بني أمية وإلى الصحابة المقربين منه(4).

ومن جانب آخر وفي الصدود ذاته جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في إشتار عثمان بن عفان وسوء تصرفه في الأموال: (إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكَبِثَ به بطنته)(5)، وذهب البحراني في شرحه إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك أنه لما كان يبرمه من الرأي ويستبد به من دون

ص: 319

1- ابن قتيبة، المعارف، 195؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 36 / 5

2- ابن قتيبة، المعارف، 195؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 36 / 5؛ وللمزيد من المعلومات، ينظر، الزيدي، سامي جودة، فدك حتى نهاية العصر العباسي، 176

3- البلاذري، جمل من أنساب الاشراف، 140 / 6

4- ينظر، البلاذري، جمل من أنساب الاشراف، 140 / 6؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 36 / 5 - 37

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 37 / 1

الصحابة أدى به ذلك العمل الى الانتفاض ورجوعه عليه بالهلاك والفساد(1)، وهذه الاعمال أدت به الى القتل بسبب الإسراف والتبذير في الشبع(2).

وعبر أمير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة في كتاب أرسله الى مالك الأشتر حين ولاه إمارة مصر عن الإشارة إلى تولي أمر هذه الأمة من قبل الفجار بقوله:

(ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجأؤها، فيتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا والصالحين حرباً)(3)، إذ بين الإمام مدى حزنه من تولي أمر هذه الأمة فجارها وسفهاؤها، وعنى بالسفهاء بني أمية وأشياعهم(4)، وروي أن الإمام عليه السلام أخذ يدعو أصحابه الى الجهاد، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

(نحن سائرون الى من سفهه وتناول ما ليس له، وما لا يدركه معاوية وجنده، الفئة الباغية الطاغية، يقودهم إبليس ويبرق لهم ببارق سيوفه، ويدليهم بغروره، وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذرکم الله من الشيطان، وارغبوا بما أتاكم من الأجر والكرامة)(5)، ولعل خطاب أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم يحذر الناس من عودة الإستنثار الذي كان عليه الوضع القائم في الدولة الإسلامية إبان خلافة عثمان بن عفان من جهة، والحيلولة دون تكرار تلك المآسي بعد ان يتولى بنو أمية مقاليد الحكم والسلطة من جهة ثانية.

ص: 320

1- شرح نهج البلاغة، 1 / 324

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 191

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 485

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 190

5- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 113؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3 / 144

إذ ان سياستهم التي اعتمدها في عهد عثمان بن عفان سوف تتكرر في حال استئثارهم بالسلطة وتوليتهم رقاب المسلمين.

وأما قوله عليه السلام فيتخذوا مال الله دولا، أي ان يتحكم بهم الأشرار، وعنى بالدول، جمع دولة، أي شيئاً يتداولونه بينهم ويتصرفون به بغير حق الله(1).

وقصد الإمام عليه السلام بقوله:

(وعباده خولاً والصالحين حرباً)، أي يتخذونهم عبيداً ويحاربونهم(2)، وجاء في رواية اليعقوبي انه لما بلغ عثمان وفاة أبي ذر قال: (رحم الله أبا ذر، قال عمار: نعم رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا، فغلظ ذلك على عثمان، وبلغ عثمان عن عمار كلام فأراد ان يسيره أيضاً، فاجتمعت بنو مخزوم الى علي بن أبي طالب عليه السلام وسألوه إعانتهم فقال علي عليه السلام: لا ندع عثمان ورأيه(3).

أراد الإمام عليه السلام ان يحذر الناس من بني أمية ومن شرارهم الذين انتزوا على الأمة اموالهم، أخذوا يتداولونها بينهم بغير وجه حق، وكذلك تعاملهم مع الناس على أنهم عبيد لهم، وهذه الافعال التي أوجدها عثمان من التفرقة في العطاء، وتنامي الاموال في يد صغار بني أمية الذين لم يكن لهم أي دور في الاسلام، لا في تأسيسه ولا في الدفاع عنه، وإنما اعتدوا على حرمة الإسلام بأفعالهم هذه، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وضع قواعد العدالة الإجتماعية بين الناس، ونتيجة لهذه الأفعال والهبات التي منحها عثمان لأهل بيته، عاتبه بعض الصحابة وفي مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأجاب عثمان: (ان أبا

ص: 321

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 485

2- الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 452

3- تاريخ اليعقوبي، 2 / 70

بكر وعمر يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، فقاموا عنه غاضبين يقولون: فهديهما والله أحب إلينا من هديك(1)، وكان عثمان قد جمع بعض الصحابة ومنهم عمار بن ياسر، واعترض عليهم وأخبرهم: (بأنه يتمنى لو أن بيده مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلونها من عند آخرهم(2)، وهذا يدل على مدى تمسك عثمان بأقاربه وإيثاره إياهم على غيرهم، وكل ذلك على حساب الحق والعدالة التي أكد عليها الإسلام الحنيف ونبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

وبسبب الإستمرار بسياسة التفريق بالعطاء بين المسلمين من قبل عثمان وعماله، تولدت موجة غضب عند الكثير من الصحابة والناس، وفي مقدمتهم أبوذر الغفاري، وهو من كبار الصحابة الذين نادوا بالإصلاح وتخفيف الفروق بين المسلمين، وكان أبوذر يجلس في المسجد ويتحدث عن عثمان، ويقول ان عثمان قد بدل وغير سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ينادي بشر الكانزين بعذاب اليموي يتلو قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»(3)، فأخبر مروان بن الحكم عثمان بذلك، فأرسل إليه نائلاً مولاه ينهاه عما ينادي به، فقال له أبا ذر: (أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيَّب من ترك أمر الله، فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير من أن

ص: 322

1- الشريف المرتضى، الشافعي في الإمامة، 4 / 273

2- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 1 / 62؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 7 / 227؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 13 / 527

3- سورة التوبة، آية 34

اسخط الله برضاه، فأغضب عثمان ذلك(1)، فأمر بتسييره الى الشام(2).

ولم يتوقف أبو ذر عن موقف المعارض بل استمر في ثورته ومعارضته الظلم والاستئثار بأموال المسلمين فكان دائم المعارضة لمعاوية هناك في الشام وكان يقف على باب دمشق وينادي: (جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له)(3)، وحاول معاوية ان يشتري ذمة أبي ذر عسى ان يرجع عن موقفه هذا فبعث إليه بثلاثمائة دينار فقال: (إن كانت من عطائي الذي حرمتومنيه عامي هذا قبلتها وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها)(4)، وبعد تأكد معاوية من جدية موقفه كتب الى عثمان يخبره بأنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فكتب إليه عثمان أن يحمل أبا ذر إليه في المدينة(5).

وعنه وصوله الى المدينة حاول عثمان ان يستميل أبا ذر وقال له: (لو اعتزلت لكنت قريباً، لكن أبا ذر رفض وأستمر في معارضته لعثمان وقال: لا أدع قولي، ولوا أمروا عليّ عبداً حبشياً لأطعت)(6)، وكذلك عاتبه عثمان على موقفه من بني أمية، إذ بلغه أنه يقول إنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: (إذا كمل بني أمية

ص: 323

-
- 1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 166؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3 / 43
 - 2- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 166؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 68؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 / 630
 - 3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 68
 - 4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 167؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 8 / 196
 - 5- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 68؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 284؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 10
 - 6- ابن أبي شيبعة، المصنف، 7 / 261؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 5 / 56

ثلاثين رجلاً، اتخذوا بلاد الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دغلاً، فأرسل عثمان الى الإمام علي عليه السلام، وذكر له قول أبي ذر فأيده الإمام في قوله، فسأله عثمان إن كان قد سمع هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له الإمام عليه السلام إنه لم يسمعه لكنه متأكد من صدق أبي ذر، قال وكيف تشهد؟ قال: (لقول رسول الله: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، ذا لهجة أصدق من أبي ذر)⁽¹⁾، وكيف لم يسمع أمير المؤمنين عليه السلام حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي زقه العلم زقاً، ولعل الإمام أراد بذلك تبيان فضيلة أبي ذر التي تجسدت من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه، مما دفع عثمان الى نفيه الى الربذة⁽²⁾ فقال أبو ذر: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بكل ما أنا لاقٍ، وأني أمتنع عن مكة والمدينة، وأموت بالربذة⁽³⁾، ويبدو من النصوص المذكورة، أن عثمان في المدينة وعامله معاوية في الشام، قد خافوا من المعارضة القوية التي شنّها أبو ذر عليهم وعلى سياستهم في حرمان الناس من حقوقهم، والتي من شأنها أن تؤلب عليهم الرأي العام إذا ما استمرت، والتي لو كتب لها النجاح سوف تفقدهم الامتيازات التي يتمتعون بها، لذلك عمد عثمان إلى نفيه إلى الربذة.

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الأمر في كلام له مخاطباً به أبا ذر بقوله:

(يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم،

ص: 324

-
- 1- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 2/ 375؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، 3/ 344
 - 2- الربذة، وهي قرية من قرى المدينة، تبعد عنها ثلاثة أيام، قرية من ذات عرق على طريق الحجاز، إذا رحلت من فید تريد مكة، وفيها قبر الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه وكان قد أخرج إليها مغضباً لعثمان وبقي فيها الى أن توفي سنة (32 هـ)، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 24
 - 3- المسعودي، مروج الذهب، 1/ 631

وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابع غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقاً، ثم اتقى الله، لجعل له منهما مخرجا، لا يؤنسك إلا الحق، ولا- يوحشك إلا- الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك. ولو قرضت منها لأمنوك(1)، بين ابن أبي الحديد في شرحه ان واقعة أبي ذر وإخراجه الى الربذة أحد الأحداث التي نقت على عثمان(2)، وعندما أخرج أبو ذر الى الربذة نُودي أن لا يكلمه أحد، وأمر مروان بن الحكم ان لا يشيعه أحد، وتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وأخوه عقيل وابناه الحسن والحسين عليهما السلام وآخرون من أصحابهم فإنهم خرجوا يشيعونه، فاعترضهم مروان بن الحكم وأراد أن يمنعهم، ولكنهم لم يمتنعوا من أمره، فرجع مروان الى عثمان فتلظى على علي عليه السلام، ووقف أبو ذر وودعه القوم(3).

وأراد الإمام عليه السلام من كلامه مع أبي ذر إنه شهد له بأن إنكاره ما كان إلا لله تعالى، وان القوم خافوك على دنياهم أي على أمر الخلافة بالتنفير عنهم، وخفتهم على دينك باجتناج موافقتهم واجتناج عطائهم على غير السنة(4).

وروي أن أبا ذر لما ودع جمعاً كانوا اتبعوه لما أخرج من الشام، قال لهم: (إجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله تعالى إذ عصي في الأرض، ولا ترضوا أنتمكم بسخط الله، وإذا أحدثوا ما لا تعرفون فجانبواهم، وأزروا عليهم، وإن عذبتهم

ص: 325

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 217 / 2

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 193 / 8

3- المصدر نفسه، 193 / 8، وللمزيد من المعلومات حول حادثة أبي ذر، ينظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 69؛ الجوهري، السقيفة وفدك، 78؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 / 631

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 137

وحرمتهم وسيرتهم حتى يرضى الله تعالى، فإن الله تعالى أعلى وأجل ولا ينبغي ان يسخط برضا المخلوقين، غفر الله لي ولكم(1) وفي الصدّد ذاته جاء قول امير المؤمنين عليه السلام:

(فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما احوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك)، أشار الإمام عليه السلام على أبي ذر أن يترك لهم دنياهم، وينجو هو بدينه، فهم بحاجة الى دينه، وهو غني عن دينهم(2)، ويذكر ان الإمام الصادق عليه السلام قال لأحد أصحابه:

(أما تغشى سلطان هؤلاء؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: فراراً بديني. قال:

وعزمت على ذلك؟ قال: نعم. قال: الآن سلم لك دينك(3).

ومن جانب آخر فالإمام عليه السلام يذكر أبا ذر (رضوان الله تعالى عليه) بيوم القيامة من خلال قوله عليه السلام ان تارك الدنيا رابح من المقبل إليها، فضلاً عن ان الإمام عليه السلام بشره بخلاصه من ضيق الحال التي هو عليها بسبب إخراجها من المدينة، إشارة إلى قوله تعالى:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا»(4) وأمره بالإستئناس بالحق وحده، والإستيحاش من الباطل وحده، وأشار الى السبب الذي جعلهم يبغضونه ويخافونه هو لعدم مشاركتهم في دنياهم والإنفراد

ص: 326

1- المفيد، الأمالي، 163

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 137

3- الكليني، الكافي، 5 / 108

4- سورة الطلاق، آية، 2 - 3

بالقول عليهم(1).

نستخلص من النص المتقدم، أن أبا ذر كان من أشد المعارضين لسياستهم وظلمهم الذي مارسوه على الناس، لا حاجة منه الى المال، ولكن يريد أن يحذرهم مما وقعوا فيه من ظلم الناس واغتصاب حقهم، ولو أراد المال لنفسه لعملوا على إعطائه الكثير، حتى يأمنوا ثورته ضدهم ولكنه كان يرفض هباتهم بوصفه واحداً من بين الكثيرين ممن غصب حقهم، ولا يريد أن يفضل نفسه عليهم، وجاء في الرواية أن عثمان بعث الى أبي ذر مائتي دينار فردها، وأخبر من حملها له، هل أعطى أحد من المسلمين مثل ما أعطاني، فأجابه رسول : لا. فقال له: (إنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم)(2).

وحاول طه حسين أن يبرئ عثمان بقوله: (ان الشيء المحقق هو أن عثمان لم يداهن في دينه، والشيء الوحيد المحقق هو أن عثمان لم يرَ في سياسته تلك مخالفة خطيرة أو غير خطيرة لسيرة الشيخين، فهو لم يتعمد الجور، ولا المحاباة وإنما وسع على الناس من أموالهم، رأى في بيت المال غنى فآثر الناس به، ولم يغل في الإدخار وأي حرج في أن يصل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء من هذا المال قليل أم كثير، وهم أئمة الإسلام وبناء الدولة وأصحاب البلاء الحسن أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد احتملوا من الشدة والحرمان شيئاً كثيراً)(3).

ويمكن الرد على رأي طه حسين هذا، إن ما منحه عثمان لأهله وأقاربه من بني أمية الذين لم يكن لهم أي دور في الاسلام، فأغلبهم من الطلقاء وممن لعنهم

ص: 327

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 138

2- الطوسي، رجال الطوسي، 1 / 119

3- الفتنة الكبرى، 1 / 77

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وأبي سفيان ومعاوية وغيرهم، وحتى الذين كان لهم دور في الإسلام مثل الزبير وغيره من المقربين من بني أمية، ما كان له أن يفضلهم على غيرهم، وهو بعمله هذا قد خالف سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في العطاء، ولو كان عادلاً في توزيع العطاء ما ثار عليه سكان الولايات وتم قتله من قبلهم، وأشار أحد الباحثين بقوله: ان من أسباب الثورة على عثمان هو استمراره في سياسة التفريق بالعطاء وخاصة مع ازدياد تدفق الأموال بصورة كبيرة من الولايات(1).

3- حرمان الإمام علي عليه السلام من حقه المالي:

استأثر بنو أمية بالأموال والإقطاعات دون الناس، وعلاوة على ما ذكرنا في بعض الشواهد على ما حصل عليه أفراد معينون من بني أمية ومن أزرهم من بعض الصحابة من تلك الأموال، فقد أورد أحد الباحثين قائمة بهؤلاء المستأثرين بتلك الأموال، والتي تضمنت أسماءهم وأسماء بعض الصحابة المقربين منهم، وحوث على عدد المبالغ التي حصلوا عليها ووصلت الى مائة وستة وعشرون مليوناً وسبعة وسبعون ألف درهم(2)، وهي كالتالي:

حصل مروان بن الحكم على 500,000 دينار، وعبد الله بن أبي سرح 100,000 دينار، وطلحة بن عبيد الله 200,000 دينار، وعبد الرحمن بن عوف 2,560,000 دينار، ويعلى بن أمية(3) 500,000 دينار، وزيد بن

ص: 328

1- الشرهاني، التغير في السياسة المالية، 37

2- الأميني، الغدير، 8 / 286

3- يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث، أسلم هو وأبوه وأخوه سلمة، وشهد الطائف وحنين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة، وكان عاملاً لعثمان على منطقة الجند في اليمن، وكان ممن أنفق مالا كثيراً للتحريض على قتال أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 47؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 765

ثابت 100,000 دينار، عثمان 350,000 دينار، المجموع 4,310,000 أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار، أما المبالغ التي حصل عليها البعض بالدرهم فهي كالآتي:

حصل الحكم بن أبي الحكم على 300,000 درهم، وآل الحكم 2,020,000 درهم، والحارث بن الحكم 300,000 درهم، وسعيد بن العاص 100,000 درهم، والوليد بن عقبة 100,000 درهم، وعبدالله بن خالد بن أسيد(1) 300,000 درهم، وعبد الله بن سعد، 600 000 درهم، وأبو سفيان 200,000 درهم، ومروان بن الحكم 100,000 درهم، وطلحة ابن عبيد الله 32,200,000 درهم، الزبير بن العوام 59,800,000 درهم، وسعد بن أبي وقاص 250,000 درهم، وعثمان 30,500,000 درهم، المجموع 126,77,000 درهم.

وأخذت هذه الأموال تنحصر بيد فئة معينة وحرمان فئة أخرى منها، وكل من عارضهم ينال النفي كما حصل مع أبي ذر الغفاري(2)، أو الضرب لكل من يطالب بحقه من المال مثل عمار بن ياسر(3)، وحتى آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم منعوا

ص: 329

1- عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وهو من المقربين من عثمان، استخلفه زياد بن أبيه على البصرة حينما ولاه معاوية بلاد فارس، وبعد وفاة زياد أقره على البصرة، ينظر، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 4 / 63

2- المسعودي، مروج الذهب، 1 / 631

3- البلاذري، جمل من أنساب الاشراف، 6 / 161

عنهم حقوقهم، فقد أعطى عثمان بن عفان أرض فدك لمروان بن الحكم(1)، وهي أرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبها إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام(2)، لأن عثمان تأول بأن الذي يختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون للخليفة بعده، فاستغنى عثمان عنها بأمواله فمنحها لمروان بن الحكم(3)، وعبر أحد الباحثين عن ذلك الأمر:

(أنه من غير المعقول ان لم يجد غير فدك النحلة والإرث الذي طالبت به الزهراء عليها السلام ان يعطيها اقاربه ويصل بها رحمه، وكان الأولى به ان يصل رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو خير من مروان وبني العاص وعموم المسلمين(4)، وكان قد منعها أبو بكر وعمر في أثناء خلافتهما عنها(5)،. وكذلك أعطى مروان بن الحكم خمس أفريقيا كما ذكرنا سابقاً(6).

إن حق آل البيت من الأموال قد فرضها الله تعالى في القرآن الكريم في عدد من الآيات القرآنية التي نزلت لتبين حقهم، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ»(7)، إذ بين عدد من المفسرين أن خمس

ص: 330

1- ابن قتيبة، المعارف، 195؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 36 / 5

2- البلاذري، فتوح البلدان، 43 / 1

3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 141 / 6

4- الزيدي، سامي جودة، فدك حتى نهاية العصر العباسي، 176

5- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 196 / 1؛ البلاذري، فتوح البلدان، 44 / 1

6- ينظر، الفصل الثالث، الصفحة، 174

7- سورة الأنفال، آية، 41

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له ولأهل بيته وبني هاشم تصرف عليهم، لأن الصدقة محرمة عليهم(1)، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف:

(ألا إن الصدقة لا تنبغي لمحمد وآل محمد إنما هي أوساخ الناس)(2).

وعلى هذا الأساس لا يجوز التعدي على حق الإمام عليه السلام وأهل بيته وحرمانهم من تلك الأموال، ومع ذلك تم التعدي على حق الإمام عليه السلام من بيت المال، وقد صرح أمير المؤمنين في كلام له معترضاً على حرمانه من حقه من بيت المال بقوله:

(إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقاً، والله، لئن بقيت لهم، لأنفضنهم نفض اللحام الودام التربة)(3)، وكان سبب كلام الإمام هذا، أن سعيد بن العاص وهو والي الكوفة يومئذ من قبل عثمان بعث بهدايا إلى المدينة، وبعث بهدية إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكتب إليه (إني لم أبعث إلى أحدٍ أكثر مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين)، فلما قرأ الكتاب قال: (لشد ما يحظر عليّ بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم)(4)، أي مراد الإمام عليه السلام من ذلك ان بني أمية يعطونه القليل من المال كفوق الناقة، وهو الحلبة الواحدة(5)، ويبن البحراني في شرحه (ان لفظ التفويق إستعارة لعطيتهم له من الأموال قليلا ووجه المشابهة، هو قلة ما يعطونه منه مع كونه في دفعات، كما يعطى الفصيل ضرع أمه لتدر، ثم يدفع

ص: 331

1- الطبري، جامع البيان، 10 / 8؛ الطبرسي، مجمع البيان، 4 / 467؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3 / 60

2- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 4 / 166؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، 2 / 149

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 115

4- ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 12 / 144؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 139

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 139

عنها لتحلب، ثم يعاد إليها لتدر(1)، وذهب أحد الباحثين إلى أن بني أمية كانوا ينعمون بالأموال ويجعلونها دولة بينهم، وهي الفيء الذي انعم الله به على المسلمين، ولكنهم وفي مقدمتهم عثمان كان يمنع حق الإمام عليه السلام إلا القليل(2).

وروي عن جبير بن مطعم(3)، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قسم سهم ذوي القربى من خيبر بين بني هاشم وعبد المطلب جئت أنا وعثمان إليه فقلت: (يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم رأيت اخواننا بني عبد المطلب أعطيتهم، وتركنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال له: إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في إسلام، إنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد، ثم شبك يديه واحدة في الأخرى(4)، أي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع الاساس الذي تسير عليه الأمة بعده في التعامل مع أهل بيته وعشيرته، ولكن بعد وفاته حدث عكس ذلك.

أما بصدد قوله عليه السلام:

(والله لئن بقيت لهم، لأنفضنهم نفض اللحام الودام التربة)، فإنه عليه السلام أقسم لئن تولى الخلافة وبقي ليحرمهم التقدم في الامور، واستعار ذلك وشبهه

ص: 332

1- شرح نهج البلاغة، 2 / 216

2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 368

3- جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كان أبوه المطعم من أشرف قريش، ولم يؤذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحدًا من المسلمين وكان ممن نقض الصحيفة التي كتبت في قريش في بني هاشم، وكان جبير يكنى ابا محمد، وأسلم يوم الفتح، ونزل المدينة ومات بها في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5 / 13

4- البيهقي، معرفة السنن والآثار، 5 / 149

بنفض القصاب القطعة من الكبد أو الكرش من التراب إذا أصابه (1) ويرد الأموال التي اغتصبها بنو أمية إلى بيت المال ولا يبقى شيئاً (2)، ومن نافلة القول ان ما أكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في استرداد الأموال لم يكن لغاية شخصية بينه وبين بني أمية، بل هي السياسة التي سار عليها عليه السلام في هذا الإتجاه والتي غايتها الرئيسة إحقاق الحق وإعادة الأمور إلى نصابها وإلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

4- نتائج إدارة عثمان وولاته:

أدت السياسة الخاطئة التي إنتهجها عثمان وولاته إلى نتائج سلبية على المسلمين، إذ نتج عنها نشوء فوارق طبقية بينهم، مما أدى إلى تقمة سكان الولايات عليه، وانتهت الحال به إلى مقتله، وكانت الثورة عليه بسبب أمور عدة قد بيّنا قسمًا منها، بشأن إدارة البلاد وتقردهم بها من خلال عزل الولاة من الصحابة وتولية أقاربه من بني أمية، والتصرف بالأموال، والإبتعاد عن كتاب الله وسنة نبيه، ولكن يبدو أن السبب الرئيس هو الجانب المالي، حيث قام بحصر الأموال بيد فئة معينة من أوليائه والمقربين منه، مما ولد موجة غضب من قبل الكثير من الصحابة، وأدى ذلك إلى اجتماع بعض الصحابة، وذكروا أفعال عثمان وقيامه بالإستئثار بالأموال وبناءه الدور وتطاوله فيها، وكذلك تولية أقاربه وكذلك تعطيله الحدود، وتركه المهاجرين والأنصار، لا يستعملهم على شيء، وما كان من أرض الحمى حول المدينة، وإدارة القطنع والأعطيات من قبل قوم ليس

ص: 333

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2/ 216؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 368

2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 368

لهم صحبة، فكتبوا بذلك كتاباً وأخذه عمار بن ياسر ودفعه إلى عثمان، فلما قرأه سأله عن الذي كتب الكتاب، فرفض عمار إخباره، فقال مروان بن الحكم وكان حاضراً: (ان هذا العبد الأسود يعني عمار قد جرأ الناس عليك)، فأمر بضربه، فضربوه وضربه عثمان معهم، ففتقوا بطنه وغشي عليه(1)، مع ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله)(2).

وذكر ان المسلمين الذين يسكنون الأمصار الإسلامية إستلموا كتابا من الصحابة يدعونهم فيه للثورة على عثمان جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من المهاجرين الأولين وبقية الشورى، إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أما بعد، ان تعالوا وتداركوا خلافة رسول الله قبل ان يسلبها اهلها، فإن كتاب الله قد بدل، وسنة رسوله قد غيرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت فنشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين يا حسان، إلا أقبل إلينا، وأخذ الحق لنا وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر...) (3)، علماً أن ابن قتيبة لم يذكر من هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الشورى، مع أن بقية الشورى هم المستفيدون عدا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهذه دعوة صريحة للقيام على، بسبب خروجه عن الدين والسنة، حتى الذين كانوا إلى جانبه من الصحابة مثل عبد الرحمن بن عوف، أخذ يحرض عليه ويدعو إلى قتله، إذ جاء في الرواية أنه تذاكر أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الرحمن بن

ص: 334

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 51

2- ابن عبد البر، الاستيعاب، 483؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 1 / 490؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 43 / 399

3- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 53

عوف موت أبي ذر بالربذة، فقال له الإمام علي عليه السلام:

(هذا عملك، فقال له: إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي، إنه قد خالف ما أعطاني)(1)، وهنا نتساءل عن السبب الذي جعل عبد الرحمن بن عوف من المحرضين على قتل عثمان، بعد أن كان من أشد المؤيدين له لتولي الخلافة؟ ويبدو ان سبب نقمة عبد الرحمن ابن عوف على عثمان، هو حسب ما رواه اليعقوبي من أن عثمان إعتلَ علة فكتب عهدا لعبد الرحمن ابن عوف، وأرسله إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان بالسر، وعندما سمع عبد الرحمن ابن عوف الخبر غضب وقال: (أستعمله علانية ويستعملني سرا)(2).

استمر عثمان في نهجه، مما أدى إلى ثورة سكان الولايات، وتوجههم نحو المدينة، من كل الأمصار لغرض الحد من تصرفات وولاته وكان العدد الأكبر من مصر، فنزلوا في مكان يسمى (ذو خشب)(3). وبعد ذلك اجتمع عدد من المهاجرين إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام للتدخل بشأن مسألة عثمان والثوار، ويكلمه عسى أن يجدوا مخرجاً لذلك الأمر(4).

وورد لأمر المؤمنين عليه السلام كلام بهذا الشأن جاء فيه:

(إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمرٍ لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما

ص: 335

1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 172؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 55

2- تاريخ اليعقوبي، 2 / 65

3- ذو خشب، وهي منطقة قريبة من المدينة على طريق الشام من ناحية مصر، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 / 273

4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 175؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 / 634

سبقناك إلى شيءٍ تجهله فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيءٍ فنبلِّغكهُ، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما صحبنا(1)، أي أن الإمام عليه السلام أصبح سفيراً ووسيطاً بين الثوار وعثمان(2)، وأقسم أنه لم يكن يعلم شيئاً من هذه الأحداث التي حصلت ما يجمله عثمان بن عفان، وهذه الحقيقة التي لم تغب حتى عن الصبيان فضلاً عن العقلاء المميزين يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيها(3)، أي ان الكل يعرف الأحداث التي حصلت وأولهم عثمان فكان عالماً بما يجري من حوله، لذلك جاء قسم الإمام عليه السلام لعثمان ليؤكد له أنه لم يخبئ عنه شيئاً ليخبره به.

أما محمد جواد مغنية فقد صرح قائلاً: (كانت خلافة عثمان إنقلاباً جزئياً على ما عرفه المسلمون من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة الشيخين، فالأموال والأمصار كلها لأمية ومن شايعها وتابعها، ولأبي ذر وأمثاله الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، الجوع والتشريد، ومنهم الصحابي عبد الله بن مسعود خازن بيت المال، الذي طرده عثمان وشتمه، وضربه حتى كسر ضلعاً من أضلاعه، ومنهم عمار بن ياسر ضربه عثمان حتى غشي عليه، ومع هذا يقول عثمان: الخلافة قميص الله ألبسنه، وكان الإمام ينصحه وينهاه(4)، فكان عثمان يتصرف في بيت مال المسلمين، وبذل الأخماس التي هي حقوق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأقاربه من بني أمية أعداء الدين، منها أنه زوج ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت

ص: 336

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 260

2- المصدر نفسه، 2 / 260؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 234

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 201

4- في ظلال نهج البلاغة، 2 / 462

ويتبين رفض عثمان بن عفان تدخل أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يسعى دائما لتخليصه من قبضة بعض المنتفعين من الأمويين الذين كانوا السبب الرئيس الذي جعل الناس تقوم بالثورة ضده، وخاصة مروان بن الحكم(2)، فكان الإمام علي عليه السلام كلما اشتكى الناس إليه من عثمان، أرسل ابنه الإمام الحسن عليه السلام إلى عثمان، فلما أكثر عليه قال له: (ان أباك يرى أن أحداً لا يعلم، ونحن أعلم بما نفعل، فكف عنا، فلم يبعث الإمام عليه السلام ابنه في شيء بعد ذلك)(3)، وأخذ الإمام عليه السلام باستعبته بالقول اللين، وبيّن له منزلته من العلم، أي بأحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإطلاع على كل ما ظهر من مرئي ومسموع، وإن له من الصحبة المماثلة لصحبته(4).

وفي الأمر عينه جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشيخة رحم منهما)(5)، بين الإمام عليه السلام لعثمان أن أبا بكر وعمر ليسا خيرا منك في عمل الحق، إذ روى الطبري في هذا الصدد، أن محمد بن أبي بكر(6) لما قعد على صدر عثمان، وأخذ لحيته، قال له عثمان: (ماكان أبوك

ص: 337

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 58؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 491

2- المسعودي، مروج الذهب، 1 / 633

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 58

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 283

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 260

6- محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، أمه اسماء بنت عميس، ولد عام حجة الوداع، وترى في حجر الإمام علي عليه السلام إذ تزوج الإمام عليه السلام أمه اسماء بنت عميس، وكان يثني عليه ويفضله لان له عبادة واجتهاد، وكان على الرجالة يوم الجمل، وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، ثم ولاه مصر، وقتل بها من قبل معاوية بن حديج، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، 647

ليقبض على ما قبضت عليه، فقال له محمد بن أبي بكر: لوراك أبي تعمل هذه الأعمال لأنكرها عليك(1)، علمًا ان محمد بن ابي بكر لم يكن ينوي قتله بل أخذ باستعبابه على ما فعل، وبين له الإمام عليه السلام بخصوصية القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونهما ويقصد بذلك النسب(2) والوشيجة(3) لكونه من بني عبد المناف(4).

وبعد تدخل الإمام عليه السلام وإنصراف المصريين، طلب عثمان ان يتكلم ويشهدون عليه بنزوعه عن الأمر وإنابته، فخرج وخطب وأعترف بالأشياء التي فعلها أمام الناس قائلاً:

(والله ما عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكنني منتني نفسي وكذبتني، وضل عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(من زل فليتب ولا- يتمادى في الهلكة، إن من تمادى في الجور، كان أبعد من الطريق، فانا أول من أتعظ، أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه)(5).

ويبدو أن عثمان قد اعترف بما فعل من أفعال وطلب التوبة من الله تعالى، أمام الناس وتعهد لهم بذلك، ولكن الأمر يختلف بعد ذلك، فحال رجوع الثوار عنه بعد تدخل أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الأمر، ترى عثمان يرجع عن توبته، ووراء

ص: 338

1- تاريخ الرسل والملوك، 393 / 4، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 67 / 3

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 201 / 9

3- الوشيجة، ويقصد بها عرق الشجرة، ينظر، الجوهري، الصحاح، 374 / 1

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 283 / 3؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 260 / 2

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 361 / 4؛ المفيد، الجمل، 102

رجوع عثمان عن توبته وعمّما وعد الثوار به مروان بن الحكم، الذي كان يأتي إلى ويخبره بأن الإمام علياً عليه السلام يؤلب الناس عليك، ويعصب أهل مصر على كل شيء، وأنه يأمر أهل مصر بالتأهب بالعدة، وأنه سوف يكتب إلى أهل العراق بأن يأتونه بجيش لغرض إبطال هذه السيرة الجائرة، ويريح من مروان وذويه، فقال عثمان: (اللهم ان علياً أبي إلا حب الإمارة فلا تبارك له فيها)(1)، إذ كان عثمان بن عفان أداة طيعة بيد مروان بن الحكم ومستسلماً لإرادته التي تحمله على تكذيب ما يقوله أمير المؤمنين عليه السلام، فكان الغالب على أمره في كل شيء(2).

ومن الطبيعي أن يقوم مروان بن الحكم بهذه الأمور، من خلال التحريض على ذلك، لأن إيفاء عثمان بوعوده للثوار وللإمام عليه السلام يعني فقدان مروان بن الحكم الإمتيازات التي يتمتع بها، سواء كانت المالية أو السيطرة على عثمان.

وفي كلام للإمام عليه السلام تحدث فيه عن استعداده لحرب أهل الشام، أشار فيه إلى السبب الذي جعل معاوية يطلب بدم عثمان، إذ أن عثمان قد أحدث أحداثاً أدت إلى مقتله، بقوله عليه السلام: (إنه قد كان على الناس وإل أحدث أحداثاً، وأوجد للناس مقالاً، فقالوا ثم نعموا فغيروا)(3)، إذ أشار البحراني في شرحه أن مراد الإمام بالوالي هو عثمان، وقام معاوية بالطلب بدم عثمان، وأصبح هذا الطلب من أهم الأسباب التي اتخذها معاوية كسبب في عصيانه، والأحداث التي أحدثها، والأشياء التي نسبت إليه من الأمور التي أنكرها الناس عليه، والتي

ص: 339

1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 177

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 70

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 86

أدت إلى مصرعه(1)، ومن هذه الأحداث تأمير عبد الله بن عامر على البصرة للقرابة بينهم، وكذلك استخفافه بالإمام علي عليه السلام حين أنكر عليه تكذيب أبي ذر(2) وغيرها من الأمور التي مر ذكرها، وعلى أثر هذه الأفعال، فتح عثمان باب القول فيه وأنكروا عليه ما فعل فغيروه وأزالوه(3)، وأدت تلك الأمور إلى مقتله من قبل الذين ثاروا عليه بسبب عدم إيفائه بالوعود التي قطعها إليهم(4).

ص: 340

1- شرح نهج البلاغة، 2 / 114

2- أبو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف، 23؛ المجلسي، بحار الأنوار، 31 / 262

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 115

4- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 70؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 131

المبحث الثاني موقف الإمام علي عليه السلام من الإدارة الأموية في نهج البلاغة

الجانب الإداري والمالي:

استلم الإمام علي عليه السلام الخلافة والدولة مثقلة بالمشاكل، وكان عليه مواجهتها ووضع الحلول المناسبة لها في ظل تلك الظروف، إذ بدأ الإمام عليه السلام بتطبيق الشريعة الإسلامية لإصلاح ما تم وضعه من أنظمة من قبل ولاة بني أمية الذين حكموا ولايات الدولة الإسلامية، في ظل خلافة عثمان بن عفان، الذي أطلق أيديهم بالتصرف بشؤون ولاياتهم، وكذلك التصرف في بيت مال المسلمين، فهؤلاء قد استأثروا بولاياتهم، وكونوا ثروات ضخمة من تلك الأموال، ومن الصعب قبول الوضع الجديد بعد مقتل عثمان، وخاصة بعد إعلان الإمام عليه السلام عن أهدافه منذ تسلمه الخلافة، إذ ورد في خطبته التي بين فيها سياسته الإصلاحية التي يسير عليها:

(أما بعد فإنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر، فعمل بطريقة ثم جعلها شورى في ستة فأفضى الأمر إلى عثمان،

ص: 341

فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثم حصر وقتل، ثم جتتموني طائعين فطلبتم إلي، وإنما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعلي ما عليكم، وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر من العلم بمواقع الأمر، وأني حاملكم على نهج نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ومنفذ فيكم ما أمرت به... ثم التفت يمينا وشمالا، فقال: ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا... إذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه، وأمرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستكثرون، ويقولون حر منا ابن أبي طالب من حقوقنا، ألا وأيما رجل من المهاجرين والمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النير غدا عند الله،... (1).

نستنتج من خطبة الإمام علي عليه السلام عدة أمور أكد عليها عند تسلمه الخلافة، إذ بين أنه بعد مقتل عثمان تمت بيعته من قبل المسلمين أي باختيارهم وهو رافض لها، وأنه أراد اخبارهم أن بيعته تختلف عن الذين سبقوه، وكذلك أنه واحدٌ منهم لا يزيد عليهم بشيء من حطام الدنيا، وأوضح لهم أيضا أنه سيحملهم على نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي سار عليه، وألغى بخطبته هذه الفوارق الطبقيّة التي وجدت منذ زمن عمر، الذي لم يساو بين الناس في العطاء، لذلك نشأت طبقات برجوازية بين بعض الصحابة الذين أثروا على حساب بقية الناس بسبب سياسة عمر في العطاء التي اعتمد فيها على أساس السابقة في الإسلام والقراية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغيرها من القواعد التي وضعها للعطاء (2)، والتي

ص: 342

1- الطوسي، الأمالي، 729؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 30 / 7؛ المجلسي، بحار الأنوار، 17 / 32

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 44 / 2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 614 / 3

زاد عليها عثمان بعده، مما أدى إلى تنامي تلك الثروات في أيدي هؤلاء، ممن لم يعجبهم البرنامج الإصلاحى الجديد للإمام الذى سوف يجردهم من تلك الأموال التى فى أيديهم، ومن أجل قيام الإمام عليه السلام بإصلاحاته، أخذ على عاتقه جملة من الإجراءات منها:

1- إستبدال الولاية أكد الإمام عليه السلام على ضرورة إختيار الولاية ممن تتوفر فيهم صفات الوالى الكفوء، الذى يعتمد عليه لإدارة شؤون الولاية، ويكون أميناً على أموال المسلمين، وغيرها من الصفات الأخرى التى تم دراستها قبل ذلك من قبل أحد الباحثين(1).

لذلك عمل الإمام على استبدال الولاية الذين تم توليتهم من قبل عثمان ممن عرفوا بسيرتهم غير الحسنة بين المسلمين، كعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وعبد الله بن عامر، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة بن أبى معيط، ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم ممن ولي شؤون المسلمين، وكان عزل هؤلاء الولاية والعمال مطلباً من مطالب الثوار والصحابة(2)، ومتماشياً مع سياسته الإصلاحية للإمام عليه السلام، ولا بد له عليه السلام من عزلهم واستبدالهم بولاية يتصفون بالصفات والمعايير التى بينها، مما يتماشى مع برنامجه الإصلاحى، وقد صرح أمير المؤمنين عليه السلام عنهم كما مر بنا

ص: 343

-
- 1- للمزيد من المعلومات، ينظر، العيساوي، النظم الادارية والمالية فى عهد الإمام علي عليه السلام، 81 - 89
- 2- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 134؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، 2 / 70؛ ابن أعثم الكوفى، الفتوح، 2 / 411؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 55

سابقاً في كلام له في هذا الشأن بقوله:

(ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، فإن منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجلد حداً في الإسلام، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ)(1).

فهؤلاء الذين ذكروا ينطبق عليهم كلام الإمام عليه السلام، لذلك أخذ حال تسلمه الخلافة بعد مقتل عثمان، بتولية من عرف بورعه وتقواه من صلحائه مثل عثمان بن حنيف(2) على البصرة بدلا من عبد الله بن عامر(3)، وعلى مصر قيس بن سعد بن عباد(4) وعلى الشام سهل بن حنيف بدلا من معاوية(5)، وفي هذا الشأن عبر أمير المؤمنين في خطبة له جاء فيها: (فليست تصلح الرعية

ص: 344

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 484 / 3

2- عثمان بن حنيف بن واهب بن عكيم بن الحارث بن مجدعة، استعمله عمر بن الخطاب على خراج السواد، وولاه الإمام علي عليه السلام على البصرة، وبقي بها حتى قدم عليه الزبير وطلحة وقاما بنتف لحيته وحاجبيه وبقي اسيرا عندهم حتى مقدم الامام عليه السلام وما كان من أمر الجمل، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 304 / 4

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 4 / 306؛ الدينوري، الأخبار الطوال، 141؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي / 2 / 77. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 442

4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 3 / 161، الدينوري، الأخبار الطوال، 141؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 442؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 92

5- الدينوري، الأخبار الطوال، 141، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 442؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 92

إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية(1)، أي أن أوضاع الدولة أو الولاية لا تصلح إلا إذا كان الوالي كفوياً، لكي ينهض بأعباء ولايته ويكون مخلصاً ويكون متساوياً مع جميع رعيته(2)، وأما قوله عليه السلام:

(ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية)، ومعنى ذلك أن صلاح حال الولاية منوط بصلاح حال الرعية واستقامتهم، بمدى طاعتهم للوالي، وفساد أحوالهم ومخالفتهم له، فإن أدى كل من الوالي والرعية الحق إلى صاحبه، عزل الحق وزالت الخلافات بينهم(3).

يتبين من ذلك أن عمل كل من الوالي والرعية مرتبط ببعضه ببعض، فعلى الوالي السير بما يرضي الله وإعطاء الرعية حقوقها، روي أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز وكان عامله على البصرة يخبره بأن القوم لا يؤدون الخراج إلا أن يمسه من العذاب، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: (أما بعد، فالعجب لك كل العجب! تكتب إليّ تستأذني في عذاب البشر، كأن إذني لك جنة من عذاب الله، أو كأن رضاي ينجيك من سخط الله! فمن أعطاك ما عليه عفواً فخذ منه، ومن أبي فاستحلفه، وكله إلى الله، فلأن يلقوا الله بجرائمهم أحب إليّ من أن ألقاه بعذابه)(4).

ص: 345

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 360

2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 269

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 39

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 11 / 76

2- رفض الإمام علي عليه السلام تولية معاوية على بلاد الشام تولى معاوية بن أبي سفيان ولاية الاردن في الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان من قبل عمر بن الخطاب(1) وجمع له بلاد الشام كلها ودخل معه الى بيت المقدس بالقصة المعروفة لكونه والي الشام، وأقره عثمان بن عفان على عمله(2)، وبقي والياً على الشام طوال مدة خلافة عثمان، وهو بذلك استطاع أن يسيطر على الشام كلها، ويعمل على تدعيم سلطانه، وعندما تسلم الإمام علي عليه السلام الخلافة بعد مقتل عثمان بادر باتخاذ الإجراءات الإصلاحية التي رسمها ضمن سياسته الإصلاحية لنشر العدل والمساواة، ومن ضمن تلك الإصلاحات إستبدال الولاية وعزلهم كما أسلفنا، وكان معاوية من بينهم، وعندما أرسل الإمام عليه السلام عامله سهل بن حنيف على الشام قام الشاميون بمنعه من الدخول إليها عندما علموا بأنه مرسل من أمير المؤمنين عليه السلام(3).

وفي الحقيقة إن تمسك معاوية بالإمرة على بلاد الشام كان وحسب وجهة نظره لأنها أصبحت ملكاً خاصاً له ولبنو أمية، اما بخصوص تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على عزله وإرادته من ذلك فلكون معاوية من الولاة المفسدين غير الخليقين بالإمارة فضلاً عن ذلك انه من الطلقاء الذين أسلموا بعد عام الفتح، وكذلك من الذين لعنهم الله تعالى في كتابه كما جاء في الآية الكريمة:

ص: 346

1- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 98؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 102

2- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 112؛ ابن عساکر، تاريخ، مدينة دمشق، 32 / 10؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 13

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 442؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3 / 92

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»(1).

وكذلك ورد ذمه في الحديث النبوي الشريف إذ جاء ذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)(2)، أي ان هذا تصريح واضح من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتل معاوية لما يعلمه من فسقه وفجوره، فضلاً عن ما ذكرنا عنه من قيامه بقتل الناس وسجنهم، وبناءً على كل ما تقدم فمن الطبيعي عدم جواز إبقائه في منصبه في ولاية الشام، إذ ان وجوده يشكل خطراً على المسلمين.

وكذلك ورد قول لعمر بن الخطاب عندما أراد أن يستخلف قبل موته بقوله:

(هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطلق ولا لولد طليق، ولا لُسَّ لِمِي الفتح شيء)(3)، وهذا اجتهاد من قبل عمر بن الخطاب واجتهاده ليس حجة فربما من مسلمة الفتح من كان أفضل من عمر نفسه، نعم معاوية وبني أمية مثلوا الجانب الأسوأ لمسلمة الفتح لكن ليس كل مسلمة الفتح من الناكثين والقاسطين والمارقين.

وبما أن معاوية من الطلقاء، ومن الذين أسلموا يوم الفتح، ومن عرف عنه انه لم يكن خليفاً بالأمر من الناحية الدينية والسابقة والقدم في الإسلام فلا يجوز إبقاؤه في ولاية الشام، لاسيما أنه يعمل بكل ما عنده من إمكانيات للوصول

ص: 347

1- سورة الإسراء، آية، 60

2- ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، 59 / 156؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 133؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 1 / 572

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 317؛ ابن عساکر تاریخ مدينة دمشق، 59 / 145؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 13 / 178

للخلافة، وقد تبين ذلك جلياً من خلال تصريحه بعد صلحه للإمام الحسن عليه السلام:

بقوله:

(إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا- لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)(1).

لذلك نجد أن معاوية لم يتقبل فكرة عزله من قبل الإمام عليه السلام، وبدأ بالبحث عن أمور يتحجج بها من أجل بقائه في ولاية الشام أو للوصول للخلافة بعد مقتل عثمان، ومن بين تلك الحجج هي شبهة قتل عثمان، والمطالبة بدمه، إذ عمل معاوية على خداع وإيهام أهل الشام على أن الإمام علياً عليه السلام هو الذي قتل عثمان أو اشترك بقتله، واستخدمها معاوية كوسيلة من وسائله للوصول للسلطة كما مر بنا سابقاً، واستخدم قميص عثمان ونصبه على المنبر، لإثارة أهل الشام ضد الإمام عليه السلام للأخذ بثأر عثمان(2).

وجاء في نهج البلاغة ما يبين طلب معاوية من الإمام عليه السلام إقراره على الشام، إذ ورد كلام الإمام بهذا الشأن:

(فأما طلبك إليَّ الشام، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس)(3)، أي أن معاوية طلب من الإمام عليه السلام توليته على الشام(4)، وروي أن معاوية سأل الإمام عليه السلام حين بويغ بالخلافة إقراره على إمرة الشام، وأشار عليه ابن

ص: 348

1- ابو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، 45؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 533

2- الدينوري، الأخبار الطوال، 142؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 252

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 405؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

عباس بتولية معاوية مدة معينة وبعدها يقوم بعزله، أي يكتب إليه بالولاية على الشام، فإذا دعا له وأخذ بيعته من أهل الشام عزله، ولكن الإمام عليه السلام رفض ذلك الأمر، وقال:

(إن هذا لهو الرأي العاجل، فأما فيما بيني وبين الله عز وجل فما أجد لنفسي في ذلك عذراً «وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا» (1)) (2)، وجاء في رواية البلاذري، أن المغيرة بن شعبة قد أشار على الإمام عليه السلام، بتولية معاوية على الشام ليستقيم الأمر له، وبخلاف ذلك فإن معاوية سوف يعلن الحرب عليه، لأن الإمام عليه السلام متهم من قبله بقتل ابن عمه عثمان (3)، ولكننا نجد أن الإمام عليه السلام رفض هذا الرأي وقد علق محمد جواد مغنية على طلب معاوية الإمرة على الشام بقوله:

(ولا عجب أن يطلب معاوية الشام طعمة، ولا يحتاج طلبه إلى سند وإثبات لأنه بطبعه يحمل الدليل على صحته، فإن الذي يعطي مصر طعمة وجباية لابن العاص، يطلب الشام وأكثر لنفسه طعمة وجباية، وأيضاً لا عجب أن يرفض الإمام عليه السلام هذا الطلب، لأن من حرم على نفسه أموال المسلمين، من الأحرى أن يحرمها على غيره) (4). وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المعنى مراراً وجاء ذلك على سبيل المثال لا الحصر في قوله عليه السلام:

(أأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه... لو كان المال لي

ص: 349

1- سورة الكهف، آية، 51

2- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 405

3- جمل من أنساب الأشراف، 3 / 11؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 10 / 180

4- في ظلال نهج البلاغة، 3 / 425

لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله... (1) ونستشف من ذلك أن الإمام عليه السلام في حالة قبوله تولية معاوية على الشام يعد ذلك إدهاناً في الدين، وخلاً لما جاء في كتاب الله تعالى، وكذلك يخالف فيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معاوية، ومما لا شك فيه أنه في حال تولية معاوية على الشام يعد ذلك تشجيعاً له على دعم وتقوية مركزه هناك، وكان الإمام علي عليه السلام أعرف بحال معاوية، فكان خياره العسكري لمواجهة معاوية هو المسلم به (2).

بعد ذلك أخذ معاوية بالبحث عن ذريعة أخرى تمكنه من الحصول على ولاية الشام، إذ تحجج هذه المرة عن طريق بيانه للإمام عليه السلام أن الحرب قد قضت على الفريقين من خلال كتاب بعثه إلى أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه:

(... وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني منك طاعة ولا بيعة وأبيت ذلك علي فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء كما أرجو ولا أخاف من القتل إلا ما تخاف، وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، وأنا في الحرب والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام) (3).

وفي الموضوع ذاته ورد كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام ليرد على معاوية بهذه الحجة بقوله:

ص: 350

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 211

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 10 / 181

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 342

(وأما قولك أن الحرب قد أكلت العرب، إلا حُشاشات أنفُسٍ بقيت) (1)، أراد معاوية التقرب من الإمام عليه السلام عن طريق استلطافه واستدراجه عن طريق قوله ان الحرب قد أكلت العرب إلا حُشاشات (2) أنفُس، وهي محاولة منه للتبقيّة عليه والياً على الشام، متحججاً بسؤاله لحفظ ما بقي من الرجال والتبقيّة على الأجناد، لحفظ الإسلام وتقويمه أمر واجب (3)، وجاء في بعض المصادر أن عدد قتلى صفيين من الطرفين بلغ سبعين ألفاً، إذ كان عدد قتلى أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، وقتلى أهل الشام بلغ خمسة وأربعين ألفاً (4)، ثم بيّن له الإمام عليه السلام مصير الذين قتلوا في الحرب بقوله:

(ألا- ومن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار) (5)، وجاء في شرح هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام عند ابن أبي الحديد ما نصه:

(ألا ومن أكله الحق فإلى النار، وهذه الرواية أليق من الرواية المذكورة في أكثر الكتب، لأن الحق يأكل أهل الباطل، ومن روى تلك الرواية أضمر مضافاً تقديره أعداء الحق، ومضافاً آخر تقديره أعداء الباطل، ومعنى ذلك أن من أفضى به الحق ونصرته والقيام دونه إلى القتل، فمصيره إلى الجنة، وكذلك القول

ص: 351

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

2- الحشاشة، هي بقية النفس في الجسد، ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 2 / 12؛ الزبيدي، تاج العروس، 9 / 93

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 343

4- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 3 / 98؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 / 641؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 653

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403

في الجانب الآخر(1)، أي أن الذين قتلناهم من أهل الشام إنما قتلهم الحق لبغيهم، ومن ثم فهم على باطل ويكون مصيرهم إلى النار(2).

وفي السياق ذاته جاء قوله عليه السلام:

(وأما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين)(3)، أراد معاوية إخبار الإمام عليه السلام أنهم متساوون في الحرب والرجال، وهو يخاطبه من مكان القوة لا من مكان الضعف ويساومه على الشام، لكن الإمام عليه السلام أجابه بأنك تمتلك الرجال، ولكن الفرق بيننا إنك في شك من قضيتك، وأنا على يقين من أمري(4).

نستشف من ذلك أن معاوية أراد استخدام لغة التخويف والتهديد مع الإمام عليه السلام لحمله على الموافقة على طلبه بتوليته الشام، ولكن يبدو أنه تفاجأ برد من قبل الإمام بأنه على يقين من قضيته لأنه على حق، وأن معاوية على باطل، ومن ثم يكون التساوي بين الطرفين غير ممكن، وقد روي في صفين أن معاوية طلب مثاقفة(5) أصحاب الإمام علي عليه السلام، فتكلم عتبة بن أبي سفيان مع جعدة بن هبيرة(6) وقال له:

ص: 352

-
- 1- شرح نهج البلاغة، 15 / 90
 - 2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 344
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 403
 - 4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 425
 - 5- المثاقفة، أي مثاقف وهو حسن الثقافة بالسيف، ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 12 / 104
 - 6- جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب أخت الإمام علي عليه السلام، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان على ولاية خراسان في خلافة أمير المؤمنين، روى عنه مجاهد ويزيد، وعبد الرحمن، وسكن الكوفة، واختلف في صحبته، ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، 1 / 539

(يا جعدة إني علمت إنه ما أخرجك علينا إلا حب علي بن أبي طالب عليه السلام، فاسأل خالك أن يعفو عن الشام لمعاوية، فأجابه جعدة، أما حبي لخالي لو كان لك خال مثله لنسيت أباك، وأن علياً عليه السلام مضى به يقينه وقصر معاوية شكه، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل، وأما قولكم أن علياً أطوع لنا من معاوية لكم، فوالله ما نسأله إن سكت، ولا نرد عليه إن قال، لأنه ليس في عسكرنا أحد إلا وعلي عليه السلام أفضل منه، وفي عسكركم من هو أفضل من معاوية وأما قتل العرب لأن الله تعالى قد كتب القتل والقتال، فمن قتله الحق فإلى الله والجنة، ومن قتله الباطل فإلى النار(1)).

ويبدو أن معاوية أستمّر في إرسال الكتب والرسائل إلى الإمام عليه السلام، بمحاولة منه لتغيير رأيه من أجل إبقائه على ولاية الشام، إذ عبر أمير المؤمنين عن ذلك بقوله:

(وقد أتاني كتابٌ ذو أفانينٍ من القول، ضعفت قواها عن السلم، وأساطيرٍ لم يحكها منكم علم ولا حلم، أصبحت منها كالخائض في الدّھاس، والخابط في الدّيماس(2) أشار الإمام عليه السلام إلى كتاب معاوية بالذم لأنه أشتمل على ألوان من الأساليب المختلفة والملفقة التي لا تتناسب بعضها مع البعض الآخر(3) أي أن تلك الأساليب لاتصدر عن مسلم، وكان معاوية قد كتب إلى الإمام عليه السلام يطلب منه إقراره على الشام وأن يوليه العهد بعده، بدون أن يكلف نفسه الحضور عند

ص: 353

1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 464؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 3 / 107 - 108

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 489

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 201

وأراد بقوله عليه السلام الأساطير أي الأباطيل، وحُوك الكلام، أي صنعته ونظمته، أي بمعنى أن هذا الكلام والهجر لم يصدر عن فاسد ولا عاقل(2) وأنت أصبحت كالخائض في الدهاس(3) والخابط في الديماس(4) وقصد من ذلك إنك في كتابك هذا أصبحت كخائضٍ في الأرض الرخوة، تقوم وتقع ولا تتخلص، وكالخابط في الليل المظلم ينهض ويعثر لا يهتدي إلى طريق(5).

ومن جانب آخر أخذ معاوية يطلب أمورًا بعيدة المنال من قبله وهي الحصول على إمرة الشام، أو العهد بالخلافة بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه الأمور لا تصلح لمعاوية لأنه من الطلقاء، ومن الذين حاربوا الدين فكيف يطمح للحصول عليها، وعبر الإمام عن تلك المطامح بقوله عليه السلام:

(وترقيت إلى مرّقة بعيدة المرام، نازحة الأعلام، تقصرُ دونها الأثؤف، ويحاذي بها العيوق)(6)، إذ بيّن ابن أبي الحديد في شرحه (أن معاوية سعى إلى الخلافة بكل همته وهي بعيدة عنه كالمرقبة(7) التي تبعد على من يطلبها، ولا يوجد فيها أعلام يهتدي بها إلى سلوك طريقها، أي الطرق إليها غامضة كالجبل

ص: 354

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 19 / 18

2- المصدر نفسه، 19 / 18؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 167 / 4

3- الدهاس، المكان السهل الذي لا يبلغ أن يكون رملا، وهو ليس بتراب ولا طين، ينظر، إن منظور، لسان العرب، 89 / 6

4- الديماس، السرب المظلم تحت الأرض، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 88 / 6

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج لبلاغة، 19 / 18

6- محمد عبده، نهج البلاغة، 490 / 3

7- المرقبة، الموضوع العالي، ينظر، الجوهري، الصحاح، 133 / 1

الأمس الذي ليس فيه درج ومراقٍ يسلك منها إلى ذروته(1)، وأراد بقوله تقصر دونها الأنوق(2) ويحاذي به العيوق(3) وهو مثل ضربه أمير المؤمنين عليه السلام في بعد معاوية عن الخلافة، وشبهه ببعده عن الخلافة بمكان النجم في السماء والطير في الفضاء(4).

نستنتج من ذلك أن معاوية حاول بكل الطرق والوسائل أن يحصل من أمير المؤمنين عليه السلام على إمرة الشام أو الخلافة بعده، وتشبيهه بالأمر المذكورة من قبل الإمام عليه السلام ما هو إلا دليل على مدى صغر مكانته التي يسعى من خلالها للحصول على الخلافة، أو الولاية على الشام، وفي الوقت نفسه رد الإمام عليه السلام على طلب معاوية بقوله:

(وحاشَ لله أن تليَ للمسلمين بعدي صدرًا، أو وردًا، أو أجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً)(5)، أي معاذ الله أن أجعل لك سبيلاً على أحد من المسلمين(6)، وهنا نجد الإمام عليه السلام قد أغلق الأبواب بوجه معاوية في أمله في الحصول على ولاية الشام التي سعى إليها بمختلف الطرق والوسائل ولكنه فشل في ذلك، وروي أن معاوية أتى إلى جرير بن عبد الله البجلي في منزله لما

ص: 355

-
- 1- شرح نهج البلاغة، 18 / 19
 - 2- الأنوق، على وزن فعول، وهو طائر الرخمة، وفي المثل أعز من بيض الأنوق، ولا يكاد يظفر به لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ينظر، الجوهرى، الصحاح، 4 / 1447
 - 3- العيوق، هو كوكب بحيال الثريا، إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت، ينظر، الفراهيدي، العين، 2 / 180
 - 4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 19؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 201
 - 5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 490
 - 6- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 168

بعثه أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة منه وأخبره أن يكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأن يجعل له الشام ومصر جباية، وفي حال وفاته، لا يجعل لأحد بعده بيعة في عنقه، على أن يسلم له هذا الأمر ويعترف له بالخلافة، فرد عليه الإمام عليه السلام بأن المغيرة بن شعبة قد أشار عليّ أن استعملك على الشام مذ كنت في المدينة لكني رفضت، (ولم يكن ليراني الله أتخذ المضلين عضداً) (1) 3- إستراد الأموال بعد أن تسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة أعلن عن برنامجه الإداري والمالي، وتكلمنا عن الجانب الإداري فيما مضى من البحث (2)، وسوف نبين بعض ما جاء عن أمير المؤمنين في نهج البلاغة بهذا الخصوص، وما هو موقفه من الأموال التي كانت مستغلة من قبل بني أمية وبعض المنتفعين منهم من الصحابة، إذ بين الإمام عليه السلام عند بيعته من قبل المهاجرين والأنصار عن موقفه من بيت مال المسلمين، واشترط عليهم أن يكون مفتاح بيت المال معه، وأن لا يكون أمره دونهم، فوافقوا على ذلك وتمت بيعته (3)، وكان الإمام عليه السلام حريصاً كل الحرص على أموال المسلمين، وهدفه الأساس نشر العدل والمساواة بين المسلمين، فكان يعمل على قسمة الأموال التي ترد من واردات الدولة على مستحقيها بالتساوي، إذ ورد في الرواية أنه كان لا يدع في بيت المال مالا يبيت إلى الصبح، حتى يقسمه وكان يقول:

ص: 356

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 115

2- ينظر، الفصل الثالث، الصفحة 190

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 428؛ الخوارزمي، المناقب، 178

(يادنيا لا تغريني، غري غيري)(1).

وبدأ بتطبيق سياسة المساواة في العطاء منذ وصوله للحكم، إذ روي أنه أمر أن لا يتخلف أحدٌ من عربي ولا أعجمي كان من أهل العطاء إلا حضر(2)، وأشار عليه السلام في خطبة له في هذا الأمر:

(فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه إثرة، وقد فرغ الله من قسمته. فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقرنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فسلموا رحمكم الله، فمن لم يرضَ به فليتول كيف شاء)(3)، ومما لا شك فيه أن الإمام عليه السلام أراد من خطبته هذه أن يذكّر الناس بالعودة إلى كتاب الله، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم التي ابتعدت عنها هذه الأمة، فكان شعاره الإصلاح بسبب انتشار الظلم والطبقية والفقر بين الناس، وعبر عن ذلك في إحدى خطبه بقوله عليه السلام:

(وأيم والله لأنصفنَّ المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامتِه(4)، حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارهاً(5)، أقسم الإمام عليه السلام لينصفن المظلوم ويقود

ص: 357

1- الصدوق، الأمالي، 357؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 534؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 110

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 30 / 7

3- الإسكافي، المعيار والموازنة، 112؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، 129؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 33 / 7

4- الخزامة، حلقة من شعر تجعل في وتره انف البعير يشد بها الزمام، ويقال لكل مثقوب مخزوم، والطير كلها مخزومة لأن وترات أنوفها

مخزومة، ينظر، الجوهرى، الصحاح، 1911 / 5

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 221 / 2

الظالم من خزامة حتى يدعن إلى الحق(1).

وفي خطبة أخرى أورد أمير المؤمنين عليه السلام كلاماً في غاية الأهمية في التنبيه والإبتعاد عن الظلم جاء فيها:

(والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع إلى البلى ققولها، ويطول في الثرى حلولها)(2)2، هنا بيان قسَم الإمام عليه السلام على اختياره العذاب والتقلب على الشوك وهو مغلول بالسلاسل، أحب إليه من عذاب الله بسبب ظلمه للعباد من حطام الدنيا، وإخباره بذلك الأمر ما كان إلا على بصيرة من أمره في معرفة مدى الفرق بين العذابين، عذاب الدنيا وعذاب الآخرة(3)3. وكيف يظلم الناس لأجل نفس تموت سريعاً ويطول بقاؤها في التراب(4)4.

نستشف من كلام الإمام عليه السلام أنه لو خيّر بين المبيت والتقلب على نبات الشوك وبين عذاب الآخرة، لاختار الاول باعتباره أهون من الثاني الذي هو أبدي بينما العذاب الأول مؤقت، وهي رسالة واضحة لكل من ظلم الناس وأكل حقوقهم بغير وجه حق، وضرب لنا مثلاً في أقرب الناس إليه أخوه عقيل بن أبي طالب عندما طلب منه اعطية، وقد عبر عن ذلك بقوله عليه السلام:

(ولقد رأيت عقيلاً قد أملق حتى استماحني من برّكم صاعاً، ورأيت صبيانه

ص: 358

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 155

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 374

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 76؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 315

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 76

شعثُ الشعور، غير الألوان من فقرهم، كأنما سُودتُ وجوههم بالعظيم، وعاودني مؤكداً، وكرر عليّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيع ديني، وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنفٍ من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل! أتنن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرنني إلى نارٍ سجرها جبارها لغضبه؟ أتنن من الأذى ولا أتنن من لظي؟(1)، وهذا تنبيه على ضرورة المحافظة على أموال المسلمين، حتى أن الإمام عليه السلام رفض إعطاء أخيه على الرغم من علمه بحاجته إليه، لأن إعطائه منه سيكون على غير وجه حق شرعي، وبدلاً من أن يعطيه ما طلب، قام وحمى له حديدة ليذكره بعذاب الله تعالى، وبين له ان سبب أئنه يجب أن يكون من نار الآخرة وليس من نار الدنيا، وهذا بحد ذاته تذكير لمن يظلم الناس وبيخس حقوقهم(2).

ومن خلال المقارنة بين موقف أمير المؤمنين عليه السلام من أخيه عقيل ورفضه إعطائه من بيت المال نجده يتجسد فيه الحرص الكامل من قبله عليه السلام على أموال المسلمين وعدم تفضيل أحد على الآخر من جهة، ومن جهة أخرى نجد عثمان على العكس من ذلك، فإنه حريصٌ على أن يثري أهل بيته وهم من الطلقاء على حساب الآخرين، وقد تجسد ذلك من خلال موقف عثمان للأرقم بن عبد الله عندما حاول عثمان أن يأخذ من بيت المال ليعطيه إلى أقاربه فرفض الأرقم ذلك فقال له إنما انت خازن لنا(3)، أي أنهم كانوا ينظرون إلى بيت مال المسلمين

ص: 359

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 375

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 76

3- ينظر، الصفحة، 175

وكانه حكر على بني أمية يهبون منه لمن يريدون.

وأشار أحد الباحثين إلى ذلك الأمر بأن الإمام عليه السلام يوضح المنهاج الذي سار عليه في مساواة العطاء وعدم ظلم الرعية، طبقه على نفسه وأهل بيته وقرابته أولاً ثم على الناس ثانياً، فلا بد من الوقوف هنا على موقف الإمام عليه السلام من أهل بيته عليهم السلام وحقوقهم في بيت المال فإن الإمام عليه السلام لم يرَ لهم حقاً أكثر من حقوق الآخرين ويتحدد نصيبهم بالعطاء(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة، حدد الإمام عليه السلام أسباب الانحراف الذي تعاني منه الأمة ألا وهو انحراف الحكام والولاة عن خط الدين الإسلامي والسنة النبوية، فعمل الولاة يجب أن يكون قائماً على أساس العدل والإصلاح والمساواة بين الناس في جميع الأمور، وخاصة الجانب المالي، وجاء قوله عليه السلام في هذا الصدد:

(وقد علمتم أنه لا- ينبغي أن يكون الوالي على الفروج، والدماء، والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين، البخيل، فتكون في أموالهم نهمة(2)، إذ حدد الإمام عليه السلام الصفات التي يجب ان تتوفر في الوالي، التي يمكن من خلالها أن يدير شؤون المسلمين، وهي أن لا- يكون الوالي بخيلاً- وحريصاً على الأموال التي فيها حق لرعيته، وأن لا يكون من خلال تلك الأموال إفراطه وشهوته في الطعام والأمور الدنيوية(3) وكما جاء في الحديث الشريف:

ص: 360

1- العيساوي، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي، 250

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 217 / 2

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 203 / 8

(لا يجتمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم)(1)، وأكدت إحدى الباحثات على وجوب أن لا تحكم هذه الموارد التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام من بخيل لأن الوالي البخيل يكون حرصه وجشعه على أموال رعيته دافعاً له لحرمانهم من هذه الحقوق التي تعدت الجانب المادي فأدت إلى نفور الناس وابتعادهم عن حاكمهم(2).

وأما قوله: عليه السلام:

(ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم)(3)، ومراده هنا الظالم لها والجائر عليها، والدُول، جمع دولة، وهو المال المتداول به، أي يجب أن يكون الوالي عادلاً بالقسمة بين الناس، لا أن يفضل واحداً على الآخر، أو قوماً دون قوم(4)، فكان عثمان قد أعطى مروان بن الحكم مائة ألف دينار، ويروى خمس أفريقيا(5)، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ألف من بيوت المال(6)، والشواهد كثيرة على قيام الولاية بالتصرف في بيوت أموال المسلمين، ومن بينهم الولاة الامويين الذين ولاهم عثمان على الولايات الإسلامية.

وبداً الإمام عليه السلام بتطبيق سياسته التي رسمها للإصلاح بعزلهم واسترداد جميع الأموال التي نهبت من بيت المال، وقد عبر عن ذلك بقوله:

ص: 361

1- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 2 / 441؛ ابن أبي شيبة، المصنف، 4 / 588

2- العامري، ذكرى عواد، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، 50

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 217

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 8 / 203؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 271

5- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 50؛ البلاذري، جمل من انساب الاشراف، 6 / 133

6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 193

(والله لو وجدته قد تزوج به النساء ومُلك به الإمام لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)(1)، روي أن الإمام علياً عليه السلام بدأ بإسترجاع القطائع التي أقطعها عثمان لبني أمية وغيرهم من أوليائه صلة لرحمه وميلاً إلى أصحابه من غير عناء ولا حرب، والتي أعفاها من الخراج وجعل عليها ضريبة بسيطة تؤدي عنها عوضاً عن الخراج(2)، وذكر ابن أبي الحديد في شرحه: (وهذه الخطبة رويت عن ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام وخطب بها في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق)(3)، أي أن الإمام عليه السلام أراد بيان الأمر لمن يعجز عن تدبير أمره في العدل، فبالأكيد سيكون تدبير الأمر بالجور أصعب وأشد(4)، ولا شك ان هدف الإمام عليه السلام الرئيسي هو فرض المساواة بين المسلمين بعد ما لحق بهم الجور والظلم الذي عاشوا فيه من جراء حكم الولاة الذين سبقوه.

وروي أن الإمام عليه السلام بعد بيعته، أمر بكل ما كان في دار عثمان من مال وسلاح، وكل ما كان من أموال المسلمين، فقبضه وترك ما كان ميراثاً لعثمان لورثته(5)، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر بأن لا يعرض لسلاح لم يقاتل به

ص: 362

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 47 / 1

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 250 / 1؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 360 / 1

3- شرح نهج البلاغة، 250 / 1؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 47 / 1

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 360 / 1؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 47 / 1

5- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 396 / 1

المسلمون(1)، حتى كتب عمرو بن العاص إلى معاوية قائلاً له: (ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه، كما تقشر العصا لحاها)(2).

وعلى الرغم من قيام الإمام عليه السلام بهذه الإصلاحات التي حظيت بتأييد الكثير من المسلمين الذين عانوا من الظلم من ولاية عثمان، نجد فئات أخرى عارضت هذه الإصلاحات، لأنها تجردهم مما حصلوا عليه من امتيازات وخاصة من بني أمية، إذ ورد أنه بعد بيعة الإمام عليه السلام بالخلافة بعد مقتل عثمان، بايع الناس كلهم إلا ثلاثة نفر هم مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة ابن أبي معيط، الذين اشترطوا على الإمام عليه السلام أن يترك ما في أيديهم من أموال، لكنه رفض ذلك وقال لهم:

(أما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق من حقوق الله)(3).

وبذلك أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بتطبيق سياسته التي وضعها في استرداد الأموال المنهوبة من قبل بني أمية وأعوانهم، والتي حرم منها الكثير من المسلمين من جراء سياسة بني أمية غير العادلة في توزيع الأموال، وهو عليه السلام من خلال قيامه بذلك قد أعاد مبدأ المساواة في العطاء الذي كان سارياً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي ألغي في زمن الخلفاء الثلاثة من بعده واستمر إلى أن تسلم أمير المؤمنين عليه السلام أمر الخلافة.

ص: 363

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 251

2- المسعودي، مروج الذهب، 1 / 643؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 251

3- يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 75

المبحث الأول: إتهام معاوية للإمام عليه السلام بقتل عثمان ورد الإمام عليه في نهج البلاغة

المبحث الثاني: نصائح أمير المؤمنين عليه السلام لبني أمية في نهج البلاغة

ص: 365

المبحث الأول إتهام معاوية للإمام عليه السلام بقتل عثمان ورد الإمام عليه في نهج البلاغة

1- دفاع الإمام علي عليه السلام عن عثمان كان موقف الإمام علي عليه السلام واضحاً من عثمان وفي دفاعه عنه، إذ نصحه مرات عديدة في الرجوع عن سياسته التي أدت إلى الثورة عليه من قبل سكان الولايات، وكان الإمام عليه السلام يتدخل بين الثوار وعثمان في كل مرة، عندما يطلب منه ذلك، لغرض تحقيق مطالبهم، ومنها عزل الولاة الذين تذر الناس منهم، والتسوية في العطاء بين الناس، وتعهد عثمان بذلك وكتب كتاباً وأشهد عليه الصحابة، ولكن لا يفي بوعوده في كل مرة، والسبب في ذلك هو وقوف حاشيته، وعلى رأسهم مروان بن الحكم الذي كان يقف حائلاً دون التزام عثمان بوعوده⁽¹⁾، وفي كل مرة كان الإمام علي عليه السلام يرسل ولده الحسن إلى عثمان، لغرض النظر في مطالب الثوار، ولكنه يتذر، حتى أنه طلب من الإمام

ص: 367

1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 180

الحسن عليه السلام أن يخبر أباه بالكف عنه، فلم يرسل إليه الحسن عليه السلام مرة أخرى(1).

ويبدو أن عثمان ظن بالإمام علي عليه السلام أن له اليد في تأليب الناس عليه، لغرض قتله والحصول على الخلافة من بعده، وذلك بسبب تأثير الحاشية عليه وفي مقدمتهم مروان بن الحكم، وما يدعم رأينا هو الرواية التي أوردها البلاذري حول قيام مروان بن الحكم بإخبار عثمان بأن الإمام علياً عليه السلام كما أشرنا هو الذي يحرض المصريين عليه، مما جعل عثمان يقول: (اللهم إن علياً أبي إلا حب الإمارة فلا تبارك له فيها)(2).

وإزداد حصار الثوار لعثمان بن عفان، وعلى أثر تلك الاحداث، بعث عثمان إلى الإمام عليه السلام وهو محصور في داره من قبل الثوار، رسالة بيد عبد الله بن عباس، يطلب منه الحضور، وكان قبل ذلك طلب منه عثمان الخروج إلى ماله في ينبع(3) لأن الناس هتفوا بإسمه بالخلافة، وفي كلام للإمام عليه السلام بهذا الشأن مخاطباً ابن عباس عن ذلك بقوله: (يا بن عباس، ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرْب)(4)، وسبب الرسالة هو أن القوم الذين حصروا عثمان، كانوا يكثرون من الصياح به وتوييخه على أحداثه من تفريق بيت المال على غير مستحقه، وأحداث أخرى قام بفعلها(5)، والمراد بقوله عليه السلام يجعلني جملاً ناضحاً

ص: 368

1- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 59 / 5

2- جمل من أنساب الأشراف، 177 / 6

3- ينبع، وهو موضع فيه ماء ونخيل ووقوف للإمام علي عليه السلام، ويقع بين مكة والمدينة، وتقع على طريق الحاج الشامي، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 450 / 5

4- محمد عبده، نهج اللاغة، 388 / 2

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 297 / 4

بالغرب(1)، أي البعير يسقى عليه، وهو تشبيه لقوله عليه السلام أقبل وأدبر(2).

وفي السياق ذاته جاء قوله عليه السلام:

(أقبل وأدبر، بعث إليّ أن أخرج، ثم بعث إليّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج)(3)، إذ بين البحراني في شرحه أن قصد عثمان من إرسال الرسالة إلى الإمام عليه السلام لأحد الأمرين:

(أولهما، إعتقاده أنه كان أشرف الجماعة، والناس له أطوع، وأن قلوب الجماعة معه حينئذ، والأمر الثاني، أن له شركة مع الناس في فعلهم به، وكانت بينهما هناة، فكان بعثه له من بين الجماعة متعيناً، لأنهم إن رجعوا بواسطته فهو الغرض، وإن لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد أيضاً، وهو تأكد ما نسبه إليه من المشاركة في أمره، وبالتالي بقاء ذلك حجة عليه لمن بعده ممن يطلب بدمه، حتى كان لسبب هذا الغرض الثاني ما كان من الوقائع بالبصرة وصفين)(4).

ويمكن الرد على رأي البحراني بالقول، وهل كان عثمان يفكر في ذلك في ساعاته الأخيرة، ألم يكن ينشد الخلاص من الثوار فكيف والحال هذه يخطط لقتل نفسه ليمهد السبيل لمن يأتي بعده.

وروي أن عثمان بعث إلى ابن عباس عندما حوصر من قبل الثوار، وطلب منه ان يخبر ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام بالخروج إلى ماله في ينبع، حتى لا يتهمه بشيء، فخرج الإمام عليه السلام إلى هناك، وعندما اشتد على عثمان أمر الثوار،

ص: 369

1- الغرب، الدلو العظيمة، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 1 / 642

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 297

3- محمد عبده، نهج اللاغة، 2 / 388

4- شرح نهج البلاغة 4 / 298

طلب من الإمام العودة وكتب إليه:

(أما بعد، فقد بلغ السيل الزبي، وجاوز الحزام الكتفين، وارتفع أمر الناس في أمري فوق قدره، وطمع في من لم يدفع عن نفسه)⁽¹⁾، ونستشف من النص المتقدم ان الإمام عليه السلام وقع بين أمرين، تارة يطلب منه عثمان أن يخرج من المدينة، بسبب خوفه من إنتقال الخلافة إليه، لأن الثوار كانوا يهتفون باسمه للخلافة والأمر الثاني هو طلبه من الإمام عليه السلام الحضور للدفاع عنه، وكذلك يبدو ان عثمان كان ينوي إتهام الإمام في التحريض عليه، وإنه لم يكن يتوقع أن يصل أمر الثوار بالمطالبة في قتله.

وفي الصدود ذاته أقسم أمير المؤمنين عليه السلام مبيناً دفاعه عن عثمان وعبر عن ذلك بقوله:

(والله لقد دفعت عن عثمان حتى خشيت أن اكون آثماً)⁽²⁾، إذ بين بعض الشراح ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك يحتمل عدة وجوه منها:

انه عليه السلام بالغ في الدفاع عن عثمان حتى خشي أن يآثم من كثرة الدفاع عنه، وأنه لا يستحق الدفاع عنه لجرائمه وأحداثه.

ان الإمام عليه السلام دافع عنه حتى كاد أن يلقي نفسه بالتهلكة، وأن يقتله الناس الذين ثاروا عليه فخاف من تغريه بنفسه وتوريطها في تلك الورطة العظيمة.

من المحتمل أنه يريد خشيته عليه السلام من الوقوع بالآثم والإفراط في حق الثوار

ص: 370

1- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 4 / 1201؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 53؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 5 / 59

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 388

كأن يضرب أحدهم بسوطه، أو يغلظ لأحدهم في القول(1) ولعل تخوف الإمام عليه السلام من الوقوع بالآثم بسبب دفاعه عن عثمان الذي يواعده في كل مرة بالرجوع إلى مشورته عليه السلام ولكنه ينقض ما وعد به بسبب الدور السلبي الذي تمارسه حاشيته عليه، وهذا ما حدث بالفعل عندما نقض عثمان ما وعد به أمير المؤمنين عليه السلام، إذ روي انه لما خرج ابن عديس(2)، من مصر في خمسمائة إلى عثمان، ونزلوا ذا خشب(3)، طلب عثمان بن عفان من أمير المؤمنين عليه السلام ان يخرج لهم ويردهم عنه، فقال له علام أردهم فواعده عثمان بأن يأخذ بمشورته ورأيه ولن يخرج من يده، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

(أني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة فكل ذلك تخرج وتقول ذلك كله فعل مروان وسعيد بن العاص وابن عامر أطعتهم وعصيتني، فقال له عثمان أعصيتهم وأطيعك)، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر وكلمهم فرجعوا عن عثمان(4).

2- موقف الإمام علي عليه السلام من اتهامه بقتل عثمان:

ص: 371

-
- 1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 13 / 220؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 298؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 368
 - 2- عبد الرحمن بن عديس بن عمرو بن عبيد البلوي، له صحبة وشهد بيعة الرضوان، وبايع فيها، وكان أمير الجيش القادم من مصر لحصار عثمان بن عفان، وروى عنه جماعة من التابعين في مصر، وكان من الأسرى الذين أسرهم معاوية في فلسطين، وهرب من الحبس، وتم قتله وذلك سنة (36 هـ)، ينظر، ابن الأثير، أسد الغابة، 3 / 469
 - 3- ذا خشب، وهو وادي بالقرب من المدينة ويبعد عنها مسيرة ليلة واحدة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 / 372
 - 4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 358

اتهم معاوية بن أبي سفيان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في المشاركة في قتل عثمان بن عفان، ومن الواضح ان هذا الإتهام ما هو إلا إتهامٌ يحمل أبعاداً سياسية بالدرجة الأساس ولم يكن الغرض منه أخذ ثأر عثمان بن عفان كما زعم معاوية كونه من بني أمية، ولعل من دلالة ما نذهب إليه ان عثمان بن عفان استنصر معاوية بن أبي سفيان مما حدا بالأخير إلى تجهيز جيش يزيد بن أسد القسري(1)، إلا أنه أمر قائد الجيش بعدم التحرك والدخول إلى المدينة بأي حال لذا جاء ان معاوية أوصاه بما يلي: (إذا أتيت ذا خشب فأقم بها، ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب)(2)، وبعد ان قتل عثمان لم يتدخل الجيش وقائده لنصرته وعاد إلى الشام الأمر الذي يبين ان معاوية كان راضياً عن كل ذلك وهو ان يتخذ مقتل عثمان حجة للمطالبة بالخلافة من خلال مطالبته بالثأر(3).

وأخذ معاوية يدعو إلى الطلب بثأر عثمان وبتهم الإمام عليه السلام بقتله، وما أوردناه من حجج وأساليب معاوية في هذا الشأن ما هو إلا دليل على أنه لم يكن يريد الأخذ بدم عثمان وإنما الحصول على ولاية الشام أو الخلافة بعد

ص: 372

1- يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله القسري، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن عمر بن الخطاب، وهو من أهل دمشق، وكان على مقدمة الجيش الذي أرسله معاوية إلى عثمان مع حبيب بن مسلمة، وشهد صفين مع معاوية، وكان أميراً يومئذ على بجيلة، وولي الصائفة ليزيد بن معاوية، ينظر، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 65 / 100

2- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، 4 / 1289؛ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 188؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 120

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 120

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من موضع في نهج البلاغة إلى براءته من قتل عثمان، وصرح في إحدى خطبه عن ذلك بقوله:

(لو أمرتُ به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً)(2)، أي أن الإمام عليه السلام لم يأمر بقتله، ولا كان قاتلاً له، ولا ذاباً عنه بسيفه، بل نهى عن قتله(3)، بينما ذهب البحراني بالقول: إن سبب قعود الإمام عليه السلام عن نصرته عثمان لا لإرادته قتله، وإنما لأسباب أخرى وهي بسبب إحدائه أموراً تقمها الصحابة وجمهور المسلمين، إستحق عليها التنبيه في نظر أمير المؤمنين عليه السلام وليس القتل(4)، لكن الإمام عليه السلام لم يقعد عن نصرته ابتداءً بل دافع عنه وولداه عليهما السلام، ولو أمر لكان من قاتليه وليس في قتله مصلحة للإسلام والمسلمين، ولو ذب عنه بالسيف لعمت الفتنة وكثر القتلى، لذلك نهى الإمام عليه السلام عن قتله(5)، وروي عن عمار بن ياسر أنه رأى الإمام عليه السلام على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قتل عثمان وهو يقول:

(ما أحببت قتله، ولا كرهته، ولا أمرت به، ولا نهيت عنه)(6)، وعلى ما يبدو أن الإمام عليه السلام قد اعتزل عثمان بعد ما رفض الأخير الأخذ بنصائح الإمام لإنقاذه من المأزق الذي وقع بينه وبين الثوار.

ص: 373

1- ينظر، الصفحة، 128 - 165

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 71

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 102

4- شرح نهج البلاغة، 2 / 55

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 205

6- الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، 4 / 308

وذكر أنه لما أخبر عمرو بن العاص وهو بفلسطين، أن عثمان قد قتل، وأن الناس بايعوا علياً عليه السلام قال: (ما فعل علي في قتل عثمان؟ قيل له: دخل عليه الوليد بن عقبة، فسأله عن قتله، فقال: ما أمرت ولا نهيت، ولا سرنني، ولا ساءني، قال: ما فعل بقتلته؟ فقيل له: آواهم)(1)، لكن الإمام عليه السلام دافع عن عثمان ولم يقف موقف المتفرج من الأحداث التي جرت وهذا ما سنبينه فيما بعد.

وفي الموضوع ذاته جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(غير أن من نصره، لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني)(2)، أي أن خاذليه خير من ناصرته الذين خذلوه، لأن الذين نصره كان أكثرهم فساداً كمروان بن الحكم، وأمثاله من المهاجرين والأنصار(3)، وهؤلاء الذين خذلوا عثمان، ولم ينصروه عن عمد، بل كانوا أكثرهم يحرض عليه سراً وعلناً، ولو أن الصحابة ناصرته ووقفوا معه لما تجرأ أحد على قتله(4)، ويتبين أن الذين خذلوا عثمان ولم ينصروه، كما بينهم من خيار الصحابة الذين اشتركوا في الثورة على عثمان، ويكفي منهم الصحابي عمار بن ياسر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(عمار تقتله الفئة الباغية)(5)، ومن هذا المبدأ لا يستطيع من نصر عثمان أن

ص: 374

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 67 / 1

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 71 / 1

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 104 / 2

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 58 / 2؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 205 / 1

5- ابن حنبل، مسند أحمد، 91 / 3؛ البخاري، صحيح البخاري، 207 / 3؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، 149 / 2

يقول أنا خير ممن خذله، فمروان بن الحكم مثلاً لا يستطيع أن يقول أنا خير من عمار الذي خذل عثمان، وعلى هذا فإن ناصر به لم يكن فيهم خيراً في شيء يفضلون به على خاذليه(1). لكن عمار بن ياسر لم يخذل عثمان فموقفه واضح، ومن نتيجة معارضته لسياسة عثمان إذ أمر بضربه وشقت له بطنه من أثر تلك المعارضة.

فالأفضلية هنا ليست من باب النصرة وعدم النصرة، بل ان النصرة من عدمها جاءت على أساس المواقف السابقة فضلاً عن ذلك فإن من خذل عثمان بالدرجة الأساس من أساء التصرف وتكلم باسمه وهيج العامة والأمصارع عليه وفي مقدمتهم مروان بن الحكم وبنو أبيه من بني أمية.

ويبدو أنه بسبب قيام عثمان بأعمال أدت إلى ثورة بعض سكان الولايات عليه، ومن بينها الإستتار بإدارة الولايات من قبل أقاربه من بني أمية، وكذلك التصرف بالأموال، وحرمان بقية المسلمين منها، مما أدى إلى تدمير الناس عليه، وأدت الثورة إلى مقتله، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين بقوله:

(وأنا جامع لكم أمره، إستأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع)(2)، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام راضياً عن تلك التصرفات التي أدت إلى مقتل عثمان، وإنما كان جزاؤه الخلع أو الحبس، وأن لا يتجاوز حد القصاص الذي شرع لحقن الدماء(3).

وفي موضع آخر أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى اتهام بني أمية له بقتل عثمان، على

ص: 375

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 71 / 1

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 71 / 1

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 104 / 2؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 63 / 2

الرغم من علمهم بمكانته الدينية، التي تأتي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله:

(أولم ينة بني أمية علمها بي عن قرفي؟ أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي)(1)، إن مراد الإمام عليه السلام بقوله هذا، أن بني أمية أعلم من غيرهم بحالي، حتى يتهموني بقتل عثمان، بسبب ما أنا عليه من المنزلة في الدين، التي لا توجد منزلة أعلى منها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخير دليل على ذلك ما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة زوجته وبنيه، في قوله تعالى:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»(2)، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)(3)، وهذه الأمور تقتضي عصمته بلاشك(4)، وذهب محمد عبده إلى القول إن مراد الإمام عليه السلام من ذلك هو أن بني أمية أعلم بحالي وموقفي من عثمان، إذ كنت أحسن الناس فيه قولاً، وكنت له لا عليه، أي كان دائم النصح له، حتى يتهموني بالإشتراك بدمه، ألم يكفوا عن تلك التهمة وهي اتهامه بقتل عثمان(5).

نستشف مما تقدم إن اتهام بني أمية وخاصة معاوية لأمر المؤمنين عليه السلام بدم عثمان، هو اتهام باطل، وما هو إلا لغرض سياسي، ومما لا شك فيه أن الإمام عليه السلام

ص: 376

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

2- سورة الأحزاب، آية، 33

3- ابن حنبل، مسند أحمد، 1 / 184؛ الترمذي، سنن الترمذي، 5 / 305؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 2 / 338

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 136؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 210

5- نهج البلاغة، 1 / 114

كان غير راضٍ عن مقتل عثمان، وبراءته مما نسب إليه في التحريض على مقتل عثمان، لأنه سعى دائماً إلى إحقاق الحق بين الجميع، وقد صرح الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك بقوله:

(علي مع الحق والحق مع علي)(1)، إذ روى في هذا الصدد) أن رجلاً من همدان يدعى بُرد، قدم على معاوية، فسمع عمرًا يقع على الإمام عليه السلام، فقال له:

يا عمرو، إن أشياخنا سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

(من كنت مولاه فعلي مولاه)، فحق ذلك أم باطل، فقال عمرو: حق وأنا أزيدك أنه ليس أحد من الصحابة له مناقب مثل مناقب علي، ولكنه أفسدها بأمره في عثمان، فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا، ولكنه آوى ومنع، قال:

فهل بايعه الناس عليها، قال: نعم، قال: فما أخرجك من بيعته، قال اتهامي إياه في عثمان، قال له: وأنت أيضاً قد اتهمت، قال: صدقت، وفيها خرجت إلى فلسطين، فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنا أتينا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم، علي علي الحق فاتبعوه(2)، أي إن أمير المؤمنين عليه السلام بريء مما نسب إليه بشأن اتهامه بقتل عثمان ومواقف الإمام عليه السلام التي أشرنا لها سابقاً تؤكد أنه لم يكن من المحرضين على قتل عثمان(3).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

ص: 377

1- الإسكافي، المعيار والموازنة، 36؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2 / 60؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 42 / 449

2- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 129؛ الأميني، الغدير، 9 / 138

3- ينظر الصفحة، 203 - 205

(ولما وعظهم الله به أبلغ من لسانى)(1)، أراد الإمام عليه السلام بقوله، أن الذي وعظهم الله تعالى به في القرآن الكريم من تحريم الغيبة والقذف، وتشبيه ذلك بأكل الميت، أبلغ من وعظي لهم، والسبب في ذلك، لأنه لا توجد عظة أبلغ من القرآن(2)، وكما في قوله تعالى:

«إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»(3)، ومعنى ذلك أن ظن المؤمن بالمؤمن الشر لا الخير إثم، لأن الله تعالى قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم(4).

وعلى الرغم من ذكر القرآن الكريم وتأكيده على تحريم الغيبة والقذف، والنيل من الآخرين، نجد أن بني أمية ومعاوية، يهتمون الإمام عليه السلام بدم عثمان، إذ روي، أنه خرج أبو إمامة الباهلي(5)، وأبو الدرداء(6) فدخلا على معاوية، وأرادوا معرفة سبب قتال معاوية له، مع علمه بأنه أقدم إسلاماً وقرباً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأحق بهذا الأمر منه، فأجابهم: أقاتله على دم عثمان، وأنه آوى قتلته، وطلب منهم إخبار الإمام عليه السلام تسليم قتلته، فيكون أول من يبايعه من أهل الشام،

ص: 378

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 136؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 210

3- سورة الحجرات، آية، 12

4- الطبري، جامع البيان، 26 / 174

5- صدي بن عجلان بن عمرو أبو امامة الباهلي، صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر من بقي من أصحابه، وروى عنه، وعن عمر وأبي الدرداء، وكان من المكثرين في الرواية، وسكن حمص، وقدم دمشق، توفي سنة (86 هـ)، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 24 / 50

6- أبو الدرداء، واسمه عويمر ابن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، شهد أحداً وقيل لم يشهدا، لأن إسلامه متأخر، وشهد الخندق ومشاهد أخرى، وتحدث عنه، وخرج إلى الشام وتقلد القضاء فيها، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 395

فانطلقا إلى الإمام علي عليه السلام فأخبراه بما يقول معاوية، فقال لهم: (هم الذين ترون، فخرج عشرون ألفاً، وأكثرهم مسربلون في الحديد لا يرى إلا الحدق، فقالوا:

كلنا قتلة عثمان، فإن شأؤوا فليروموا ذلك منا)(1)، وان صحّت الرواية فإن هذا العدد مبالغ فيه، ويبدو ان المراد من ذلك هو موقفهم الراضى لسياسة معاوية إزاء اتهامه الإمام عليه السلام بقتل عثمان.

وفي السياق ذاته صرح أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(أنا حجيج المارقين، وخصيم الناكثين المرتابين)(2)، أي أن الإمام عليه السلام يحاجج الذين يمرقون عن الدين بالحجج والبراهين الدامغة(3)، وذكر إنه قال عليه السلام:

(أنا أول من يجثو للحكومة بين يدي الله تعالى)(4)، وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير قوله تعالى:

«هَذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»(5)، فقال:

(علي وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد)، وكانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل الشرك، وكان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة، قتله الإمام علي عليه السلام، وكان يكثر من قول:

ص: 379

1- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 190؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 10 / 508

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 364

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 137

5- سورة الحج، آية، 19

(أنا حجيج المارقين) أي الخوارج، ويشير إلى هذا المعنى(1).

وذهب البحراني بقوله:

(إن مراد الإمام عليه السلام أنا حجيج المارقين، أي الخوارج أو كل من خرج عن دين الله، وخصيم المرتابين، أي الشاكين في نسبة هذا الأمر إلي، وقيل المنافقين الشاكين في صحة هذا الدين)(2)، إذ جاء في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(يا علي أخصمك بالنبوة، ولا نبي بعدي، وتخصم الناس في سبع لا يحاجك فيهن أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية)(3).

وفي إشارة الإمام عليه السلام في عرض الأعمال على كتاب الله تعالى، جاء في هذا الصدد قوله:

(وعلى كتاب الله تعرض الأمثال)(4)، إذ بيّن محمد عبده في شرحه ان مراد الإمام عليه السلام بالأمثال أي متشابهات الأعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع، وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وان أمير المؤمنين عليه السلام قد سار على حكم الكتاب في جميع أعماله ولا يحق لأحد ان يطعن فيه ما دام

ص: 380

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 137

2- شرح نهج البلاغة، 2 / 210

3- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 1 / 265؛ المفيد، الإرشاد، 1 / 38؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 1 / 313؛ ابن حجر العسقلاني، لسان

الميزان، 2 / 19

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

ملتزماً بأحكام الكتاب(1)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)(2)، نستنتج من كلام الإمام عليه السلام أن ما نسب إليه من دم عثمان يجب أن يعرض على كتاب الله تعالى، فهو القول الفصل فيما نسب إليه من هذه التهمة.

وأراد بقوله:

(وما في الصدور تجازى العباد)(3)، أي أن مراد الإمام عليه السلام من ذلك أنه في حال قتله عثمان أو حرض عليه، فإن الله سيجازيني بذلك، وإلا فسوف يجازى بالعقوبة من اتهمني به ونسبه إلي(4)، وورد أن عمار بن ياسر قال لعبيد الله بن عمر(5) معاتباً له بسبب وقوفه مع معاوية ومطالبته بدم عثمان: (صرعك الله! أبعث دينك من عدو الإسلام وابن عدوه، قال: لا، ولكن اطلب بدم عثمان بن عفان، قال له: أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عز وجل...)(6)، ومما لا شك فيه أن هذه التهمة التي ألصقتها بنو أمية للإمام عليه السلام

ص: 381

1- نهج البلاغة، 1 / 114

2- الكليني، الكافي، 1 / 69؛ الصدوق، الأمالي، 450

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 114

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 137؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 211

5- عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة النصراني وكذلك قتل ابنة أبي لؤلؤة، فأنكر عليه المهاجرون الأولون ذلك، وكان عثمان بن عفان قد عفى عنه، وعند تولي الإمام علي عليه السلام الخلافة أراد قتله ولكنه هرب إلى معاوية، وقتل بعد ذلك في معركة صفين، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 17

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 39 - 40

بدم عثمان، ما هي إلا أداة أرادوا من خلالها الوصول إلى السلطة، وخلق حالة من الرأي العام المناهض له، وقد عبر أحد الباحثين عن هذه التهمة بقوله: (لقد أرادوا باتهام أمير المؤمنين أموراً منها، إخراجها من دائرة التطهير التي ستظهرها رواية الحديث في عهده، وهم يريدون إخراجها من هذه الدائرة ليسهل عليهم مواجهته، وتعبئة العامة من حولهم، على اعتبار انهم أولياء عثمان والأحق به، أي يجرّدونه من الرداء الذي وضعه عليه الله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بينما يكون على أبدان بني أمية رداء تأويل قوله تعالى:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ»⁽¹⁾، فيكونوا هم في دائرة الدين، ويكون أمير المؤمنين عليه السلام واحداً من الناس حرص على الحكم، ليجعله في أعقابهم⁽²⁾.

وفي الصدد ذاته بعث أمير المؤمنين عليه السلام بكتاب إلى معاوية بيّن من خلاله موقفه من دم عثمان، واتهام معاوية له بذلك، جاء فيه:

(ولعمري يا معاوية! لئن نظرت بعقلك دون هواك، لتجنّي أبرا الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنّي، فتجنّ ما بدا لك والسلام)⁽³⁾، ان الإمام عليه السلام نهى أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان مرات عديدة قبل قتله، لكن ذلك لم ينفع معهم شيئاً⁽⁴⁾ وكان معاوية أقدر من الإمام عليه السلام بالدفاع عن عثمان لأنه كان والياً على الشام، ويمتلك قدرات عسكرية كبيرة،

ص: 382

1- سورة الإسراء، آية، 33

2- سعيد أيوب، معالم الفتن، 1 / 499

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 395

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 31؛ مغنية، شرح نهج البلاغة، 3 / 392

وكان بالإمكان إرسال مساعدة لتخليص عثمان من الثوار، بينما كان موقف الإمام عليه السلام أصعب، بسبب أمرين هما: ان الثوار يحسبونه المسؤول الأول عن السعي للإصلاح، و عثمان يحسبه هو المسؤول عن كف الثوار عنه، وبالتالي وقع بهذه المعضلة التي كلما حاول التخلص منها لم يستطع(1).

ولكن هناك من يرى ان الإصلاح يتم بدون القتل، ومن جانب عثمان فهو الذي رفض في إحدى المرات (الأخيرة) مساعدة أمير المؤمنين عليه السلام ورفض كذلك الآراء التي طرحت عليه بخصوص أخذ مشورة الإمام عليه السلام وعدم الأخذ بمشورة مروان بن الحكم وغيره و عثمان أعلم الناس بأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن باستطاعته كف الأيدي عنه في الساعات الأخيرة والسبب وراء ذلك مروان و عثمان نفسه وبني أمية.

وفي رسالة بعث بها معاوية إلى الإمام عليه السلام، يتهمه بالتحريض على عثمان، وعدم نصرته، لا بقول ولا فعل لغرض دفع التهمة عنه، إذ ورد كتاب معاوية الذي جاء فيه: (... وألبت الناس عليه، وبطنت وظهرت، حتى ضربت إليه آباط الإبل، وقيدت إليه الخيل العراب، وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة، لا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل...، فرد عليه الإمام عليه السلام بشأن هذا الإتهام قائلاً:

وقد علمت أنني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك(2)، والمراد بقوله: (إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك) أن معاوية يعلم ببراءة الإمام عليه السلام من دم عثمان، ودفاعه عنه، ولكنه يفترى عليه لمآرب شيطانية بداخله، ولو أن معاوية

ص: 383

1- المصدر نفسه، 3 / 392

2- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 91؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 2 / 558

من المتقين، لمنعته نفسه من أساليب المكر والخداع التي يقوم بها، وأجابه أيضاً: إفعل ما يحلو لك، فإن الله بالمرصاد(1).

وذكر أنه اجتمع عند معاوية، عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وطلبوا من معاوية ان يستدعي الحسن بن علي عليهما السلام لغرض النيل منه، وإخباره أن أباه قتل عثمان، فقال لهم معاوية: (... أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا: مره بذلك. أما إذا عصيتموني، وبعثتم إليه وأبيتم إلا- ذلك فلا- تعرضوا له في القول، وأعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن إقذفوه بحجره، تقولون له أن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء قبله...)(2).

ويتضح من ذلك ان معاوية ومن أزره على يقين من براءة الإمام عليه السلام من التهمة الموجهة ضده، ولكنهم لجأوا إلى أسلوب الإتهام لكي يحصلوا على ما يريدون من تأليب الناس على الإمام عليه السلام بحجة الأخذ بثأر عثمان، وقد شهد عبد الملك بن مروان ببراءة الإمام عليه السلام كما جاء في الرواية التي أوردت قوله عليه السلام، عند اتهام بني أمية له بدم عثمان: (ما بدأت في أمر عثمان شيئاً، ولئن شاءت بنو أمية لأباهلنهم عند الكعبة خمسين يمينا، ما بدأت في حق عثمان شيئاً)، فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان، فقال: إني لأحسبه صادقاً(3).

3- رفض الإمام علي عليه السلام طلب معاوية تسليم قتلة عثمان من الأمور التي تعلق بها معاوية واتخذها حجة وسبباً في معارضته لأمر

ص: 384

1- مغنية، شرح نهج البلاغة، 3 / 392

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 244

3- ينظر، ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 5 / 52

المؤمنين عليه السلام، وعدم الدخول في طاعته ومبايعته، مسألة تسليم قتلة عثمان، إذ أن معاوية ألح في طلب قتلة عثمان من أمير المؤمنين عليه السلام ليقصص منهم، ولكنه جوبه برفض الإمام عليه السلام وموقفه من هذا الطلب، وعدم تحقيق رغبته، وأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في نهج البلاغة بقوله: (وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الأمر، فلم أراه يسعني دفعهم إليك، ولا إلى غيرك)(1)، إذ إن هنالك أسباباً عديدة منعت أمير المؤمنين عليه السلام من تسليم قتلة عثمان إلى معاوية منها:

1- إن معاوية لم يكن ولي دم عثمان(2)، أي أن معاوية لم يكن هو المسؤول عن عثمان حتى يطالب بدمه إذ إن هناك أولاد عثمان وإخوته فهم المسؤولون عن المطالبة بدمه من قاتليه.

2- وكذلك انه لم يعين قتلته ليحاكمهم إلى الإمام الحق(3).

3- فضلاً عن ذلك إن معاوية لا يعترف بولاية أمير المؤمنين عليه السلام على المسلمين، وهو مع ذلك يطلب منه أن يلتزم بواجبات الوالي، والقصاص من الظالمين(4)، فكيف يمكن أن يستجيب الإمام عليه السلام إلى من هو خارج عليه ولا يعترف بخلافته مثل معاوية.

4- ويبيّن التستري أن هذا الكلام يدل على كون عثمان مهدور الدم عند أمير

ص: 385

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 397

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 323

3- المصدر نفسه، 4 / 323 - 324

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 402

المؤمنين عليه السلام وسقوط القصاص عن قاتليه(1)، لكننا لا نتفق مع هذا الرأي، إذ ان أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن راضياً عن قتل عثمان، ومما يدل على صحة ذلك ما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام عندما خاطب الثوار بقوله: (استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع)(2)، وعلى أساس هذه الإعتبارات لم يسلم لمعاوية قتلة عثمان(3).

وروي ان أبا مسلم الخولاني(4)، أتى أمير المؤمنين يحمل معه كتاب معاوية يطلب فيه تسليم قتلة عثمان الذي قتل مظلوماً على حد تعبير معاوية مقابل الإعتراف بإمرته ومساعدته على ذلك الأمر، فأمهله الإمام عليه السلام ليعرف جواب كتابه، فنهض إليه جمع كبير من أصحاب الإمام وأخذوا ينادون كلنا قتلة عثمان، وأجابه الإمام عليه السلام:

(والله ما أردت ان أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه، فما رأيت أنه ينبغي لي أن أدفعهم إليك)(5).

نستشف من ذلك ان معاوية جعل شرط الدخول في طاعة الإمام عليه السلام هو تسليم قتلة عثمان، مع أنه لا يعترف بخلافة الإمام عليه السلام، فكيف يسأله ذلك؟ وعلى ما يبدو إنها وسيلة من وسائل معاوية الخبيثة للإبتعاد عن بيعة الإمام عليه السلام،

ص: 386

1- بهج الصباغة، 9 / 400

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 71

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 42

4- أبو مسلم الخولاني، واسمه عبد الله بن ثوب، قدم من اليمن وأسلم أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل المدينة في خلافة أبي بكر، وحدث عن عمر وأبي ذر، ومعاذ بن جبل، وتوفي أيام يزيد بن معاوية، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 9 / 451؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4 / 8

5- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، 85؛ الدينوري، الأخبار الطوال، 163

وسعيه في الحصول على الخلافة.

ويبين أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه الشريفة مراد معاوية بن أبي سفيان من الإمام وهو تسليم قتلة عثمان وعبر عن ذلك بقوله عليه السلام:

(وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال والسلام لأهله)⁽¹⁾، أي أن معاوية يريد التعلق بشبهة قتل عثمان⁽²⁾، وقيل ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك هو ما كان معاوية يكرر طلبه منه، ألا وهو أن يقره على إمرة الشام، وشبه الإمام طلب معاوية ذلك بمخادعة الصبي في أول فطامه وترغيبه بأشياء أخرى تعوضه عن اللبن⁽³⁾، يتضح لنا ان معاوية حاول التمسك بشبهة مقتل عثمان عسى ان يحمل الإمام على الإبقاء عليه على إمرة الشام، ولكن الإمام عليه السلام لا تنطلي عليه خدعة معاوية هذه.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

(ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك، لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، لا يكلفونك طلبهم في بر، ولا بحر، ولا جبل، ولا سهل، إلا أنه طلب يسوءك وجدانه، وزور لا يسرك لقيانه، والسلام لأهله)⁽⁴⁾، أقسم الإمام عليه السلام لمعاوية في حال بقائه على غيه وشقاقه ولم ينته من ذلك الخلاف والتعلق بشبهة قتل عثمان وطلبه من الإمام تسليم قتلته، وإن عامة المسلمين هم الذين قتلوا عثمان لاحداث تقموها عليه، بعد أن استعتبوه وأصر على عمله، ومن جانب آخر

ص: 387

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 488

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 15؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 488

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 15

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 397

هل يقدر أحد ان يحاكم الجماهير ويقتص منهم، مع علم معاوية بأن ذلك الأمر مستحيل، فسيجد الذين يطلب منهم القصاص يطلبونه، ويدور الأمر عليه إن لم يرجع عن غيه وضلاله(1)، وأن هذا الأمر ما لا يرضي معاوية، ثم ختم كلامه عليه السلام بكلمة السلام لأهله، لأنه لا يصح القول لمعاوية (السلام عليك) لأنه فاسق لا يجوز إكرامه، فقال عليه السلام: السلام لأهله أي على أهله، ومعاوية ليس من أهله(2)، لأنه خارج عن إطار الإسلام، ويسعى إلى الفساد بين المسلمين مع علمنا كيف كان إسلامه.

4- ردود الإمام علي عليه السلام لمعاوية بخصوص قتلة عثمان إستعمل معاوية أساليب عديدة لغرض الوصول إلى أهدافه المنشودة وتحقيقها، وكما بينا سابقاً أن هدفه الاول والأساس هو الوصول للسلطة، وما كانت تلك الأساليب إلا أعداراً واهية يتمسك بها، ومن بين تلك الأمور مسألة مقتل عثمان، إذ أخذ معاوية يطالب بدمه متهماً الإمام عليه السلام وأصحابه بقتله، مدعياً بأنه ولي دمه، ويسعى للأخذ بثأره، إذ وقف أمير المؤمنين عليه السلام موقفاً حازماً من هذا الإتهام، وعبر في نهج البلاغة عن ذلك الإتهام وبيان من قتل عثمان مخاطباً معاوية بن أبي سفيان بقوله: (وزعمت إنك جئت ثائراً بدم عثمان، ولقد علمت حيث وقع دم عثمان، فاطلبه من هناك إن كنت طالباً)(3)، إذ بين ابن أبي الحديد ان أمير المؤمنين عليه السلام أخبر معاوية في حال كونه أراد الأخذ بثأر عثمان والقصاص

ص: 388

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 402

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 14 / 42

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 399

من قاتليه، فعليه طلبه من طلحة والزبير(1)، واطلب ثارك من بني تيم بن مرة وبني أسد بن عبد العزى، وإذا كنت تريد تطلبه ممن خذل فاطلبه من نفسك، لأنك خذلته وقعدت عنه مع أنك كنت قادراً على أن تمدّه بالرجال ولكنك لم تفعل بعد أن استنجد بك(2)، وما حمل معاوية قميص عثمان، وطالب بدمه إلا في غاية كانت في نفسه، ولكنه جعل قميص عثمان سبباً لتحقيق غايته، ولو كان حقاً يطلب بدم عثمان، لطلبه من أصحاب الجمل(3).

وروي أن عثمان لما حوَصر في داره، أرسل إلى معاوية يطلب منه القدوم إليه، فتوجه معاوية إليه باثني عشر ألفاً، ولكنه أمرهم بالبقاء على اطراف الشام، حتى ينظر في الأمر ويبدو أنه ينتظر مقتل عثمان، وعند حضوره عند عثمان أبلغه بأمر الجيش، لكن عثمان أحس بنوايا معاوية تجاهه، لذلك قال له عثمان: (أردت ان أقتل فتقول أنا ولي الثأر، إرجع فجنني بالناس، فلم يرجع إليه حتى قتل(4)، وجاء أن عائشة لما سمعت بمقتل عثمان واجتماع الناس على أمير المؤمنين عليه السلام، أمرت بإرجاعها إلى مكة، وأخذت تنادي: (قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه)، فقال لها ابن أم كلاب(5)، إن أول من أمال

ص: 389

1- شرح نهج البلاغة، 63 / 15؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 329 / 4؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 399 / 3

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 63 / 15

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 406 / 3

4- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 72 / 2

5- عبيد بن أم كلاب، وهو عبيد بن سلمى الليثي، وقد سمع من عمر بن الخطاب، وهو الذي خرج من المدينة عند مقتل عثمان، واستقبل عائشة بسرف فأخبرها بمقتل عثمان، وبيعة الناس لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فرجعت إلى مكة، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 7 /

90؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 90 / 5

وحرّف لأنت، وكنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر، فأجابته، انهم استتابوه ثم أمروا بقتله، فأنشد ابن أم كلاب قائلاً:

فمنك البداء ومنك الغير *** ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الإمام *** وقلت لنا إنه قد كفر فهبنا أطعنك في قتله *** وقاتله
عندنا من أمر (1) يتضح لنا من خلال الروايتين فضلاً عن الأبيات الشعرية أن معاوية وعائشة كانا من أهم أسباب قتل عثمان من خلال
تخاذل معاوية عن نصرته وتحريض أم المؤمنين عائشة على قتل عثمان وسعيها لذلك، وما كان طلب معاوية بدم عثمان إلا للتغطية على
تخاذله، وكذلك محاولته الحصول على الشام من خلال مطالبته الإمام عليه السلام وتحججه بقضية مقتل عثمان والأخذ بثأره.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أشار الإمام عليه السلام إلى قضية اتهامه بمقتل عثمان من قبل معاوية وبيان من خذله وقعد عن نصرته من
خلال كتاب أرسله إلى معاوية جاء فيه:

(ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه) (2)، إذ أجاب الإمام عليه السلام معاوية على ما إدعاه عليه
بشأن قضية عثمان واتهامه إياه بخذلانه، ويمكن لمعاوية ان يجيب على ذلك لصلة القرابة بينه وبين عثمان، فضلاً عن تبيّنه على عدم
الخوض في أمور لا تعنيه لكونه من بني

ص: 390

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 72؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 459؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 2 / 438

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 417

أمية(1)، وإلا فإنه أحقر من أن يتوجه إليه بقول(2).

أما قوله عليه السلام:

(فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتلته؟ أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه)(3)، وأراد الإمام عليه السلام بقوله أننا أعدى له أي أشد عدواناً له(4)، ومراد الإمام عليه السلام من ذلك بأن معاوية كان من أعدائه وخاذليه، بينما نجد الإمام عليه السلام سعى من أجل نصرته عثمان، وهو بذلك رد ادعاء معاوية عليه في مسألة اتهامه بقضية عثمان(5)، وأراد بقوله عليه السلام:

(أمن بذل نصرته فاستقعده واستكفه)، أي أن الإمام عليه السلام يبين موقفه من عثمان الذي كان يتهمه بالتحريض عليه، حيث سعى إلى نصرته عندما اشتد الحصار عليه، لكن عثمان رفض نصرته الإمام عليه السلام له وطلب منه القعود عنه، وما كان ذكر الإمام لنفسه بصفة بذل النصره إلا ليظهر براءته مما نسب إليه من دم عثمان(6).

ومما لا شك فيه ان معاوية قد خذل عثمان، وأراد مقتله ليطلب بدمه، وكذلك اتخذه غرضاً لتحقيق مآربه الشيطانية للخروج على الإمام عليه السلام ومساومته على

ص: 391

-
- 1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 391
 - 2- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 473
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 417
 - 4- الراوندي، منهاج البراعة، 3 / 81؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 388
 - 5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 391
 - 6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 391؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 417

طلب الشام، وذكر ابن عساكر(1) أن معاوية قال لعامر بن وائلة الكنانى(2)، كان على الناس نصرة عثمان، فقال له عامر: (ما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وكان معك أهل الشام، فأجابه معاوية بأن طلبى بدمه نصرة له، فضحك أبو الطفيل ثم قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر وأنشد:

لا ألفينك بعد الموت تندبني *** وفي حياتي ما زودتني زادي(3) وفي إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام الشريفة جاء قوله: (أمن استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه، حتى أتى عليه قدره(4)، ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك هو اشتراك معاوية بدم عثمان الذي استنصره وطلب مساعدته عندما حوَصر من قبل الثوار، ولكن معاوية تراخى عنه ولم يسعَ إلى إنقاذه، وأخذ يتباطأ إلى أن يقتل عثمان وذلك لطمعه في الخلافة من بعده(5). وكان بنو أمية بثوا المنون(6) إليه ليتخلصوا منه(7).

وروي أن عمرو بن العاص ومعاوية تذاكروا دور أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب وليس لأحد في قريش مثله، فقال معاوية نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه

ص: 392

-
- 1- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 116 / 26
 - 2- عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمير بن جابر، أبو الطفيل، كان من أصحاب محمد بن الحنفية، ولد عام أحد، وكان ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأدرك ثمان سنين من حياته، وكان ثقة في الحديث، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 6 / 550
 - 3- عبيد بن الأبرص، ديوان عبيد، 56
 - 4- محمد عبده، نهج البلاغة، 417 / 3
 - 5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 392 / 4
 - 6- المنون، أي المنية، ينظر، الجوهري، الصحاح، 6 / 2207
 - 7- محمد عبده، نهج البلاغة، 417 / 3؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 388

دم عثمان، فأجابه عمرو، أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام، وأما أنا فتركته وهربت إلى فلسطين(1).

وأخذ معاوية يكثر في اتهام أمير المؤمنين عليه السلام في قضية مقتل عثمان، ويعمل على ابتداع الآراء في هذه المسألة، فتارة يقول انه قتله وتارة أخرى خذله، وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك الأمر بقوله:

(فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له)(2)، إذ أجاب الإمام عليه السلام معاوية بشأن خذلانه لعثمان وتباكيه عليه(3)، وبعد ان قتل عثمان تجاهل معاوية الأمر، وأخذ يستقبل قتله ويقربهم إليه، وقد واجه الإمام عليه السلام معاوية بهذه الحقيقة(4)، وأن معاوية لما استنجد به تناقل عن نصرته عندما حوصر، وهو بذلك تخاذل عن نصرته، ولكنه في الحقيقة قعد عنه ليقتل، فيدعو إلى نفسه، فكان النصر في حقيقة الأمر إلى معاوية(5).

ومن جانب آخر ما كان معاوية ليدافع عن عثمان، بل كان يسعى إلى قتله ليتسنى له ترشيح نفسه للخلافة بعده، والمطالبة بدمه من الإمام عليه السلام، ولذلك تخاذل عن نصرته، ويروى ان معاوية بعث إلى محمد بن مسلمة الأنصاري(6)،

ص: 393

1- ينظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 118؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 85

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 439

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 78

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 549

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 78

6- محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة من الخزرج، أسلم محمد على يد مصعب بن عمير قبل إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يشهد مقتل عثمان، وتوفي سنة (46 هـ) في المدينة،

ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 408

وكان فارس الأنصار يطلب منه أن ينهى عن قتال المسلمين فيما بينهم، وأخبره بخذلان الأنصار لعثمان يوم الدار، فأجابه محمد: (بأنك ما طلبت إلا الدنيا، ولا اتبعت إلا الهوى، ولئن كنت نصرت عثمان ميثاً، لقد خذلته حياً، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين أولى بالصواب)(1).

ص: 394

1- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 121؛ ابن أعثم، الفتوح، 2 / 530

المبحث الثاني نصائح أمير المؤمنين عليه السلام لبني أمية في نهج البلاغة

وردت كلمة النصيح في العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت في كتاب الله تعالى على لسان بعض أنبيائه والتي يبين فيها دور النصيح، إذ ورد في هذا الصدد على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

«أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ»⁽¹⁾، في حين جاءت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة لتؤكد على هذا المعنى ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(الدين النصيحة، قالوا لمن يارسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)⁽²⁾.

فيما تبين موقف أمير المؤمنين عليه السلام بشكل كبير في هذا الجانب من خلال ما

ص: 395

1- سورة الأعراف، آية، 68

2- النسائي، سنن النسائي، 7 / 105؛ الطبراني، المعجم الكبير، 2 / 52؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، 8 / 163

بذله من جهود مضنية في نصح وإرشاد بني أمية الذين أخذوا حال تسلمهم الخلافة من قبل ممثلهم عثمان بن عفان الذي عمل على إطلاق يد بني أمية وعمالهم في كل الأمور، وأخذين ذلك على انه ملك خاص بهم، مما أدى ذلك إلى تراكمات أدت فيما بعد إلى الثورة عليهم والقيام بقتل عثمان بن عفان من قبل هؤلاء الثوار، وسوف نعرض فيما جاء من نصائح أمير المؤمنين عليه السلام لبني أمية وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

1- نصائح أمير المؤمنين عليه السلام لعثمان بن عفان.

لم يستثن أمير المؤمنين عليه السلام عثمان بن عفان من تقديم النصح والارشاد له في الكثير من المواقف عن سبقه من الخلفاء، إذ كان الإمام خير ناصح لأبي بكر وعمر اللذين كانا يأخذان آراءه ونصائحه في تسيير أمورهم في قيادة الدولة، بشهادة عمر بن الخطاب بذلك، إذ ورد قوله في هذا الشأن: (لولا-علي لهلك عمر) (1)، لكننا نجد عثمان لم يلتزم بما كان يقدمه له أمير المؤمنين عليه السلام من نصح وإرشاد، والسبب في ذلك هو نتيجة لتأثير بني أمية عليه أمثال مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وغيرهم، إذ حاول الإمام عليه السلام ان يحرره من قيود بني أمية وأهوائهم وسيطرتهم عليه، ولكن جهود الإمام عليه السلام ذهبت هباء منثورا أمام إصرار عثمان وتعنته.

وورد في نهج البلاغة العديد من الإشارات في هذا الصدد إذ جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(فالله الله في نفسك، فإنك ما تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل، وإن

ص: 396

الطرق لوضحة، وإن أعلام الدين لقائمة(1)، إذ أخذ أمير المؤمنين عليه السلام يحذر عثمان بن عفان مما وقع فيه وهذا كلام صريح إليه يحذره فيه جانب الله تعالى، وينبهه ويرشده على أن الطريق واضحة، لا تحتاج إلى دلالة، وإن أعلام الهدى قائمة(2).

إن سياسة عثمان التي اتبعها في إدارة البلاد من قبله ومن قبل ولاته التي لم ترض المسلمين وآدمت موجة غضب عارمة قادها سكان الولايات ضد سياسته وسياسة ولاته الجائرة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد نصحه مرات عديدة بترك الاعتماد على هؤلاء الولاة، والإلتزام بنصائحه، وإن لا يكون هؤلاء سبب مقتله، ولكنه لم يأخذ بكلام الإمام وجاء قوله عليه السلام بهذا الخصوص:

(وإني أنشدك الله أن لا تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة)(3)، إذ تخوف الإمام عليه السلام أن يكون عثمان الإمام المقتول الذي يفتح الفتن بقتله(4).

ومما لا شك فيه انه تنبيه وتحذير واضح من قبل الإمام عليه السلام لعثمان بأن يراجع نفسه ويعمل على تغيير سياسته التي قد تكون سبباً يؤدي إلى مقتله، ومن ثم يكون سبباً في الإقتال بين المسلمين، وهذا ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إذ روي عن ثوبان مولى النبي (قال: سمعته يقول:

(وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدوا من

ص: 397

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 260

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 201؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 283

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 261

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 202؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 283

سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإنني لا- أخاف على أمتي إلا- الأئمة المضلّين، وإذا وضع السيف في أمتي، لم يرفع عنها الى يوم القيامة(1)، وكان هدف الإمام عليه السلام هو تقديم النصّح والإرشاد لعثمان، ولكن كان يتحجج بحجج وأعدار لم تكن تدفع ما يفعله ولاته الذين هم من اقاربه، وجاء في ذلك كلام آخر لأمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(أحذرك الله سطوته ونعماته فإن عذابه شديد أليم، وأحذرك ان تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه يقال يقتل في هذه الأمة إمام، يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها، ويتركهم شيئا فلا ينصرون الحق لعلو الباطل، يمجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا)(2).

وفي الأمر عينه حذر أمير المؤمنين عليه السلام عثمان بن عفان من أن ينساق وراء بعض الشخصيات الأموية امثال مروان بن الحكم، إذ جاء قوله عليه السلام في ذلك:

(فلا تكوننّ لمروان سبيقةً، يسوقك حيث شاء، بعد جلال السن وتقصّي العمر)(3)، إذ أراد الإمام عليه السلام أن ينهي عثمان من أن يكون سبيقة(4) لمروان بن الحكم، أي يصرفه حسب مقاصده، بعد ان بلغ من العمر ما بلغ وانتقضت أيامه في هذه الدنيا، إذ كان مروان من أقوى الأسباب الباعثة على قتل عثمان، وكان يحاول تنفيذ الآراء الموضوعية التي يشار بها على عثمان من قبل الإمام علي عليه السلام

ص: 398

1- الترمذي، سنن الترمذي، 3/ 319؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، 4/ 449

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 337؛ المفيد، الجمل، 100؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/ 44

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 2/ 260

4- السبيقة، هي ما استاقه العدو من الدواب، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 10/ 167

والتي تصب في طبيعة الحال في مصلحة عثمان بصورة خاصة والأمة الإسلامية بصورة عامة(1).

من الواضح ان مروان بن الحكم هو المحرك الأساس لسياسة عثمان، وما تنبيه الإمام عليه السلام له على ذلك إلا لمصلحة عثمان وخوفه عليه من الوقوع بالأخطاء من جراء اتباعه لخطوات مروان بن الحكم.

وجاء في الرواية أن عثمان عندما خطب في الناس، وأخذ على نفسه التوبة ووعدهم بالإصلاح، دخل داره فوجد مروان وسعيد بن العاص وآخرين لم يشهدوا الخطبة، كلمه مروان بكلام حرضه فيه على عدم الاهتمام بهؤلاء الناس، فطلب منه عثمان أن يخرج إلى الناس ويكلمهم، فخرج مروان إلى الباب وكلمهم وقال: (أما والله لنن رتمونا ليمرنّ عليكم منا أمر لا يسركم، ولا تحمدوا عليه غبّ رأيكم، إرجعوا إلى منازلكم، فإننا والله لسنا بمغلوبين على ما في أيدينا)(2)، فرجع الناس وذهب بعضهم إلى الإمام علي عليه السلام، وأخبروه الخبر، فجاء مغضباً حتى دخل على عثمان وقال له:

(أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بإفساد دينك، وخديعتك عن عقلك مثل جمل الضغينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذى رأي في دينه، ولا في نفسه، وأيم الله إني أراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا عائد إليك بعد مقامي هذا لمعاتبتك)(3)، ولما سمعت زوجته كلام الإمام علي عليه السلام قالت له: (سمعت

ص: 399

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 283

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 362؛ المفيد، الجمل، 103

3- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 180؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 362؛ المفيد، الجمل، 104

قول علي لك، وليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء(1)، نستشف من ذلك أن مروان بفعله هذا يعد من أشد المحرضين عليه، لأنه بهذا الخطاب أظهر للناس خلاف ما وعدهم به عثمان، ومن ثم سوف يؤدي ذلك إلى الثورة عليه وقتله.

2- نصيحة الإمام علي عليه السلام لمعاوية بالابتعاد عن الأمور الدنيوية على الرغم من محاربة معاوية للإمام علي عليه السلام بكل ما أوتي من قوة، والتمسك ببعيجه وخروجه عليه، والعمل على إثارة الفتن والفوضى ليتسنى له الوصول للسلطة من خلال تأجيج الرأي العام المعارض للإمام عليه السلام، وكذلك انغماسه في الملذات والأمور الدنيوية والابتعاد كل البعد عن الدين الإسلامي، واستماعه إلى حفنة من الغواة الذين عملوا على خروجه على الحاكم الشرعي وهو أمير المؤمنين عليه السلام، أمثال عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، لكننا نجد أن الإمام عليه السلام دائم النصح والإرشاد له وتذكيره بعواقب الأمور التي يفعلها، ولقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك الأمر في نهج البلاغة، إذ جاء كلام له في هذا الشأن قال فيه:

(وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب ما أنت فيه، من دنيا قد تبهجت بزينتها، وخدعت ببلذتها، دعتك فأجبتها، وقادتك فاتبعتها، وأمرتك فأطعتها، وإنه يوشك أن يوقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن(2)).

وقد بدأ الإمام عليه السلام بتحذير معاوية في حال موته ومفارقة روحه لبدنه،

ص: 400

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4 / 362؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2 / 119

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398

وشبهها بالجلباب(1) لما ورائها من أحوال الآخرة وعقوباتها(2)، وبسبب ما آلت إليه الأمور من بهجة وزينة لمعاوية انعكس ذلك سلباً على عمله في الدنيا الذي سوف يؤدي به إلى المهالك فيما بعد(3)، وأراد بقوله لا يوقفك واقف أي الموت(4)، والمجن معناه الترس(5)، أي أن الله سيوقعك بهلاك ليس هناك شيء ينجيك منه(6)، وكتب الإمام عليه السلام إلى معاوية يأمره بالعمل قبل أن يحل أجله، ولكن الإمام عليه السلام يعلم علم اليقين ان معاوية لا يردعه أي رادع ولا نصيحة ولكن هدفه الرئيس لإلقاء الحجة عليه وتذكيره(7).

وفي موضع آخر من خطبه الشريفة أراد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(فاقعس(8) عن هذا الأمر، وخذ أهبة الإستعداد، وشمرّ لما قد نزل بك، ولا تمكّن الغواة من سمعك(9)، هنا أمر الإمام عليه السلام معاوية بالتأخر عن الأمر والإستعداد له(10)، ويبدو أن الإمام عليه السلام قد نصح معاوية بالإبتعاد عن مغريات الدنيا التي تجره إلى الهلاك، وكذلك أمره بالإستعداد لما بعدها من الحساب، لأن

ص: 401

-
- 1- الجلباب، هي في الأصل الملحفة، أو القميص ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1 / 470
 - 2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 326
 - 3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 61
 - 4- المصدر نفسه، 15 / 61
 - 5- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 1 / 308
 - 6- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 370
 - 7- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 405
 - 8- أقعس الرجل، أي تأخر، ينظر، الجوهري، الصحاح، 3 / 964
 - 9- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398
 - 10- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 61

عمله سيكون عليه شاهدٌ فيما بعد، وهو مصداق قوله تعالى:

«اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» (1)، ومعنى ذلك إقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتباً يكتبانه ونحسبه عليك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، أي حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب أعمالك فيحسبها عليك، لا نحتاج عليك شاهداً غيرها، ولا نطلب عليك من يحصي أعمالك غيرها (2).

وأراد الإمام عليه السلام بالغواة هم قرناء السوء الضالين الذين يزينون أعمال معاوية له ويشيرون عليه بالبقاء عليها، أمثال عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وغيرهما (3)، روي عن الحسن البصري (4) أن المغيرة بن شعبة قد أشار على معاوية بالبيعة لولده يزيد، ففعل معاوية ذلك بعد أن أخذ بمشورته، فقال المغيرة: (وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة) (5).

ويحق لنا أن نتساءل هل يحتاج معاوية إلى هذه المشورة، وهل يعقل أن هذه القضية لم تكن في بال معاوية منذ البداية، وأن المغيرة هو الذي أشار عليه بذلك؟ وأن معاوية بذل كل شيء في سبيل الحكم والملك هل ينتظر المشورة من المغيرة

ص: 402

1- سورة الإسراء، آية، 14

2- الطبري، جامع البيان، 15 / 69؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 17 / 10

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 327؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398

4- الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبي الحسن يسار، يقال انه من سبي ميسان وقع الى المدينة واشترته الربيع بنت النضر عمه أنس بن مالك فأعتقته، وولد قبل وفاة عمر بسنتين، ونشأ بوادي القرى وكان فصيحاً عالماً وفقياً وروى عن عثمان، وابن عباس، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 9 / 157

5- الذهبي، تاريخ الإسلام، 5 / 272؛ سير أعلام النبلاء، 4 / 39

ليجعلها في نسله (ابنه)، فهؤلاء هم صنائع معاوية وهو من اشترى ذممهم، فهو ليس بحاجة إلى أن يزين له أحد أعماله أو يشيرون عليه بالبقاء عليها.

وفي الصدود ذاته جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(وإلا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك فإنك مترف)⁽¹⁾، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية في حال عدم فعل ما أمرتك ووعظتك به من الإبتعاد عن الأمور الدنيوية التي أغفلتها وتناسيتها فإني على إستعداد بتذكيرك إياها⁽²⁾، ونبهه على قوة الصدمة التي قد يتعرض لها في حال تعريفه بنفسه، فيعرف الحق ويترك الباطل⁽³⁾، وكلما أترف الأنسان في الملذات ازداد طغياناً وإبتعاداً عن الأمور الروحية، وأصبح فريسة سهلة لأهوائه وشهواته⁽⁴⁾، وهو مصداق قوله تعالى:

«وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا»⁽⁵⁾، إذ بين المفسرون ان الله تعالى بين حال المترفين في القرآن إذا أراد هلاك قوم أعطاهم من النعم ما أبطرتهم وأفضى بهم إلى الفسوق والفجور، وخصص المترفين لأن غيرهم يتبعهم لأنهم أقدر على الحماقاة والفجور، فحقت كلمة الله عليهم بسبب ظهور معاصيهم⁽⁶⁾.

ص: 403

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15 / 61

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 405

5- سورة الإسراء، آية، 16

6- الطبري، جامع البيان، 15 / 74؛ الطوسي، التبيان، 6 / 460؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3 / 251

ثم تطرق أميرالمؤمنين عليه السلام إلى مدى تغلغل الشيطان بداخل معاوية والتحكم به، وقد عبر عن ذلك بقوله عليه السلام:

(قد أخذ الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم)⁽¹⁾، أي أن الشيطان قد تمكن من معاوية بحيث أصبح جزءاً من عقله وبدنه، وكما في قوله تعالى:

«إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»⁽²⁾، وبيان الآية الكريمة هو النهي عن اتباع الشيطان الذي يدعونا إلى اتباع المعاصي التي تميل إليها النفوس⁽³⁾.

وجاء أن معاوية اشترى أواني من ذهب وفضة ليشرب فيها، فأنكر عليه أبو الدرداء ذلك وقال له: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن ذلك، فأجابه معاوية: (أما أنا فلا أرى بأساً في ذلك، فقال أبو الدرداء من عذيري من معاوية أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخبرني عن رأيه، والله لا أساكنك بأرض أبداً)⁽⁴⁾.

نستشف من الرواية ان معاوية قد أخذ الشيطان منه مأخذه، وأصبح جزءاً منه، وهو أمر طبيعي بالنسبة إلى معاوية، لأنه غير مؤمن، فكيف يأخذ بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف:

ص: 404

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 398

2- سورة الأعراف، آية، 27

3- الطوسي، التبيان، 4 / 379؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3 / 10

4- الأزدي، الإيضاح، 520؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 5 / 106

(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)(1)، ومن ثم لا يقبل بنصائح أمير المؤمنين عليه السلام ويتخذ الطريق الصحيح الذي ينجيه مما هو فيه من الضلال.

وفي أكثر من موضع من نهج البلاغة قد حذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معاوية من الإنجرار والانقياد وراء الشيطان الذي يوغله في المهالك، ويبعده عن الآخرة، إذ قال عليه السلام له محذراً:

(وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك)(2)، إذ خاطب أمير المؤمنين عليه السلام معاوية بضرورة تقوى الله تعالى، وأن يجاذب الشيطان في قياده، والمجازبة تعني الممانعة عن اتباع الشيطان(3)، من خلال تكذيب النفس الأمارة بالسوء فيما يوسوس لها من الآراء السيئة(4)، والمراد بالشيطان هنا الهوى، والإمام عليه السلام يأمره بأن يتحرر من الهوى الذي سيطر على عقله ودينه(5)، وأراد عليه السلام بقوله لمعاوية:

(إن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك)، هنا دعوة الإمام عليه السلام في وجوب قطع كل الآمال المتعلقة بالدنيا، وأن لا يجعل الشيطان يقوده إلى تلك الأمور الدنيوية المنقطعة والزائلة(6)، وعليه التفكير بأمر الآخرة التي فيها

ص: 405

1- ابن حنبل، مسند أحمد، 3 / 156؛ البخاري، صحيح البخاري، 8 / 114؛ الطبراني، المعجم الكبير، 24 / 72

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 435

3- المصدر نفسه، 3 / 435

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 68

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 534

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 68

ومن جانب آخر نصح أمير المؤمنين عليه السلام معاوية بضرورة التفكير بالآخرة وهذا ما جاء بقوله عليه السلام:

(واصرف إلى الآخرة وجهك، فهي طريقنا وطريقك)(2)، أي أن الإمام عليه السلام قد حذر معاوية مما هو عليه من الضلالة، وضرورة التفكير والتدبر في أمر الآخرة وما فيها من جزاء وإحسان أعدّ لكل فرد، وكلما كان طريق الإنسان الذي يسلكه سواء في الخير أو الشر فإن مصيره إلى الآخرة التي لا بد منها، وهناك سيجازي الإنسان على أفعاله(3)، وهي إشارة واضحة من الإمام عليه السلام إلى معاوية وتنبهه من الغفلة التي هو فيها وضرورة الالتفات إلى طريق الآخرة التي هي مستقره الأخير والتي يجازي فيها الناس كلاً حسب أعماله.

وروي ان معاوية لما جاء أجله دخل الحمام فنظر إلى نحول جسمه وضعفه فبكى وتمثل قائلاً:

فياليتني لم أغن في الملك ساعة*** ولم أك في اللذات أعشى النواظر وكنت كذي طمرين عاش ببلغة*** من الدهر حتى زار أهل المقابر(4) ويمكن ان نسأل من خلال مضمون الرواية هل ان معاوية نادم على ما فعل، ألم يكن امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد نصحه مراراً بضرورة الحذر والإبتعاد عن الدنيا وملذاتها والإنجرار ورائها، لكنه لم يكن يستمع إلى كلامه

ص: 406

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 534

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 479

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 181

4- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 3 / 188؛ المسعودي، مروج الذهب، 2 / 45

وأصر على بغيه والخروج عن الطريق الصحيح متبعاً شهواته التي قادتته إلى طريق الهلاك.

3- النصيحة بإطاعة الله تعالى والإمام الحق من النصائح والمواعظ التي أشار فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية، وضرورة الإلتزام بها هي إطاعة الله تعالى في جميع أوامره ونواهيه، وكذلك إطاعة الإمام الحق الذي نص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(1)، إذ بين الرازي أن الله أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، والذين أمر الله بطاعتهم
على سبيل الجزم والقطع، لا بد أن يكونوا معصومين من الخطأ، وهم أهل الحل والعقد من الأمة(2)، والإشارة هنا إلى أن ولي الأمر
الشرعي هو أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه بويع البيعة العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحاضرة الإسلامية
وبايعة المهاجرون والأنصار وغيرهم، ومن ثم فممن الواجب على الآخرين مبايعته حتى وإن كان هذا الأمر يعتمد على السياقات السابقة
للحكام الذين سبقوه كأبي بكر وعمر وعثمان الذين بويعوا من قبل أكثر المسلمين ومن ثم أصبحت بيعتهم لزاماً على الآخرين.

وأمير المؤمنين عليه السلام من المعصومين الذين طهرهم القرآن بنص آية التطهير:

ص: 407

1- سورة النساء، آية، 59

2- التفسير الكبير، 10 / 148

«إِنَّهُمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»⁽¹⁾، فضلاً عن ذلك فإن الإمام عليه السلام اجتمع الناس في بيعته وبايعته مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن فيها من الصحابة، ولذلك كان لزاماً على الآخرين مبايعته بما فيهم معاوية أسوة بمن سبقوه من الحكام، لذلك وجب على معاوية أن يطيع أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما أشار إليه في نهج البلاغة بقوله عليه السلام: (فاتق الله فيما لديك، وانظر في حقه عليك، وارجع إلى معرفة ما لا- تعذر بجهالتك، فإن للطاعة اعلماً واضحةً، وسبلاً نيرةً، ومحجةً نهجةً)⁽²⁾.

إذ اشار الإمام عليه السلام على معاوية بضرورة تقوى الله تعالى فيما لديه من أموال المسلمين وفيئهم التي هي من حقوقهم التي أفاء الله تعالى بها عليهم، والتي كان معاوية يتصرف بها كيفما يشاء، وفي الوقت نفسه ذكره في آثار نعمة الله عليه، إذ عليه أن يقابلها بالشكر والطاعة، لا بالكفر والعصيان، والرجوع إلى معرفة ما لا عذرله فيه وهي طاعة الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام الحق⁽³⁾، وإن طريق الوصول إلى الله تعالى لا يتم إلا عن طريق اتباع الكتاب والسنة القولية والفعلية، ومن جملتها أئمة الحق والهدى فإنهم أصل تلك الأعلام وحاملوها⁽⁴⁾، والمراد بالسبل النيرة والمحجة النهجة، أي الطريق الواضحة المستقيمة⁽⁵⁾، والتي استدل عليها بالأعلام المذكورة آنفاً للوصول إلى طاعة

ص: 408

1- سورة الأحزاب، آية 33

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 420

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 396؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3 / 480

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 396

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 420؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 390

وفي المعنى ذاته جاء قوله عليه السلام:

(وغاية مطلوبة يرُدُّها الأكياس، ويخالفها الأنكاس، من نكب عنها جار عن الحق، وخبط في التيه، وغَيَّرَ الله نعمته، وأحلَّ به نقمته، فنفسك نفسك)(2)، وغاية الإمام عليه السلام من كلامه في الوصول إلى الطريق الواضحة، غاية لا يطلبها إلا الأكياس أي العقلاء، الذين يطلبون تلك المحجة ويقصدون الذهاب إلى أعلامها(3)، أما الذين يحدون عن طريق الحق والهداية، ويخبطون في التيه والضلالة هم الأنكاس، أي الأدياء من الناس المقصرون عن ذلك الطريق، والذين اختاروا طريقاً غيره(4)، وبعد أن بيّن أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية الطريق الواضحة لسلوكها، لأجل الخلاص من عذاب الله تعالى، حذره من نقمته عليه في حال ترك تلك الطريق الواضحة التي بينها له أمير المؤمنين عليه السلام(5)، وهو مصداق قوله تعالى:

«الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ»(6)، والتي رأى المفسرون بأنها نزلت في بني المغيرة الذين أهلكوا في يوم

بدر وبني

ص: 409

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 396

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 420

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 397

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 7؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 397

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 397

6- سورة إبراهيم، آية، 28

وأراد بقوله عليه السلام:

(فقد بين الله لك سبيلك، وحيث تناهت بك أمورك، فقد أجريت إلى غاية خسرٍ، ومحلة كفرٍ، وإن نفسك قد أولجتك شراً وأفحمتك غياً، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك)(2)، وعلى الرغم من إخبار الإمام عليه السلام لمعاوية بأن الله تعالى قد بين له سبيل طاعته والطريق إليها، لكنه حرص كل الحرص على الدنيا التي أبعدته عن الله، وخاصة بعد أن بين له الحلال والحرام، وأرشده إلى الطريق الصحيح(3)، مما أدى به إلى غاية خسر، وهي منزلة الكفر والمعصية التي أفحمته في طريق وعر لا يستطيع من خلاله السير إلى طريق الخير، بسبب نفسه الأمارة بالسوء(4).

نستنتج من ذلك الأمر ان الإمام عليه السلام سعى جاهداً لحمل معاوية على العدول عما هو عليه إلى الطريق الصحيح، ولكن الأخير أبى ذلك، وما زاده ذلك الأمر إلا طغياناً، وقد بين محمد جواد مغنية رأيه في هذا الموضوع بالقول (إن إصرار الإمام عليه السلام على موعظة معاوية لا يخلو من أمرين، أما إلقاء الحجّة عليه أو للتشهير به وإعلان حقيقته لكل جيل من الأجيال، على الرغم من علمه أن

ص: 410

1- القمي، تفسير القمي، 1 / 371؛ الطبري، جامع البيان، 1 / 160؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3 / 199

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 420

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 480

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 16 / 7؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 4 / 397

4- تحذیر الإمام علیه السلام لمعاوية بالابتعاد عن البغي والزور من الأمور التي نبه لها أمير المؤمنين علیه السلام معاوية هي مسألة البغي والزور التي يتبعها لتحقيق أهدافه المنشودة، وما لهذه الصفات من تبعات تلحق بصاحبها من التشهير والحط من قيمته، وغيرها من الأمور الأخرى، وأشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك الأمر في كتاب أرسله لمعاوية ينبهه على ذلك، جاء فيه:

(وإن البغي والزور يذيعان بالمرء في دينه ودنياه، ويبدیان خلله عند من يعيبه)(2)، إذ بين الإمام علیه السلام إن صفة الظلم والكذب من الصفات التي يجب الابتعاد عنها، لأنهما سبب في فضح الإنسان والتشهير به أمام الله تعالى وأمام الناس(3) وما يفرزان من نتائج سلبية على من يتبعهما من الناحية الدنيوية والدنيوية، أما من الناحية الدينية فهما رذيلتان مضادتان للعدل والعفة، وكذلك كونهما ضد الإيمان والدين، وأما من الناحية الدنيوية، فهما ضد من يتحلى بمكارم الأخلاق التي هي من مطالب الإنسان العاقل(4)، ومعاوية يبحث عن الحكم والسطلة كيفما يشاء، بخلاف ما يريد الله تعالى والناس، وإنه متى استتب له الأمر أخذ الناس بالأموال والعطايا، وهذا يزيد في عتوه وطغيانه، عليه السلام

ص: 411

1- في ظلال نهج البلاغة، 3 / 480

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 453

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 118؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 31

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 118

ومن ثم يزداد مؤيدوه والهاثقون له(1)، وقد عبر أمير المؤمنين عن هذا المعنى في كلام له عليه السلام:

(همج رعاع أتباع كل ناعق)(2).

وفي موضع آخر في نهج البلاغة عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله:

(وقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته)(3)، ان مراد الإمام علي عليه السلام من قوله هذا هو أن ما جعله معاوية سبباً في محاربتة له وهو الطلب بدم عثمان، قد انتهى بموته، وهو يعلم أنه لا يمكنه أن يأخذ بثأره(4)، وعلى ما يبدو أن أمير المؤمنين عليه السلام قد حذر ونصح معاوية بترك تعلقه بشبهة قتل عثمان التي نسبها لأمير المؤمنين عليه السلام لأنه استخدم البغي والزور والبهتان للطلب بدمه، وكان الإمام قد دعاه قبل ذلك للدخول في طاعته والرجوع إلى رشده، ومحاكمة قتلة عثمان فيما بعد بالرجوع إلى كتاب الله ولكنه رفض ذلك، وعلى معاوية العمل من أجل آخرته.

ثم خاطب الإمام عليه السلام معاوية محذراً إياه بحال الذين سبقوه وهم أهل الجمل الذين طلبوا منه بدم عثمان، متحججين بالقرآن الكريم لتحقيق غاياتهم، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد، فردّهم ببغيهم وبيّن كذبهم، وقد عبر عن ذلك عليه السلام بقوله:

ص: 412

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 31

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 277

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 454

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 118؛ الصالح، صبحي، نهج البلاغة، 423

(وقد رام أقوام أمراً بغير الحق، فتأولوا على الله فأكذبهم)(1)، إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه إن الإمام عليه السلام قصد بالأقوام أصحاب الجمل الذين حرفوا القرآن عن مواضعه وتعلقوا بالشبهة في تأويل القرآن انتصاراً لمذهبهم وآرائهم، فأكذبهم الله بأن أظهر حقيقتهم وتحريفهم للقرآن(2)، وكان خروجهم لطلب الخلافة محتجين بالطلب بدم عثمان وحجج أخرى، فأخزاهم الله تعالى وأكذب ادعاءهم وأباطيلهم بأن نصر أمير المؤمنين عليه السلام عليهم(3).

وفي السياق ذاته جاء قوله عليه السلام:

(فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه)(4)، إذ حذر أمير المؤمنين عليه السلام معاوية من يوم القيامة، منبهاً على ما فيه من سرور الذين حمدوا عاقبة أعمالهم في الدنيا التي أوجبت لهم ذلك السرور(5)، وبما حصلوا عليه من السعادة الباقية، وتمني غيرهم بالوصول إلى مراتبهم التي وصلوا إليها(6)، ثم بين عليه السلام له إنه إذا لم يجاذب الشيطان من قياده وتمكينه من نفسه، فإنه سوف يندم على ذلك التمكين، وأما إذا جاذبه وتحرر من النفس الأمارة بالسوء فسوف يتخلص منه وقام بما عليه(7)، وهو مصداق قوله تعالى:

ص: 413

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 454

2- شرح نهج البلاغة، 17 / 13

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 118؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 31

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 454

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 119

6- البحراني، المصدر نفسه، 5 / 119؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 454

7- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 17 / 13

«وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(1)، أي أخفوا الندامة بينهم لما رأوا العذاب نزل بهم، وأخذ بعضهم يلوم بعضاً، وجعلوا الأغلال في أعناقهم على قدر أعمالهم التي عملوها(2)، نستدل من قول أمير المؤمنين عليه السلام ذلك أمرين، ان نهاية كل إمريء إما أن تكون حسنة ويثيب عليها بسبب أعماله أو تكون عكس ذلك بسبب اتباعه الشيطان الذي يحب له المعاصي والنفس الأمارة بالسوء، وبعدها يندم على أفعاله، والأمر ينطبق على معاوية الذي أفنى عمره في محاربة الدين بسبب انقياده للشيطان والخروج على الإمام الحق والممثل الشرعي للدين الإسلامي وللمسلمين، وقد اتضح ذلك عندما قرب أجل معاوية وأبدى ندمه على كل أفعاله التي قام بها(3).

5- إرشاد الإمام عليه السلام لمعاوية بشأن بيعته سى معاوية بكل طاقته وإمكانياته للحصول على ولاية الشام من أمير المؤمنين عليه السلام، أو الحصول على الخلافة من بعده مقابل بيعته، واستخدم في ذلك حيلاً كثيرة كما بينا ذلك سابقاً، فتارة يتهمه بقتل عثمان، ومرة يتهمه بالتحريض عليه، وكذلك قوله بتخاذل الإمام عليه السلام عن نصرة عثمان، لكنه جوبه برفض قاطع من قبل الإمام عليه السلام، لأنه يدعي بما ليس له حق فيه وهو الخلافة،

ص: 414

1- سورة سبأ، آية، 33

2- الطوسي، التبيان، 8 / 399؛ الطبرسي، مجمع البيان، 8 / 218؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 4 / 248

3- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 3 / 188؛ المسعودي، مروج الذهب، 2 / 45

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد نصحه مراراً للدخول في طاعته، وترك التحايل عليه والخروج عن الدين وبيعة الإمام عليه السلام مع علمه بمدى استحقاكه لأمر الخلافة من دونه، وكذلك تيقنه من براءة الإمام عليه السلام من التهم التي وجهها إليه، وجاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الشأن ينبه فيه معاوية: (أما بعد، فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور)(1)، إذ نبه أمير المؤمنين عليه السلام معاوية على تغافله وعدم انتفاعه من الأمور التي حصلت ويتحقق منها بقلبه وبصيرته كما يرى صاحب البصر الأشياء بعينه، وأراد ببيان الأمور هنا إستحقاق أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة، وبرأته من التهم التي نسبها إليه(2).

وذكر ابن أبي الحديد ان هذا الكتاب هو جواب لكتاب وصل من معاوية بعد قتال أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج، وفيه إشارة إلى ما قاله امير المؤمنين عليه السلام من قبل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وعده بقتال طائفة أخرى غير أصحاب الجمل وصفين، وأنه سماهم بالمارقين، وبعدهما تم قتلهم من قبل أمير المؤمنين عليه السلام في يوم واحد وهم عشرة آلاف فارس بالنهروان، وكان هدف الإمام عليه السلام تذكير معاوية بما كان يقول لأصحابه من قبل، ويعددهم به، عسى أن ينتفع من صدق الإمام عليه السلام بما كان يقوله ويستهنئها به، ويرجع إلى رشده(3)، إذ روي في هذا الصدد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأم سلمة: (هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة

ص: 415

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 489

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 17؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 200

3- شرح نهج البلاغة، 18 / 20

إشهدي أنه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين(1)، اي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعي المرحلة التي سيمر بها امير المؤمنين عليه السلام.

وانتهج معاوية منهج آبائه وأجداده في إدعائهم الأباطيل، والسير في طريق الكفر والضلال، وأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله: (فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل، واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك)(2)، إذ بين لنا الإمام عليه السلام أن معاوية قد اتبع أساليب أبيه أبي سفيان وجده عتبة وأمثالهما من أهل النفاق والكفر(3)، وذلك بادعائه الأمور الباطلة التي ليس له حق في المطالبة بها، كمطالبته بدم عثمان، وطلحة والزبير، وكذلك التزامه جانب الكذب و الغرور متناسياً النتائج السلبية التي تفرزها هذه الأمور الباطلة، وطلبه للخلافة وهي أمرٌ بعيدٌ عنه(4)، وهو مصداق قوله تعالى:

«لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»(5)، ويبيّن المفسرون عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قوله: لا- ينال عهدي الظالمين أي لا يكون إماماً ظالماً(6)، تتبين محاولة معاوية الحصول على مراده من خلال ادعائه بأنه المسؤول عن دم عثمان وطلحة والزبير

ص: 416

1- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 1 / 396؛ الصدوق علل الشرائع، 1 / 66؛ ابن طاووس، التحصين، 566

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 489

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 17؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 166

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 200

5- سورة البقرة، آية، 124

6- الطبري، جامع البيان، 1 / 732؛ العياشي، تفسير العياشي، 1 / 58؛ القمي، تفسير القمي، 1 / 59

من أجل الخلافة التي هي ليست من استحقاقه، فنصححه الإمام عليه السلام بالإبتعاد عن هذه الإدعاءات والأباطيل.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة جاء قول امير المؤمنين عليه السلام:

(وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة، وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه واله، فصرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً بوقع سيوف ما خلا منها الوغى، ولم تأشها الهوينى)(1).

اي ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك ان معاوية يشبه أعمامه وأخواله الذين هم من بني أمية الذين خرجوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذين قتلوا في الحروب التي جرت بينهم(2)، أمثال عقبة بن أبي معيط الذي قتله الإمام علي عليه السلام(3)، وهؤلاء حملتهم الشقاوة المكتوبة عليهم في الدنيا والآخرة بسبب جحودهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وما حملوا من الباطل وما قاموا به من بذل الاموال والأنفس في سبيل إطفاء نور النبوة وإقامة أمر الشرك والباطل(4)، وذكر الإمام عليه السلام معاوية بالسيوف التي قتلت أعمامه وأخواله في بدر وغيرها من المواقع والتي لم ترافقها المساهلة معهم بأنها باقية(5).

من خلال النص المتقدم أراد الإمام عليه السلام تحذير معاوية وتذكيره بمصير أعمامه

ص: 417

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 488

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 15

3- ابن هشام، السيرة النبوية، 2 / 525

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 198

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 488

وأخواله الذين ناصبوا العداة للدعوة الإسلامية ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما بذلوه من أموال وأنفس في سبيل القضاء على تلك الدعوة، عسى أن يرجع ويدخل في طاعة الإمام عليه السلام.

وفي الموضوع ذاته جاء قوله عليه السلام:

(وابتزازك لما اختزن دونك، فراراً من الحق، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، مما قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك) (1) إذ أراد أمير المؤمنين عليه السلام بيان محاولة معاوية سلب حق من حقوق الإمام عليه السلام ألا وهو التسمي بأمر المؤمنين، وكذلك محاولة منه للتهرب والالتفاف على الدين الذي أوجب إطاعة الإمام عليه السلام وذلك ناتج من حبه للكفر والنفاق وتطلعه للتغلب على الأمر (2) وجرأته في أخذ البيعة لنفسه من أهل الشام، مع علمه بأن المسلمين والصحابة بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام طائعين لا مكرهين، بالإضافة إلى أن قيامه بأخذ البيعة من أهل الشام سيؤدي إلى تفرقة المسلمين وبلادهم باعتقاده أن ذلك استحقاق من الله تعالى (4)، ونحن نذهب إلى الرأي الأول الذي يشير إلى رغبة معاوية بالخلافة والتسمي بها، إذ جاء عن الحسن البصري في هذا الصدد بأنه قال: (في معاوية أربع خصال، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة، أنتزأه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزها

ص: 418

1- المصدر نفسه، 3 / 489

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18، 17؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 489

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 166

4- شرح نهج البلاغة، 5 / 200

أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوي الفضيلة، واستخلافه ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وإدعاؤه زياد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: a (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وقتله حجرًا، ويلٌ له من حجر وأصحابه مرتين(1).

وأراد بقوله:

(وجحوداً لما هو ألزم لك من دمك ولحمك، مما قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك)، أي أن طاعة أمير المؤمنين عليه السلام واجبة على معاوية، لأنه يعرف ذلك بدون شك من خلال النص عليه من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كان معاوية حاضراً في يوم الغدير لأنه حج معهم حجة الوداع، وكذلك كان حاضراً يوم تبوك حين قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمام الناس كافة:

(أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)(2)، فضلاً عن أنه قد سمع بأمر بيعته عليه السلام فلا يخفى خبرها عليه، إذ انتشرت بين المسلمين، بحيث علم بها، كما يُعرف ان هناك بلداً اسمه مصر(3)، ووجوب طاعة الإمام عليه السلام من قبل معاوية لأنها ألزم له من دمه ولحمه لأنها واجبة عليه ولا يجوز الرجوع عنها(4).

ص: 419

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 279 / 5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 337 / 3

2- ابن حنبل، مسند أحمد، 1 / 184؛ الترمذي، سنن الترمذي، 5 / 305؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 2 / 338

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 17

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 200؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 489

وكان على معاوية أن يقف ويتأمل قليلاً في مسألة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وأن لا يعلن معارضته ومنافسته على هذا الأمر، ألم يعلم معاوية وغيره من الصحابة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه أحاديث كثيرة جاءت لتدل على أحقيته بالأمر، منها قوله:

(اللهم عادٍ من عاداه، ووالٍ من والاه)(1)، وقوله:

(حربك حربي، وسلمك سلمتي)(2)، وقوله: (أنت مع الحق، والحق معك)(3)، والكثير من الأحاديث التي تدل على المعنى ذاته(4).

وفي السياق ذاته ورد قوله عليه السلام:

(فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين، وبعد البيان إلا اللبس)(5)، قال ابن أبي الحديد: (هذه كلمة من الكلام الإلهي المقدس)(6)، أي أن أمير المؤمنين عليه السلام بين

ص: 420

1- ابن حنبل، مسند أحمد، 1/ 118؛ الطبراني، المعجم الكبير، 4/ 17؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 9/ 104

2- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 1/ 250؛ الصدوق، الأمالي، 156؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18/ 17

3- ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 20/ 361؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18/ 17

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18/ 18

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 3/ 489

6- شرح نهج البلاغة، 18/ 18

لمعاوية مصير كل من يتجاوز على حقه الذي يعلمه، سيكون الضلال والهلاك بسبب التفريط واللبس بهذا الحق(1)، ولا شك ان معاوية كان متيقناً بحق الإمام عليه السلام، وعلى استحقاقه لأمر الخلافة دون غيره، ولكنه بسبب طمعه وضلاله وكفره الذي نشأ عليه أخذ ينافس الإمام عليه السلام بهذا الحق، ثم حذر الإمام عليه السلام من اشتباه الأمر عليه مما يؤدي إلى إثارة الفتن بين المسلمين والقتل فيما بينهم بسبب ذلك، وأشار إلى ذلك بقوله: (فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، فإن الفتنة طالما أغدفت جلايبها، وأعشت الأبصار ظلمتها)(2).

ان مراد الإمام عليه السلام من كلامه هذا، هو تحذير معاوية من الدخول في الشبهة وتلبسه بها لما فيها من الإبهام والغموض(3)، والمقصود بالشبهة هي دم عثمان، وربما الشبهة هي تولي الحكم، وتحذيره عليه السلام من الدخول بها، وضرورة الإبتعاد عنها(4)، وأغدفت(5) الفتنة جلايبها، أي شبه الإمام عليه السلام الفتنة المغطية لبصائر أهلها عن الحق وابتعادهم عنه(6)، ولبس ثوب الرياء، والظهور بغير حقيقته، وأراد بالفتنة هنا قميص عثمان الذي تستر به معاوية، وكان هدفه زرع الفتنة بين المسلمين وسفك الدماء، وتفرقهم من أجل الوصول إلى هدفه من

ص: 421

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 201 / 5

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 489 / 3

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 18

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 201 / 5؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 167 / 4

5- أغدفت، أي أغدفت المرأة قناعها أرسلته على وجهها، ومنها أغدفت الليل سدوله، إذا أظلم، ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 345 / 3

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 201 / 5

خلال تلك الفتنة وهو الحكم(1)، وأراد بقوله: وأعشت الابصار ظلمتها، أي جعلت الفتنة وما تحويه من ظلام غشاءً يعمي به الأبصار(2)، وعدم الهداية إلى الحق(3)، ومعاوية قد عمي بصره عن الحق بسبب التمسك بتلك الفتنة التي طالما انتظر حدوثها لغرض الوصول للحكم والسلطة عن طريقها، والتي من خلالها إستطاع تحشيد الطاقات من الشاميين وأعمى بصرهم بتلك الفتنة التي هي قميص عثمان والمطالبة بدمه.

ويذكر أنه بعد انتهاء أمير المؤمنين عليه السلام من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً، فكتب إلى معاوية يدعوه للدخول في طاعته، فأرسل له معاوية رجلاً من عبس، وكتب له كتاباً فيه عبارة بسم الله الرحمن الرحيم فقط، فعرف الإمام عليه السلام ان معاوية يريد الحرب، فقام رسول معاوية وخطب بالناس، واقسم أنه خلف بالشام خمسين ألف شيخ سيكون على عثمان ويطلبون بدمه، وهدد أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل قائلاً:

(ليأتينك من خضر الخيل إثنا عشر ألفاً)، فقال له الإمام عليه السلام:

(تربت يدك، وكذب فوك، أما والله لو أن رسولاً قتل لقتلتك)(4).

ويبدو ان معاوية حاول استخدام لغة التهديد التي يمكن من خلالها حمل الإمام عليه السلام على توليته الشام، وبالمقابل تنازل معاوية عن المطالبة بدم عثمان، ومما لا شك فيه ان معاوية ابتعد كثيراً عن الحقيقة، فليس أمير المؤمنين عليه السلام من تخيفه

ص: 422

1- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 167

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 18

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 201

4- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 1 / 103؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 2 / 459

كثرة الأعداء ولا يأبه لها، وما عرف عن شجاعته وبطولاته في المعارك التي خاضها ضد المشركين خير دليل على ذلك، وقد عبر عن موقفه في هذا الصدد في إحدى خطبه الشريفة بقوله عليه السلام:

(إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها، ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي، وإني إلى لقاء الله وحسن ثوابه لمنتظر راج...)(1).

ص: 423

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 485

المبحث الأول: إخبار الإمام علي عليه السلام بظلم بني أمية

المبحث الثاني: إخبار الإمام علي عليه السلام بنهاية دولة بني أمية وزوالها

ص: 425

المبحث الأول إخبار الإمام علي عليه السلام بظلم بني أمية

ارتبط علم أمير المؤمنين عليه السلام بالعلوم الغيبية إرتباطاً كلياً بالقرآن الكريم والنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المعروف بأن علم الغيب خاص بالله تعالى وحده، ولكن الله تعالى أطلع أنبياءه، ومنهم نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على بعض علومه الغيبية وذلك بنص القرآن الكريم، إذ جاء قوله تعالى في هذا الشأن:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»⁽¹⁾، وبما ان الإمام عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن الكريم، كما ورد في قوله تعالى:

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»⁽²⁾، إذ بين العديد من المفسرين أن المراد بأنفسنا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام⁽³⁾، وبما يتمتع به بدرجة عالية من

ص: 427

1- سورة الجن، آية 26 - 27

2- سورة آل عمران، آية 61

3- الطوسي، التبيان، 2 / 485؛ السمعاني، تفسيرالسمعاني، 1 / 327؛ البغوي، تفسير البغوي، 1 / 310؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 2 / 20

الصفاء الروحي والديني، فجاء علمه للعلوم الغيبية عن طريق تعلمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي غذاه بهذا العلم، وأطلعه على بعض الأمور التي جعلته عارفاً من خلالها بالقضايا المستقبلية.

ووردت العديد من الأحاديث الشريفة التي تبين المكانة العلمية لأمير المؤمنين عليه السلام، منها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(أنا مدينة الحكمة وعلي بابها)(1)، وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(علمني رسول الله ألف باب فتح لي كل باب ألف باب)(2)، وقوله عليه السلام:

(لو ثبت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم)(3).

ويمكن تعريف علم الغيب لغة: هو ما غاب عن العيون، وسواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل، تقول غاب عنه غيباً وغياباً وغيوبة وغيبة(4)، وعبر القرآن الكريم عن هذا الأمر بقوله تعالى:

«جَاءَتْ عَدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا»(5).

ص: 428

1- القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1 / 89؛ الصدوق، الأمالي، 619

2- الشريف المرتضى، الفصول المختارة، 107؛ الطبرسي، أعلام الوري، 1 / 267؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 1 / 315

3- الطوسي، الأمالي، 523؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 1 / 317؛ الحلبي، كشف اليقين، 56

4- ابن منظور، لسان العرب، 1 / 654

5- سورة مريم، آية 61

والكثير من الأمور التي أخبر بها أمير المؤمنين عليه السلام، والتي بين قسم منها الشريف الرضي في نهج البلاغة، أو الروايات التي ذكر منها ابن أبي الحديد في شرحه، التي جاءت لتدلل على علم الإمام بالأمور الغيبية(1).

ويضم نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام على بعض العلوم الإلهية(2)، والكثير من الكلام الذي يدل على الرؤية المستقبلية التي هي خارج نطاق قدرة البشر(3)، وجاءت الكثير من الخطب التي تدلل على اطلاعه وإخباره عليه السلام عن الكثير من الأحداث التي تحصل بعده، ومنها ما أخبر أصحابه بخروج صاحب الزنج والأترك، فقال له أحد أصحابه: (لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟ فأجاب عليه السلام: (ليس بعلم الغيب وإنما تعلم من ذي علم) وإنما علم الغيب علم الساعة، كما في قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»(4)، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وما عدا ذلك (علم علمه الله لنيه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم إليه جوانحي)(5).

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام بشأن علمه وإخباره بالغيب في أكثر من موضع في نهج البلاغة وإن علومه مستقاة من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ورد قوله:

ص: 429

1- شرح نهج البلاغة، 2 / 226 - 233

2- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 19

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1 / 32

4- سورة لقمان، آية 34

5- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 244 - 245

(ما كذبتُ ولا كُذبتُ، ولا ضللت ولا ضُلت بي)(1)، أي لم يخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبراً إلا كان صادقاً، ولم يضلله مضلل عن الحق والصدق، لأنه كان يستند في أخباره عن الأمور الغيبية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم فهو منزّه عن إضلاله وإضلال الآخرين(2)، ومما لا شك فيه ان علومه عليه السلام مستقاة من علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكما قال عنه:

(أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابي)(3).

وفي موضع آخر صرح أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف ان تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن في ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً، وقد عهد إلي بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إلي)(4).

وأراد أمير المؤمنين عليه السلام من ظاهر كلامه أنه يدل على علم بالعلوم الغيبية، وأنه لا يفصح بها خوفاً على المسلمين ان يغفلوا فيه ويدعوا فيه الإلهية ويؤدي ذلك إلى كفرهم، وكما هو معلوم ان مصدر علمه الأول هو الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ص: 430

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 540

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18 / 295

3- الطبراني، المعجم الكبير، 11 / 55؛ المفيد، الإرشاد، 1 / 33؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، 3 / 126

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 277

الذي عهد بهذا العلم له، وهذا ينسجم مع ما ذكرناه في الآية الكريمة التي تقول:

ح«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ»(1)، وان الله تعالى أخبر بعض انبيائه ومنهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذي أخبر الإمام به، وهو بدوره عليه السلام لم يخبر به أحدًا إلا الخاصة من أوليائه الذين لا يشكون في علمه ومعرفته بالأمر وإن علومه استقفاها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمعرفة وعلمهم ان ذلك من أعلام نبوته، وما أمير المؤمنين عليه السلام إلا شخص وصل إلى مرتبة جليلة أوصلته إلى تلك المنزلة عند الله وعند نبيه(2).

أما فيما يخص موضوع البحث المتعلق برؤية أمير المؤمنين عليه السلام لبني أمية، ومدى ظلمهم للناس، فقد تبين ذلك من خلال العديد من النصوص التي وردت بخصوص ظلمهم للناس، وكذلك أخبر الإمام عليه السلام بخلافة بعض الشخصيات الأموية مثل معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الملك وولده، وما تلقى الأمة منهم من الويلات والظلم والقتل والتشريد، وسوف نسلط الضوء على ما جاء في هذا الخصوص في نهج البلاغة.

أولاً: إستقراء الإمام علي عليه السلام لظلم بني أمية تعد فتنة بني أمية التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة من أشد وأخطر الفتن التي ستصيب المسلمين بشكل عام، وأهل البيت عليه السلام بشكل

ص: 431

1- سورة الجن، آية، 26 - 27

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 10 / 12؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 323؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 522

خاص، بسبب توسع دولتهم وما سيلحق بالمسلمين من ظلمهم، وذلك بسبب سوء إدارة الولايات من قبل الحكام الأمويين الذين استخدموا أساليب عديدة في إيذاء المسلمين، مما دفع أمير المؤمنين عليه السلام بالتصريح بخوفه على المسلمين من فتنهم وظلمهم، وعبر عن ذلك الأمر في إحدى خطبه بقوله:

(ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها، وخصت بليتها)⁽¹⁾، أي ان مراد الإمام عليه السلام من قوله هذا، ان فتنة بني أمية وظلمهم ستشمل عامة الناس لأنهم سوف يتسلطون عليهم كافة، وبالمقابل كان نصيب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من ذلك الظلم النصيب الأوفر⁽²⁾، إذ كثر بلاء المسلمين فيها، وهتكت حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل الحسين بن علي عليه السلام، ومن ثم هتكت حرمة الإسلام بهدم الكعبة وحرقتها، وقيامهم بسبب أمير المؤمنين عليه السلام ثمانين سنة، ناهيك عن البلاء الذي انتشر في أرجاء البلاد الإسلامية⁽³⁾، وورد ان أهل حران⁽⁴⁾، حينما أزيل لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سنة (99 هـ / 101 هـ) من على المنابر أيام الجمع، إمتنعوا عن إزالته، وقالوا لا صلاة إلا بلعن أبي تراب، وأقاموا على ذلك

ص: 432

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 160

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 42؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 160

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 408، ينظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي، 2 / 155، 165؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 400، 485، 498

4- حران، وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرقة يومان، وهي تقع على طريق الموصل والشام والروم بين نهري دجلة والفرات، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2 / 235

سنة حتى ظهرت دولة بني العباس سنة 132 هـ (1).

وروي ان معاوية كتب إلى عماله في جميع الأمصار، بأن لا يجيزوا لأحد من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ولا لأهل بيته شهادة، وأمرهم بتقريب مجالس، شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته وإكرامهم، والذين يروون فضله ومناقبه (2)، يتضح لنا من خلال ذلك محاولة بني أمية خلق حالة من الرأي العام المعارض لأهل البيت عليه السلام والتنفير عنهم، وذلك من خلال إزالة ومحو آثار أهل البيت عليهم السلام، وفضلهم على الأمة، عن طريق قيامهم بمنع الناس عن التحدث بفضائلهم وأحاديثهم.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

(وأصاب البلاء من أبصر بها فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوءٍ من بعدي كالناب الضروس (3)، تعذب بفيها، وتخبط بيدها، وتزين برجلها، وتمنع درها) (4)، أي ان الشخص العالم بظلمهم ولم ينكر عليهم ذلك فهو مأثوم، وأما الذي ينكر عليهم ذلك فإن نصيبه من العذاب والقتل يكون النصيب الأكبر، وبالمقابل نجد الشخص الذي لم يهتدِ كونها فتنة ويجهل ذلك وينقاد إلى دعواتهم الباطلة، ويسير بسيرتهم سيكون بعيداً عن أذاهم وظلمهم (5)، ثم أقسم الإمام عليه السلام لأصحابه بأنهم سيجدون بني

ص: 433

1- المسعودي، مروج الذهب، 2 / 228؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 97

2- الطبرسي، الإحتجاج، 2 / 348؛ ابن أبي الحديد، 11 / 36

3- الناب الضروس، هي الناقة المسنة السيئة الخلق، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 13 / 194

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 160

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 209؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 58

أمية من بعده أرباب سوء، بما فعلوا بهم من القتل والنفي والحبس، وشبههم عليه السلام بالناب الضروس السيئة الخلق التي تعض حالبها، وتعذب بفيها، أي تأكل بجفاء، وتزبن برجلها، أي تضرب برجلها، وتمنع درها عند الحلب(1)، وشبه عليه السلام هذه الحركات بأفعال بني أمية، وهي إشارة إلى سوء معاملتهم مع الناس، وقيامهم بالقتل، ومنعهم من بيت المال وحرمانهم من حقوقهم(2).

من خلال ما تقدم يمكننا ان نستشف ان أمير المؤمنين عليه السلام وبناءً على رؤيته المستقبلية لمصير الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي صنف الناس في عهد بني أمية إلى صنفين:

الصنف الأول هم الذين يتماشون مع الأمويين على الرغم من معرفتهم وإدراكهم بما يقوم به بنو أمية من ظلم للناس وسلب حقوقهم وهؤلاء قد باعوا آخرتهم بدنياهم مقابل سكوتهم وعدم إنكارهم ما يحدث من حولهم، ومن ثم يسلمون من أذاهم.

أما الصنف الثاني فهم الذين أنكروا ظلمهم وسياستهم القائمة على خلاف الدين، وهؤلاء نالهم العذاب والقتل وخير دليل على ذلك ما فعلوا بحجر بن عدي الكندي وأصحابه الذين أنكروا على معاوية الكثير من الأمور التي ادت إلى مقتلهم(3).

وفي السياق ذاته بين الإمام عليه السلام حال الناس في ظل دولة بن أمية وما يعانون

ص: 434

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 43 / 7

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 209 / 2؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 58 / 2

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 276 / 5؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 26 / 8؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 336 / 3

منه فيما بعد، بقوله:

(لا- يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه⁽¹⁾)، أي أن بني أمية سيستمرون في قتل الناس وإبادتهم، بحيث لا يبقى إلا من ينفعهم ويتماشى مع سياستهم، أو غير ضار بهم ولا يتعارض معهم بشيء، حتى يصبح حال الناس في ظل دولتهم، كانتصار العبد من مولاه، ومعنى ذلك ان الناس لا تستطيع التغلب عليهم مثلما لا يستطيع العبد التغلب على مولاه، وجاء كلام للإمام عليه السلام في المعنى ذاته:

(إذا حضر أطاعه، وإن غاب اغتابه⁽²⁾)، وأراد بقوله: عليه السلام والصاحب من مستصحبه، أي أنهم يتلونون مع الأمويين كالخدم والعبيد يطيعونهم في الظاهر ويحقدون عليهم في باطنهم بسبب ظلمهم لهم⁽³⁾.

نستشف من ذلك ان أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يكشف عن الوجه الحقيقي للأمويين وسياستهم القائمة على القتل والعنف لكي يفرضوا سيطرتهم على الناس، وجعلوهم كالعبيد تحت أيديهم، وهم يحملون الحقد تجاههم بسبب سياستهم القاسية معهم، وروي أنه عند قيام مسلم بن عقبة⁽⁴⁾، بالسيطرة على المدينة ونهبها، وقتله للعديد من الناس ممن عارضهم، قد قام بأخذ البيعة على

ص: 435

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 160

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 143

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 59

4- مسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد المري المعروف بمسرف، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، شهد صفين مع معاوية وكان على الرجالة، وهو صاحب وقعة الحرة، وولي خراج فلسطين من قبل معاوية، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 58 / 102

وفي الصدود ذاته جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

(ترد عليكم فتنهم شوهاء مخشية، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة)(2)، إذ وصف الإمام عليه السلام فتنة بني أمية شوهاء مخشية، وذلك لقبحها، وما تتصف به من صفات الرعب والتخويف(3)، والفتنة هنا قيادتهم للأمة والتحكم بمصيرها، وجاءت مظلمة على الناس ومتركمة وشبيهة بقطع الغيوم لكثرتها، ووصفها بصفات الجاهلية لأن أفعالهم كانت تتصف بصفات أهل الجاهلية الذين لا يردعهم رادع ديني في أفعالهم(4)، وأراد الإمام عليه السلام بقوله: ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى، أي ليس فيها إمام أو قائد ليهتدي به الناس ولا فيها شيء من قوانين الحق ليقتدى بها(5)، جاء ان الوليد بن عبد الملك عندما تولى الخلافة خطب بالناس وقال لهم:

(من أبدى لنا ذات نفسه، ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه)(6)، أي ان بني أمية قد جعلوا القتل والإرهاب الذي اتخذوه بوصفه شعاراً وأساساً لتعاملهم مع الناس، ولكل من يعارضهم، فكان ذلك أحد أساليبهم كما مر بنا.

ص: 436

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 165؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 493

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 161

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 44؛ الصالح، صبحي، شرح نهج البلاغة، 138

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 44

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 410

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 423؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 240

(نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة)، إذ بين البحراني ان مراد الإمام عليه السلام بقوله هذا بأننا أهل البيت ناجون من آثامها والدخول فيها، والدعوة إلى مثلها، وليس المراد انهم سالمون من أذاهم، وغير داعين فيها إلى الحق، وذلك بشهادة الحسين عليه السلام إلى نفسه وقيامهم بقتله وقتل أولاده وهتك ذريته، أو المراد من ذلك إننا ناجون من آثامها، ولسنا فيها بدعاة مطلقاً، والحسين عليه السلام لم يكن قد دعا إلى نفسه، وإنما كان مدعواً للقيام من قبل أهل الكوفة ومجيباً لدعوتهم(1)، روي عن الزهري(2) قوله:

(ان عبد الملك بن مروان حدثني عندما طلب علي بن الحسين عليه السلام فجاءه من المدينة الى الشام، فقال له إما أنا أو أنت، فطلب منه عبد الملك البقاء عنده، فرفض الإمام عليه السلام ذلك، ثم خرج من عنده، فقال عبد الملك: فوالله لقد امتلا ثوبي منه خيفة، فقال له الزهري: ليس علي بن الحسين حيث تظن، انه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل شغله، فنعم ما شغله(3)، يتبين لنا من خلال الرواية ان أهل البيت عليهم السلام بعيدون عن المغريات الدنيوية وهم مع ذلك قد أصابهم ما أصابهم من فتنة بني أمية من القتل والتشريد.

ص: 437

1- شرح نهج البلاغة، 2/ 410

2- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهري، من بني زهرة بن كلاب من قريش، ويكنى أبا بكر تابعي من أهل المدينة وهو حافظ فقيه، ثم نزل بالشام، وكان برفقة عبد الملك وولده الوليد الخلفاء من بعده، واستعمله يزيد بن عبد الملك على القضاء، وتوفي سنة (124 هـ) في مدينة شغب بالحد بين فلسطين والحجاز، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7/ 429

3- الأصفهاني، حلية الأولياء، 3/ 135؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 41/ 373؛ الأربلي، كشف الغمة، 2/ 288

وعلقت إحدى الباحثات على ذلك الأمر بأن أهل البيت عليهم السلام لا تتوثر عليهم مؤثرات بني أمية وأشارت بأنه ليس المقصود المؤثر المادي بل المؤثر المعنوي والفكري من تغير أفكار وما إلى ذلك، لذلك قدمهم الإمام عليه السلام كمصدر علاج لذلك الوضع (1).

إن المتتبع لفتنة بني أمية وما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام عنها وعن الأسباب التي أدت إلى حدوثها، وإنها لم تأت من فراغ وإنما توفرت لها عدة ظروف استطاع من خلالها بنو أمية الاستيلاء على السلطة، والتي شخصها لنا الإمام في إحدى خطبه الشريفة والتي جاء فيها:

(أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطانكم عن حقي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي) (2)، إذ أقسم أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه بتغلب معاوية وأهل الشام عليهم، وبين علة ذلك الانتصار الذي سوف يحققه معاوية، لا لأن معاوية وأصحابه على الحق وأصحابه على باطل وإنما يكمن السبب الرئيس في ذلك الانتصار، في أن أصحاب معاوية أطوع للأمر في كل شيء، وإن أسباب النصر تعتمد على مدى انتظام الجيش وطاعته لقادته، لا كما يعتقدونه بأنهم على حق وخصمهم على باطل، وإن إعتقاد الجيش بأنهم على حق بدون إطاعة قائدهم لا يعني ذلك شيئاً، ولا يحقق لهم الانتصار (3).

ص: 438

1- اللامي، أروى عبد الواحد، التوثيق التاريخي في نهج البلاغة، 213

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 164

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 55؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 422؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 74

وان الشيء المتعارف بين الناس بأنهم يخافون ظلم ولاتهم، وأنه عليه السلام على العكس من ذلك قد أصبح يخاف ظلم رعيته له على الرغم من مداراته ومقاربتة لهم، فإنهم اظهروا عكس ذلك له(1)، يتضح لنا مما تقدم ان الباعث الرئيس لانتصار معاوية فيما بعد هو بسبب تخاذل بعض جيشه ورعية أمير المؤمنين عليه السلام وعدم إطاعته في كل شيء.

وعلق أحد الباحثين على ذلك بأن رؤية الإمام عليه السلام لواقع الأمر وتحليله لم تكن من قدر غيبي، وإنما نشأت من توفر الأسباب والعوامل الموضوعية على أرض الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه والذي كانت عوامله تتفاعل في المجتمع السياسي المواجه للفتنة، وتخلي المجتمع عن روح الكفاح والجهاد في مواجهة ظروف الفتنة، وابتعد عن قيادته، ومن ثم وقع في المشاكل السلبية مفضلاً الحياة السهلة الخالية من الالتزام بقيم الرسالة ومن روح الجهاد الحقيقي(2).

ثانياً: إخبار الإمام علي عليه السلام بتولي بعض الشخصيات الأموية الحكم لقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام من خلال الخطب التي وردت في نهج البلاغة بتولي بعض الشخصيات الأموية الحكم، وأنها ستمارس أفسى أنواع الظلم والإضطهاد بحق المسلمين، ويصبح الناس يعيشون في ظل حكمهم بحالة من الرعب والخوف والقتل والتهجير، وذكرنا بعض الشواهد التي وردت سابقاً

ص: 439

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 55/7؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2/ 422

2- شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، 192 - 193

بخصوص سياستهم وأساليبهم بالتعامل مع المسلمين(1)، وسوف نعرض ما جاء في نهج البلاغة بخصوص ذكر بعض هذه الشخصيات:

1- تغلب معاوية على الخلافة ذكرت العديد من الروايات ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار في عدد من أحاديثه إلى تسلط بني أمية على رقاب الناس، ومنها الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)(2)، وهي إشارة واضحة إلى تسلط معاوية على الحكم، بينما جاءت خطب أمير المؤمنين عليه السلام لتؤكد على هذا الأمر، إذ ورد في إحدى خطب الإمام عليه السلام بخصوص إخباره عن حكم معاوية بن أبي سفيان وتسلمه لزاماً للدولة من بعده، وتسلطه على رقاب الناس وما يفعله من أعمال فيما بعد من أجل تثبيت سلطته والسيطرة على المناطق التي كانت خارجة عن حكمه، إذ ورد قوله عليه السلام في إحدى خطبه الشريفة:

(وما كنت متحريراً صلاحكم بإفساد نفسي، ولكن سيسلط عليكم بعدي سلطان صعب، لا يوفر كبيركم ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم وليذلنكم ويجهزنكم في المغازي وليقطعن سبيلكم، وليحجبنكم على بابهم حتى يأكل قويكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلا من ظلم منكم، ولقلما أدبر شيء ثم أقبل، وإني لأظننكم في فترة وما علي إلا النصح لكم)(3).

ص: 440

1- ينظر، الفصل الثاني، 128 - 165

2- ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 59 / 156؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 1 / 572

3- المفيد، الإرشاد، 1 / 281؛ الطبرسي، الإحتجاج، 1 / 208

وفي نهج البلاغة أفصح عليه السلام عن رؤيته بظهور معاوية بقوله:

(أما إنه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه)⁽¹⁾، بين ابن أبي الحديد في شرحه ان الناس اختلفوا بمن عنى الامام عليه السلام بهذا الرجل، فذهب البعض انه زياد ابن أبيه، وكثير منهم يقول الحجاج، وقال بعضهم المغيرة بن شعبة، لكنه عليه السلام أراد بالرجل معاوية لأنه موصوف بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً يقعد بطنه إذا جلس على فخذه، وكان معاوية جواداً بالمال وبخيلاً على الطعام وهذه الصفات جاءت لتنطبق عليه من خلال تصريح الإمام عليه السلام بذلك⁽²⁾، ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه ابن أبي الحديد في ان الإمام عليه السلام أراد بالرجل معاوية لماعرف عنه من بغض الإمام وتأسيسه لسياسة السب التي اوصى جميع عماله بأن لا يتورعوا عن سب الإمام عليه السلام والنيل منه.

وروي ان رسول الله عليه السلام دعا على معاوية لما بعث إليه يستدعيه فوجده يأكل ثم بعث فوجده يأكل فقال:

(اللهم لا تشبع بطنه)⁽³⁾، وقوله مندحق البطن، أي بارزها والدحوق من النوق التي يخرج رحمها عند الولادة⁽⁴⁾، وقوله اقتلوه ولن تقتلوه، أي ان الإمام عليه السلام أمرهم بقتله لما هو عليه من الفساد في الأرض، ولن تقتلوه، وهو

ص: 441

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 96

2- شرح نهج البلاغة، 4 / 42

3- الطبرسي، الاحتجاج، 1 / 323

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4 / 42؛ ابن منظور، لسان العرب، 10 / 95

إخباره عليه السلام بعدم فعلهم لذلك الأمر، وهو أمر قتله(1)، ويتضح من النص ان المراد من ذلك هو معاوية وليس زياد بن أبيه او المغيرة بن شعبة أو الحجاج.

وبين أحد الباحثين رأيه بذلك ان إطلاق الإمام عليه السلام الحكم بهدر دم معاوية هو بسبب الفساد الذي أشاعه بين المسلمين وسلبه لأمن البلاد الإسلامية وإثارته الفتن التي شقت وحدة الصف الإسلامي(2).

وفي الموضوع ذاته أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بقيام معاوية حال استيلائه على الحكم بأمر المسلمين بسب الإمام عليه السلام والتبري منه، إذ ورد في هذا الشأن قول الإمام عليه السلام:

(ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة(3)، إذ ان معاوية أمر الناس في الدولة الإسلامية بسب أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار سنة في أيام بني أمية إلى ان قام عمر بن عبد العزيز فأزاله(4)، فمن خلال النص يتضح ان أمير المؤمنين عليه السلام استقرأ بأن معاوية سوف يقوم بسبه ولعنه على منابر الإسلام، لذلك أخبر عليه السلام الناس بما يجري عليه من ظلم بعد تسلط معاوية على الحكم وكيفية التعامل مع الأمر في حال أكرهوا على سبه والنيل منه، ومن جانب آخر ان قيام معاوية بسب الإمام عليه السلام يكشف لنا عن حقه وضغينته لأمر المؤمنين

ص: 442

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 150

2- المرزوك، الغيبات في نهج البلاغة، 155

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 96

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4 / 44

وتجاهله لما يملكه من علم وفضائل حدث بها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم(1).

وأراد بقوله عليه السلام:

(فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة)، فقد صرح البحراني في شرحه قائلاً: (إن أمير المؤمنين عليه السلام فرّق بين سبه والبراءة منه، بأن رخص في سبه عند الإكراه عليه، ولم يرخص التبري منه وفي الفرق بينهما لطف، وذلك أن السب من صفات القول اللساني وهو أمر يمكن إيقاعه من غير اعتقاده مع احتمالية التعريض ومع ما يشمل عليه من حقن دماء المأمورين ونجاتهم بامتنال الأمر به)(2).

ويبدو أن أمير المؤمنين عليه السلام أجاز لمن يكره على سبه والنيل منه كأنه مأخوذ من قوله تعالى:

«إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»(3) ومعنى ذلك إستثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم(4).

وقد اعترض ابن عباس على معاوية ونهاه بالكف عن سب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام فأجابه معاوية قائلاً:

(ما كنت لأفعل حتى يربو عليه الصبي ويهرم فيه الكبير)(5).

ص: 443

1- المرزوك، الغيبيات في نهج البلاغة، 155

2- شرح نهج البلاغة، 2 / 151

3- سورة النحل، آية، 106

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4 / 605

5- الجاحظ، العثمانية، 285

ويبدو من خلال النص ان معاوية يسعى إلى تأسيس سياسة سب أمير المؤمنين عليه السلام للنيل منه بين أوساط المسلمين، وهذا ما بينه احد الباحثين في قيام معاوية عند توليه الحكم بتوصية جميع عماله بسب الإمام عليه السلام على المنابر والتي سار عليها خلفاء بني أمية من بعده(1).

ومن جانب آخر اعترضت أم سلمة على معاوية بسبب سبه أمير المؤمنين عليه السلام وقالت:

(إنكم تلعنون الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على منابرکم، وذلك إنکم تلعنون علي ابن أبي طالب عليه السلام ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها)(2).

ان الذي لا يجعل حرمة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يأخذ بكلام أم سلمة زوجته، خصوصا ونحن نعرف ان معاوية منافق، وهو من الطلقاء وإسلامه مدخول، وهو يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في آية المباهلة:

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»(3)، إذ أشار العديد من المفسرين ان المراد بذلك هو أمير المؤمنين علي عليه السلام(4)، فضلا عن ورود أحاديث تبين ربط سب الإمام عليه السلام بسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ذكر المحدثون قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: 444

1- الجابري، السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام، 71 - 72

2- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 5 / 115

3- سورة آل عمران، آية، 61

4- الطوسي، التبيان، 2 / 485؛ السمعاني، تفسيرالسمعاني، 1 / 327؛ البغوي، تفسير البغوي، 1 / 310؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 2 / 20

(من سب علياً فقد سب الله) (1)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله) (2)، ولكنه مع ذلك لا- يكثر بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهمه الوحيد تحقيق مطامحه في النيل من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي المعنى ذاته في نهج البلاغة أفصح الإمام عليه السلام عن رؤيته المستقبلية بشأن ما سيجري على المسلمين، إذ أخبرهم بما يقوم به معاوية بطلبه منهم بالتبري منه، إذ نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن البراءة منه وعبر عن ذلك بقوله:

(وأما البراءة فلا تتبرأوا مني) (3)، ذكر البحراني (4) في شرحه ان مراد الإمام عليه السلام من ذلك انه فرق بين سبه والبراءة منه بأن رخص سبه عند الإكراه كما ذكرنا، أما التبرء فإنه يعود إلى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عليه ها هنا، فهو أمر باطن يمكن تركه ولا يلحقهم ضرر، كأنه لاحظ قوله تعالى:

«إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (5).

وجاءت الكثير من الروايات التي تبين أن أمير المؤمنين عليه السلام أجاز البراءة منه حال الإكراه، ومن هذه الروايات ما أورده الحميري القمي، أنه قيل للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ان الناس يروون ان علياً عليه السلام قال على منبر الكوفة:

ص: 445

1- الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 3 / 121؛ ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، 14 / 132؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11 / 573

2- ابن حنبل، مسند أحمد، 6 / 323؛ النسائي، السنن الكبرى، 5 / 133

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 97

4- شرح نهج البلاغة، 2 / 151

5- سورة النحل، آية، 106

(أيها الناس استدعون إلى سبي فسبوني، ثم استدعون إلى البراءة مني فلا تتبرأوا مني) فقال: عليه السلام ما أكثر من يكذب من الناس على علي عليه السلام، إنما قال:

(إنكم استدعون إلى سبي فسبوني، ثم استدعون إلى البراءة مني وإني لعلي دين محمد، ولم يقل لا تتبرأوا مني)، وقال له السائل أرأيت ان اختار القتل دون البراءة فقال عليه السلام: والله ما ذلك عليه، وماله إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن للإيمان، فأنزل الله تعالى:

«إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»⁽¹⁾، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندها ياعمار ان عادوا فعد فقد انزل الله تعالى عذر⁽²⁾، ونحن نرجح قول الإمام على هذه الرواية فكلامه واضح في هذا المضمون.

فضلا عن ما ذكره العياشي⁽³⁾ في تفسيره ان أحد اصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأله: (مد الرقاب أحب إليك أم البراءة من علي عليه السلام؟ فقال: الرخصة أحب إلي، أما سمعت قول الله عز وجل في عمار)، وبهذا الترخيص أراد الإمام عليه السلام الحفاظ على أرواحهم فيما لو أكرهوا على ذلك لأنه لا يتأثر بذلك، ومحاولة بني أمية عن طريق أساليبهم هذه طمس فضائله والنيل منه لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك.

ومن خلال ما ذكر فيما يخص أمر معاوية بسب ولعن أمير المؤمنين عليه السلام وطلبه من الناس بالتبري منه على منابر المسلمين والنيل منه، جاء لينطبق مع رؤية أمير المؤمنين عليه السلام وإخباره بتسلط معاوية على الحكم وقيامه بالأعمال المذكورة.

ص: 446

1- سورة النحل، آية، 106

2- قرب الإسناد، 12؛ الكليني، الكافي، 219 / 2

3- تفسير العياشي، 272 / 2

عندما بايع المسلمون من المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان، كان مروان بن الحكم ممن بايع له، ولكنه نقض بيعته باشتراكه في يوم الجمل، وبعد أن أُسر جيء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليبيعه فرفض ذلك، لما عرف عنه من غدر وخيانة، وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن مدة حكمه وما تلقى الأمة منه ومن ولده من الظلم والجور، وجاء في هذا الشأن في نهج البلاغة قوله: (أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر)⁽¹⁾، إذ أخبر الإمام عليه السلام عن قصر مدة خلافته وبقائه في السلطة، وعبر عنها بلعقة الكلب أنفه، كناية عن قصرها، إذ اشارت بعض الروايات ان مدة خلافة مروان بن الحكم بلغت أربعة أشهر⁽²⁾، فيما أشار آخرون، إلى أنها تسعة أشهر⁽³⁾، ونحن نرجح الرواية الثانية لأنها أقرب للصواب، وهو ينطبق تماماً على ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام بقصر مدة خلافته.

وأراد بقوله عليه السلام وهو أبو الأكبش الأربعة، والمراد هنا أولاد عبد الملك بن مروان، وهم الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، لأنهم أربعة أخوة تولوا الخلافة، ولم يل أمر الخلافة لا من بني أمية ولا من غيرهم أربعة أخوة إلا هؤلاء⁽⁴⁾،

ص: 447

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 112

2- المسعودي، مروج الذهب، 2 / 732

3- تاريخ اليعقوبي، 2 / 174؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 5 / 173؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 683؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 57 /

279

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 118؛ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، 1 / 112؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 358

ويمكن ان يراد بالأكبش الأربعة هم ولد مروان بن الحكم من صلبه، وهم عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد أبيه، وعبد العزيز الذي أصبح والياً على مصر(1)، وبشر الذي ولي العراق(2)، ومحمد(3) الذي كان والياً على بلاد الجزيرة، ولكل من هؤلاء مواقف وأعمال معروفة(4)، ونحن نرجح ان مراد الإمام عليه السلام من الاكبش الأربعة هم أولاد عبد الملك الأربعة، بوصفهم خلفاء وحكاماً حكموا الدولة العربية الإسلامية ومارسوا فيها أبشع الجرائم من قتل وحرمان، بينما نجد الآخرين من اولاد مروان بن الحكم ولاية وقادة جيوش، وكما صرح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجاروها، فيتخذون مال الله

ص: 448

- 1- عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس، ويكنى عبد العزيز أبا الأصبخ، وكان مروان قد عقد الولاية له بعد عبد الملك، وولاه على مصر، وأقره عليها عبد الملك وأراد خلعه عبد الملك وبياع لابنيه الوليد وسليمان بالخلافة، لكن قبيصة بن ذؤيب منعه من ذلك وكان على خاتمه، ولكن عبد العزيز توفي سنة (85 هـ)، فبايع لسليمان بعد الوليد، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 232
- 2- بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس، ويكنى أبا مروان، ولاه أخوه عبد الملك المصيرين البصرة والكوفة وكانت داره في دمشق، وإليه ينسب دير بشر عند حجرا في الشام، وتوفي في البصرة سنة (75 هـ)، ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 10 / 253
- 3- محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس، وهو والد مروان آخر الخلفاء الأمويين الذي قتله العباسيون، وقد روى عنه الزهري، وقد ولي عدداً من الولايات مثل الموصل والجزيرة وارمينيا واذربيجان، واشترك في غزو ارض الروم، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 233؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 55 / 237
- 4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 118؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 207

دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً(1).

وفيما أشار إلى قوله:

(وستلقى الأمة من ولده يوماً أحمر)، أي ما يصدر عنهم ومن ذريتهم من فساد في الأرض، وما يعانيه الناس من سياسة القتل، وإنتهاك الحرمات، والتهجير والحرمان، ووصف سياستهم بالموت الأحمر، تشبيهاً لها بالحمرة، لما يعانيه المسلمون منهم(2)، إذ روي أن أمير المؤمنين عليه السلام نظر يوماً إلى مروان بن الحكم فقال له:

(ويل لك وويل لأمة محمد منك ومن بنيك إذا شابت ذراعك)(3).

وذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر بشأن هشام بن عبد الملك بقوله:

(والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة وإن من ورائكم الأعور الأذبر جهنم الدنيا، لا تبقي ولا تذر، ومن بعده النهاس الفراس، الجموح المنوع، ثم ليتوارثكم من بني أمية عدة)(4)، وكان هشام كما قال الإمام عليه السلام حريصاً على الدنيا وجمع الأموال من الناس، وكان يأخذ ضياعهم وعقاراتهم وأموالهم(5).

3- خلافة عبد الملك بن مروان من الشخصيات الأموية التي أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بحكمها وتسلطها على

ص: 449

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 3 / 485

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 207

3- ابن عبد البر، الاستيعاب، 681؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 57 / 265

4- المفيد، الإرشاد، 1 / 279؛ الطبرسي، الإحتجاج، 1 / 207

5- البلاذري، جمل من انساب الأشراف، 8 / 367

رقاب المسلمين هو عبد الملك بن مروان بن الحكم، الذي تولى الخلافة بعد أبيه سنة 65 هـ / 684 م (1) واستمرت خلافته إحدى وعشرين سنة حتى وفاته سنة 86 هـ / 705 م (2)، إذ ذكره الإمام عليه السلام في أكثر من موضع في نهج البلاغة، فقد أشار إلى الظلم الذي يعاني منه المسلمون في ظل حكمه، وإلى الفتن التي ستعصف بهم من جراء سياسته المبنية على القتل والتي وصفها لنا الإمام عليه السلام بأوصاف مختلفة من خلال خطبه.

إذ جاء في هذا الشأن قوله عليه السلام:

(ولكأنني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام، وفحص برأياته في ضواحي كوفان) (3)، أراد الإمام عليه السلام بالضليل أي الكثير الضلال (4)، وإن هذه الصفات جاءت لتتطبق على عبد الملك أكثر من غيره والذي نعق (5) وقام بالشام ودعا إلى نفسه بالخلافة، وهو معنى نعيقه (6)، وقيل أنه أراد معاوية وما حدث في عهده من فتن، وما حدث بعده من فتنة يزيد وعبيد الله بن زياد، وواقعة طف كربلاء وقتل الحسين عليه السلام (7)، ولكن أكثر الإشارات جاءت لتدل على أن المعنى بكلام

ص: 450

-
- 1- البلاذري، جمل من انساب الإشراف، 193 / 7؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 187 / 2
 - 2- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 232 / 7؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 226؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 418 / 6
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 170 / 1
 - 4- ابن منظور، لسان العرب، 394 / 11
 - 5- النعيق، هو صوت الراعي في غنمه، ينظر، الجوهري، الصحاح، 1559 / 4
 - 6- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 77 / 7؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 11 / 3؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 94 / 2
 - 7- ينظر، الدينوري، الأخبار الطوال، 251؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 155 / 2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 400 / 5؛ الزيدي، مروان عطية، ثورة الإمام الحسين وأثرها على حركات المعارضة حتى عام 132 هـ، 87 - 93

الإمام عليه السلام هو عبد الملك، لأن معاوية ظهر في أيام أمير المؤمنين عليه السلام ودعاهم إلى نفسه، والكلام يشير إلى شخص يخرج فيما بعد(1).

وروي أن عبد الملك عندما سار إلى العراق يريد مصعب بن الزبير(2)، خرج عليه عمرو بن سعيد الأشدق(3)، مطالباً بما وعده مروان بن الحكم بالخلافة من بعده، فرجع عبد الملك إلى دمشق وقام بقتله بعد أن أخذ منه أماناً(4)، وهذا يدل على بدء عبد الملك خلافته بالقتل، الذي لم يسلم منه حتى أقاربه، وأخذ يدعو إلى نفسه بالشام والمناطق الأخرى؛ وفي المعنى ذاته، روي أن ابن عباس قد بلغه خبر قيام عبد الملك بقتل عمرو بن سعيد الأشدق، فقال:

(يا أيها الناس إن عبد الملك قتل ابن عمه وابن عمته بعد أن آمنه فلا تأمنوه

ص: 451

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 78 / 7

2- مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد، ويكنى أبا عبد الله، تولى إدارة العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير وقام بالقضاء على حركة المختار بن عبيد الثقفي، وقام بتفريق عماله في أرض السواد، وقتل مصعب في معركة دير الجاثليق التي دارت بينه وبين عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 181 / 7

3- عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية، ويكنى أبا أمية وأمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص، وهو من رجال قريش، وولاه يزيد على المدينة، وكان من أحب الناس إلى أهل الشام، فخافه عبد الملك فقام بقتله، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 234 / 7؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 490

4- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 67 / 6؛ المسعودي، مروج الذهب، 91 / 2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 86 / 4

وأراد عليه السلام بقوله:

(وفحص برياياته في ضواحي كوفان)، أي المناطق القريبة من الكوفة(2)، وورد ان عبد الملك سار بنفسه إلى العراق وقتل مصعب بن الزبير، وقام باستخلاف الأمراء على الكوفة مثل أخيه بشر بن مروان وغيره(3)، وروي أن عبد الملك عندما سار إلى العراق، بلغ ذلك مصعب بن الزبير، فخرج لمحاربته، وجرت الحرب بين الطرفين، وقتل على اثرها مصعب بن الزبير وعدد من أصحابه، وحملت رؤوسهم إلى الشام وطيف بها، ثم توجه عبد الملك إلى الكوفة ودخلها بعد أن أعطى أهلها الأمان(4).

وفي السياق ذاته صرح أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(فإذا فغرت فاغرت، واشتدت شكيمته، واشتدت في الأرض وطأته، عضت الفتنة أبناءها بأنبيائها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كلوحها، ومن الليالي كدوحها)(5)، ان المراد بفاغرت، أي واسع الفم(6)، وتشبيه الإمام عليه السلام له بهذا الوصف هو لبيان مدى شدته في اقتحام الناس وعلى الظلم الذي سيلحق

ص: 452

1- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 6 / 65

2- البكري، معجم ما استعجم، 3 / 883

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 159؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 104

4- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 6 / 336؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 151؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 71

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 170

6- الفراهيدي، العين، 4 / 406

بهم من قبل عبد الملك، وشبهه كالأسد عند الإفتراس(1).

واشتداد شكيمته(2) إشارة إلى وقت اشتداد الفتن في زمن عبد الملك بن مروان، حيث كثرة الخوارج، وثورة عبد الرحمن بن الأشعث(3)، وما جرى فيها من أحداث(4)، فيما أراد الإمام عليه السلام بقوله:

(واشتدت في الأرض وطأته)، أي ضجت من العنف والجبروت الذي سيمارسه عبد الملك على الناس(5)، وقوله:

(وعضت الفتنة أبناءها بأنيابها)، وهذا تعبير من قبل الإمام عليه السلام عن مدى الألم الذي سيتعرض له الناس من تلك الفتنة التي أصابتهم في ذلك الوقت والتي شبهها بالأنياب التي تستخدم كما هو معروف للعض(6).

ان ما بيّنه بعض الشراح من ان مراد أمير المؤمنين عليه السلام من كثرة الثورات في عهد عبد الملك بن مروان يمكن ان ينطبق على شخصية أخرى غيره، مثل يزيد بن معاوية الذي حدث في عهده الكثير من الفتن والأحداث واستشهاد الإمام

ص: 453

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 78/7؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 11/3

2- الشكيمة، هي الحديدية المعترضة في فم الدابة في اللجام، وتعني شديد المراس والنفس، ينظر، الزبيدي، تاج العروس، 338/14

3- عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير سجستان، وكان قد خلع عبد الملك بن مروان ودعا إلى نفسه، وبايعه العديد من القراء من اهل البصرة على حرب عبد الملك والحجاج، ودارت معركة بينه وبين الحجاج في دير الجماجم ظفر به الحجاج بن يوسف وقتله، وطيف برأسه سنة (84 هـ)، ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، 134/18

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 77/7

5- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 49/2

6- البحراني، شرح نهج البلاغة، 11/3

الحسين عليه السلام واستباحة المدينة المنورة، وضرب بيت الله الحرام بالمنجنيق، ولعل المقصود من ذلك مروان بن الحكم، ومما لا شك فيه ان إخبار الإمام عليه السلام بذلك جاء ليدلل على سوء السياسة الأموية السلبية المتبعة مع الناس، والتي شبهها الإمام عليه السلام بأوصاف تنم عن الشدة والعنف الذي استخدم لقمع تلك الثورات التي ثارت بوجههم نتيجة لتلك السياسات الجائرة.

وتطرق إلى مدى اتساع دائرة الحرب التي سيتعرض لها الناس في ظل خلافته وهذا ما أشار إليه بقوله عليه السلام:

(وماجت الحرب بأمواجها)، فأغرقت البلاد بالدماء التي نتجت عن القتل الذي لم يستثنِ الصغير والكبير من ذلك الأمر(1)، وأراد بقوله عليه السلام:

(ومن الأيام كلوحها، ومن الليالي كدوحها)، والكلوح، العبوس، وهي إشارة إلى ما يلقي الناس منها من الشر، والكدوح، هو ما ينتج من أثر ذلك الشر والمصائب التي تجري عليهم(2)، ويذكر ان الرجل إذا ترك مكانه في الثغر في زمن الخلفاء عمر وعثمان والإمام علي عليه السلام، يتم نزع عمامته، ويشهر أمره، فلما ولي مصعب أضاف إليها حلق اللحي والرؤوس، فعندما تسلم بشر بن مروان، قام برفع الرجل عن الأرض ويسمر يديه بالحائط، فهذا يؤدي إلى موته أو يخرق المسمار يده فيسلم من الموت، وعند مجيء الحجاج لم يعجبه هذا الأمر، فأمر بقطع رأس كل من يتخلف عن مكانه في الثغر(3).

وفي خطبة أخرى من خطبه الشريفة جاء قوله عليه السلام:

ص: 454

1- البحراني، شرح نهج البلاة، 3 / 11؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 94

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 12

3- ابن الأثير. الكامل في التاريخ، 4 / 142

(فإذا أئنع زرعه، وقام على بئعه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم)⁽¹⁾، إذ ان هذه الصفات جاءت لتبين شدة أفعال عبد الملك التي وصفها الإمام عليه السلام بالزرع إذا أئنع، والمراد بهدرت شقاشقه⁽²⁾ وبرقت بوارقه، وهو ما يعبر عن حركاته الهائلة وأقواله المخوفة، والتي تشبه حركة السحاب ذي الشقاشق والبروق⁽³⁾، وأراد بقوله عليه السلام عقدت رايات الفتن المعضلة، أي تفاقمت الفتن المعضلة والحروب التي حدثت في زمنه، وحربهم مع زيد بن علي عليه السلام⁽⁴⁾، والفتن التي حدثت أيام عمالهم الذين مارسوا في ولاياتهم أبشع الجرائم، أمثال الوالي يوسف بن عمر⁽⁵⁾، وخالد القسري⁽⁶⁾، وغيرهم من ولاة بني أمية، وما لحق ذلك من عليه السلام

ص: 455

- 1- محمد عبده، نهج البلاغة، 170 / 1
- 2- الشقشقة، وهو صوت يخرج به البعير من الرثة عند الهياج، ينظر، الفراهيدي، العين، 7 / 5؛ الجوهرى، الصحاح، 1053 / 4
- 3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 12 / 3
- 4- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان عابدا ورعا تقياً شجاعاً، ظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في زمن هشام بن عبد الملك، وعامله يوسف بن عمر الثقفي، ويطالب بثارات الحسين عليه السلام وعلن الثورة ضد يوسف بن عمر، ولكنها فشلت بعد أن تخلى عنه أكثر الناس وأدى ذلك إلى قتله وصلبه، وذلك سنة (120 هـ) وقيل (122 هـ)، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 319؛ المفيد الإرشاد، 171 / 2
- 5- يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أمير العراق وخراسان لهشام بن عبد الملك وكان والياً على اليمن قبل ذلك، وكان جباراً عسوفاً أحمق وكان يضرب المثل بحمقه وقتل في السجن سنة (127 هـ)، ينظر، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 442 / 5
- 6- خالد القسري بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز بن عامر البجلي القسري، كان امير مكة للوليد ابن عبد الملك واخيه سليمان، واصبح بعد ذلك اميراً على العراق، وأمه نصرانية، وكان جده يزيد ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من أشد المبغضين للإمام علي عليه السلام، ينظر، المزني، تهذيب الكمال، 108 / 8؛ الذهبي سير أعلام النبلاء، 425 / 5

ذهاب الأموال والنفوس وظلمهم للناس(1)، بحيث أصبحت هذه الفتن كالليل المظلم من شدتها وما ينتج عنها من سوء الحالة في البلاد، ولا يهتدي بها إلى وجه حق، وأخذ القوم ينقلبون بعضهم على بعض من شدة تلك الفتن، وما يصدر عنها من قتل، وهي تشبه البحر الهائج الذي تتلاطم أمواجه بعضها البعض لما ينتج عنها من هلاك الكثير من الناس(2) وهنا إشارة واضحة إلى حالة الفوضى الناتجة من سوء سياسة الدولة الأموية التي ادت إلى قتل العديد من الناس بسبب الثورات التي قامت ضدهم.

وفي إشارة أخرى في نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

(هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمر عليها من عاصف، وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم ويحطم المحصود)(3)، وأراد بالريح القاصف، أي الريح القوية الشديدة التي تحطم وتكسر كل ما تمر به(4)، وهذا تعبير عن الفتن المزعجة التي تمر بها الكوفة(5)، وصرح محمد جواد مغنية: (ان الحاكم الجائر متى استتب له النفوذ والسلطان، أطلق العنان لأهوائه وتمادى في البغي والضلال، وحول جميع طاقاته إلى الفتك والبطش)(6)، وهذا ما حصل

ص: 456

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 78 / 7

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 12 / 3

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 170 / 1

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 78 / 7

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 170 / 1

6- في ظلال نهج البلاغة، 95 / 2

لأهل الكوفة إذ توالى عليها الحكام الظلمة مثل زياد بن أبيه، الذي تتبعهم بالقتل والتشريد، وكذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في إحدى خطبه، والذي سوف نشير إليه فيما بعد(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أشار الإمام عليه السلام إلى الظلم الذي سيلحق بهم من سياسة عبد الملك بن مروان وعماله، وذلك بقوله:

(والله ليشردنكم في الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكل في العين)(2)، إذ أقسم الإمام عليه السلام على قيام عبد الملك ومن يلي الأمر من بعده قيامهم بتشريد من بقي من الصحابة، وطردهم من بلادهم، بحيث لم يبق منهم إلا القلة القليلة التي أشار إليها الإمام عليه السلام وشبهها بالكل في العين(3)، كناية عن قلة العدد، وذكر ان الوليد بن عبد الملك الذي حكم من سنة (86 هـ / 705 م - 96 هـ / 714 م) كتب إلى عامله على الحجاز خالد بن عبدالله القسري، يأمره بإخراج من في المدينة من أهل العراقيين (البصرة والكوفة)، وإرسالهم إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، وتم إخراجهم جميعاً من الحجاز، ولم يستثن منهم تاجراً أو غير تاجر، ونادى المنادي: (ان برئت الذمة ممن آوى عراقياً)، بحيث كان يتم إخراج أي شخص وجد في دار أي أحدٍ من سكان المدينة(4).

وفي المضمون ذاته عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله:

ص: 457

1- ينظر، الفصل الخامس، الصفحة، 259

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 224

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 163؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 300

4- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 213؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 485

(فلا تزالون كذلك حتى تتوب العرب إلى عوازب أحلامها)(1)، أي ان مراد الإمام عليه السلام هو بقاء حال المسلمين على ما هم عليه من الظلم والإضطهاد الذي عانوه مع عبد الملك، ومن يأتي بعده، حتى تعود إلى العرب عوازب أحلامهم(2)، ولم ترجع تلك الأحلام بموت عبد الملك بل استمر بمجيء أولاده من بعده، وبقي الملك عند بني مروان حتى تحقق للعرب رجوع أحلامهم، والمراد بالعرب هنا هم بنو العباس ومن اتبعهم من العرب أيام ظهور الدولة، مثل قحطبة بن شبيب الطائي(3)، وابنيه حميد(4)، وحسن(5)، وبني زريق الذين منهم طاهر بن الحسين(6)، وغيرهم من العرب من شيعة

ص: 458

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2/ 224

2- عوازب، أي أحلامهم البعيدة، ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 3/ 427

3- قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس، واسم قحطبة زياد، وقحطبة لقب له، ويكنى أبا عبد الحميد الطائي المروزي، وهو أحد دعاة بني العباس وقوادهم، وهو من قرية شير نخشير إحدى قرى مرو، وفد على محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحميمية وقد اختاره محمد بن علي ليكون احد النقباء الإثني عشر لقيادة الدعوة العباسية، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 49/ 297

4- حميد بن قحطبة واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان، وهو أحد قواد بني العباس وشهد حصار مدينة دمشق، وكان نازلاً على باب توما، وولي الجزيرة للمنصور، ثم خراسان، وأقره المهدي عليها حتى مات واستخلف ابنه عبد الله بن حميد، وكانت سنة وفاة حميد بن قحطبة في (159 هـ)، ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 15/ 290

5- حسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد ويكنى أبا الحسين، وهو أخو حميد بن قحطبة الذي ينسب إليه ربهض حميد ببغداد، وهو أحد قواد الدولة العباسية، وكان من الرجال البارزين بين الناس، وتوفي سنة (181 هـ)، ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد، 8/ 415

6- طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان، ابو الطيب، الملقب بذي اليمينين، وكان ناصرًا للمأمون على أخيه الأمين إذ ندبه لحرب أخيه الأمين فسار بجيش الى بغداد وقتله وجاء برأسه، وكان شهماً داهية جواداً، وتوفي سنة (207 هـ)، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 517؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 10/ 108

بني العباس وآبائهم الذين كانوا مستضعفين ومقهورين في ظل دولة بن أمية الذين لم ينهضوا ويثوروا ضد ظلمهم، على ان أفاء الله تعالى إلى هؤلاء ما كان قد ذهب عن أحلام آبائهم وعن حميتهم، فغاروا للدين وللمسلمين من جور بني أمية وظلمهم، ونهضوا بالأمر وأزالوا دولتهم(1).

وروي ان شيعة بني العباس توافدت على محمد بن علي بن عبد الله بن العباس(2) وكان ذلك في سنة 101 هـ / 720 م في مستقره في الشام بمكان يسمى الحميمة(3)، وأرادوا بيعته وقالوا له: (أسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان، لعل الله يحيي بك العدل، ويميت بك الجور، فإن هذا وقت ذلك وأوانه، والذي وجدناه مأثورًا عند علمائكم)، وأمرهم بأن يدعوا الناس بالسر لإظهار أمرهم(4).

ثم حذرهم الإمام عليه السلام من الإنجرار وراء الشيطان وضرورة التمسك بالقرآن

ص: 459

-
- 1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 38/9؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 163/3
 - 2- محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو عبد الله الهاشمي، ولد بالحميمة من أرض الشراة وقدم دمشق، روى عن أبيه وعمر بن عبد العزيز، روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي)، وتوفي سنة (124 هـ)، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 362/54
 - 3- الحميمة، وهي بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام وكانت منزل بني العباس، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 307/2
 - 4- الدينوري، الأخبار الطوال، 332

الكريم والسنة، وصرح بذلك بقوله:

(فالزموا السنن القائمة، والآثار البينة، والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة، واعلموا أن الشيطان إنما يسني لكم طُرقه لتتبعوا عقبه)(1)، إذ أمرهم أمير المؤمنين عليه السلام بأن يلزموا الكتاب والسنة بعد زوال دولة بني أمية، وكذلك الرجوع إلى العهد القريب منهم، وأراد بذلك عهده عليه السلام(2)، وورد في الأحاديث الشريفة ان الإمام علياً عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن الكريم:

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»(3)، ففي الحديث:

(يا علي أنت مني وأنا منك)(4)، أي أنه امتداد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له:

(أنت مني بمنزلة هارون من موسى)(5)، وكأنه عليه السلام خاف عليهم بعد إخبارهم بانتهاء دولة بني أمية بأن يكون ذلك كالأمر لهم في اتباع ولاية الدولة الجديدة، لذلك أوصاهم باتباع الكتاب والسنة، وعهده الذي فارقههم عليه(6).

ومما لا شك فيه ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لهم بالتمسك بالكتاب والسنة وعهده الذي فارقههم عليه، هو تحذير لهم من الدولة الجديدة التي ستحل محل دولة بني أمية.

وجاء قوله:

ص: 460

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 224

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 38؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 164

3- سورة آل عمران، آية، 61

4- الصدوق، الأمالي، 442؛ المفيد، الأمالي، 213

5- البخاري، صحيح البخاري، 4 / 208؛ مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، 7 / 120

6- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 38

(يسني لكم طرقه)، أي يسهل عليكم الطريق لاتباع المعاصي، وتسهيل النفوس الأمانة بالسوء لاتباعها فتضل بذلك عن سبيل الله، فيقودها الشيطان إلى الضلال في الآخرة(1)، كما جاء في كتاب الله تعالى:

«وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»(2)، ومعنى ذلك ان من وافق خطوات الشيطان فيما يدعو إليه فقد اتبعه، والاتباع إقتفاء أثر الداعي إلى الجهة التي يريد، وبذلك من يتبع الشيطان فإنه يأمره بالفحشاء والقبائح المنكرة التي يجرها العقل(3).

وفي إشارة أخرى للإمام عليه السلام إلى عبد الملك في نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

(كأنني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه، وبسء به ووافقه، حتى شابت عليه مفارقه، وصبغت عليه خلائقه)(4)، إذ بين ابن أبي الحديد في شرحه أن الإمام عليه السلام أراد بقوله كأنني أنظر إلى فاسقهم إشارة إلى قوم سيأتون بعده، كما أشار في بعض الخطب في حق الأتراك (كأنني أنظر إليهم قوماً كأن وجوههم المجان)، وكذلك أشار إلى ظهور عبد الملك في خطبته (كأنني به قد نعق بالشام)، وعلى هذا الأساس فالإمام عليه السلام يريد قوماً ممن اشتهروا بالسمعة السيئة مثل المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، ومعاوية وجماعة أخرى أحبوا الدنيا ومالوا إليها بعد ان أغواهم الشيطان وأزلهم(5)، بينما يرى

ص: 461

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 164

2- سورة النور، آية، 21

3- الطوسي، التبيان، 7 / 420

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 228

5- شرح نهج البلاغة، 9 / 71

البحراني أن كلام الإمام يمكن أن ينطبق على بني أمية أو فاسقٍ معينٍ مثل عبد الملك لما كان يحمله من صفات المنكر والفسق(1)، مع انهم كلهم فساق حتى نهاية أعمارهم، وبسبب به، أي ألفه وصارت تلك الصفات موافقه لجميع طبائعه وصفاته وأخلاقه إلى نهايه عمره، حتى اعتاد عليها وأصبحت جزءاً منه بحيث عبر الإمام عليه السلام عن استمرار تلك الصفات معه على الرغم من كبر سنه وظهور الشيب في مفارقه(2)، ولا يقتصر الأمر على عبد الملك فما الفرق بينه وبين يزيد بن معاوية وكذلك بينه وبين الوليد وسليمان وغيرهم من حكام بني أمية.

إن ما أشار إليه الشارحون في هذا المضمون من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يمكن أن ينطبق على كلا الرأيين، فإن الذين ذكروا قد ماتوا على فسقهم وضلالهم وابتعادهم عن طريق الحق الذي يمثله أمير المؤمنين عليه السلام.

وجاء ان عبد الملك منع أهل الشام من الحج، بسبب أن ابن الزبير كان يأخذهم عند موسم الحج لمبايعته، فلما سمع عبد الملك بذلك، قام بمنعهم من الذهاب إلى مكة، فضج الناس بسبب ذلك الأمر، وتكلموا مع عبد الملك بشأن منعهم من أداء فريضة من فرائض الله تعالى، لذلك عمل على توظيف وعاظ السلاطين من رجال البلاط بحيث نسبوا الحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم أنه قال:

(لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد، المسجد الحرام ومسجدي، ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة)، فأمر

ص: 462

1- شرح نهج البلاغة، 3/ 178؛ التستري، بهج الصباغة، 6/ 7

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 178

ببناء على الصخرة ووضع عليها الستور والديباج، وأقام لها سدنة وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة(1).

وهنا نرى ان عبد الملك قد قام بالتعدي على فرض من فروض الطاعة لله تعالى من خلال قيامه بمنع الناس من الحج وأمرهم بالتوجه إلى بيت المقدس بدلا من الحج إلى مكة، وهو بذلك يعبر عن مدى حبه للمنكر والسعي لتغيير دين الله تعالى بسبب تعارضه مع مصالحه الدنيوية.

وفي موضع آخر صرح أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(ثم أقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق، أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق)(2)، إذ كشف لنا الإمام عليه السلام عن الوجه الحقيقي لعبد الملك وإلى مدى قوة تشبثه بالمنكر للوصول إلى غايته، ولا يابيه بما يفعله بالناس من ظلم واضطهاد، وشبهه بحركة أمواج البحار وما ينتج عنها من غرق الكثير من جراء أمواجها العاتية، وكذلك بما تفعله النار في الحطب(3)، ويذكر إنه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان، أراد أن يخرج إلى مصعب بن الزبير فجعل يستنفر أهل الشام فيطئون عليه فطلب منه الحجاج فأذن له بذلك، فكان يحرق بيت كل رجل من أهل الشام تأخر في المسير للحرب، فلما رأوا ذلك خرجوا لحرب مصعب بن الزبير(4)، نستشف من ذلك قيام عبد الملك باستخدام أساليب القتل والترويع لحمل الناس على الحرب إلى جانبه بدون الالتفات إلى ما يصيبهم من جراء تلك

ص: 463

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 177 - 178

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 228

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 178؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 325

4- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2 / 35

ولم يقتصر اخبار الإمام عليه السلام عن بعض الشخصيات الأموية، بل تعدى ذلك إلى الإخبار عن بعض ولاتهم الذين استخدموهم في فرض سلطانهم وسيطرتهم على الأمة، ومن بين هؤلاء هو الحجاج بن يوسف الثقفي(1)، إذ جاء كلام الإمام عليه السلام بهذا الصدد:

(أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم)(2)، إذ بين البحراني في شرحه (أن الإمام علياً عليه السلام بين للناس بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة وهي فتنة الحجاج بن يوسف الثقفي إذ كان ضعيف العين، دقيق الصوت، ذيلاً: طويل الذيل، يصحبه تبختر، ميلاً أي يكثر التمايل تكبراً، وبين عليه السلام أنه يأكل خضرتهم، وتكنى بها عما بهم من الأبهة وسلامة النفوس والأموال وحسن الأحوال وبأكله لها عن إزالة تلك وتغيير إلى أضدادها، واستعار بالشحمة لثرائهم وقوتهم، ووصف الإذابة لإفناء ذلك بالقتل والإهانة ومصداق ذلك المشهور من فعله بأهل العراق)(3)، وعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله أن من الطبيعي أن يولي بنو أمية على العراق رجلاً بتلك المواصفات التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام لكي يتسنى لهم أن يقبضوا على العراق بقبضة من حديد، فهو الإقليم الذي ينكر خلافة وتسلط البيت

ص: 464

1- الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، ويكنى أبا محمد، وولي الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان وقام برمي الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير، وبعد ذلك تم عزله عنها وتوليتها على العراق، وقد عرف بولائه لبني أمية وبغضه لأعدائهم، وتوفي سنة 95 هـ، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 12 / 113

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 198

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 102

ومما لا شك فيه ان سياسة الحجاج التي تسلط بها على رقاب الناس قد استمدتها من السلطة الأموية، وهي عبارة عن نموذج مصغر للسلطة الأموية الجائرة وأفعال الحجاج الإجرامية خير دليل على ذلك(2).

ثالثاً: إنتشار ظلم بني أمية لا- يخفى على أحد ما فعله الخلفاء الأمويون من التمادي في ظلمهم للناس، واتباعهم لسياسة القتل وانتهاك الحرمات، والخروج عن إطار الدين الإسلامي، والسنة النبوية الشريفة في التعامل مع الناس، وأصبح تعاملهم مبنياً على المصالح الخاصة، وكان القتل والتهجير مصير كل من يعارضهم، بحيث انتشر ظلمهم في كل مكان، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من موضع من نهج

ص: 465

1- الزيدي، أهل البيت عليهم السلام مكانتهم وفضلهم على الأمة، 185

2- ان ما قام به الحجاج الكثير من الأعمال الإجرامية، إذ ورد ان عدد الذين قتلهم صبرا مائة ألف وعشرون ألفاً، وكذلك وجدوا في سجون الحجاج ثمانين ألف سجين منهم ثلاثون ألف امرأة، وكان قد حبسهم في سجن الديماس بدون سقف يحميهم من حرارة الشمس وبرد الشتاء ويسقيهم الماء مشوباً بالرماد، وكان طعامهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، كما قام الحجاج بتقليل عطاء اهل العراق، وقام الحجاج بالختم على رقاب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت الخواتيم من رصاص، أمثال سهل بن سعد الساعدي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم لغرض إذلالهم، ينظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 191؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك 6 / 211؛ المسعودي، الإشراف والتنبيه، 275؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 12 / 185؛ ابن الجوزي، المنتظم، 6 / 342؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 6 / 323؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 12 / 544

(والله لا- يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلوه)⁽¹⁾، وهنا إشار الإمام عليه السلام إلى استمرار بني أمية في استحلال المحرمات والكبائر التي حرمها الله تعالى من خلال قيامهم بانتهاكها والتجاوز على حرمتها⁽²⁾، ومنها الظلم والقتل⁽³⁾.

فكان حالهم معروفاً ومشهوراً في عدم التورع والتعدي على المحرمات، وما تناقلته الروايات العديدة بشأنهم خير دليل على ذلك، إذ ورد أن معاوية أعجب بغناء أحد المغنين كان يغني عند ابنه يزيد، فأمره ان يكافئه على ذلك⁽⁴⁾، وفي أيام يزيد بن معاوية كثرا الغناء وظهر في مكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر

ص: 466

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 166

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 61؛ البحراني، شرح نهج البلاغة 2 / 427

3- البحراني، شرح نهج البلاغة 2 / 427؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 82. ولعل من أبرز المحرمات التي قام بها بنو أمية هي وقعة الحرة في المدينة والتي استبيحت من خلالها المدينة ثلاثة أيام، وكذلك قذفهم الكعبة بالمنجنيق، واستحلالهم المحرمات فكان يزيد يشرب الخمر ويعمل بالمحرمات فكان ينكح الأمهات والأخوات على الرغم من تحريم ذلك كما في قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ»، سورة النساء، آية 23، ويترك الصلاة، وكذلك تعدى الأمر إلى الدين مما جعل بعض الناس يبكي على دينه مثلما فعل أنس بن مالك عندما سأله الزهري عن سبب بكائه فقال له بسبب الصلاة وضياعها، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، 7 / 70؛ البخاري، صحيح البخاري، 1 / 134؛ الطبري،

تاريخ الرسل والملوك، 5 / 493؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 9 / 336

4- البلاذري، جمل من انساب الأشراف، 5 / 33

شراب الناس للخمر، وكان ما يفعله يزيد من الفسق والفجور عياناً أمام الملاء، فكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره إلى مجلسه ويناديه ويطرح له متكناً خاصاً، وكان قرداً خبيثاً، ويحمله على إتان وحشية قد ريصت، ويسابق به الخيل يوم الحلبة(1)، وقد قاموا بحل عقود الإسلام وضوابطه من قوانين شرعية وغيرها نظم بها أمر العالم، بحيث قاموا بخرق وكسر تلك العقود وخالفوها، وابتعدوا عن جميع القيم الإسلامية(2).

وفي الأمر عينه أراد بقوله عليه السلام:

(وحتى لا يبقى بيت مدر، ولا وبر، إلا دخله ظلمهم، ونبأ به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان، باك يبكي لدينه، وباك يبكي لديناه)(3)، إذ أشار الإمام عليه السلام أن ظلم بني أمية سينتشر في جميع المناطق، بحيث لم يستثن من ذلك بيوت المدر التي هي بيوت القرى والمدن، وكذلك بيوت الوبر التي هي في المناطق البعيدة(4)، وبين أحد الباحثين أن البواعث التي كانت وراء ذلك الظلم هو بسبب تجاوز الحاكم الشرعي وهم الأئمة عليهم السلام في ذلك الوقت والإنقياد وراء المصالح الشخصية والقبلية، وعدم تحمل مسؤولية الصراع ضد الباطل وأهله(5).

وقوله عليه السلام: ونبأ(6) بهم سوء رعيهم، أي بسبب سوء سياستهم الجائرة التي

ص: 467

-
- 1- المسعودي، مروج الذهب، 61 / 2
 - 2- البحراني، شرح نهج البلاغة 427 / 2
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 166 / 1
 - 4- الراوندي، منهاج البراعة، 433 / 2؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 61 / 7
 - 5- شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، 201
 - 6- نبا، اختلف وشد وابتعد، ينظر، الجوهرى، الصحاح، 2500 / 6

انتهجوها مع الناس(1)، وبسبب تلك السياسة التي جعلت الناس ينقسمون إلى قسمين، قسم يبكي على ما أصاب الدين من تحريف وانكسار، والقسم الآخر يبكي على ما أصاب دنياه(2)، وورد ان عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار، فأمر عماله في البصرة وغيرها بأن يخرج جميع من لديهم أرض في القرى، فخرج الناس وعسكروا وأخذوا يبكون وينادون: (يا محمداه يا محمداه)، ولا يعرفون اين يذهبون(3)، نفهم من خلال الرواية ان سياسة الأمويين الجائرة التي انتهجوها هم وعمالهم والتي أجبر من خلالها اهل الذمة على السكن في القرى من أجل فرض الضرائب عليهم.

وروي أنه عند هزيمة عبد الرحمن بن الأشعث بمسكن(4)، أخذ الحجاج يقتل كل من وجد منهم حتى قتل أربعة آلاف، وجيء بعدد من رؤوسهم إليه، فأمر بوضعها على ترس وتقديمها إلى مسمع بن مالك(5)، فأخذ يبكي، فسأله

ص: 468

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 61 / 7

2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 427 / 2

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 381 / 6؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 200 / 4

4- مسكن، وهي اسم قرية قريبة من بلدة أوانا التي تقع على نهر الدجيل عند دير الجاثليق، وبه كانت الوقعة بين عبد الملك ومصعب بن الزبير سنة (72 هـ) وقبره هناك، وقيل مسكن قرية تقع بدجيل الأهواز وكانت فيها الوقعة بين عبد الرحمن بن الأشعث، والحجاج بن يوسف، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 128 / 5

5- مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب، وفد على عبد الملك وكان سيد بكر بن وائل بالبصرة، وكان سيداً شريفاً، وأقطعته عبد الملك قطيعة، وكان من المقربين لديه، وشهد مسمع بن مالك المشاهد كلها مع الحجاج مثل يوم ابن الأشعث والزواوية، ويوم دير الجماجم، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 155 / 58

الحجاج لماذا تبكي؟ أحرزنا عليهم؟ قال: (بل جزعاً عليهم من النار)(1).

وفي السياق ذاته جاء قول أمير المؤمنين عليه السلام:

(وحتى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه)(2)، بين ابن أبي الحديد في شرحه أن مراد الإمام عليه السلام من ذلك ان نصره أحدكم من أحدهم، أي انتصاره منه وانتقامه(3)، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، إذ سيكون حالكم في الإنتقام من ولاة بني أمية كحال العبد في انتقامه من سيده الذي يسيء التعامل معه(4).

ويتبين لنا من كلام الإمام عليه السلام بشأن حال الناس في ظل حكومة بني أمية، وما ستؤول الأمور إليه من الجور والظلم والإذلال في ظل فتنة بني أمية، وتمنى الناس الإنتقام من حكامهم، ولكنهم لا يستطيعون، وشبه حالهم بالعبد الذي يريد الإنتقام من سيده، فهو في حضوره يطيعه، وإذا ذهب عنه اغتابه وتكلم عليه، وجاء ان الحجاج أراد ان يحج فاستخلف ابنه محمداً على أهل العراق وخطب فيهم وقال إني أوصيته فيكم بخلاف ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأنصار، بأن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأنا أوصيته، بأن يقبل من محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم، ثم قال: (ألا إنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي، لا أحسن الله له الصحابة، وأنا أعجل لكم

ص: 469

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 383

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 166

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 62

4- الراوندي، منهاج البراعة، 1 / 434؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 62

الجواب: فلا أحسن الله عليكم الخلافة(1).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أمر الإمام عليه السلام الناس بأن يحسنوا الظن بالله تعالى، والتزام الصبر على ظلم بني أمية، وصرح بذلك قائلاً:

(وحتى يكون أعظمتكم فيها غناءً أحسنكم بالله ظناً، فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا، وإن ابتليتكم فاصبروا، فإن العاقبة للمتقين)(2)، إذ أن قصد الإمام عليه السلام من ذلك أن من كان توكله بالله وظنه به حسناً به سيكون بعيداً عنهم، فيكونون عليه أشد تكالفاً وأكثر طلباً له لغرض إلحاق الأذى به، ثم أوصاهم بأن يقبلوا بالعافية إذا أتتهم ويشكروا الله تعالى عليها وأراد بالعافية هو ابتلاء بعض الناس بشروء بني أمية وظلمهم أو بمن يدعو للخلاص منهم ومن تسلطهم(3).

ومما لا شك فيه أن الإمام عليه السلام من خلال قراءته لأوضاع الناس وما يعانونه من ظلم بني أمية، أوصاهم بالصبر على ذلك وأن يستغلوا أقرب فرصة متاحة لهم للتخفيف من وطأة وظلم بني أمية لهم، وروي أن أهل العراق لما بايعوا ابن الأشعث وخلعوا عبد الملك لاستعمال الحجاج عليهم، أرسل إليهم عبد الملك بأنه سيعزل الحجاج، ويساوي بينهم وبين أهل الشام في الأعطيات، فاجتمع ابن الأشعث بأصحابه وطلب منهم أن يقبلوا بعرض عبد الملك، وأن يگتنموا هذه الفرصة التي تبقى بها هيئتم أمام القوم، ولكنهم رفضوا ذلك وأعلنوا خلع عبد الملك ثانية(4).

ص: 470

-
- 1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5 / 305؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 12 / 171
 - 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 167
 - 3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 428
 - 4- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 7 / 91؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6 / 348؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 204

وفي الغرض نفسه أشار الإمام عليه السلام على من ابتلى منهم بفتنة بني أمية عليه بالإلتزام بالصبر، ووعدهم على ذلك بحسن العاقبة فيما بعد، وان الصبر من صفات المتقين(1)، كما جاء في الحديث الشريف:

(أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم فالأمثل)(2).

وفي خطبة أخرى من خطبه الشريفة في نهج البلاغة، بين أمير المؤمنين عليه السلام ما يحصل للأمة من عذاب وقتل وتشريد على يد بني أمية وانتشار ظلمهم في جميع المناطق القريبة والبعيدة والتي عبر عنها بيوت المدر والوبر، وأدخلوا الحزن والمأساة فيها، وهو ما عبر عنه في قوله عليه السلام:

(إلا وأدخله الظلمة ترحة وأولجوا فيه نقمة، فيومئذ لا يبقى لكم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر)(3)، وهو ما أشار إليه عن حال بني أمية وما يدخلونه عليهم من حزن وعذاب، وهو بذلك أخبر عن ملك بني أمية وأفعالهم(4)، وأنه بفعل أعمال بني أمية وطغيانهم وفسادهم في الأرض، فإن الله تعالى سيزيل دولتهم بعد ان لا يبقى لهم عاذر في السماء بسبب طغيانهم، ولا ناصر في الأرض(5)، وقد أخبر الله تعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بفتنة بني أمية(6)،

ص: 471

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 428

2- النسائي، السنن الكبرى، 4 / 352؛ الكليني، الكافي، 2 / 253؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 930

3- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 249

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 168

5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 257

6- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، 252

وتعزيزا لما ذهب إليه الصدوق فقد ذهب إليه بعض المفسرين(1)، بشأن فتنة بني أمية، كما ورد في قول الله تعالى:

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»(2).

وذكر ان سفيان بن الليل(3) جاء إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد ان سلم أمر الخلافة لمعاوية فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين وعاتبه على قيامه بهذا الأمر، فقال له الإمام الحسن عليه السلام:

(يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا تمسكنا به، وأني سمعت عليا عليه السلام قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة إلى رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر وإنه لمعاوية، وإني عرفت ان الله بالغ أمره(4)).

وقد شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مواطن الخلل التي أصابت المسلمين، وإبتلاءهم ببلاء بني أمية وظلمهم، وصرح عن ذلك بقوله:

ص: 472

1- القمي، تفسير القمي، 2/ 22؛ أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، 2/ 318؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، 6/ 111؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3/ 260؛ السيوطي، الدر المنثور، 4/ 191

2- سورة الإسراء، آية، 60

3- سفيان بن الليل وقيل سفيان بن أبي ليلى الكوفي، يكنى أبا عامر وكان من شيعة الإمام علي وابنه الإمام الحسن عليهما السلام، وروى عنهما، وحدث عن الإمام الحسن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (من أحبنا بقلبه وأعانتنا بيده ولسانه كنت انا وهو في عليين)، ينظر، ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، 3/ 53

4- الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، 2/ 128؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، 75؛ المجلسي، بحار الأنوار، 44/ 60

(أصفيتم بالأمر غير أهله وأوردتموه غير مورده)(1)، إذ خاطب الإمام عليه السلام أولياء هؤلاء الظلمة الذين آثروا ملك بني أمية، وأن قيامهم بذلك الإختيار جاء في غير موضعه وغير استحقاقه(2)، والمراد بغير أهله الذين هم أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى وأذهب عنهم الرجس(3).

ومما لا شك فيه ان ما يصيب المسلمين من ابتلاء وظلم من قبل بني أمية وأعاونهم هو نتيجة تفضيلهم بني أمية على أهل البيت في ولاية الأمر، وتركهم سبيل نجاتهم الذي حدده لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله:

(اني تارك فيكم الثقليين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)(4).

وجاء ان أمير المؤمنين عليه السلام خطب في المدينة خطبة بين في مضمونها ما قامت به الأمة من خداع نفسها باتباع طريق الباطل والحياد عن طريق الحق الذي يمثله الإمام عليه السلام وأهل بيته، وواعدهم بأنهم سينالون جزاء ما قاموا به من عدم اتباعهم له عليه السلام، على الرغم من معرفتهم أنه صاحب الأمر جاء فيها:

(أيها الأمة التي خدعت فانخدعت وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت واتبعت أهواءها وضربت في عشواء غوايتها وقد استبان لها الحق فصدت عنه والطريق الواضح فتكبتته، أما والذي فلق الحبة لو اقتبستم العلم

ص: 473

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 249

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 168؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 257

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 421

4- ابن حنبل، مسند أحمد، 3 / 14؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، 3 / 109؛ المفيد، الإرشاد، 1 / 233؛ البيهقي، السنن الكبرى، 7 / 31

من معدنه وشربتم الماء بعدوبته، وادخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتن من الحق نهجه لنهجت بكم السبل، وبتد لکم الأعلام وأضاء لکم الإسلام... لقد علمتم أني صاحبكم والذي به أمرتم وأنني عالمكم وبعلمي نجاتكم ووصي نبيكم وخيرة ربكم ولسان نوركم والعالم بما يصلحكم، فعن قليل سينزل بكم ما وعدتم وما نزل بالأمة قبلكم... (1).

ومما لا شك فيه ان ما نزل من ظلم وعذاب بني أمية في الأمة كان بسبب عدم إطاعتهم لأمر المؤمنين عليه السلام وأهل بيته من بعده، الذي بينوا لهم سبيل الحق والنجاة، لكنهم اتقادوا وراء أهوائهم ورغباتهم الدنيوية فجرّتهم إلى ما نالهم من ظلم بني أمية، ومن الأسباب الرئيسة أيضاً هو ما بينه أحد الباحثين، وهو عدم إحقاق الحق وإنصاف أهل البيت عليهم السلام وصرفهم عن موقعهم الطبيعي في الأمة وإيكال الأمر إلى من ليس لهم من الإسلام شيء سوى الاسم، واتخاذهم وسيلة للوصول إلى مآربهم الدنيئة في التسلط على رقاب المسلمين (2).

ص: 474

1- الكليني، الكافي، 8 / 32؛ المجلسي، بحار الأنوار، 28 / 240

2- الحصونة، رائد حمود، أهل البيت عليهم السلام مكانتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم من خلال كتاب نهج البلاغة، 22

المبحث الثاني إخبار الإمام علي عليه السلام بنهاية دولة بني أمية

وزوالها أولاً: إعتقاد الناس باستمرار ظلم بني أمية تحدث أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً عن نهاية دولة بني أمية وزوالها، وأن الأمر سيصير إلى أعدائهم، إذ كان الأمويون ينظرون إلى الأمر كأنه ملك لهم يتوارثونه ويتصرفون به كيفما يشاؤون، فكانت علاقتهم مع الناس مبنية على أساس السيادة والإمرة عليهم، وقد توضح ذلك جلياً في قول معاوية عندما دخل إلى الكوفة:

(إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وانتم كارهون)⁽¹⁾.

وفي الوقت الذي ظن الناس فيه استمرار دولة بني أمية، وعدم زوال ظلمهم، جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليبين للناس بأن دولتهم ستزول، وستحل

ص: 475

1- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، 45؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، 2/157

محلها دولة أخرى، إذ ورد في ذلك قوله عليه السلام:

(حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بني أمية، تمنحهم درها، وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها)(1)، إذ ذكر البحراني في شرحه: (أراد الإمام عليه السلام أن يبين حال بني أمية، وطول مدتهم وبلاء الناس بهم، وأراد بقوله: يظن الظان غاية من غايات طول الناس معهم، واستعار للدنيا أوصافاً مثل الناقة كونها محبوسة في أيديهم، كما تحبس الناقة بالعقال، وكونها ذات در تمنحهم إياه وشبه ذلك بالناقة لما بها من فوائد، وخيرها تمنحه لهم ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها، ولا سيفها)(2)، وإن ظن بعض الناس بأن جور الأمويين وخوضهم في دماء الناس سيدوم إلى الأبد(3)، وقد جاء إخبار الإمام ورؤيته المستقبلية لنهاية دولتهم لتكذيب الذين يظنون ببقاء دولتهم وعدم زوالها.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة جاء قوله عليه السلام:

(وكذب الظان لذلك، بل هي مجة من لذيذ العيش، يتطمعونها برهة، ثم يلفظونها جملة)(4)، وجاء قول الإمام عليه السلام هذا ليؤكد كذب وتوهم بعض الذين ظنوا بأن ملكهم سيدوم إلى النهاية، لكن الله مالك الملك يوتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء(5)، وفي الحقيقة ان تصريح أمير المؤمنين عليه السلام بزوال دولة

ص: 476

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 137

2- شرح نهج البلاغة، 2 / 315

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1 / 441

4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 137

5- التستري، بهج الصباغة، 6 / 101

بني أمية جاء ليرفع الفكرة التي طغت على عقول بعض الناس وأفكارهم بأن دولة بني أمية باقية لا تزول، وان هذه الأفكار التي خيمت على عقول الناس هي نتيجة حتمية تولدت بفعل الظلم الذي كان سائداً في ظل دولتهم.

روي أن سالم بن أبي حفصة(1)، كان مختفياً في الكوفة من بني أمية، وعند بيعة أبي العباس السفاح، خرج من الكوفة محرماً، وأخذ يلبي قائلاً: (ليك اللهم ليك قاصم بني أمية ليك)، حتى وصل إلى مكة(2)، نستنتج مما تقدم ان ظن بعض الناس استمرار حكم وظلم بني أمية يبدو أنه جاء من شدة ما عانوه خلال مدة حكمهم من إرهاب وقتل، وكذلك تسلطهم على رقاب الناس بالشكل الذي جعل الكثير منهم يعتقد بقاء واستمرار حكمهم، ولكن الله تعالى أهلكتهم وسلب سلطانهم.

وأشارت إحدى الباحثات بأن معرفة وإدراك أمير المؤمنين عليه السلام لما يدور في أذهان الناس بدوام ملك بني أمية هو توثيق لهذه الأفكار التي تدور في أذهانهم ومستقبلها(3).

وبعد ذلك جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليصف لنا مدة بقائهم في السلطة بقوله:

(بل هي مجة من لذيذ العيش، يتطعمونها برهة، ثم يلفظونها جملة)(4)،

ص: 477

-
- 1- سالم بن أبي حفصة، وأبو حفصة اسمه زياد، ويكنى ابا الحسين، وهو من أهل الكوفة و مولى بني عجل وروى عن الإمام علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليه السلام، وتوفي سنة (137 هـ)، ينظر، النجاشي، رجال النجاشي، 188
 - 2- الطوسي، رجال الطوسي، 502 / 2
 - 3- اللامي، التوثيق التاريخي في نهج البلاغة، 209
 - 4- محمد عبده، نهج البلاغة، 137 / 1

المجعة، هي مجاعة الشيء وعصارتة(1)، وهو تشبيه لبني أمية لمدة تلذذهم بالشيء الذي حصلوا عليه في خلافتهم(2)، أي أنهم استلذوا بالعيش في مدة خلافتهم وإمرتهم على الناس بما استولوا عليه من أموال المسلمين وإدارة الولايات التي ذهبت عنهم فيما بعد، وورد أن عبد الملك بن مروان عمل لإبنته فاطمة ثوباً منسوجاً بالذهب، ومرصعاً بالدر والياقوت، بحيث أنفق عليه مائة ألف دينار(3).

وأراد عليه السلام بقوله: يتطعمونها برهة، ويقذفونها جملة، أن بني أمية سوف يستلذون في مدة خلافتهم مدة قصيرة، وبعد ذلك سيزول ما في أيديهم دفعة واحدة لا يبقى لهم من الأمر شيء(4)، روي أن سليمان بن عبد الملك كان يشرب بالقرب من رصافة أبيه في أيام يزيد بن الوليد ويغنيه الحكم الوادي(5)، فغلبهم النوم ففرغ سليمان بعد ذلك وهو يقول: (رأيت كأني في مسجد دمشق وكأن رجلاً في يده خنجر وعليه تاج، أرى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات:

أبني أمية قد دنى تشيتكم *** وذهاب ملككم وأن لا يرجع

ص: 478

-
- 1- الزبيدي، تاج العروس، 481
 - 2- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 316
 - 3- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 2 / 132
 - 4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6 / 296؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 316
 - 5- الحكم بن ميمون ويقال بن يحيى بن ميمون، أبو يحيى الفارسي الملقب بحكم الوادي، مولى عبد الملك ويقال مولى الوليد بن عبد الملك، وهو من أهل وادي القرى، وكان جمالا ينقل الزيت من المدينة إلى بلاد الشام، وكان قد اشتهر بالغناء، وتوفي في خلافة هارون الرشيد، ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 6 / 280؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 15 / 60

وينال صفوته عدو ظالم *** للمحسنين إليه ثم يفجع بعد الممات بكل ذكر صالح *** يا ويله من قبح ما قد يصنع (1).

جاءت الرواية فضلاً عن الأبيات الشعرية لتبين قصر مدتهم وزوال ملكهم فيما بعد، بعدما تمتعوا في حياتهم وأذاقوا الناس آلام العذاب والحرمان الذي كان يصيبهم من جراء جورهم.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأن الله تعالى سيفرج عنهم هذه الفتنة وذلك بقوله عليه السلام:

(ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم) (2)، أي بعد ما عانوا من ظلم وجور في ظل دولة بني أمية فإن الله تعالى سيفرج عنهم ذلك الهم والحزن كما يكشف الجلد عن اللحم (3). إن أخبار الإمام عليه السلام بزوال ظلم دولة بني أمية جاء ليدل على رؤية مستقبلية لواقع الأمة وما سيجري على الأمويين من زوال دولتهم وملكهم فيما بعد بسبب ظلمهم للناس.

ثانياً: نهاية دولة بني أمية وزوال دولتهم وردت الكثير من الروايات التي أخبر بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن نهاية دولة بني أمية وزوال ملكهم، بعدما حكموا المسلمين أكثر من تسعين سنة، مارسوا فيها كل أنواع الظلم والعذاب والجور والتعسف بحق كل من يعارضهم ولا يتماشى مع سياستهم، ومما جاء في هذا الشأن قول الإمام عليه السلام:

ص: 479

1- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 209؛ ابن أبي الحديد، 7/ 108

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 1/ 161

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 44

(لا يزال بلاء بني أمية شديداً، حتى يبعث الله العصب(1) مثل قزع(2) الخريف، يأتون من كل وجه لا يستأمرون أميراً، ولا مأموراً، فإذا كان ذلك أذهب الله ملك بني أمية(3)).

وفي أكثر من موضع في نهج البلاغة أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ما سيحل بدولة بني أمية وما يلحق بهم من قبل أعدائهم، وسيؤدي ذلك إلى زوال ملكهم وذهاب دولتهم، إذ ورد قوله في هذا الصدد:

(وسينتقم الله ممن ظلم مأكلاً بمأكل ومشرباً بمشرب، من مطاعم العلقم ومشارب الصبر والمقر، ولباس شعار الخوف ودثار السيف(4)، إذ أن الإمام عليه السلام أراد بيان ما سيحل في بني أمية فيما بعد، بأن الله تعالى سينتقم منهم ويستبدل مآكلهم اللذيذة وما كانوا يتطعمون به بمآكل علقمية غير سائغة في أفواههم(5)، وأراد بالمقر أي المر(6)، وقصد الإمام عليه السلام من ذلك بيان ما يلاقه بنو أمية من مرارة تجرعهم الصبر والمر، وما يعانونه من شدة القتل والتعذيب على يد أعدائهم، ومدى تأثرهم بذلك العذاب عندما تزول دولتهم ويذهب ما كان في أيديهم من سلطان(7)، وجعل شعارهم أي لباسهم الخوف مما سيحل

ص: 480

-
- 1- العصب، هي جمع عصابة كالعصابة، ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 3 / 244
 - 2- قزع، هي قطع السحاب، الواحدة هي رقيقة الظل تمر تحت السحاب الكثير، ينظر، الفراهيدي، العين، 1 / 132
 - 3- المروزي، الفتن، 113؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11 / 365
 - 4- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 249
 - 5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 168
 - 6- ابن منظور، لسان العرب، 5 / 182
 - 7- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 257

بهم لأنه في باطن قلوبهم، ودفنهم السيف، أي ما كان ظاهرًا في البدن، كما ان الشعار ما كان إلى الجسد، والدفن ما كان فوقه(1).

وروي أن أبا العباس السفاح لما جلبوا إليه رأس مروان بن محمد، سجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال: (الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك، والحمد لله الذي ظفرتني بك، وأظفرتني عليك، ثم قال: ما أبالي متى طرفني الموت قد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي)(2).

ان النص الوارد يبين لنا حال بني أمية في ظل دولة بني العباس الذين سلطهم الله تعالى عليهم يقتصون منهم ويقتلونهم، وفي الوقت نفسه استخدم العباسيون ذلك بوصفه دعاية سياسية للوصول إلى السلطة وجعل الناس من المواليين لآل علي عليه السلام إلى جانبهم في بداية عهد الدولة، وإلا فإنهم أشد وطأة من الأمويين على آل البيت عليهم السلام، إذ قاموا بقتل أكثر من إمام بالسم، وقاموا بجرف قبر الحسين عليه السلام وتغييبه إلا أنهم فشلوا في ذلك، وهكذا بالنسبة إلى كل من عارضهم من آل علي عليه السلام إذ قتلوهم تحت كل مدر وملاؤوا بهم السجون(3).

ثم بين لنا أمير المؤمنين عليه السلام ما سيجري على بني أمية بسبب أفعالهم التي قاموا بها، فجاء قوله:

ص: 481

-
- 1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 168؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 249
 - 2- المسعودي، مروج الذهب، 2 / 239؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 104
 - 3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9 / 185؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 14 / 346؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 17 / 18

(وإنما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام)⁽¹⁾، إذ وصفهم الإمام عليه السلام بهذه الصفات التي كانوا يتصفون بها، فهم مطايا⁽²⁾ الخطيئات وزوامل⁽³⁾ الآثام، أي بما كانوا يحملونه من الذنوب والخطايا التي أدت بهم إلى هلاكهم وانتهاء دولتهم⁽⁴⁾.

روي أن أبا جعفر المنصور طلب من عبد الله بن مروان بن محمد⁽⁵⁾، أن يروي له قصته مع ملك النوبة⁽⁶⁾ عندما هرب إليها، فقال له: (سألني عن سبب شربنا الخمر التي هي محرمة في ديننا فقلت له ان عبيدنا وأتباعنا فعلوا ذلك وهم يجهلون، وسألني عن لبسنا للحرير والذهب وهي محرمة، فأجبتة بأن العجم دخلوا ديننا فلبسوا ذلك على كره منا، فأخذ يقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا علينا، ثم قال ليس ما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم

ص: 482

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 249

2- مطايا، التمطي مأخوذ من المطو أي المد، يقال: إمتطيتها أي اتخذتها مطية، ينظر، الجوهري، الصحاح، 6 / 2494

3- زوامل الآثام، وهي جمع زاملة وهي البعير يستظهر الإنسان يحمل متاعه عليه، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 11 / 310

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 168

5- عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، يكنى أبا الحكم الأموي، كان أبوه عقد له الخلافة من بعده، ويعد مقتل مروان بن محمد هرب عبد الله إلى بلاد النوبة وتم القبض عليه من قبل العباسيين ومات في السجن، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 33 / 35

6- النوبة، وهي بلاد واسعة عريضة في جنوب مصر، وأهلها من النصارى وهم أهل شدة في العيش وكان عثمان بن عفان صالحهم على أربعمئة رأس في السنة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 / 309

الله، وركبتم ما عنه نهيتهم، وظلمتم في ما ملكتم فسلبكم الله، وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم تقمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم في بلدي فينالني معكم، فتزود ما احتجت إليه وارحل عن أرضي(1).

نستشف من الرواية المذكورة عدة أمور منها:

1- ان بني أمية قد قاموا بممارسة المحرمات التي تم النهي عنها في الكتاب والسنة.

2- كذلك ظلمهم وتسلبهم على الناس وسلبهم حقوقهم والتعدي عليها، فكل ذلك أدى بهم إلى ان يَدَلَّ الله تعالى ما في أيديهم من ملك.

ثم أخبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بنهاية دولة بني أمية وكيفية انتزاع الملك من أيديهم، بقوله:

(فأقسم ثم أقسم، لتنخمنها أمية من بعدي كما تلفظ النخامة، ثم لا تذوقها ولا تتطعم بها أبداً ما كر الجديدان(2)، ان مراد الإمام عليه السلام من قوله لتنخمنها(3) أمية أي معناه زوال الخلافة عنهم فيما بعد، وقذفوها كما تقذف النخامة من الصدر، وعدم رجوعها إليهم مرة اخرى(4)، وأراد بالجديدين هنا الليل والنهار، وهو تشبيه عن المدة التي أخبر بها الإمام عليه السلام لحدوث ذلك الامر(5).

ص: 483

-
- 1- ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، 234؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 38 / 119؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 128؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 1 / 207
 - 2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 250
 - 3- النخامة، بالضم النخاعة، يقال: تنخم الرجل إذا نخع، ينظر، الجوهري، الصحاح، 5 / 2040
 - 4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 258
 - 5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 169

وروي أن مروان بن محمد وقف يوم الزاب(1)، وقام بإخراج الأموال للناس يحثهم على القتال، وهو يأمرهم بالصبر والقتال مقابل إعطائهم الأموال، فانشغل الناس بالأموال وتركوا القتال، فقام بمنعهم من ذلك عن طريق إرسال ابنه عبد الله وأمره بأن يقتل كل من أخذ من ذلك المال، فصاح الناس الهزيمة الهزيمة، فأنهزموا وأصبحت الغلبة لأصحاب عبد الله بن علي وانتصروا عليهم(2).

وكان من نتيجة ذلك خروج الملك من بني أمية وعدم عودته إليهم على الرغم من قيام مروان بن محمد بتوزيع الأموال التي حاول بها ترغيب الناس وتشجيعهم على قتال عدوهم، أملاً منه باستعادة السيطرة على الأمر والحفاظ عليه من الضياع، ولكن ذلك الأمر لم ينفع معهم، روي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال كلاماً يصف فيه حال بني أمية:

(لا يزال هؤلاء القوم آخذين بشيخ(3)، هذا الأمر ما لم يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا فيما بينهم خرجت منهم، فلم تعد إليهم إلى يوم القيامة(4)، أي

ص: 484

1- يوم الزاب، وهو اليوم الذي هُزم به الأمويين بقيادة مروان بن محمد الملقب بالحمار آخر خليفة أموي، علي يد العباسيين بقيادة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، وهرب مروان بن محمد إلى مصر وأُسِرَ في منطقة بوضير في صعيد مصر وقتل هناك، وذلك سنة (132 هـ)، للمزيد من التفاصيل، ينظر، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 122 . 279؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7 / 438؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 8 / 335

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5 / 71؛ ابن أبي الحديد، 7 / 121

3- ثبج، أعلى الظهر من كل شيء، ينظر، الفراهيدي، العين، 6 / 99؛ ابن منظور، لسان العرب، 2 / 219

4- المروزي، الفتن، 110؛ ابن طاووس، الملاحم والفتن، 84؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 11 / 364

وفي موضع آخر من نهج البلاغة شخص الإمام عليه السلام أحد الأسباب التي تؤدي إلى زوال دولة بني أمية، ألا وهو الاختلاف فيما بينهم وتنازعهم على السلطان، وكان ذلك من أهم العوامل التي عجلت بزوال دولتهم وانتهاء طغيانهم، إذ ورد قول الإمام عليه السلام في هذا الشأن:

(إن لبني أمية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم)⁽¹⁾، إن المرود هو مفعول من الإرواد وهو الإمهال⁽²⁾، إذ أراد الإمام عليه السلام أن يشبه المهلة التي فيها بنو أمية بالمضمار الذي يجرون فيه، وإن دولتهم لم تزل على الاستقامة حتى تم الاختلاف فيما بينهم⁽³⁾، واستمرت دولتهم على الاستقامة حتى وفاة هشام بن عبد الملك، إذ بدأ الصراع فيما بينهم على السلطة، وأقتتلوا فيما بينهم، ونهبت أموالهم فيما بينهم، فكان الغالب منهم يستولي حتى على أثاث البيت، ويقوم بسجن وتشريد أولاد خصمه⁽⁴⁾.

وحين تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125 هـ - 126 هـ / 743 م - 744 م) الخلافة، ثار عليه كل من يزيد بن الوليد بن عبد الملك (126 هـ - 126 هـ / 744 م - 744 م)، وإبراهيم بن الوليد (126 هـ - 127 هـ / 744 م - 745 م)، وفي الوقت نفسه خرج دعاة بني العباس في خراسان، وأقبل مروان بن محمد من الجزيرة لطلب الخلافة، فقام بخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل عددًا من بني أمية وأدى

ص: 485

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 596

2- ابن منظور، لسان العرب، 3 / 190

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 431؛ محمد عبده، نهج البلاغة، 4 / 596

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 4 / 479

ذلك إلى اضطراب الأوضاع في الدولة، وهذا ما أدى إلى زوال دولتهم على يد أبي مسلم الخراساني، الذي كان في بدء أمره أضعف الخلق وأشدهم فقراً، وجاء ذلك ليصدق قول الإمام عليه السلام ثم كادتهم الضباع لغلبتهم(1)، والمراد بقوله كادتهم الضباع، أي غلبتهم وقهرتهم الضباع دون الأسود(2).

نستشف من ذلك وطبقاً لما أورده أمير المؤمنين عليه السلام وبينه الشراح أن نهاية دولة بني أمية بدأت منذ بدأت الصراعات فيما بينهم على السلطة، بعد وفاة هشام بن عبد الملك إذ اراد كل واحد منهم أن يحصل على مبتغاه، وهذا ما أدى إلى تزعزع الأوضاع والانقسام في داخل البيت الأموي، وانتهيار دولتهم فيما بعد على يد العباسيين، ولكن يمكن ان تكون الصراعات التي حدثت في نهاية خلافة سليمان بن عبد الملك (96 هـ - 99 هـ / 715 م - 717 م) على السلطة وتنصيب عمر بن عبد العزيز (99 هـ - 101 هـ / 717 م - 719 م) بعهد منه، بدلا من أخيه يزيد بن عبد الملك (101 هـ - 105 هـ / 719 م - 723 م)، ورفض الأخير بيعه عمر بن العزيز إلا تحت التهديد(3)، ومحاولة عبد العزيز بن الوليد(4) أخذ البيعة لنفسه عندما سمع بموت سليمان بن عبد الملك، هي بداية الضعف الذي عصف بالدولة الأموية والانغماس بالملذات بعيدا عن ترتيب امور الدولة وكثرة الثورات الداخلية وخاصة في عهد يزيد بن عبد الملك.

ص: 486

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 431 / 5

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 596 / 4

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 551 / 6 - 552؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 314 / 4

4- عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أراد أبوه الوليد خلع أخيه سليمان وإعطاءه ولاية العهد، وقيل اراد ان يجعل العهد له بعد أخيه سليمان، وولاه موسم الحج وولاية دمشق في ايام حياته، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 368 / 36

ثالثاً: ظهور دولة بني العباس لم يقتصر إخبار الإمام علي عليه السلام للمسلمين على ما سيصيبيهم من الظلم والجور من قبل الأمويين، وتقنيد ظن الناس بأن ظلمهم لن يزول، ولكنه أخبرهم أيضاً بأن الله تعالى سيفرج عنهم هذه المحنة، وجاء ذلك من خلال ما أخبر به في نهج البلاغة، إذ ورد قوله في إحدى خطبه:

(ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبرة، لا يعطيهم إلا السيف، ولا يحلسهم إلا الخوف)(1)، أي ان الإمام عليه السلام قد واعدهم بعد ما عانوا من ظلم من بني أمية أن الله تعالى سيفرج عنهم ذلك الغم والحزن، كما يكشف الجلد عن اللحم(2)، وهي إشارة واضحة من الإمام عليه السلام إلى زوال دولة بني أمية، وظهور دولة بني العباس، وتتبعهم وإستئصالهم أينما حلوا، وخلص المؤمنين منهم، وقد اذاقهم بنوالعباس الذل والهوان، وعذبوهم أنواع العذاب، وهو ما عبر عنه الإمام عليه السلام بكأس مصبرة(3)، وقوله عليه السلام لا يحلسهم إلا الخوف، أي جعل لباسهم الخوف والرعب من شدة ما لاقوه من العذاب من قبل العباسيين(4).

وفي جانب آخر يصور لنا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له رغبة الأمويين في حكمه بدلا من بني العباس بسبب ما لحق بهم من العذاب من قبل العباسيين،

ص: 487

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 161

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 44

3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 410

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 44

إذ ورد قوله: عليه السلام في هذا الشأن:

(فعند ذلك تود قريش لو يروني مقاماً واحداً ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوني) (1)، هنا يصور الإمام عليه السلام الحالة التي عليها بنو العباس وتغلبهم على الأمر، تقابلها حالة الضعف والتردي التي يعيشها الأمويون وعدم القدرة على محاربة بني العباس، وتمنيهم رؤية أمير المؤمنين عليه السلام مكانهم ولو لمدة قصيرة، كمدة ذبح البعير أو الشاة، على الرغم من شدة بغضهم وكراهيتهم له (2)، وهذا ما صرح به مروان بن محمد آخر خليفة أموي في يوم الزاب حينما رأى عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس (3) على جند خراسان وتمنيه رؤية الإمام علي بن أبي طالب تحت هذه الرايات، بدلاً من عبد الله بن علي (4).

وقد علق محمد جواد مغنية على ذلك بأن الإمام عليه السلام رضي بالسكوت لا له ولا عليه فأبوا وحاربوه بكل سلاح، ولما انتقل إلى ربه تمنوا لو حكمهم دون غيره، لأنه صاحب دين، لا طالب دنيا باعتراف الأمويين أنفسهم (5)، ومما

ص: 488

1- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 161

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 44؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 2 / 410

3- عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، وهو الذي افتتح دمشق وهدم سورها، وتولى قتال مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وكان ابو العباس السفاح قد جعله ولي عهده، وعند موت السفاح دعا عبد الله بن علي الى نفسه، فوجه إليه ابو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه، ينظر، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 31 / 54

4- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، 116؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7 / 44؛ المجلسي، بحار الأنوار، 34 / 124

5- في ظلال نهج البلاغة، 2 / 60

لا شك فيه ان الأمويين قد ذاقوا وبال أمرهم بسبب ما فعلوه بالمسلمين عامة، وبأهل البيت خاصة، وهي ومن ثم نتيجة طبيعية لما زرعوا من ويلات في نفوس المسلمين، فانتقم الله تعالى منهم وسلط عليهم أعداءهم ممن يسومهم سوء العذاب ويقوم بقتلهم أينما كانوا.

وروي ان سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس(1)، قتل جماعة من الأمويين عليهم الثياب الموشية بالزينة، وأمر بجرهم من أرجلهم وألقوا بهم في الطريق فأكلتهم الكلاب، فلما رأى بنو أمية ذلك العمل اشتد خوفهم، وتشتت شملهم واختفى الكثير منهم ممن استطاع ذلك(2).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أقسم الإمام عليه السلام بشأن زوال دولة بني أمية من قبل أعدائهم، إذ ورد قوله في هذا الصدد:

(فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم)(3)، وجاء قسم الإمام عليه السلام هنا، مخاطباً بني أمية ليؤكد لهم زوال دولتهم وانتزاع ملكهم على يد أشد أعدائهم وهم بنو العباس، فبعد بقاء ملكهم قرابة تسعين عاماً عاد مرة أخرى إلى أصحابه وهم البيت الهاشمي، وانتقم الله تعالى منهم شر انتقام(4)، ويمكن الرد على ابن أبي الحديد في مسألة

ص: 489

-
- 1- سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا أيوب ويقال أبا محمد الهاشمي، أحد أعمام السفاح، حدث عن ابيه وعكرمة، وتولى موسم الحج في خلافة العباس، وولي البصرة في خلافته وخلافة المنصور، وتوفي سنة (141 هـ) وقيل سنة (142 هـ)، ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، 248 / 15
 - 2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 78 / 5
 - 3- محمد عبده، نهج البلاغة، 175 / 1
 - 4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 96 / 7

عودة الأمر إلى أصحابه، فلم يكن بنو العباس هم أصحاب الأمر الحقيقيون فأصحابه الحقيقيون هم أبناء الإمام علي عليه السلام، نعم كلاهما من البيت الهاشمي ولكن هناك فرقاً واسعاً بين البيتين من كافة النواحي.

وروي ان عبد الله بن علي قام بهدم قصر مروان بن محمد الذي أنفق عليه عشرة آلاف درهم، فضلاً عن احتوائه على خزائن مروان وأمواله(1). ويبدو ان العباسيين قد عملوا على استئصال وإزالة حتى الآثار المادية للأمويين فضلاً عن ما قاموا به من قتل العديد منهم، وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في دار عدوكم التي يقصد بها الكوفة التي اعتمدها العباسيون مركزاً لحكمهم في بداية الأمر والتي اطلقوا عليها بهاشمية الكوفة.

ومن بين ما ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام هو مسألة تفرق أصحابه وشيعته عنه ثم اجتماعهم على قتال بني أمية، إذ ورد في هذا الشأن قوله:

(افترقوا بعد ألفتهم، وتشتتوا عن أصلهم، فمنهم أخذ بغصن أينما مال مال معه)(2)، إذ تناول الإمام عليه السلام أمر أصحابه وشيعته وتفرقتهم وابتعادهم بعد الفتح واجتماعهم، والمراد بالأصل مفارقتهم له(3)، بحيث انقسموا إلى فرق عديدة وأحزاب، ومن هذه الأحزاب هم الخوارج وغيرهم، ولم يتمسك بكتاب الله تعالى وعترته نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلا قليل منهم، كما أوصى بذلك(4)، وجاء ان شيعة ولد العباس بن عبد المطلب في خراسان وغيرهم، يرون أن الإمامة

ص: 490

1- المسعودي، مروج الذهب، 2 / 228

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 267

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 217

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 482

من بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم تكون إلى العباس بن عبد المطلب لأنه عمه ووارثه، ويستندون في ذلك إلى قول الله تعالى:

«وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»⁽¹⁾، إذ بين بعض المفسرين ان المراد من ذلك أن المؤمنين أولى بعضهم ببعض ميراثاً في حكم الله، وقد كانوا يتوارثون بالهجرة، فنسخ الله تعالى ذلك إلى التوارث بالقرابة⁽²⁾، وهم يرون جواز بيعة الإمام علي عليه السلام وذلك لقول العباس بن عبد المطلب لأmir المؤمنين عليه السلام: (يا ابن أخي هلم إلي ان أبيعك فلا يختلف عليك اثنان)⁽³⁾، وعلى هذا الأساس اتخذ العباسيون من الآية القرآنية الكريمة بوصفها حجة التزموا بها للمطالبة بالخلافة بوصفهم حسب رأيهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم أقاربه.

وأراد بقوله عليه السلام:

(فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه) أي اختلفوا فيما بينهم، فبعضهم تمسك بما أوصى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأهل بيته وعترته، يسلكون معهم السبل أينما سلكوا، أما البعض الآخر فكان بخلاف ما ذكر⁽⁴⁾.

وفي السياق ذاته جاء قوله عليه السلام:

(على أن الله سيجمعهم لشر يوم لبني أمية، كما يجتمع قزح الخريف)⁽⁵⁾، أي

ص: 491

1- سورة الأنفال، آية 75

2- الطوسي، التبيان، 5 / 165؛ السمعاني، تفسير السمعاني، 4 / 260؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 14 / 123؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 3

69 /

3- المسعودي، مروج الذهب، 2 / 220

4- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 482

5- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 267

مراد الإمام عليه السلام ان الله تعالى سيجمعهم لشر يوم وهو لقتال بني أمية سواء من ثبت على عقيدته وولائه لعلي بن أبي طالب عليه السلام أم لم يثبت، وهذا ما قام به الشيعة الهاشمية، حيث اجتمعوا على قتال وإزالة ملك بني أمية، وكان ذلك أواخر أيام مروان بن محمد، عندما ظهرت الدعوة العباسية(1)، مع ان الدعوة العباسية ظهرت منذ بداية القرن الثاني الهجري أي قبل ايام مروان بن محمد بمدة طويلة، ونستشف من ذلك ان سقوط الدولة الأموية ما كان ليتم لولا إجتماع كلمة معارضيهم من ولد العباس بن عبد المطلب(2)، وبسبب ما كان يعاينه البيت الأموي من فرقة وشتات فيما بينهم.

وروي أنه قيل لبعض بني أمية، ما سبب زوال دولتكم ومللكم؟ فأجابوا بسبب اختلاف فيما بيننا، واجتماع المختلفين عليهم(3)،

.....

ص: 492

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 217/9؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 294/3

2- حيث اعتمد الدعاة العباسيون في جمع اتباعهم على الصحيفة الصفراء التي يدعون إنها أتتهم من جهة محمد بن الحنفية من أمير المؤمنين عليه السلام والتي يتوضح فيها علم الرايات السود القادمة من خراسان ومتى يكون أمرها ومن هم أتباعها، ووجه العباسيون دعواتهم إلى الآفاق وذلك سنة مائة لنشر دعوتهم فوصلت الكتب والرسائل إلى محمد بن علي القائم بأمر الدعوة العباسية ليتعرف عليهم، وكانت دعوتهم إلى الرضا من آل محمد وإذا سألوا عن اسمه، قالوا: أمرنا بكتمان اسمه، وبعدها اخذت دعوتهم بالانتظام أكثر وذلك على يد أبي مسلم الخراساني، فأصبح لهم أتباع كثيرون، وكان اسلوب الدعاة بنشر الدعوة بزي التجار، حتى لا تعلم بهم السلطة الأموية، وهذه كانت البدايات الأولى لبدء الدعوة العباسية التي سارت بدون أي عنف يذكر إذ كان هدفها جمع أكبر عدد ممكن من الناس في مواسم الحج والتجارة، ينظر، الدينوري، الأخبار الطوال، 343؛ مؤلف مجهول، اخبار الدولة العباسية، 184 - 180، 194؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 322/4؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، 16/

3- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 218/5

وجاء أن أبا مسلم(1)، أوصى قواده بأن لا يكلموا الناس إلا بالإشارة، ولا ينظروا إليهم إلا نظرة غضب، لكي تمتلئ صدورهم هيبة منهم(2)، وأراد بقوله عليه السلام: كما تجتمع قزع الخريف، ومراده عليه السلام في ذلك هو اجتماع كلمة المسلمين فيما بينهم بعد تفرقهم على قتال بني أمية، كما تجتمع الغيوم فيما بينها(3).

وفي المعنى ذاته ورد قول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً أصحابه وفيه إشارة من قبل الإمام إلى نهاية دولة بني أمية وذلك بقوله:

(فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزميتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، وأيم الله، لوفرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم(4)، إذ ان المراد من قول الإمام عليه السلام هو بسبب تخاذل أصحابه عن مجاهدة عدوهم وتمكن الظلمة منهم، والمقصود بالظلمة هنا هو معاوية بن أبي سفيان الذي سلمت له أمور بلاد الإسلام ليتحكم فيها، وكان عملهم مبنياً على وفق آرائهم الفاسدة والباطلة التي يتحججون بها، وانغماسهم في الشهوات(5)، ثم أقسم عليه السلام ان أهل الشام لو فرقوكم تحت كل

ص: 493

-
- 1- أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الخراساني القائم بالدعوة العباسية، ويعد من قادة الدعوة العباسية ومؤسس دولتها وكان يدعو إلى رجل من بني هاشم هو إبراهيم الإمام، فارسه إلى خراسان ليدعو له، وعمل إلى جنب العباسيين وازالوا الدولة الأموية، وقتله المنصور سنة (137 هـ) وقيل (136 هـ)، ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3 / 145
 - 2- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 5 / 224
 - 3- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 294؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2 / 482
 - 4- محمد عبده، نهج البلاغة، 1 / 178
 - 5- البحراني، شرح نهج البلاغة، 5 / 35

كوكب سوف يجمعكم الله لشر يوم لهم، وهو إشارة إلى ظهور المسودة(1) من العراق وخراسان للإنتقام من بني أمية وأهل الشام(2).

من خلال ما تقدم يتضح لنا بأن أصحاب معاوية يعملون بالشبهات ويسرون عليها بدون حق يذكر، والمبدأ الذي يسرون عليه مبني على مخالفة الحق والسير على طريق الباطل وكل ما يحقق غاياتهم، ويسبب ظلمهم سوف ينتقم الله منهم وذلك من خلال اجتماع من ظلموهم من الناس عليهم وهو مصداق قوله تعالى:

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ، وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ، وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»(3).

وفي الصد ذاته ورد قوله عليه السلام:

(يؤلف الله بينهم، ثم يجعلهم ركماً كركام السحاب، ثم يفتح لهم أبواباً من مستثارهم كسيل الجنيتين، حيث لم تسلم عليه قارة(4)، ولم تثبت عليه أكمة، ولم يرد سننه رصد طود، ولا حداب أرض)(5)، إذ ان مراد الإمام عليه السلام هو اجتماع

ص: 494

-
- 1- المسودة، هو الأسم الذي عرف به العباسيون لأنهم اتخذوا السواد شعاراً لهم، وكانت رايتهم سوداء، ينظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 158/2؛ المروزي، الفتن، 115؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 282/2؛ المزي، تهذيب الكمال، 21/19
 - 2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 139/7؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، 36/3
 - 3- سورة إبراهيم، آية، 13 - 15
 - 4- القارة، هي الجبل الصغير، ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 368/1
 - 5- محمد عبده، نهج البلاغة، 268/2

المسلمين كركام السحاب على قتال بني أمية، بعد اجتماع آرائهم التي تكون من أسباب غلبتهم، وإعانة بعضهم البعض في الأنفس والأموال وغير ذلك من الأمور التي من شأنها أن تساعدكم للتغلب على أعدائهم(1)، حيث انطلقوا من مكان ثورتهم، وشبه ذلك بالسيل الجارف الذي أصاب جنتي مأرب(2) وهما جنتا سبأ(3)، الوارد ذكرهما في القرآن الكريم بقوله تعالى:

«فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ»(4)، وشبه أمير المؤمنين عليه السلام تلك الثورة التي يقوم بها الناس بالسيل الذي لا يسلم منه قارة، ولا تثبت معه أكمة، أي التلعة من الأرض 5، وأراد بقوله: لم يرد سننه رص طود، ومعناه الجبل الشديد إلتصاق الأجزاء بعضها البعض(5)، ولا حداب أرض(6)، وهو مصداق قوله تعالى:

ص: 495

1- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 294

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 218

3- وهما بستنان كانا لسبأ في اليمن ويقعان بين جبلين، فكانت المرأة تخرج وعلى رأسها مكمل فتمشي بين الجبلين فيمتلئ مكملها من دون ان تمس شيئاً بيدها، ولما طغوا بعث الله تعالى عليهم دابة يقال لها جرد فنقبت عليهم فأغرقتهم فما بقي لهم إلا الأثل وشيء من السدر، ينظر، الطبري، جامع البيان، 22 / 94؛ الطوسي، التبيان، 8 / 385

4- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 218

5- المصدر نفسه، 9 / 218

6- حداب أرض، جمع حدبة وهو ما غلظ من الأرض وارتفع، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 1 / 301

«وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَسْلُونُ»(1).

ويتضح من كلام الإمام عليه السلام بأنه أشار إلى قوة الصدمة التي سيتعرض لها بنو أمية على يد العباسيين، وما يفعلونه بهم، وشبه ثورتهم بذلك السيل الجارف الذي يدمر كل شي يعترض طريقه.

وفي موضع آخر من خطبه الشريفة جاء قوله عليه السلام:

(يزعزعهم الله في بطون أوديته، ثم يسلكهم ينابيع الأرض)(2)، ومراد الإمام عليه السلام بأن الله تعالى سيفرقهم في بطون الارض وأوديتها والأماكن الخفية البعيدة عن أعين الأمويين، ثم يخرجهم إلى غايتهم كما يخرج الله تعالى الماء من أعماق الأودية العميقة بعد أن أنزله من السماء إلى تلك الأودية(3)، وروي ان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وجه الدعاة إلى المناطق المختلفة لنشر الدعوة العباسية، وكان يقيم في الحميمة من أرض الشراة، وسار أبو هاشم بن محمد بن الحنفية(4) إلى سليمان بن عبد الملك (96 هـ - 99 هـ / 714 م - 717 م)، فأعجب بعلمه وفصاحته، فقام بسمه، فلما قرب أجله نزل على محمد بن علي وأخبره بأن أمرهم صائر إلى ولده، فلما مات بايعت الشيعة علي بن محمد، وقام

ص: 496

1- سورة الأنبياء، آية، 96

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 268

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 218؛ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، 2 / 268

4- ابو هاشم، عبد الله بن محمد ابن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان صاحب علم ورواية ثقة جليل وكان الشيعة يلتقون به و وكان بالشام وحضرته الوفاة وأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأعطاه كتبه ورواياته ومات في الحميمة في خلافة سليمان بن عبد الملك، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 321؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4 / 129

وبعد ان قام الدعاة العباسيون بنشر دعوتهم، وتم لهم الأمر بعد القضاء على أعدائهم الأمويين أخذوا بالعمل على إرجاع ما اغتصبه الأمويون من الناس، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكن لقوم في ديار قوم)(2)، أي ان الله أظهر بني العباس بعد الاختفاء فأخذ بهم حقوق ما فعله بنو أمية من دماء الناس التي سفكوها بغير وجه حق وأموالهم التي نهبوا وأخذوا يتصرفون بها من دون الناس(3)، وورد أن المنصور جلس في بغداد مجلساً عاماً، فدخل عليه شاب من ولد عمرو بن حزم(4)، فأعلمه نسبه وروى ما فعله به بنو أمية وما فعله الوليد بن عبد الملك الذي أمر بأخذ أمواله، فأمر له المنصور بعشرة آلاف درهم، وكتب إلى عماله بأن ترد ضياع آل حزم عليهم، وأن يعطوا غلاتها في كل سنة من ضياع وأراضي بني أمية(5)، والمراد بقوله عليه السلام ويمكن لقوم في ديار قوم، أي يهلك الله تعالى الأمويين ويستخلف مكانهم العباسيين فيحلون في ديارهم التي كانت لهم(6)، وجاء أن المهدي العباسي دخل على مسجد رسول

ص: 497

1- ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 5/ 218؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 322

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2/ 268

3- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2/ 483

4- عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو من بني النجار، ويكنى أبا الضحاك، استعمله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على نجران واليمن وهو ابن سبعة عشر سنة، وبقي عمرو حتى أدرك بيعة معاوية لولده يزيد وتوفي بعد ذلك، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5/ 317

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 85

6- مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2/ 483

الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى اسم الوليد بن عبد الملك منقوشاً على الكتاب الذي في المسجد، فدعا بكرسي وجلس عليه وقال:

(ما أنا ببارح حتى يمحي اسم الوليد ويكتب اسمي مكانه)، فأزيل اسم الوليد وكتب اسمه مكانه(1).

إن الله تعالى قد سلط على بني أمية من يسلبهم سلطانهم وأموالهم كما فعلوا بالناس من اعتداء على حقوقهم وسلبهم أموالهم وأنفسهم، ومن ثم تكون هذه نتيجة أعمالهم وأفعالهم التي مارسوها طوال مدة حكمهم.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة أخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن نهاية دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية إذ جاء قوله عليه السلام في هذا الصدد:

(وأيم الله ليذوبن ما في أيديهم، بعد العلو والتمكين، كما تذوب الألية في النار)(2)، إذ أقسم الإمام عليه السلام ليذوبن ما في أيدي بني أمية، بعد علوهم واستكبارهم وتمكينهم من الأمر كما تذوب الألية في النار(3)، وقد شبه الإمام عليه السلام حالة الفناء والاضمحلال والانحلال التي سيصبح عليها بنو أمية، ومصداق ذلك الأمر هو ما اجتمعت عليه الشيعة العباسية على إزالة ملك بني أمية(4).

ومما لا شك فيه أن ذهاب ملك بني أمية جاء لأسباب كثيرة منها قيامهم بقتل الناس والانغماس في الملذات، والابتعاد عن دين الله تعالى، وسلب الناس

ص: 498

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8 / 179؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5 / 262

2- محمد عبده، نهج البلاغة، 2 / 268

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9 / 218

4- البحراني، شرح نهج البلاغة، 3 / 295

حقوقهم، وغيرها من الأسباب التي ستعجل بنهايتهم وتغلب أعدائهم عليهم.

وروي ان المنصور اجتمع مع عدد من رؤساء الأسرة العباسية وتذاكروا خلفاء بني أمية، وما كانوا عليه من العز، وأسباب زوال ملكهم، فكانوا أول أمرهم قد ضبطوا شؤون دولتهم، حتى أفضى الأمر إلى ابنائهم المترفين الذين ركبوا المملذات، والوقوع بالمعاصي، وعدم خوفهم من الله تعالى وعقابه، واستخفافهم بحقوق الله، فسلبهم ما كانوا عليه، وألبسهم الذل والخوف، وأزال عنهم نعمته (1)، مع ان المنصور لا يختلف هو وأبناؤه عن الأمويين فيما فعلوه فيما بعد.

ص: 499

1- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 269؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 128

الخاتمة

ص: 501

توصل الباحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

يعد الشريف الرضي من اكابر العلماء، والذي قام بجمع نهج البلاغة المتضمن على جزء من خطب ومراسلات ومواعظ وحكم أمير المؤمنين عليه السلام، التي أخذها من مصادر متعددة سبقت عصره، وهذا مما يبعد الشكوك التي أثيرت حول نسبة نهج البلاغة للشريف الرضي، وأنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

إن مسألة استقرار نسب بني أمية وأصالته في قريش هو أمر عليه جملة من علامات الشك التي تؤيدها الروايات التاريخية والأحاديث النبوية الشريفة التي تربط ذلك النسب وترجعه إلى اليهود، وتأتي كل تلك الأمور مشفوعة بكلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه:

(ولا الصريح كاللصيق).

ان الوصف الذي جاء به الإمام علي عليه السلام لبني أمية في نهج البلاغة ما هو إلا امتداد للصورة التي بينها القرآن الكريم لهم، إذ لعنوا في الكثير من الآيات في القرآن الكريم، وكذلك أبرز موقفهم المعادي للإسلام في السور المباركة والذي

اتسم بالسلبية الواضحة من الدعوة وقائدها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ان العلاقة الأموية الهاشمية كانت تعاني من اضطراب واضح وملموس يمتد إلى عصر ما قبل البعثة مروراً بالإسلام الذي نظر الأمويون من خلاله إلى أنه محاولة لبني هاشم للحصول على الزعامة الدينية والسياسية المطلقة وقد بان ذلك واضحاً في كل تصرفاتهم وأفعالهم إزاء الدعوة الإسلامية، لذا نجد ان لبني أمية الدور الأكبر في محاربة الإسلام خوفاً من فقدان تلك الزعامة.

كان لمدة حكم عثمان الدور الأكبر في تزايد نفوذ بني أمية في التغلغل في مفاصل النظام الإداري والسياسي والهيمنة على الجانب الإقتصادي للدولة الإسلامية تبجحاً واضحاً وملموساً إزاء أهل البيت وخصوصاً الإمام علي عليه السلام حتى وصل الأمر في الشروع بسبه على منابر المسلمين في عهد معاوية بن أبي سفيان.

لم يكن حال بني أمية خافياً على الإمام عليه السلام لذلك أعطى وعرف من خلال الخطب التي وردت في نهج البلاغة بالمكانة الحقيقية للأمويين وأوضح طبيعة موقفهم من الإسلام، غير أنه ركز وبشكل ملحوظ على بيان حقيقة معاوية بن أبي سفيان لما حاوله الأخير من استغلال الظرف الطارئ على الأمة الإسلامية لإيجاد مكانة لنفسه في الإسلام وتسويق ذاته على انها مساوية لغيره من الصحابة الأوائل.

على الرغم من التشخيص الدقيق للإمام عليه السلام لأحوال بني أمية إلا أنه لم يتأ بنفسه عن بذل النصح لهم وتعريفهم بضرورة السير بالطريق الصحيح الذي يتماشى مع ما رسمه الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ذلك لم يسبب أي تغيير منهم لما بلغوه من النفاق والخداع والرغبة في الهيمنة السياسية على المسلمين.

لم يكتف الإمام علي عليه السلام بالتعريف بالحالة المعاصرة لبني أمية بل نجد في ثنايا نهج البلاغة رؤية مستقبلية لطبيعة حكم بني أمية وأثرها السلبي على الإسلام وعلى المسلمين مما يعطي دلالة على أن الإمام عليه السلام أعطى اشعاراً للمسلمين بأن طبيعة التركيبة الأموية المستقبلية لا تختلف عن ما هو معاصر لذا نجده يحذر أشد التحذير من الاشتراك في فتنهم أو التقرب منهم.

لقد جاء الاخبار العلوي في نهاية دولة بني أمية وقصر مدتهم وظهور دولة بني العباس بما يختلف عن حالة الخنوع التي سادت في أوساط المسلمين والتي روج من خلالها إلى استحالة نهاية الحكم الأموي، بل ان الإمام عليه السلام أخبر اخباراً دقيقاً عن نهايتهم واسترجاع الحقوق منهم وحصول الثقات فيما بينهم.

ومن الله التوفيق.

ص: 505

القرآن الكريم

المصادر الأولية

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن الحسين (ت 630 هـ / 1232 م).
- 1- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد العوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).
- 2- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفدا عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت 1987 م).
- 3- اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر، بيروت، د. ت).
- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم (ت 606 هـ / 1209 م).
- 4- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (ط 4، مؤسسة اسماعيليان، قم، 1944 م).
- الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (693 هـ / 1293 م).
- 5- كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ط 2، دار الاضواء، بيروت 1985 م).

- الأزدي، الفضل بن شاذان (ت 260 هـ / 873 م).
- 6- الإيضاح، تحقيق: جلال الدين الحسيني، مؤسسة انتشارات، طهران، 1943 م).
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت 370 هـ / 980 م).
- 7- تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط 1، الدار المصرية، د. م، 1964 م).
- ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (ت 151 هـ / 768 م).
- 8- السير والمغازي المسمى بسيرة (ابن اسحاق)، تحقيق: محمد حميد الله، (معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، د. ت) - الإسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت 220 هـ / 835 م).
- 9- المعيار والموازنة في فضائل الامام امير المؤمنين علي (ع)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (ط 1، د. م، 1981 م).
- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت 314 هـ / 926 م).
- 10- الفتوح، تحقيق: علي شيري، (ط 1، دار الاضواء، بيروت، 1991 م).
- البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت 679 هـ / 1280 م).
- 11- شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين، تحقيق: مير جلال الحسيني، (مشورات جماعة المدرسين، قم، د. ت).
- 12- شرح نهج البلاغة، (ط 1، دار الثقلين، بيروت، 1999 م).
- البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت 256 هـ / 869 م).
- 13- صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت، 1981).
- ابن البراج، عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت 481 هـ / 1088 م).
- 14- المهذب، تحقيق: جعفر السبحاني، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1985 م).

- البرقي، أحمد بن محمد (ت 274 هـ / 887 م).

15- المحاسن والآداب، تحقيق: جلال الدين الحسيني، (ط 1، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1911 م).

- البغدادي، ابو جعفر محمد بن حبيب (ت 245 هـ / 859 م).

16- المنمق في أخبار قريش، تصحيح: خورشيد أحمد فاروق، (ط 1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1964 م).

- البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود (ت 516 هـ / 1122 م).

17- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرين، (دار طيبة، الرياض، 1990 م).

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (487 هـ / 1094 م).

18- معجم ما استعجم في اسماء البلاد والمواضع، تحقيق، مصطفى السقا، (عالم الكتب، بيروت، 1983 م).

- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (279 هـ / 892 م).

19- جمل من أنساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، (دار الفكر، بيروت 1996 م).

20- فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، (مؤسسة المعارف، بيروت 1987 م).

- البيضاوي، ناصر الدين ابو الخير عبدالله بن عمر (691 هـ / 1291 م).

21- انوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت).

- البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي (458 هـ / 1065 م).

22- السنن الكبرى، تحقيق: سيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

- 23- دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المنعم معطي، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988 م).
- البيهقي، علي بن زيد الأنصاري (ت 565 هـ / 1169 م).
- 24- معارج نهج البلاغة، تحقيق: أسعد الطيب، (دار إحياء التراث الإسلامي، قم، 1960 م).
- البيهقي، أبو محمد بن الحسين قطب الدين الكيذري (من أعلام القرن السادس الهجري).
- 25- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، تحقيق: عزيز الله العطاردي، (ط 1، قم، 1955 م).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت 279 هـ / 892 م).
- 26- سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، (ط 2، دار الفكر، بيروت، 1983 م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي (ت 874 هـ / 1469 م).
- 27- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م).
- التنوخي، ابو علي الحسن بن علي بن ابي القاسم (ت 384 هـ / 994 م).
- 28- الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، (ط 2، مطبعة أمير، قم، 1944 م).
- الثعالبي، ابو منصور عبد الملك النيسابوري (ت 429 هـ / 1037 م).
- 29- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1983 م).
- الثعلبي، ابو إسحاق محمد (ت 427 هـ / 1035 م).
- 30- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تحقيق: ابو محمد بن عاشور، (ط 1، دار

احياء التراث العربي، بيروت، 2002 م).

- الثقفى، ابراهيم بن محمد (ت 283 هـ / 896 م).

31- الغارات، تحقيق: جلال الدين المحدث، (مطابع بهمن، طهران، د.ت).

- الشمالى، أبو حمزة ثابت بن دينار (148 هـ / 765 م).

32- تفسير القرآن الكريم، تحقيق: محمد هادي معرفة، (ط 1، مطبعة الهادي، قم، 1999 م).

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ / 868 م).

33- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط 7، القاهرة، 1988 م).

34- العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الكتاب العربي، مصر، 1955 م).

- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597 هـ / 1200 م).

35- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، (ط 1، دار الفكر، بيروت، 1987 م).

36- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (392 هـ / 999 م).

37- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، القاهرة، 1987 م).

- الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري (ت 323 هـ / 934 م).

38- السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الأميني، (ط 2، بيروت، 1993).

- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (ت 405 هـ / 1014 م).

39- المستدرک على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، (دار المعرفة،

بيروت، د. ت).

- ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد البستي (354 هـ / 965 م).
- 40- الثقات، (ط 1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1973 م).
- ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي (ت 852 هـ / 1448 م).
- 41- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994 م).
- 42- تهذيب التهذيب، (ط 1، دار الفكر، بيروت، 1984 م).
- 43- فتح الباري شرح الامام ابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، (ط 2، دار المعرفة، بيروت، د. ت).
- 44- القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، (ط 1، عالم الكتب، د. م، 1984 م).
- 45- لسان الميزان، (ط 2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971 م).
- ابن أبي الحديد، عز الدين بن عبد الحميد المعتزلي (656 هـ / 1258 م).
- 46- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007 م).
- ابن حزم الأندلسي، ابو محمد علي بن احمد (ت 456 هـ / 1063 م).
- 47- جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م).
- حسان بن ثابت، حسان بن ثابت بن عمرو (50 هـ / 670 م).
- 48- ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبد مهنا، (ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994 م).
- الحلبي، علي بن برهان الدين (ت 1044 هـ / 1635 م).

49- السيرة الحلبية المسماة أنساب العيون في سيرة الأمين والمأمون، (دار المعرفة، بيروت، 1979 م).

- الحلبي، عز الدين الحسن بن سليمان (من أعلام القرن الثامن الهجري).

50- المحتضر، تحقيق: سيد علي كسروي، (انتشارات الكتب العلمية، قم، 2003 م).

- الحلبي، الحسن بن يوسف بن المطهر (726 هـ / 1325 م).

51- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تحقيق: حسن الدراكاهي، (ط 1، طهران، 1991 م).

- الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر (300 هـ / 912 م).

52- قرب الإسناد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الكتاب العربي، مصر، 1955 م).

- ابن حنبل، ابو عبد الله احمد بن محمد (ت 241 هـ / 855 م).

53- مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (دار صادر، بيروت، د. ت) - الخبري، أبو الحكيم (467 هـ / 1083 م).

54- ديوان الشريف الرضي، تحقيق: عبد الفتاح محمد، (القاهرة، 1976 م).

1982 م).

- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت 463 هـ / 1072 م).

55- تاريخ مدينة بغداد (تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قاطناتها العلماء من غير أهلها وواديها، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

- الخطيب التبريزي، ولي الدين محمد بن عبد الله (741 هـ / 1340 م).

56- الإكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبي أسد الله الحافظ محمد، (مؤسسة أهل البيت، قم، د. ت).

ص: 515

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808 هـ / 1405 م).

57- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: سهيل زكار، (دار صادر، بيروت د. ت).

- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت 681 هـ / 1282 م).

58- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، د. ت).

- خليفة ابن خياط، ابو عمر خليفة العصفري (ت 240 هـ / 854 م).

59- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، 1993 م).

60- الطبقات، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، 1993 م).

- الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد (568 هـ / 1172 م).

61- المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، (ط 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1993 م).

- الداني، عثمان بن سعيد (444 هـ / 1052 م).

62- البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (ط 1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، 1994 م).

- ابن الدمشقي، شمس الدين أبو البركات محمد (ت 871 هـ / 1466 م).

63- جواهرالمطالب في مناقب علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (ط 1، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، 1994 م).

- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي (ت 281 هـ / 894 م).

64- ذم المسكر، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، (دار الراية، الرياض، د. ت).

- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (282 هـ / 895 م).

65- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (دار احياء التراث العربي، القاهرة، 1960 م).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (748 هـ / 1347 م).

66- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989 م).

67- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي، (دار الوطن، الرياض، 2000 م).

68- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، (ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1982 م).

69- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م).

70- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ط 1، دار المعرفة، بيروت، 1963 م).

- الرازي، فخرالدين بن محمد بن عمر (606 هـ / 1209 م).

71- تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، (ط 1، دار الفكر، د. م، 1981 م).

72- المحصول في علم اصول الفقه، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، (ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991 م).

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ / 1108 م).

73- مفردات غريب القرآن، (ط 2، د. م، 1983 م).

- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (573 هـ / 1177 م).

74- الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، (ط 1، مؤسسة الإمام المهدي، قم، 1988 م).

75- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، (، قم، 1985 م).

- الزبيري، عبد الله بن قيس بن عدي (ت 15 هـ / 636 م).

76- ديوان عبد الله الزبيري، تحقيق: يحيى الجبوري، (ط 2، مؤسس الرسالة، بيروت، - الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى (ت 1205 هـ / 1790 م).

77- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر، بيروت، د. ت) 1981 م).

- الزبيري، أبو عبد الله مصعب (236 هـ / 850 م).

78- نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، (ط 3، دار المعارف، القاهرة، د. ت).

- زكريا، أبو الحسين احمد بن فارس (ت 395 هـ / 1004 م).

79- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الأعلام، قم، 1983 م).

- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر (ت 538 هـ / 1143 م).

80- ربيع الأبرار في نصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (ط 1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1992 م).

- الزيلعي، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف (762 هـ / 1360 م).

81- تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن، (ط 1، دار خزيمة، الرياض، 1993).

82- نصب الراية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، (ط 1، دار الحديث، القاهرة، 1995 م).

- سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي (ت 654 هـ / 1256 م).

83- تذكرة الخواص في خصائص الأئمة (ع)، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم،

(مكتبة نينوى الحديثة، طهران، د. ت).

- سبط ابن العجمي، برهان الدين الحلبي (841 هـ / 1437 م).

84- الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، (ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1987 م).

- السرخسي، علي بن ناصر، (من اعلام القرن السادس الهجري).

85- اعلام نهج البلاغة، تحقيق: عزيز الله العطاردي، (ط 1، طهران، 1994 م).

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230 هـ / 844 م).

86- الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، (ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001 م).

- ابن سلام، ابو عبيد القاسم الهروي (224 هـ / 838 م).

87- غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (دار الكتاب العربي، بيروت 1964 م).

- السمرقندي، نصر بن محمد (383 هـ / 993 م).

88- تفسير السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، (دار الفكر، بيروت، د. ت).

- السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (562 هـ / 1166 م).

89- الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، (ط 1، دار الجنان، د. م، 1988 م).

- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (489 هـ / 1096 م).

90- تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، (ط 1، دار الوطن، الرياض، 1997 م).

- السهيلي، أبو عبد القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (581 هـ / 1185 م).

91- الروض الآنف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، (دار النصر، القاهرة، 1969 م).

- ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى (734 هـ / 1333 م).

- 92- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1986 م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ / 1505 م).
- 93- الدر المنثور في التفسير المأثور، (دار المعرفة، بيروت، د. ت).
- ابن شبة النميري، أبو زيد عمر (ت 262 هـ / 875 م).
- 94- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهمي محمد شلوت، (دار الفكر، بيروت، 1989 م).
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (ت 406 هـ / 1015 م).
- 95- تلخيص البيان عن مجاز القرآن، (دار الأضواء، بيروت، د. ت).
- 96- حقائق التأويل في مشابه التنزيل، تحقيق: محمد رضا كاشف الغطاء، (دار المهاجر، بيروت، د. ت).
- 97- خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الأميني، (مؤسسة الاستانة الرضوية، مشهد 1985 م).
- 98- مجازات الآثار النبوية، تحقيق: طه الزيني، (منشورات بصيرتي، قم، د. ت).
- 99- نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين (ع)، تحقيق: فارس الحسون، (ط 1، قم، 1998 م).
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت 436 هـ / 1044 م).
- 100- الإنتصار، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، 1994 م).
- 101- الشافي في الإمامة، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، (ط 2، مؤسسة الصادق، طهران، 1987 م).
- 102- الفصول المختارة، تحقيق: نور الدين جعفریان و آخرين، (ط 2، دار المفيد، بيروت، 1993 م).
- 103- الناصريات، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة الهدى، طهران،

1997 م).

- ابن شعبة الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من اعلام القرن الرابع الهجري).

104- تحف العقول عن آل الرسول (ص)، تحقيق: حسين الاعلمي، (ط 1، بيروت، 1969 م).

- ابن شهر آشوب، بشير الدين ابو عبدالله محمد بن علي المازندراني (ت 588 هـ / 1192 م).

105- مناقب آل أبي طالب، (المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1956 م).

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (548 هـ / 1153 م).

106- الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن، (ط 3، دار المعرفة، بيروت 1993 م).

- ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد الكوفي (235 هـ / 849 م).

107- مصنف أبي شيبه في الأحاديث والأخبار، تحقيق: سعيد اللحام، (دار الفكر، بيروت، 1989 م).

- الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (942 هـ / 1535 م).

108- سبل الهدى والرشاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993 م).

- ابن الصباغ علي بن محمد بن أحمد (ت 855 هـ / 1451 م) 109- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، تحقيق: سامي الغريزي، (ط 2، دار الحديث، قم، 2001 م).

- الصدوق، أبو محمد بن علي بن بابويه القمي (381 هـ / 911 م).

110- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (ط 1، مؤسسة البعثة، قم، 1996 م).

ص: 521

111- التوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني، (قم، د. ت).

112- الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (منشورات جماعة المدرسين، قم، 1982 م).

113- علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (ط 1، النجف الأشرف، 1966 م) 114- عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الأعلمي، (ط 1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1984 م).

115- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1984 م).

116- معاني الأخبار، تحقيق: مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، (قم، 1959).

117- من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (ط 2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1972 م).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (764 هـ / 1362 م).

118- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرنوؤط، (ط 1، دار احياء التراث العربي، بيروت 2000 م).

- أبو الصلاح الحلبي، تقي الدين نجم (ت 447 هـ / 1055 م).

119- تقريب المعارف، تحقيق: فارس تبريزيان، (د. م، 1996 م).

- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت 211 هـ / 826 م).

120- تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم حمد، (ط 1، مكتبة الرشيد، الرياض، 1989 م).

121- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (منشورات المجلس العلمي، د. م، 1972 م).

- الضحاك، ابن أبي عاصم (287 هـ / 900 م).

122- الآحاد والمثاني، تحقيق: فيصل أحمد الجوابرة، (ط 1، دار الراية، الرياض، 1991 م).

- ابن طاووس، ابو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت 664 هـ / 1246 م).

123- التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين، (ط 1، دار الكتاب الجزائري، قم، 1992 م).

124- الملاحم والفتن، (ط 1، مؤسسة صاحب الأمر، أصفهان، 1995 م).

- الطبراني، ابو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ / 970 م).

125- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السليطي، (ط 2، دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ت).

126- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق أبو عوض، (دار الحرمين، مكة المكرمة، 1995).

- الطبرسي، احمد بن علي (560 هـ / 1164 م).

127- الاحتجاج، (مكتبة دار المجتبي، النجف، 2009 م).

- الطبرسي، ابو الفضل بن الحسن (548 هـ / 1153 م).

128- إعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت، (ط 1، مطبعة ستارة، قم، 1996 م).

129- مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: مجموعة من العلماء، (ط 2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1995 م).

- الطبري الشيعي، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت القرن الرابع الهجري).

130- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)، تحقيق: احمد المحمودي، (ط 1، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم، 1994 م).

- الطبري، محمد بن جرير (310 هـ / 922 م).

131- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار المعارف، مصر، د. ت).

132- جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: خليل الميس، (دار الفكر، بيروت، 1995 م).

- الطريحي، فخر الدين (ت 1085 هـ / 1674 م).

133- مجمع البحرين ومطلع النيرين، تحقيق: أحمد الحسيني، (مكتبة النشر للثقافة الإسلامية، النجف، 1987 م).

- الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسين بن علي (460 هـ / 1067 م).

134- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (ط 1، دار الثقافة والنشر، قم، د. م) 135- التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب، (ط 1، مكتب الأعلام الإسلامي، قم، 1988 م).

136- رجال الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي، (مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، قم، 1983 م).

137- الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، (ط 1، مؤسسة النشر الإسلامي، د.

م، 1996 م).

- الطيالسي، سليمان بن داود (204 هـ / 819 م).

138- مسند أبي داود، (دار المعرفة، بيروت، 1903 م).

- ابن طيفور، ابو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (380 هـ / 990 م).

139- بلاغات النساء، (منشورات مكتبة بصيرتي، قم، 1942 م).

- العاملي، جمال الدين يوسف (664 هـ / 1246 م).

140- الدرالنظيم، (مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، د. ت).

- ابن عبد البر، ابو يوسف بن عبد الله القرطبي (463 هـ / 1070 م).

141- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عادل مرشد، (ط 1، دار الأعلام، عمان 2002 م).

- ابن عبد ربه الأندلسي، احمد بن محمد (ت 328 هـ / 935 م).

142- العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيبي، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983 م).

- عبيد بن الأبرص بن جشم (ت 554 م).

143- ديوان عبيد، شرح: أشرف أحمد عدرة، (ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994 م).

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي (571 هـ / 1175 م).

144- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تحقيق: علي شيري، (ط 1، دار الفكر، بيروت 1994 م).

- العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو (322 هـ / 933 م).

145- ضعفاء العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م).

- ابن عنبة، جمال الدين محمد بن علي الحسيني (828 هـ / 1424 م).

146- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، (ط 2 المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1961 م).

- العياشي، ابو النضر محمد بن مسعود بن عباس السلمى (320 هـ / 932 م).

147- تفسير العياشي، تحقيق: سيد هاشم الرسولي، (المكتبة العلمية، طهران، 1960 م).

- ابن فارس، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ / 1004 م).

148- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الاعلام

الإسلامي، 1983 م).

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (170 هـ / 786 م).

149- العين، تحقيق: مهدي المخزومي، (ط 2، مؤسسة دار الهجرة، د. م، 1989 م).

- ابو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين الأموي (ت 356 هـ / 966 م).

150- الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936 م).

151- مقاتل الطالبين، تحقيق: كاظم المظفر، (ط 2، المكتبة الحيدرية، النجف، 1965 م).

- ابن الفقيه الهمداني، أبو عبد الله أحمد بن محمد (من اعلام القرن الثالث الهجري).

152- البلدان، تحقيق: يوسف هادي، (ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1996 م).

- القاضي النعمان، ابو حنيفة بن محمد (363 هـ / 973 م).

153- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام وقضايا الأحكام عند أهل البيت، تحقيق: الحافظين العراقي وابن حجر، (دار المعارف القاهرة، 1963 م).

154- شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالى، (ط 2، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، 1993 م).

155- المناقب والمثالب، تحقيق: ماجد احمد العطية، (ط 1، مؤسسة الأعلمى، بيروت، 2002 م).

- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ / 889 م).

156- الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيرى، ط 1، إنتشارات الشريف الرضى، قم، 1992 م).

157- تأويل مختلف الحديث، تحقيق: إسماعيل الأسعدى، (دار الكتب العلمىة، بيروت، د. ت).

- 158- عيون الأخبار، (ط 2، دارالكتب المصرية، القاهرة، 1996 م).
- 159- غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، (ط 1، دارالكتب العلمية، قم، 1988 م).
- 160- المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، (ط 4، دار المعارف، القاهرة، د. ت).
- القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري (ت 671 هـ / 1272 م).
- 161- الجامع لأحكام القرآن، (دار احياء التراث العربي، لبنان، 1985 م).
- القضاعي، ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر المصري (454 هـ / 1062 م).
- 162- دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، (مطبعة السعادة، مصر، 1914 م).
- القلقشندي، ابو العباس احمد (821 هـ / 1418 م).
- 163- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري، (ط 2، دار الكتب اللبنانية، بيروت، 1980 م).
- القمي، علي بن ابراهيم بن حاتم (329 هـ / 940 م).
- 164- تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي، (النجف، 1967 م).
- القمي، محمد بن الحسن (من أعلام القرن السابع الهجري).
- 165- العقد النضيد والدر الفريد، تحقيق: علي أوسط الناطقي، (ط 1، دار الحديث، قم، 2012 م).
- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء إسماعيل (774 هـ / 1372 م).
- 166- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، (ط 1، دار هجر الجيزة 1998 م).
- 167- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن حمد السلامة، (ط 2، دار طيبة، الرياض، 1997 م).

- ابن كرامة، شرف الإسلام بن سعيد المحسن (494 هـ / 1100 م).

168- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي، (ط 1، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، 2000 م).

- ابن الكلبي، ابو المنذر هاشم بن محمد السائب (ت 204 هـ / 819 م).

169- جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، (ط 1، عالم الكتب بيروت، 1986 م).

170- مثالب العرب، تحقيق: نجاح الطائي، (ط 1، دار الهدى، بيروت، 1998 م).

- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت 329 هـ / 940 م).

171- الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (ط 3، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1968 م*).

- الكوفي، محمد بن سلمان (ت 300 هـ / 912 م).

172- مناقب الامام أمير المؤمنين (ع)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (ط 1، مجمع احياء التراث الإسلامي، قم، 1991 م).

- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (450 هـ / 1058 م).

173- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، (ط 1، دار الأرقم، الكويت، 1989 م).

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 286 هـ / 899 م).

174- الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (ط 3، دار الفكر، القاهرة، 1997).

- المتقي الهندي علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت 975 هـ / 1567 م).

175- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: صفوة السقا، (مؤسسة

الرسالة، بيروت، 1989 م).

- المجلسي، محمد باقر (ت 1111 هـ / 1699 م).

176- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، (دار الرضا، بيروت، 1983 م).

- محقق من اعلام القرن الثامن.

177- شرح نهج البلاغة، تحقيق: عزيزالله العطاردي، (ط 1، دار البصائر، قم 1955 م).

- المدني، صدر الدين علي خان (1120 هـ / 1708 م).

178- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (ط 2، منشورات، مكتبة بصيرتي، قم، 1976 م).

- ابن مردويه، احمد بن موسى (410 هـ / 1019 م).

179- مناقب علي ابن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي، تحقيق: عبد الرزاق حسين، (ط 2، دار الحديث، قم، 2003 م).

- المرزباني، أبو عبد الله بن عمران (ت 384 هـ / 994 م)، 180- معجم الشعراء، تحقيق: فاروق سليم، ط 1، دار صادر، بيروت، 2005 م).

- المروزي أبو عبد الله نعيم بن حماد، (ت 288 هـ / 900 م).

181- الفتن، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، القاهرة، 1993 م).

- المزني، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (742 هـ / 1341 م).

182- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992 م).

- المزني، معن بن أوس (64 هـ / 683 م).

ص: 529

183- ديوان معن بن أوس، تحقيق: نوري حمودي، (دار الجاحظ، بغداد، 1977 م).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346 هـ / 957 م).

184- التنبية والأشراف، (دار صعب، بيروت، د. ت).

185- مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط 2، الشركة العالمية للكتب، بيروت، 1989 م).

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261 هـ / 874 م).

186- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط 1، دار الحديث، بيروت، 1992 م) - المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد النعمان البغدادي (ت 413 هـ / 1022 م).

187- الإختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (ط 2، دارالمفيد، بيروت، 1993 م).

188- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة ال البيت (ع)، (ط 2، دار المفيد، بيروت، 1993 م).

189- الأمالي، تحقيق: أستاذ ولي، (ط 2، دار المفيد، بيروت، 1993 م).

190- الجمل، (مكتبة الداودي، قم، د. ت).

191- المزار، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، (ط 2، دار المفيد، بيروت، 1993 م).

- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (150 هـ / 767 م).

192- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م).

- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1441 م).

193- إمتاع الأسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999 م).

194- النزاع والتخاصم بين أمية وهاشم، تحقيق: صالح الورداني، (الهدف للإعلام، القاهرة، 1923 م).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ / 1311 م).

195- لسان العرب، (أدب الحوزة العلمية، قم، 1984 م).

- المنقري، نصر بن مزاحم (212 هـ / 827 م).

196- وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط 1، دار الجيل، بيروت 1990 م).

- مؤلف مجهول (من أعلام القرن الثالث الهجري)، 197- أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري، (دار صادر، بيروت، د. ت).

- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الكوفي (450 هـ / 1058 م).

198- رجال النجاشي، (ط 5، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، 1995).

- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت 380 هـ / 987 م).

199- الفهرست، تحقيق: محمد رضا تجدد، (د. م، د. ت).

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (303 هـ / 915 م).

200- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق محمد هادي الأميني، (مكتبة نينوى، طهران، د. ت).

201- السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991 م).

- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (430 هـ / 1038 م).

202- حلية الأولياء في طبقات الأصفياء (ط 1، دارالكتب العلمية، بيروت،

1988 م).

- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك (ت 213 هـ / 828 م).

203- السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (مطبعة المدني، القاهرة، 1963 م).

- الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر (ت 807 هـ / 1404 م).

204- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1988).

- الواقدي، ابو عبد الله محمد بن عمر (ت 207 هـ / 822 م).

205- المغازي، (ط 3، عالم الكتب، د. م، 1984 م).

- اليافعي، ابو محمد عبد الله بن اسعد (ت 768 هـ / 1366 م).

206- مرآة الزمان وعبرة اليقظان في ما يعتبر في حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت 626 هـ / 1228 م).

207- معجم البلدان، (دار احياء التراث العربي، بيروت، 1977 م).

- اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب (ت 292 هـ / 904 م).

208- تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (ط 1، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010 م).

209- مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق: مضيوف الفراء، (مركز الدراسات الإنسانية، قطر، 1988 م) أبو يعلى، أحمد بن المشنى (ت 307 هـ / 919 م).

210- مسند ابي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، (ط 1، دار المأمون، دمشق، 1988 م).

ص: 532

- الأمين، حسن 211- مستدركات أعيان الشيعة، (ط 2، دار التعارف، بيروت، 1997 م).
- الأمين، عبد الحسن أحمد 212- الغدير، (ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1976 م).
- انصاريان، علي 213- نهج البلاغة، (ط 2، دمشق، 2008 م) - أيوب، سعيد 214- معالم الفتن، (ط 1، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم، 1995 م).
- التستري، محمد تقي 215- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، (ط 1، طهران، 1997 م).
- جابر، حميد سراج 216- الفكر الاختباري في نهج البلاغة، (ط 1، دار ومكتبة البصائر، بيروت، 2012 م).
- جرداق، جورج 217- روائع نهج البلاغة، (ط 2، بيروت، 2002 م).
- الجلال، محمد حسين 218- مسند نهج البلاغة، تحقيق: محمد جواد الحسيني، (ط 1، مطبعة عمران، قم، 2009 م).

- الحائري، أيوب 219- قسبات من نهج البلاغة، (دمشق، 2004 م).
- حسن، ابراهيم حسن 220- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (ط 14، دارالجيل، بيروت، 1996 م).
- حسين، طه 221- الفتنة الكبرى، (دار المعارف، مصر، د. ت).
- الحسيني، عبد الزهراء الخطيب 222- مصادر نهج البلاغة وأسانيده، (ط 3، دار الأضواء، بيروت، 1985 م).
- حلاوي، محمود مصطفى 223- ديوان الشريف الرضي، (ط 1، دار الأرقم، بيروت، 1999 م).
- الحيدري، كمال 224- معالم الإسلام الأموي، (دار المرتضى، بيروت، 2010 م).
- الخوي، حبيب الله الهاشمي 225- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: علي عاشور، (ط 1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2003 م).
- سبتي، يوسف علي 226- نهج البلاغة في دائرة التشكيك، (ط 1، بيروت، 2006 م).
- سيد قطب، ابراهيم حسين 227- العدالة الاجتماعية في الإسلام، (دار الشروق، القاهرة، 1995 م).
- الشرهاني، حسين علي 228- التغير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الامام علي بن ابي

طالب (عليه السلام)، (ط 1، دمشق، 2013 م).

- الشريفي، عبد الهادي 229- تهذيب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي، (ط 1، دار الحديث، بيروت، 2005 م).
- الشكري، حيدر فاضل 230- أهل البيت في نهج البلاغة، (النجف، 2014 م).
- شمس الدين، محمد مهدي 231- حركة التاريخ عن الإمام علي، (المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، د. م، د. ت).
- 232- دراسات في نهج البلاغة، (ط 2، دار الزهراء، بيروت، 1972 م).
- الشيرازي، محمد الحسيني 233- نهج البلاغة، (دار العلوم، بيروت، 2008 م).
- الشيرازي، ناصر مكارم 234- نفحات الولاية، اعداد: عبد الرحيم الهمداني، (ط 1، قم، 2005 م).
- الصالح، صبحي 235- نهج البلاغة، (ط 4، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2004 م).
- الطهراني، أغا بزرك 236- الذريعة في تصانيف الشيعة، (ط 2، دار الأضواء، بيروت، 1969 م).
- العاملي، جعفر مرتضى 237- الصحيح من سيرة النبي الأعظم، (ط 4، دار الهدى، بيروت، 1995 م).
- العاملي، حسين جمعة 238- شروح نهج البلاغة، (ط 1، بيروت، 1983 م).

ص: 535

- العاملي، محسن الأمين 239- أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، (دار المعارف، بيروت، د. م).
- عبده، محمد 240- نهج البلاغة، خرج مصادره: فاتن محمد خليل، (ط 1، دار احياء التراث العربي بيروت، د. ت).
- عجيمي، أحمد فاضل 241- العرب قبل الإسلام في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، (ط 1، دمشق، 2014 م).
- الفحام، عباس علي 242- بلاغة النهج في نهج البلاغة، (ط 1، دار الرضوان، عمان، 2014 م).
- كحالة، عمر رضا 243- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (ط 2، دار العلم، بيروت، 1968 م).
- الكوراني، علي 244- جواهر التاريخ (السيرة النبوية)، (ط 1، دار الهدى، د. م، 2005 م).
- المحمودي، محمد باقر 245- نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، تصحيح: عزيز آل طالب، (ط 1، طهران، 1997 م).
- المرزوك، غزوان عبد الكاظم 246- الغيبات في نهج البلاغة، (ط 1، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، 2016 م).
- المطهري، مرتضى

247- في رحاب نهج البلاغة، (ط 1، الدار الإسلامية، بيروت، 1992 م).

- مغنية، محمد جواد 248- في ظلال نهج البلاغة، (ط 1، بيروت، 2006 م).

- الموسوي، محسن باقر 249- المدخل إلى علوم نهج البلاغة، (ط 1، دار العلوم، بيروت، 2002 م).

- الميلاني، علي 250- تشييد المراجعات وتقنييد المكابرات، (ط 1، د. م، 1996 م).

- نعمة، عبد الله 251- مصادر نهج البلاغة، (مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، 1972 م).

- الورداني، صالح 252- السيف والسياسة في الإسلام، (ط 1، دار الجسام، القاهرة، 1996 م).

- يعقوب، احمد حسين 253- كربلاء الثورة والمأساة، (ط 1، الغدير، بيروت، 1997 م).

الرسائل والأطاريح الجامعية

- الجابري، علي رحيم ابو الهيل

254- السياسة الأموية المضادة للإمام علي (عليه السلام)، (دراسة في سياسة السب)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، 2008 م.

- الحمداني، جمعة ثجيل عكلة 255- السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام)، اطروحة

ص: 537

دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2016 م.

- رحيم فرحان صدام 256- الأسرة الأموية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد، 2014 م.

- الزيدي، بسام كامل زاجي 257- أهل البيت (عليهم السلام) مكانتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم في كتاب نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار، كلية الآداب، 2016.

- الزيدي، سامي جودة بعيد 258- فذك حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، 2006 م.

الزيدي، مروان عطية مابع 259- ثورة الإمام الحسين وأثرها على حركات المعارضة حتى عام 132 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 2007 م.

- العامري، ذكرى عواد ياسر 260- الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، 2009 م - العلي، كفاية طارش 261- الأسر الأموية التي لم تتول الخلافة دراسة في أحوالها الاجتماعية والإدارية والسياسية والفكرية (41 - 656 هـ / 661 - 1358 م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2004 م - العيساوي، علاء كامل صالح 262- النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي (عليه السلام) (35 -

ص: 538

40 هـ / 656 - 660 م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2005 م.

- اللامي، أروى عبد الواحد رحيم 263- التوثيق التاريخي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، 2014 م.

الدوريات

- الأملي، حسن زادة 264- دراسة مصادر نهج البلاغة، بحث منشور، مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث الإسلامي، العدد 5، 1985 م.

- الحصونة، رائد حمود عبدالحسين 265- أهل البيت (عليهم السلام) مكانتهم وفضلهم وموقف الأمة منهم من خلال كتاب نهج البلاغة، بحث منشور، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، كلية التربية، جامعة البصرة، مجلد 37، العدد 1، 2012 م.

- الشرهاني، حسين علي والحصونة، رائد حمود عبد الحسين 266- أثر هاشم وعبد المطلب في إستقرار أوضاع قريش، بحث منشور، مجلة، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلد 2، العدد 1، 2006 م.

- الطباطبائي، عبد العزيز 267- المتبقي من مخطوطات نهج البلاغة حتى نهاية القرن الثامن الهجري، بحث منشور، مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث الإسلامي، العدد 5، 1985 م.

ص: 539

بسمه تعالی

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه موفق به تولید نرم افزارهای تلفن همراه، کتاب خانه های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملاً مردمی بوده و با هدایا و نذورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارک امام علیه السلام پشتیبانی می شود.

برای خدمت رسانی بیشتر شما هم می توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز بپیوندید.

آیا می دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلبیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک میگوئیم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغ هدیه خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک 129/34 - طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 021 - 88318722

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

